

كتاب ملك الأراضي الزراعية

ودورهم في المجتمع المصري
(١٩١٤ - ١٩٥٤)

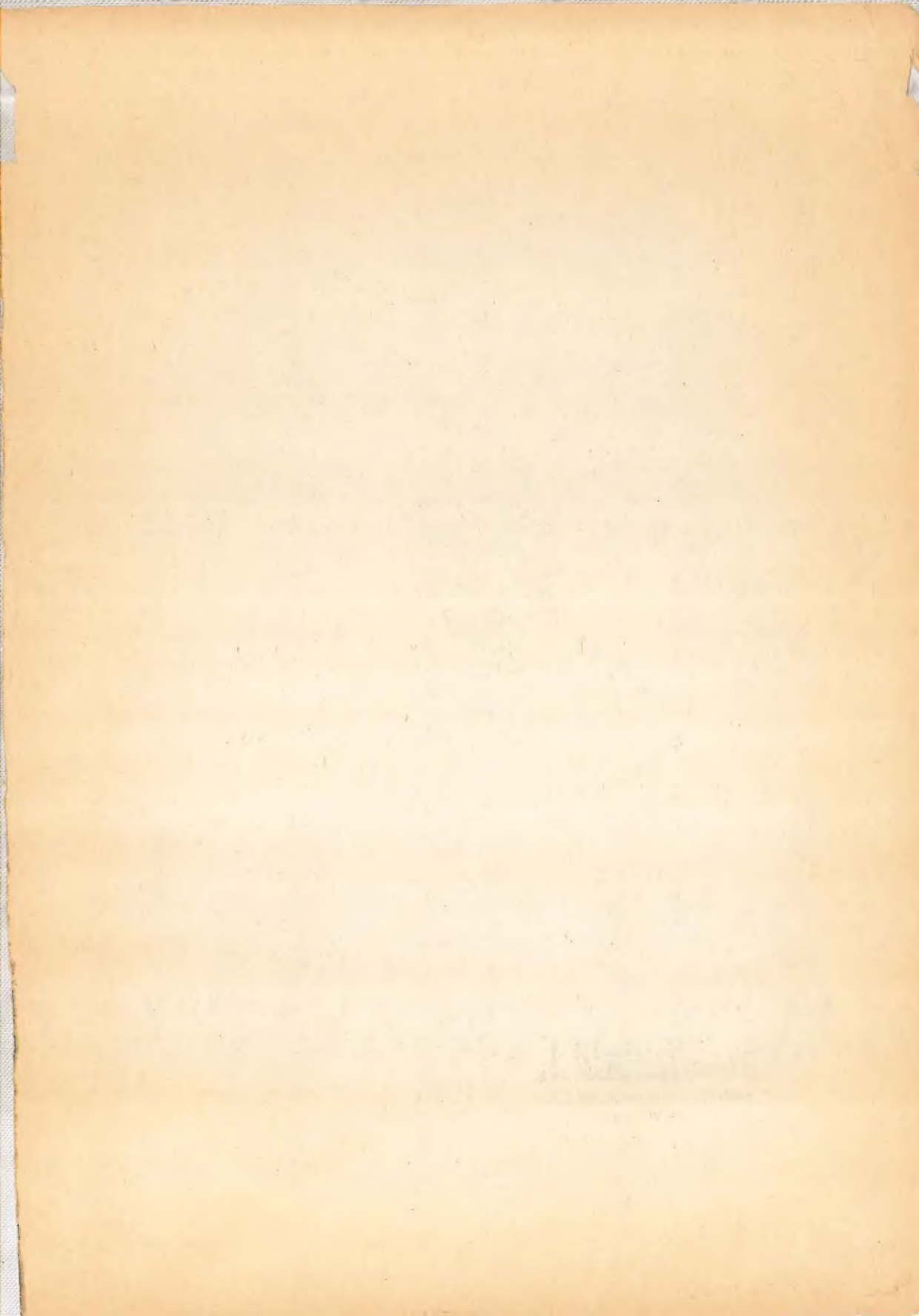
تأليف د. عاصم الدسوقي

دار الثقافة الجديدة

شارع مسرى أبو علس - القاهرة

٥٨١٧١

دار الثقافة الجديدة
٣٦ شارع صبرى ابو علم - القاهرة
ت: ٩٨٤٧١



كبار ملاك الأراضي الزراعية

ودورهم في المجتمع المصري
(١٩١٤ - ١٩٥٢)

تأليف د. عاصم الدسوقي

قيدار التاريخ والطب

د. محمد عبد الله

مطبعة

الطبعة الاولى

ديسمبر ١٩٧٥

تقديم

كانت أوضاع الملكية الزراعية في مصر قبل عام ١٩٥٢ محورا لبعض الدراسات التي تبعت أصولها التاريخية منذ عصر محمد على الذي أعاد توزيع الأراضي وخص منها أقرباءه وحاشيته بمساحات واسعة كانت هي الركيزة التي قامت عليها طبقة كبار الملاك التي جرى العرف على دمجها « بالإقطاع » — ولو أن هذا الاصطلاح الأخير لا ينطبق على هذه الفئة تمام الانطباق . فهو في أوروبا العصور الوسطى كان يتضمن ولايات وأوضاع وتبعيات وسلم وقيود إجتماعية مقننة ربما عرفت مصر قبل الثورة ألوانا منها في حين الممارسة الواقعية ، ولكنها لم تخضع لنظام إقطاعي بمعنى الكلمة . وبالإضافة إلى ذلك فإن الدراسات الخاصة بالملكيات الكبيرة كانت ستاتيكية — بمعنى أنها في كثير من الأحيان كانت تسكديسا للأرقام والجداول معزولة إلى حد كبير عن الناس الذين يمتلكون الأرض وأولئك الذين يفلحونها . حقيقة أن جابريل بير^(١) قد قدم دراسة رائدة في هذا المجال إلا أنها

(1) Gabriel Bear, A History of Landowner ship in Modern Egypt (1800 — 1950).

تفتقر إلى الدقة في بعض جوانبها ، كما تشوبها أخطاء في إيراد بعض الأسماء والمصطلحات نظراً لأن المؤلف لا يتقن اللغة العربية ولم يرجع إلى كل المصادر العربية الأساسية هذا إلى أن دراسته تغطي قرناً ونصف قرن من الزمان بحيث تفتقر إلى المعالجة التفصيلية المتعمقة المستندة إلى كل المادة المتوفرة . وأخيراً فإن دراسة جابريل ير يغلب عليها الطابع الاقتصادي — الإجتماعي دون ربط هذين العاملين بالجانب السياسي — إذ لا يمكن فهم التطورات السياسية الداخلية التي مرت بها مصر منذ بداية القرن التاسع عشر دون إهتمام بتوزيع ملكية الأرض التي ظلت لفترة طويلة تشكل المصدر الأساسي للثروة والتشكيل الإجتماعي ، طبقة ملاك الأرض هي التي تصدرت العمل السياسي قبل ثورة ٢٣ يولييه ١٩٥٢ — وهي المشتولة عن نوعية النشاط الاقتصادي الذي كانت مصر في ظله تعتمد على محصول واحد هو القطن . ولم تنظر هذه الفئة — أو الطبقة — إلى الأرض إلا باعتبارها أداة لتحصيل النقود اللازمة لرفاهيتها سواء أ كانت تقيم في الريف أو في المراكز الكبرى في الأقاليم أو في العاصمة أو في خارج البلاد . والأرض عند هذه الفئة هي كذلك مقياس الوجاهة الاجتماعية والنفوذ — فكبار ملاكها هم أعيان الريف وحكامه الفعليون ، وهم أعضاء المجالس المحلية ومجالس المحافظات وهم يشكلون الأغلبية الساحقة لنواب البلاد وشيوخها ووزرائها . وهم الذين كانوا يضعون المقاييس والقيم الاجتماعية والثقافية ويحركون نشاط البلاد السياسي . وهكذا نجد هذه الفئة — التي كان رأسها الملك (أو الخديو أو السلطان) والأسرة الحاكمة — تجهز الثورة العربية وتهادن المحتل وتنحرف بثورة ١٩١٩ ونجوى وراء سراب مفاوضات الإنجليز الذين كان بإمكانهم أن يمحوها من الحركات الإجتماعية الراديكالية . وهي الفئة أو الطبقة التي عرقلت تطور الحياة الثقافية بسيطرتها على سياسة التعليم وقصره في معظمه — في مراحلها العليا — على أبنائها وبعض البرزين من أبناء الطبقات الوسطى ، وهي التي حاولت أن تطيع الفكر بطابع المحافظة والجود حتى تحدد مدى إنتشار الأفكار والحركات التي تسمى إلى التمييز وما يتضمنه من إعادة صياغة الأطر الإجتماعية — السياسية . وهكذا تجدها تتحالف مع الرجعية الفكرية والدينية التي أثارته أزمى « طه حسين » و « طي

عبد الرزاق» وهددت كيان الجامعة المصرية في أوائل عهدها وحاولت أن تقضى على كل جديد بحجة مقاومة «الحركات الهدامة» « والإلحاد » .

وقد سبق للصديق الدكتور رؤوف عباس حامد أن تتبع موضوع لبار ملاك الأراضي وأرهم في الحياة الاجتماعية والسياسية في مصر حتى عام ١٩١٤ ، متاولا إياه في منظوره التاريخي الديناميكي وذلك بالغوص فيما وراء الأرقام وتتبع حركة المجتمع المصري على أساس توزيع الملكية العقارية التي كانت المصدر الرئيس ثروة البلاد . وبالبحث الذي نال به عاصم الدسوقي — تحت إشرافي — درجة الدكتوراة تـسـكـمـل الصورة حتى منتصف القرن العشرين . ولقد عرفت الصديق عاصم منذ أن أشرفت على رسالته للماجستير وموضوعها «مصر في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ — ١٩٤٥» ولمست فيه الاهتمام النادر بما وراء الأحداث التاريخية وبخاصة الخلفيات الاقتصادية — الاجتماعية التي تحدد مسار التاريخ ، بدون الاقتصاد على البنيان الفوق الذي يسترعى إهتمام معظم الباحثين . وكلى أمل في أن بدلى عاصم بدلوه في مجال بكر من مجالات التاريخ المصري هو البعد الاجتماعي الذي لم يلق حتى الآن الاهتمام الكافي . فتاريخ مصر الاجتماعي أمانة في أعناق النابهين من مؤرخي الجيل الجديد الذين نشثوا في كنف الاهتمامات والمفاهيم الاجتماعية التي يزخر بها العالم المعاصر بعد أن شدت الدراسات السياسية إليها أبناء الأجيال السابقة الذين تصوروا أن السياسة بمعناها الضيق هي الأداة الفعالة لحل المشكلات ، وبذلك ألقوا بأنفسهم — أو ألقى بهم — في حلقة مفرغة بددت معظم طاقاتهم الفعالة ، كما بددت المفاوضات مع الإنجليز طاقات جيل من الساسة المصريين .

الكويت في أول مايو ١٩٧٥ .

د . أحمد عبد الرحيم مصطفى

استاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس

مقدمة المؤلف

هذه محاولة لفهم تطور مصر الإقتصادي والإجتماعي خلال النصف الأول من القرن العشرين في جانب واحد من جوانب هذا التطور وهو أسلوب الإستغلال الزراعي ، أقدمها من خلال دراسة لدور كبار ملاك الأراضى الزراعية في مصر ١٩١٤ - ١٩٥٢ . وقد حاولت إثبات حقيقة معينة من هذه الدراسة كانت — تشغلني طوال فترة البحث وهي حدوث مزاجعة واندماج بين رأس المال الزراعي المستثمر في الأرض ورأس المال الصناعي والتجاري ، ولم يكن هناك إنقصال بينهما كما ذهبت بعض الدراسات التي تناولت التطور الإقتصادي الإجتماعي لمصر وهي التي حاولت إصطناع الإنقصال ومن ثم التناقض بين أصحاب المصالح الزراعية ووصفهم بطبقة الإقطاع وأصحاب المصالح التجارية الصناعية ووصفهم بطبقة الرأسماليين . وقد أثبتت هذه الدراسة أن صفوة كبار ملاك الأرض الزراعية إمتلكوا أسهمها في الشركات التجارية والصناعية بل إن بعضهم أسس شركات خاصة من هذا النوع ، كما حدث العكس أيضا وهو أن صفوة أصحاب الشركات إمتلكوا أرضا زراعية وكان الاختلاف في بداية الاستثمار فقط ، فقديداً من الأرض الزراعية

ويشتمل على التجارة أو الصناعة وقد يكون العكس . ولقد كان هذا الاندماج حقيقة واقعة على مستوى كبير وهائل بحيث يصعب وضع حدود فاصلة لمواقع التناقض في المصالح بين الطرفين في مجال الإستثمار وقد كان هذا أوضح ما يكون في المناقشات البرلمانية التي كانت تدور حول مشروعات القوانين المتعلقة بالإستثمارات بشكل عام .

وقد يلاحظ القارئ أن الدراسة تبدأ بعام ١٩١٤ وهو عام لا يشير إلى دلالة محددة عن موضوع الدراسة فهو يتعلق بالتاريخ السياسي أكثر من التاريخ الإقتصادي الإجتماعي (عام إعلان الحرب العالمية الأولى) ، ولقد كنت أود حقيقة أن تبدأ هذه الدراسة بعام ١٨٩٣ وهو العام الذي يسجل إستقرار الملكية الفردية للأرض الزراعية بالمعنى القانوني بعد المراحل التي قطعتها خلال القرن ١٩ غير أنني خشيت الوقوع في خطأ التكرار خاصة وقد سبقني زميلان لدراسة موضوع الملكيات الزراعية خلال القرن ١٩ وحتى ١٩١٤ (د . رؤوف عباس حامد ، التطور الاجتماعي للملكيات الزراعية الكبيرة ١٨٣٧ — ١٩١٤ د . علي بركات ، الملكيات الزراعية وأثرها في الحياة السياسية ١٨٤٦ — ١٩١٤) ومن ثم رأيت أن تكون دراستي إستكمالاً لما أنتجناه وإن كان هناك إختلاف في منهج الدراسة — وهذا شيء طبيعي — إلا أن مصادر المادة واحدة .

ولما كانت هذه المحاولة مبدئية بل أكاد أزعم أنها الأولى في نوعها فلاشك أنها قد تعرضت للمزالق الأخطاء ولا يعفيني من المسؤولية أنها كذلك ، بل إنني حاولت جهد طاقتي العثور على المادة التي تمكنني من إستكمال الإطار العام ، وهكذا كانت محاولاتي في وزارة الإصلاح الزراعي حيث إطلعت على البيانات والوثائق المتعلقة بالموضوع وفي مقدمتها ملفات الخاضعين للإصلاح الزراعي لقانوني ١٩٥٢/١٢٧ ، ١٩٦١ / ١٢٧ ، وقيمة هذه الملفات في بيان الملكية الزراعية للخاضع بخط يده أو من ينوب عنه وهذا يعتبر أول حصر للملكيات الكبيرة منسوبة لأصحابها لأن الملكيات الزراعية مسجلة حسب النواحي وليس حسب الأشخاص ومن المعروف أن ملكيات الشخص الواحد مبشرة في أكثر من ناحية

وفي أكثر من مديرية (محافظة) . ومن هذه الملفات أخذت عينة مختارة لشخصيات «مرموقة» لعبت دورا إقتصاديا وسياسيا خلال الفترة وقمت بتتبع مسكياتهم وتطوراتها في مكلفات الأقطان الزراعية بدار المحفوظات المصرية ثم تحركت مع هذه العينة الضخمة في المجتمع المصري . . أبحث عن دورها الإقتصادى والسياسى ووضعها فى الحركة الوطنية متتبعا مواقفها فى البرلمان وفى الأحزاب السياسية التى استندت إليها بدوافع خلفية ثقافية معينة حكمت النظرة لمختلف المشكلات التى واجهت المجتمع المصرى وقد حاولت أن أصنع من كل هذا دراسة مركبة إقتصادية وإجتماعية وسياسية وفكرية لمجموعة أصحاب المصالح الزراعية . وإذا كان لى أن أهذى هذه الدراسة لأحد فإنى أهديها إلى :

أهلى فى الأرض الزراعية . .

وإلى كل من يحاول إسترداد الماضى ويرى فيه عصرا ذهبيا

القاهرة فى ١٨/٣/١٩٧٣

المؤلف

د . عاصم الدسوقي

تهديد

في سنة ١٨٧١ وفي عهد الخديوى إسماعيل صدر القانون المعروف بقانون المقابلة الذى أعطى المنتفع بالأرض حق امتلاك أرضه ملكية تامة حتى دفع سنة أمثال الضريبة الثانوية المقررة على الأرض مرة واحدة مع إعفائه بعد ذلك من نصف الضريبة المربوطة بصفة دائمة ، وفى عامى ١٨٧٦ و ١٨٨٠ أدخلت تعديلات غير جوهرية على ذلك القانون .

ولم يكدملاك الأراضى الزراعية الجدد يشعرون بيهجة التملك ورونقه حق حدث ما عكر صفو هذا الحاطر ، إذ ألغى هذا القانون الذى كان بادرة خير بالنسبة لهم وذلك بعد تفاقم الأزمة المالية فى مصر وتدخل الرأسمالية العالمية فى شئون مصر الداخلية تدخلا كان أبرز مظاهره فرض الرقابة المالية واستخدام وسائل جديدة لإحكام هذه الرقابة كصندوق الدين والمحاكم المختلطة . . وأثارت مثل هذه الإجراءات سخط « الأعيان » ومع أنهم وجدوا فى حركة عراقى تمبيراً عن هذا السخط ومن ثم التفاهم حوله فى بداية الأمر ، إلا أنه لم يستطع أن يقدم شيئاً لهؤلاء الأعيان سوى الوعد بتخفيف الضرائب وتخفيفهم من الأزمة المالية .

وفي ٢٨ ديسمبر ١٨٨٣ ، أى بعد الاحتلال الإنجليزي واستقرار الرأسمالية العالمية صدر القانون المدنى الأهلى الذى عرف الملكية فى المادة السادسة بأنها « تسمى ملكا العقارات التى يكون للناس فيها حق التملك التام وتعتبر فى حكم الملك الأتيطان الخراجية التى دفعت عنها المقابلة إنباعاً للنصوص بلائحة المقابلة والأمر العالى الصادر بتاريخ ٦ يناير ١٨٨٠ »^(١) . وبهذا أستقرت الملكية الفردية شيئاً ما إذا أشتط للتمتع بهذا الحق دفع المقابلة وفقاً لقانون ١٨٧١ والقوانين المعدلة له فى ١٨٧٦ ، ١٨٨٠ .

غير أن شرط دفع المقابلة كوسيلة للتملك التام النى بالأمر العالى الصادر فى ١٥ أبريل ١٨٩١ حيث نص البند الأول منه « إعتباراً من هذا التاريخ يكون لأرباب الاطيان الخراجية التى لم تدفع عنها المقابلة حقوق الملكية التامة فى أطيانهم أسوة بأرباب الاطيان التى دفعت عنها المقابلة بتمامها أو جزء منها »^(٢) .

وقد أخذت الملكية الفردية شكلها التام والنهائى فى عام ١٨٩٦ حيث صدر أمر عال فى ٣ سبتمبر بتعديل المادة السادسة من القانون المدنى الأهلى (الذى كان قد صدر فى ١٠ يناير ١٨٦٦) لتصبح « تسمى ملكا العقارات التى يكون للناس فيها حق الملك التام بما فى ذلك الأطيان الخراجية »^(٣) .

وهكذا بدأ يظهر فى الواقع الاقتصادى المصرى ملاك الأراضى الزراعية الذين يتمتعون بحقوق الملكية فى التصرف والاستغلال بأشكاله المختلفة من بيع ورهن وإيجار وتوريث . . . إلخ ، وذلك بعد ما يقرب من مائة عام منذ وضع محمد على (باشا) نظام إستغلال وإدارة الأرض الزراعية ، ولقد عبر أحد كبار الملاك عن المراحل التى قطعها المصريون للحصول على الملكية التامة للأرض بقوله أن تاريخ الملكية فى مصر هو تاريخ الحرية الفردية . وأن حق الملكية بعد

(١) الحكومة المصرية ، القوانين العقارية فى الديار المصرية ص ٦ .

(٢) نفسه ، ص ٦ .

(٣) الحكومة المصرية ، القوانين العقارية فى الديار المصرية ص ٦ .

استكمال ركن من أركان الحقوق المدنية حين « أصبح الفدان يخضع للمعاملات والتصرفات المختلفة » (١) .

ويجدر بنا أن نحدد في إيجاز بسيط معنى الملكية قانوناً وما يتفرع عنها وما يرتبط بها من حق الاستعمال وحق الاستغلال ، وحق التصرف ، والفرق بين الملكية وبين الحياة لأهمية ذلك بالنسبة لدراسة الملكية الزراعية في مصر .

فقد عرف القانون المصري الملكية بأنها حق المالك في الانتفاع بما يملكه والتصرف فيه بطريقة مطلقة ، وأن عناصرها ثلاثة : حق الاستعمال وحق الاستغلال وحق التصرف . فحق الاستعمال هو الحق في استخدام الشيء في جميع وجوه الاستعمال الذي أعد لها والتي تتفق مع طبيعته كالزراعة بالنسبة للأرض ، وحق الاستغلال هو عبارة عن الحصول على نتاج الشيء كالإيجار في الزراعة ، وحق التصرف يشمل جميع وجوه التصرف مادياً : بتغيير شكل الشيء أو استهلاكه أو إتلافه ، وقانوناً : بالتنازل عن الحقوق التي للمالك كبيع الشيء كله أو بعضه أو هبته أو تحميله حقوقاً عينية أو تقرير حق مالي للغير عليه كالرهن . وقد يجمع فرد واحد في يده عناصر الملكية الثلاث المتقدمة ويقال في هذه الحالة أن لهذا الفرد الملكية التامة وقد تكون لجملة أفراد ويقال في هذه الحالة أن الملكية تجزأت ، وقد يتنازل المالك عن حق الاستعمال أو حق الاستغلال لغيره مدة معينة ، ومن ثم يطلق على من له حق الاستعمال وحق الاستغلال المنتفع بالشيء على أن أهم عناصر الملكية حقيقة هو حق التصرف لأنه يعطى الفرد المالك الشخصية الاعتبارية (٢) .

ويختلف حق التصرف هذا في الملكية الإقطاعية عن الملكية الرأسمالية ففي

(١) عبد الحليم إلياس نصير ، نظام ضرائب الأقطان ، بحث مقدم للمؤتمر الزراعى الأول ١٩٣٦ .

(٢) د. محمد كامل مرسى ، الملكية والحقوق العينية ص ١٧٦ ، ١٨٢ —

الأولى تكاد صفة التصرف - يكون قاصرة على حق الانتفاع بالأرض للغير وهي منفصلة تمام الانفصال عن صفة الاستغلال الذى يكون فى الغالب الأعم على أساس الاستغلال المباشر من جانب الغير . أما فى الملكية الرأسمالية فإن التصرف بجميع أشكاله لا يكاد يقيد أى قيد بل يعتبر أحياناً شكلاً من أشكال الاستغلال ، فمثلاً عندما يتصرف مالك الأرض فى أرضه بالبيع والرهن العقارى أو الاقتراض على المحاصيل (السلف الزراعية) فإن هذا النوع من التصرف يصبح فى الوقت ذاته نوعاً من الاستغلال ، وهو استغلال الأرض بوصفها سلعة تباع وتشترى فى السوق ويجرى تبادلها على أساس نقدى أو بوصفها رأس مال يضمن الحصول على قروض أى سلف مالية مقابل رهنه . ولعل شكل الاستغلال للأرض هو المقياس الدقيق إذن لتحديد الفرق بين النظامين الإقطاعى والرأسمالى ، فالتصرف فى الأرض بالتوريث أو الهبة (النظام الإقطاعى) يختلف عن التصرف فى الأرض بالبيع أو الرهن أو الاقتراض (النظام الرأسمالى) (١) .

ولقد صاحب التطور التاريخى للملكية الفردية ظاهرة الاحتكار أى اقتصار التمتع بالملكية على عدد محدود من الملاك . وترجع ظاهرة الاحتكار فى ملكية الأرض إلى أن الأرض القابلة للزراعة محدودة بطبيعتها ومحصورة داخل حدود معينة بصرف النظر عن طريقة إستغلالها ، كما أن استغلال الأرض لا يؤدي إلى زيادة الأرض نفسها . وإنما يؤدي إلى زيادة الثروة بعكس ملكية الآلات التى قد تنتج آلات أخرى وهكذا . على أن طبيعة الملكية الخاصة أو الفردية التى يقوم عليها كل من النظامين الإقطاعى والرأسمالى تصل فى تطورها الطبيعى إلى ظاهرة الاحتكار مع وجود اختلاف أيضاً ، ففى النظام الإقطاعى يكون الاحتكار بوصفه غرض تصرف أما فى النظام الرأسمالى فيكون الاحتكار بوصفه غرض استغلال (٢) .

(١) إبراهيم عامر ، الأرض والفلاح . المسألة الزراعية فى مصر ص ٢٧ .

(٢) أوسكار لانج ، الاقتصاد السياسى ج ١ . ص ٤٠ .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا الفرق الدقيق بين الملكية بفروعها وأشكالها وبين الحيازة أو وضع اليد ، فحق الملكية ذو سلطان قانوني تسنده قوة الدولة بينما الحيازة أو وضع اليد مجرد سلطة فعلية على الشيء ولا تستند إلى القانون أو قوة الدولة ، وهذا التمييز بين الملكية والحيازة له أهميته وخاصة في مصر لوجود خلط بينهما ولو في أذهان العامة الذين يعتبرون الحيازة أو وضع اليد ملكية .

ويدعونا الكلام عن تحديد معنى الملكية إلى ضرورة تحديد شكل الاقتصاد الزراعى فى كل من النظامين الإقطاعى والرأسمالى باعتبار أن الاقتصاد الزراعى يعد أحد المحاور الرئيسية التى يدور حولها هذا البحث . .

فالأرض فى الإقطاعية تنقسم بصفة عامة إلى أربعة أو خمسة أنواع هى :

(أ) أراضى السيد وتشمل الأراضى المنزعة وغير المنزعة وهو إما يستغلها مباشرة وإما أن يؤجرها أو يشارك عليها وهذا هو الغالب .

(ب) أراضى التابعين وهى أراضى خاصة بالنبل التابعين للسيد الإقطاعى وله عليهم حقوق الخدمة والتبعية .

(ج) أراضى العوام ويميز فيها نوعان : أراضى عبيد الأرض ويستغلها الفلاحون الملاحقون بالأرض لحسابهم وبشرط الخضوع لما للسيد الإقطاعى عليهم من حقوق متنوعة مصدرها سيادته للمنطقة أو اتفاقه معهم ، والأراضى الحرة وهى الأراضى الحرة من كل التزام إقطاعى ، وهذه متفاوت حجمها من منطقة لأخرى وبصفة عامة كان حجمها يتضائل نتيجة للمبدأ الإقطاعى السائد « لا أرض بلا سيد » .

(د) أراضى المشاع وتشمل مساحات الغابات والمراعى والمياه وللجميع حق إستخدامها إما بصفة عامة أو خاصة حسب الظروف الموجودة (١) .

(١) د. زكريا أحمد نصر ، تطور النظام الاقتصادى . ص ٧٢-٧٣ .

وبهنا في هذا أن الأرض في الإقطاعية تقسم إلى حيازات يقوم الفلاحون بزراعتها بقوة عملهم وبأدواتهم ويحصلون منها على حاجات معيشتهم ولذلك فإن عمل الفلاحين هذا يمثل الإنتاج الضروري بالنسبة للفلاح وللمالك الإقطاعي إذ هو يزود الفلاح بوسائل معيشته ويزود المالك الإقطاعي بالأيدي العاملة اللازمة لزراعة أرضه ، وهذا شرط ضروري مقابل حيازة الفلاح للأرض التي يزرعها ، وبالإضافة إلى زراعة الفلاح للأرض التي في حيازته فإنه يقوم بزراعة أرض المسالك بأدواته هو الزراعية والنتائج بطبيعة الحال للمالك الإقطاعي ، وهذا معناه أن حيازة الفلاحين للأرض في النظام الإقطاعي تشبه إن لم تؤد دور الأجر العيني بالمعنى الحديث ، وبوجه عام فإن النظام الاقتصادي الإقطاعي يمكن وصفه بأنه نظام السخرة باعتبار أن العمل السخرة هو الطابع الرئيسي لشكل الاستغلال فيه (١) .

أما فيما يتعلق بجوهر الاقتصاد الزراعي في الرأسمالية فإن الأسلوب الرأسمالي في الإنتاج يقوم على العمل الأجير حيث يؤجر المنتج المباشر (الفلاح) قوة عمله للمالك الأرض مقابل أجر يساوي الجزء الضروري لمعيشته بينما يحصل صاحب الأرض على فائض العمل في شكل ربح مالى ، ويعتبر الإيجار أيضاً في الاقتصاد الزراعي جزءاً من فائض القيمة التي يخلقها العمال الأجراء شأنه في ذلك شأن العمل الأجير .

فالإيجار الأرض — وهو ركن أساسى في الاقتصاد الزراعي الرأسمالى — بدأ تاريخياً بالسخرة (أى عندما يخاق المزارع فائض الإنتاج بالعمل فى أراضى السيد) وتكون الأرض التى يمتنع بها المزارع مقابل ذلك هى بمثابة الإيجار المدفوع بالعمل ، وتطور الإيجار بعد ذلك إلى إيجار عيني فى شكل جزء من المحصول يدفعه المزارع ثم يتحول إلى إيجار نقدى وهو فى الواقع إيجار عيني محول إلى نقود . ثم يتطور إلى إيجار رأسمالى عندما يحل مالك الأرض محل المزارع فى زراعة أرضه واستغلالها مستعيناً بالعمال الزراعيين الأجراء .

(١) أوسكار لانج ، المصدر السابق . ص ٣٩ .

وإلى جانب الأجر والإيجار في الاقتصاد الرأسمالى فى الزراعة توجد خصائص أخرى منها ملكية المزارع الصغيرة . وهذه المزارع هى أساس الإنتاج الرأسمالى على النطاق الصغير ، ويقع هذا المالك الصغير تحت سيطرة الرأسمالى الكبير الذى يستغله عن طريق الاقتراض بالفائدة والرهن العقارى . .

على أن النظام الرأسمالى فى تطوره يؤدى إلى إنبهار الملكيات الزراعية الصغيرة التى تتناقص بطبيعتها مع تعاظم رؤوس الأموال والتوسع فى الإنتاج الحيوانى واستخدام وسائل الإنتاج الحديثة الآلية فى الزراعة والى لا يقوى على استخدامها المالك الصغير . كما أن نظام الرهن والتسليف لابد وأن يزيد من فقر هؤلاء الملاك الصغار يوماً بعد يوم ، ويؤدى إتفاق رأس المال فى شراء المزيد من الأرض إلى إستمرار تفتت الأرض وعزل المنتجين الأساسيين عنها ، ويخلق تفتت الأرض مجموعتين من بين المزارعين يجمع بينهما إقتصاد الساعة والنقود . وتتألف الأولى من المزارعين الأغنياء الذين يقومون بالزراعة التجارية بمختلف أشكالها . ومعهم أصحاب المؤسسات التجارية والصناعية حيث يلعب التآجير دوراً كبيراً فى أراضيهم ، والمجموعة الثانية هى طبقة العمال الفلاحين الأجراء وأصحاب الملكيات الضئيلة . ومن هنا يمكن تحديد السمات الرئيسية للنظام الرأسمالى فى الزراعة فيما يلى .

١ — فصل المنتج المباشر عن الأرض وتركز جزء كبير من الأرض الزراعية فى أيدي الملاك العقاريين .

٢ — قيام الملاك العقاريين بتأجير الجزء الأكبر من أراضيهم للمزارعين .

٣ — سيادة إقتصاد السوق أى نظام توزيع المنتجات الزراعية عن طريق التبادل النقدى أى عن طريق تبادل السلع حيث تصبح الزراعة نفسها فى النهاية صناعة . أى تصبح منتجة للسلع ويجبى فيها أسلوب التخصص نفسه ومن ثم تتحول الأرض إلى رأسمال وتستخدم فى إنتاج السلع وبالتالي تتحول هى نفسها إلى سلعة وتصبح هناك سوقاً للأرض أى لوسائل الإنتاج وما يرتبط

بذلك من التنافس في سبيل الحصول على الأراضي (١) .

* * *

هذه دراسة موجزة عن معنى الملكية قانوناً وشكل الاقتصاد الزراعي
في النظام الإقطاعي والرأسمالي ننتقل بعدها إلى موضوع البحث .

(١) إبراهيم عامر ، المصدر السابق . ص ٣٨ - ٤٤ . أنظر أيضاً أوسكار
لانج ، المصدر السابق ص ٣٩ .

الفصل الأول

التحديد الاجتماعي لكبار الملاك

يعتبر تحديد الملكية الكبيرة وتمييزها عن الملكية المتوسطة أو الصغيرة أو الضئيلة من المسائل الدقيقة والحامة التي تواجه الباحث في مثل هذه الموضوعات ، فهناك أكثر من طريقة لهذا التحديد وكل طريقة لها مميزاتها ولها عيوبها في نفس الوقت بحيث يصبح من الصعب الوصول إلى تعريف محدد للملكية الكبيرة والملاك الكبير لاختلاف المعايير من مكان إلى آخر ومن وقت إلى وقت .

وتنحصر نقط الخلاف بين التعريفات المختلفة في الأساس الذي يبنى عليه التحديد . ومع أن النتائج التي يمكن الوصول إليها ترتبط بدقة الأساس الذي نأخذ به في التحديد فليس هدفنا هو السعي لاكتشاف أساس للتحديد يصبح أن يكون معياراً مطبقاً لقاعدة معينة بل في اكتشاف رابطة مشابهة طبيعية تجمع أنواع الملكيات المختلفة كل على حده ليسهل معالجتها الاجتماعية والاقتصادية .

وتحديد الملكية الكبيرة على أساس المساحة مسألة سهلة لوجود رابطة مشابهة بين كل نوع من أنواع الملكية : الكبيرة والمتوسطة والصغيرة . فالملكية الكبيرة

تجمع بين أنواع الملكيات التي تتصف بهذه الصفة ، والصغيرة تجمع بين الملكيات التي لا يمكن اعتبارها كبيرة ، والمتوسطة هي تلك التي لا يمكن اعتبارها ضمن الكبيرة أو الصغيرة . وهذا التحديد وإن كان سهلاً مبسطاً كما هو واضح إلا أن نقطة الفصل بين كل منها غير ثابتة فقد تعتبر خمسة أفدنة في بلد كمصر ملكية صغيرة بينما ترتفع إلى خمسة وعشرين فدانا في بلد أخرى كإنجلترا مثلاً وتقل إلى فدانين في الهند وأفريقيا الوسطى . كذلك فقد تعتبر في مصر ملكية خمسين فدانا ملكية كبيرة بينما تعد في فرنسا وإنجلترا ملكية متوسطة . ولا يمكن ترجيح أحد التقديرين على الآخر حتى في البلد الواحد ، فليس من المعقول التسوية بين فدان مخصص لزراعة الحضر وآخر مخصص لزراعة الحبوب ، ولا يمكن أيضاً التسوية بين أراضى الحرث وأراضى المراعى ، أو بين هذه وأراضى الغابات أو الحدائق ، وحتى إذا أمكننا تقسيم كل نوع من هذه الأراضى على حدة فقد تتجاوز الواقع إذ ليست كل أراضى النوع الواحد متجانسة في الميزات فأراضى الحرث مثلاً منها القريب إلى المدن ومنها البعيد عنها ، ومنها الضعيف والقوى ، كذلك فمنها ما تجود فيه بعض زراعات قيمتها الاقتصادية عالية وقد لا تجود في غيرها (١) .

ولما كان التحديد على أساس المساحة غير دقيق كما اتضح فقد ذهب البعض إلى اتخاذ الغلة النسبية أساساً للتحديد ، وهذه الطريقة وإن كانت أدق من المساحة إلا أنه يصعب تطبيقها تطبيقاً مباشراً لضرورة دقة الحسابات وواقعيتها وهو يكاد يكون مستحيلاً حتى لدى أقدر الحكومات تنظيماً . ولهذا ذهب بعض الاقتصاديين إلى جعل أساس التقدير لا قيمة الغلة بل قيمة الأدوات الزراعية ورأس المال المستخدم في الإنتاج ، وهذه الطريقة فضلاً عن كونها غير عملية فلا يمكن تطبيقها على كافة أنواع الأراضى لاختلاف وسائل الإنتاج اختلافاً لا تناسب بينه وبين مقدار الغلة الناتجة ولا مع قيمة الأرض في ذاتها ، ولا مع تطور حجم الآلات والأدوات وقيمتها ولا مع طبيعة العمل الزراعى في نواحيه المختلفة من مراعى وحدائق وغابات ، فمثلاً

(١) محمد فهمى لهيطة ، الاقتصاد الزراعى ص ٣٨٥ . أنظر أيضاً عبد الحكيم الرفاعى ، الاقتصاد السياسى ج ١ ص ٢٣٩ .

إذا اتخذت وحدة معينة كالحراث أساساً للتقدير فإن هذا التقسيم غير معقول لأن المراعى والحدائق والغابات لا تستخدم أدوات الحراث التقليدية كما لا يمكن القول بوجود تناسب بين أنواع الأراضي وعدد الحارث المشتتة فيها لاحتمال تأجيرها من الغير أو استعارتها (١) .

ولما كانت بعض الحكومات عند وضع خطط الإصلاح الزراعى جعلت معيار التفرقة بين الملكية الكبيرة والصغيرة المركز الاجتماعى للمالك ، فقد ذهب البعض إلى جعل المركز الاجتماعى للمالك أساساً للتقدير فاعتبرت الملكية صغيرة حينما يقوم المالك وأفراد عائلته باستغلال الأرض بأنفسهم ودون استخدام إجراء ، ومتوسطة حين يستخدم مالكيها أجراء بالإضافة إلى خدمة أفراد عائلته ، وكبيرة حين يؤجرها مالكيها لصغار المزارعين أو يلجأ إلى طريقة المزارعة في استغلالها . كما أن طريقة الزراعة لها أثرها في تحديد نوع الاستغلال الزراعى ، فقد يلجأ المزارع إلى الزراعة الخفيفة أو إلى الزراعة الكثيفة حيث يستعمل فى الأولى قدر قليل من العمل ورأس المال بالنسبة للمساحة وفى الثانية يكون مقدار المساحة قليلاً بالنسبة للعمل ورأس المال .

ويرى آخرون أن الملكية تعد كبيرة إذا ما استطاع مالكيها القيام بنفسه بعملية الاستغلال استغلالاً منظماً من حيث تمويلها بالأموال اللازمة والاستفادة من كل مفردات التكاليف بحيث يحصل فى النهاية على أرباح عالية ، بينما تعد الملكية متوسطة ، إذا لم تستوعب كل جهود صاحبها ، بل تتيح له التفرغ لأعمال إضافية أخرى خارج حدود ملكيته ، وتعد ملكية صغيرة تلك التى لا تستغل غالباً إلا بعرفة أفراد العائلة دون مساعدات خارجة عنهم . بينما يرى آخرون أن الملكية الكبيرة هى التى لا يفكر مالكيها فى أن يستغلها بمفرده مباشرة ، ومتوسطة تلك التى تكفى غلتها حاجة عائلة متوسطة ليست كبيرة العدد وبشرط أن يخصص كل فرد من أفرادها مجهوده الخاص لخدمة الأرض ، وصغيرة تلك التى لا تكفى غلتها صاحبها بحيث يضطر إلى العمل أحياناً فى مزارع الغير (٢) .

(١) محمد فهمى لهيطة ، المصدر السابق ص ٣٨٦ .

(٢) عبد الحكيم الرفاعى ، المصدر السابق ص ٢٣٩ . أيضاً محمد فهمى لهيطة =

ومن الملاحظ أن هذه الطرق المختلفة — التي أوردناها — في تحديد الملكية الكبيرة وغيرها من الممتلكات لم تخل من نقد ، إما لأنها غير جامعة كما يقتضى التعريف العلمى وإما لأنها صعبة التحقيق وإما لأنها غير عملية . ومع ذلك فإن أبسط الطرق وأقربها إلى الإمكان هى الطريقة التى تتخذ المساحة أساسا لتحديد مع مراعاة اتخاذ قيمة الفلّة أساسا للتقدير لتقريب الحقيقة بقدر الإمكان .

هذا فيما يتعلق بتحديد الملكية الكبيرة نظريا أو بصفة عامة ، أما إذا أردنا أن نحدد الملكية الكبيرة فى مصر فقد تواجهنا مثل هذه الصعوبات والمخاطر المختلفة بطبيعة الحال . غير أن مصلحة المساحة والأموال المقررة درجت على اتخاذ المساحة أساسا للتقسيم مع مراعاة قيمة الفلّة الزراعية فقط عند تقدير الأموال المقررة على الأرض وإن لم تميز الإحصائيات الرسمية التى نشرتها هذه المصلحة الملكية الكبيرة من المتوسطة من الصغيرة فهى تكتفى بتصنيف المساحات تصنيفا كميا فى مجموعات كما يلى : أقل من فدان . من فدان إلى أقل من خمسة أفدنة . من خمسة أفدنة إلى أقل من عشرة أفدنة . من عشرة أفدنة إلى أقل من عشرين فداناً . من عشرين فدان إلى أقل من ثلاثين فدان . ثلاثون فداناً إلى أقل من خمسين فداناً . خمسون فداناً فأكثر (١) . وقد يفهم من هذا التصنيف أن خمسين فداناً فأكثر تمثل الملكية الكبيرة .

وقد لاحظ بعض المؤرخين (٢) أن الإحصائيات الرسمية فى مصر حتى عام ١٩٠٩ لم تذكر سوى تصنيف واحد لصغار الملاك وهم أولئك الذين يملكون خمسة

المصدر السابق ص ٣٨٦ ، وأيضاً عبد الغنى غنام ، الاقتصاد الزراعى وإدارة المزارع ص ٢٠ — ٢١ .

(١) أعداد الإحصائية الشهرية الزراعية التى تصدرها وزارة المالية من ١٩٢١ إلى ١٩٥٠ حيث أوردت هذا التقسيم ابتداء من عام ١٩١٠ .

(2) G. Baer, A history of landownership in Modern Egypt 1800 - 1950, P. 77.

أفدنة فأقل ثم حددت بعد ذلك مجموعتين : واحدة لمن يملك أقل من فدان والأخرى لمن يملك من فدان إلى خمسة ، كما لم تذكر هذه الإحصائيات تصنيفا آخر للملكيات التي تزيد على ٥ فدانا ، ولهذا فقد أقترح تصنيفا أمثل كما يلي :

(أ) ملكية ثلاثة أفدنة فأقل وهي التي لا تسكفي أسرة ومن ثم تلجأ إلى تأجير أراضي أخرى أو العمل كأجراء .

(ب) ملكية من ثلاثة أفدنة إلى عشرة أفدنة وهي ملكية كافية لإعاشة أسرة

(ج) ملكية من عشرة أفدنة إلى مائة فدان وهي ملكية متوسطة يؤجر أصحابها جزءا منها أو يستخدمون أجراء فيها .

(د) ملكية أكثر من مائة فدان وهم عادة الملاك الثابتون عن أراضيهم .

والحقيقة أنه لا يوجد إحصاء رسمي يضع حدودا للملكية الكبيرة في مصر ، فمثلا القانون رقم ٤ لسنة ١٩١٣ يعتبر ملكية خمسة أفدنة ملكية صغيرة حين نص بعدم جواز توقيع الحجز على الأملاك الزراعية الصغيرة ، بينما اعتبرت ملكية ثلاثين فداناً من الأراضي الجيدة في عام ١٩٣٢ ملكية صغيرة زادت إلى كل من يملك خمسين فداناً ويدفع مائة قرش ضريبة عن الفدان الواحد أو من يملك مائة فدان ويدفع خمسين قرشا عن الفدان في السنة (١) .

ولقد يكون لهذا التحديد ارتباط بالظروف التاريخية التي ظهر فيها حيث كانت وزارة المالية بصدد إنشاء قسم التسليف العقاري بينك التسليف الزراعي ، وكانت البنوك العقارية الموجودة آنذاك قد أحجمت عن تقديم سلفيات تتراوح بين ثمانمائة جنيه وألف جنيه لمن يريد من الملاك ، ومن ثم كانت الرغبة وراء إفادة عدد كبير من الملاك بهذه السلفيات ، إلا أن ذلك لا يمنع اعتبار هذا التحديد للملكية الصغيرة فضفاضا .

(١) مذكرة وزير المالية إلى مجلس الوزراء في ٢٥/٤/١٩٣٢ بشأن التسليف

العقاري .

ثم حددت الملكية الصغيرة بعد ذلك بأربع سنوات (عام ١٩٣٦) بمن يملك خمسة عشر فدانا ، وذلك حين قدمت مذكرة إلى مجلس الوزراء بشأن إصلاح الأراضي البور وشروط توزيعها على صغار المزارعين بأنهم « ألا يكونوا مالكيين لأطيان يدفع عنها أموال أميرية تزيد عن ١٥ جنيها سنويا » (١) .

ومع أنه لا توجد مؤشرات رسمية لتحديد الملكية الكبيرة إلا أن الأمر العالي الصادر في ١٨٩٥ بشأن تعيين عمد البلاد ومشايخها حدد المالك الكبير بأنه من يملك عشرة أفدنة فأكثر ، فذكر أنه في حالة خلو وظيفة عمدة في بلدة ما يستخرج كشف بأسماء كبار المزارعين الذين يملكون عشرة أفدنة فأكثر ويقدم إلى لجنة الشياخات لاختيار العمدة (٢) . وقد يقال بأن هذا التحديد مرتبط بظروف عام ١٨٩٥ حين لم تكن الملكية الفردية قد تبلورت تبلورا كافيا .

وربما كان أول تحديد شبه رسمي للملكية الكبيرة بأنها خمسون فدانا فأكثر قد ورد على لسان وزير المالية أثناء مناقشة مشروع التسليف العقاري في مجلس النواب حين قصر المشروع التسليف على من يدفع ضريبة قدرها خمسين جنيها كحد أعلى سنويا (ما يوازي خمسون فدانا) ، وحينما شكت اللجنة المالية بالمجلس بوجود صعوبة في الحصول على سلف عقارية لما عدا هؤلاء « وعدواته بأنه سيسمى لدى البنوك لتسهيل التسليف لأصحاب الملكيات المتوسطة والكبيرة » (٣) .

وقد أدى عدم وجود تحديد رسمي للملكية في مصر إلى اختلاف المفكرين في ذلك فمنهم من رأى أن الملكية الكبيرة تتمثل فيمن يملك أكثر من خمسين فدانا (٤) وهؤلاء تأثروا بتصنيف مصلحة الأموال المقررة . وبعضهم من رأى الملكية الكبيرة تتمثل

(١) مجلس النواب ، ١٦/٩/١٩٣٦ .

(٢) المقطم ، ١٥/٩/١٩١٩ .

(٣) مجلس النواب ، ٢٢/٦/١٩٣٢ .

(٤) محمد فهمي لهبطه ، المصدر السابق ص ٣٨٧ . أيضاً عبد الفتى غنام ،

المصدر السابق ص ١٢٢ .

فيمن يملك أكثر من عشرة أفدنة^(١) . وهؤلاء دفعتم إلى ذلك الرغبة في الإصلاح الزراعى وإعادة توزيع الملكيات الزراعية .

والبعض رأى أن الحد الأدنى للملكية الكبيرة هو عشرون فداناً باعتبار أن هذا أقل حد يتلاءم فيه نظام الاستغلال مع نظام الملكية الكبيرة مع الاعتراض على اعتبار خمسين فداناً فأكثر ملكية كبيرة تضيق المساحة بالنسبة لعدد السكان وعدم وجود حد أدنى من ذلك يتلاءم نظامه مع نظام الاستغلال السائد في هذه الملكيات وإن جودة الأراضي في مصر جودة نسبية بمقارنتها بجودة الأراضي في البلاد الزراعية الأوروبية^(٢) .

ونعتقد أن تحديد الملكية الكبيرة على أساس المساحة في مصر هو أنسب تحديد خاصة وأنه لا يوجد تفاوت كبير في قيمة الأراضي وإن كان موجوداً فقد كان بين أراضي الرى الدائم وأراضي الحياض ، فضلاً عن أن هذا التحديد هو المعمول به في جميع البلاد الزراعية تقريباً ، ونرى أن الملكية الكبيرة في مصر خلال فترة البحث تتمثل فيمن يملك أكثر من مائة فدان نظراً لاختلاف جودة الأراضي من مسكان إلى آخر ، وهذا التحديد مبنى على ضريبة الأراضي التي تقرر على جودة الأرض بحيث أن مالك خمسين فدان من الأرض الجيدة يتساوى مع مالك مائة فدان من الأرض العادية لأن كل منهما يدفع ضريبة حوالى خمسين جنيهاً سنوياً ، فبينما يدفع مالك الخمسين مائة قرش عن الفدان الواحد يدفع مالك المائة خمسين قرشاً عن الفدان الواحد ومع ذلك فليست هناك قاعدة دقيقة تشمل كل الأراضي الزراعية في مصر .

(١) مريت غالى ، الإصلاح الزراعى ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) خليل سرى ، الملكية الريفيه الصغرى كأساس لإعادة بناء القرية

المصرية ص ١٦ .

إذا أنفقنا على اعتبار ملكية مائة فدان فأكثر ملكية كبيرة نستطيع أن نبين الشرائع الاجتماعية التي تنطوي تحت هذا التحديد . وهذه الشرائع ليست غريبة عن المجتمع المصري وإن لم تكن مصرية فقط كما قد يتصور ، بل هي مصرية وأجنبية وكل منهما يحنوي على عناصر وجنسيات مختلفة ولارابطة بين أي منها سوى ملكية الأراضي الزراعية في مصر .

ويمكن دراسة شرائع الملكيات الزراعية الكبيرة على أساس المساحة ابتداء من الحد الأدنى للملكية الكبيرة (١٠٠ فداناً) وتدرجاً إلى الحدود القصوى الموجودة كما يمكن دراستها على أساس التقسيم الفئوي المهني بين كبار الملاك . على أننا نفضل الجمع بين الطريقتين حتى يمكننا إعطاء صورة تقريبية لوضع هذه الملكيات .

تقسم شرائع الملكيات الزراعية الكبيرة في مصر خلال فترة البحث إلى :

(أ) المصريون بمختلف أصولهم الجنسية أو العرقية والدينية وبمختلف مهنتهم ووظائفهم وهذا المعنى ينضم إليهم الأتراك وفي مقدمتهم أسرة محمد علي ، والبدو الذين بدأوا يندمجون بقدر كبير في الحياة المصرية ابتداء من مطلع القرن العشرين بخلاف القرن التاسع عشر مثلاً .

(ب) الأجانب وهم من كانت لهم جنسيات غير مصرية .

(ج) المؤسسات المالية التي كانت لها علاقة مباشرة بالأراضي الزراعية بشكل أو بآخر .

(د) الحكومة المصرية باعتبارها مالكة كبيرة له علاقات إنتاجية من خلال الأراضي الزراعية غير المملوكة ملكية خاصة أو فردية كما سنوضح فيما بعد (١) .
ويختلف هذا التقسيم في جوهره عن تقسيمات القرن التاسع عشر ، فمؤرخو

(١) هذا التقسيم مبني على بيانات ملفات الهيئة العامة للإصلاح الزراعي خاصة بالخاضعين لقانوني الإصلاح الزراعي ١٧٨ / ١٩٥٢ ، ١٢٧ / ١٩٦١ وبعض مكلفات الاطيان الزراعية الموجودة بدار المحفوظات المصرية خلال المدة

من ١٩١٢ - ١٩٤٨ .

هذا القرن (١) اعتادوا وضع كل من البدو والعلماء وكبار الموظفين والأقباط في شرائح قائمة بذاتها على أساس أن كل فئة كانت لها طريقته وأسلوبها الخاص في اقتناء الأراضي . ولا شك أن التغير الاجتماعي الذي شهدته الحياة المصرية حتى العقد الثاني من القرن العشرين كانت له آثاره في هذا المجال .

على أية حال فإن الملكية الكبيرة في مصر (مائة فدان فأكثر) خلال فترة البحث يمكن توزيعها كما يلي :

جدول تقريبي
يبين توزيع الملكيات الزراعية الكبيرة (أكثر من ١٠٠ فدان)
خلال المدة من ١٩١٤ - ١٩٥٢

العدد بالأسرة		المساحة
أجانب	مصريون	
١٥٩	٢١٢٥	من ١٠٠ فدان - أقل من ٥٠٠ فدان
٢١	٢٦٧	من ٥٠٠ » » - » ١٠٠٠ »
١٧	١٣٤	من ١٠٠٠ » » - » ٥٠٠٠ »
٢	١٢	من ٥٠٠٠ » » - » ١٠٠٠٠ »
-	٣ + أسرة محمد علي	أكثر من ١٠٠٠٠
١٩٩	٢٥٤١ + أسرة محمد علي	
٢٧٤٠		إجمالي

(١) أنظر د. رؤوف عباس حامد ، الملكيات الزراعية الكبيرة وأثرها في المجتمع المصري . رسالة دكتوراه لجامعة عين شمس ١٩٧١ غير منشورة . وأيضاً
G. Baer. op cit, p. 70 .

ومعة ملاحظتان على هذا الجدول : الأولى أنه يبين توزيع الملكيات الكبيرة خلال المدة من ١٩١٤ - ١٩٥٢ دون تقسيمها إلى فترات زمنية معينة كل عشر سنوات أو كل عشرين سنة . . . إلخ وهذا يرجع إلى عدم وقوع تغير كبير في عدد كبار الملاك خلال الفترة بحيث أن كلا منهم كان يتحرك صموداً أو هبوطاً من فئة إلى فئة أخرى حسب الظروف الاقتصادية التي يمر بها المجتمع دون أن يخرج من الميدان كلية ودون أن يخرج عن كونه مالكا كبيرا في كل الأحوال .

أما الملاحظة الثانية فهي التقسيم الفئوي للمساحة ابتداء من الحد الأدنى (١٠٠ فدان) إلى الحد الأقصى وهو أكثر من عشرة آلاف فدان والقصد منه إبراز مناطق تركيز الملكية الكبيرة في مصر خلال الفترة .

ويعطينا الجدول الحقائق التالية بالنسبة لكبار الملاك المصريين :

١ - أن عدد من كان يملك من ١٠٠ فدان إلى ٥٠٠ فدان بلغ ٢١٢٥ أسرة تقريبا ، وأن من كان يملك من ٥٠٠ فدان إلى ١٠٠٠ فدان بلغ ٢٦٧ أسرة تقريبا بينها عائلات :

صاروفيم عبيد بالمنيا . حبيب شنودة بأسسيوط ، أبو جازية بالمنوفية والغربية والدقهلية ، . على وأبو جبل وأبو ستيت . أحمد الشريف بالبحيرة والغربية وكفر الشيخ ، العلايلي بالدقهلية . المنزلاوي بالغربية والبحيرة والفيوم . أخنوخ فانوس بالجيزة والبحيرة وأسسيوط والفيوم . فتح الله بركات بكفر الشيخ والمنيا وأسيوط . باسيلي بشارة بسوهاج وقنا . واصف جرجس يفي سويس والبحيرة والدقهلية والجيزة . محمود سليمان بسوهاج وأسسيوط وبني سويس . رسلان بالغربية والمنوفية والبحيرة .

٢ - إن عدد من كان يملك من ١٠٠٠ فدان إلى ٥٠٠٠ فدان بلغ ١٣٤ أسرة تقريبا بينها عائلات :

يوسف الشرنوبى بكفر الشيخ . الشريعى بالمنيا والدقهلية . أبو الفتوح بالبحيرة والغربية . أبو حسين بالمنوفية والغربية . أبو رحاب بسوهاج وقنا . السيد أبو على

بالدقهلية والمنوفية والشرقية . الباسل الفيوم وكفر الشيخ . المصرى السعدى بالمنيا والفيوم وبني سويف . الحنفى الطرزي بأسىوط وأسوان والغربية . شاكر خياط بأسىوط والفيوم والجيزة والبحيرة . خشبه بأسىوط أدریس راغب بسوهاج وأسىوط والبحيرة والدقهلية والمنيا . دوس بالمنيا وأسىوط والدقهلية . داود راتب بسوهاج والشرقية والمنوفية والغربية . رمضان الطوبجى بالدقهلية والبحيرة والغربية والشرقية العبد بالغربية والبحيرة ودمياط وكفر الشيخ . سليمان الوكيل بالبحيرة . بلبع بالبحيرة والشرقية . تيمور بالمنيا والغربية والشرقية والمنوفية وبني سويف . مظلوم بالبحيرة والدقهلية . يسكن بالدقهلية وكفر الشيخ والقليوبية والبحيرة والغربية وبني سويف . ويصا بأسىوط والفيوم . نمر بالشرقية والقليوبية وكفر الشيخ . نامق يني سويف . سرسق بأسىوط والمنيا والدقهلية والقليوبية . سلطان بالمنيا وكفر الشيخ . عبد الرزاق بالمنيا والمنوفية والقليوبية . أشرف مكة بالمنيا والقليوبية والشرقية وبني سويف . بطرس غالى بالمنيا وبني سويف والجيزة والقليوبية . عاوبة بالبحيرة وكفر الشيخ والشرقية . نايف عماد بكفر الشيخ .

٣ — إن عدد من كان يملك من ٥٠٠٠ فدان إلى ١٠٠٠٠ فدان بلغ ١٢ أسرة تقريبا أبرزها : أباطة بالشرقية وكفر الشيخ . على شرراوى بالمنيا وأسىوط والجيزة . شريف صبرى بالقليوبية والغربية والشرقية والمنوفية . وصيدناوى بالشرقية والبحيرة والفيوم . نوار بالبحيرة والمنازى عبد ربه بالبحيرة . وأحمد عيود بقنا .

٤ — أن عدد من كان يملك أكثر من ١٠٠٠٠ فدان بلغ ثلاثة أسرهى : البدراوى عاشور بالغربية وكفر الشيخ . سراج الدين شاهين بكفر الشيخ والغربية والشرقية . عمرو بأسىوط والمنيا وسوهاج والغربية والمنوفية والشرقية .

ويلاحظ من توزيع مناطق الملكيات تعدد جهات الملكية فأغلب العائلات ملكياتها فى أكثر من مديرية، وبعض هذه الأسر كانت ملكياتها فى كل من الوجه البحرى والوجه القبلى مثل عائلات : المنزلاوى . فانوس . فتح الشبركات . واصف جرجس .

الشريعى . الباسل . الحنفى الطرزى . شاكر خياط . ادريس راغب . داود راتب
تيمور . يكن . سرسق . سلطان . عبد الرزاق . بطرس غالى . صيدناوى .

كما يلاحظ أيضاً أن أغاب الملكيات الكبيرة كانت تركز في الوجه القبلى
أكثر من الوجه البحرى وخاصة في مديرتى أسيوط والمنيا أما في الوجه البحرى
فكانت تركز في مديرتى الغربية والبحيرة وخاصة في الأراضى التى كانت تقوم
بإصلاحها الدولة ويصحبها للأفراد في شمال الدلتا .

وبعض هذه الأسر ترجع بداية ملكياتها إلى القرن التاسع عشر منذ عهد
إسماعيل (باشا) مثل أسرة : سلطان بالمنيا . وخياط ودوس وبشارة حنا وويصا
ويولس واندرأوس بالمنيا وأسيوط ، وبعضها لم يظهر إلا بعد البدء في بيع أراضى
الدائرة السنية ابتداء من عام ١٩٠٠ مثل أسر : عمرو . شعراوى . سراج الدين
شاهين : سليمان الوكيل . البدرأوى عاشور (١) .

ويدخل ضمن هذا التصنيف أسرة محمد على التى بلغت ملكياتها حوالى ١٥٧ إلى ١٧٩٩
فدان يضاف إليها حوالى ٣٠.٠٠٠ فدان أراضى غير مزروعة وأراضى الوقف
الأهلى ، وهو حجم لم يصل إليه أى من المصريين أو الأجانب خلال الفترة ، وهذا
شئ طبيعى فالأرض كانت احتكاراً خاصاً لهذه الأسرة قبل البدء في بيع أراضى
الدائرة السنية .

كانت ملكية أسرة محمد على تتوزع بين حوالى ٤٢٥ فرداً من أمراء وأميرات
البيت المالک ، ومعظمها أنصبه واستحقاقات في أوقاف متعددة لم يكن من السهولة
معرفة على وجه التحديد خلال الفترة وقبل إصدار قوانين الإصلاح الزراعى وإنهاء
الوقف الأهلى ، فعلى سبيل المثال بلغ عدد المستحقين في وقف القصر العالى (٢٨١٤
فدان) مائة وثلاثون عضواً من الأسرة . وعدد المستحقين في وقف الحديوى إسماعيل
بالجيزة (٢١١٠ فدان) خمسون فرداً . وفي وقف الأميرة نجية الهامى (٦٠٣١

فدان) سبعة عشر فرداً . وفي وقف الأمير محمود حمدي (٦٥٧ فدان) اثني عشر فرداً . وفي أوقاف دائرة الحليمية (٥٩٤١ فدان) اثني عشر فرداً أيضاً (١) .

وتتوزع ملكيات أسرة محمد علي بين فروعها المختلفة كما يلي (٢) .

فرع اسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي كان يملك ٧٣٦٠٠ فدان يخص فؤاد بن اسماعيل وورثته منها ٤٨٩٢٤ فدان والباقي وقدره ٢٤٦٧٦ لأولاد اسماعيل الآخرين .

أما فرع أحمد بن إبراهيم بن محمد علي كان يملك ٣١٦٠٦ فداناً يخص أبناء الأمير أحمد كمال منها ١٥٦٨٥ فدان والباقي وقدره ١٥٩٢١ فدان كان يخص أولاد إبراهيم الآخرين . أي أن ما كان يخص فرع إبراهيم باشا وحده (اسماعيل وأحمد) قد بلغ ١٠٥٢٠٦ فدان .

أما فرع سعيد بن محمد علي فقد كان يخصه ٢٣٥٠٠ فدان . وفرع محمد عبد الحليم بن محمد علي كان يخصه ١٣٤٧٥ . ويلاحظ أن ملكية هذه الأسرة كانت تتركز في مديريات البحيرة والشرقية وقنا .

إذا انتقلنا إلى كبار الملاك الأجانب فإن جدول توزيع الملكيات (٣) يبين لنا ما يلي :

إن عدد من كان يملك من ١٠٠ فدان إلى ٥٠٠ فدان بلغ ١٥٩ أسرة .
وأن عدد من كان يملك من ٥٠٠ فدان إلى ١٠٠٠ فدان بلغ ٢١ أسرة أبرزها :
جرجيوس بكفر الشيخ والغربية ، وجريز سلامون بالفيوم والجيزة والصحراء الغربية .
وإن عدد من كان يملك من ١٠٠٠ فدان إلى ٥٠٠٠ فدان بلغ ١٧ أسرة أبرزها :

(١) الهيئة العامة للإصلاح الزراعي ، ملفات الأسرة المالكة .

(٢) نفسه .

(٣) أنظر ص ٢٩ من هذا البحث .

ماركو محالى بالنيا وبنى سوف . وجالاتى بالفيوم وكفر الشيخ . ويراكوس بالبحيرة . وبولاد بكفر الشيخ والشرقية والبحيرة . وسلفاجو بالبحيرة ، وفورجوبلو بالبحيرة والشرقية . وليخونيق بالشرقية . وإن من كان يملك من ٥٠٠٠ فدان إلى ١٠٠٠٠ فدان بلغ أسرتان هما : كحيل قسطنطين بالقرية والدقهلية ، ودفراكس بالقرية والبحيرة على حين لم يكن للأجانب على مستوى الملكيات الفردية ملكيات أكثر من عشرة آلاف فدان .

والواقع أن أحقية الأجانب فى التملك العقارى بالأراضى المصرية يرجع إلى القانون الصادر فى ١٠ يونيو ١٨٦٧^(١) الذى أعطى فى مادته الأولى هذا الحق للأجانب « بكافة أراضى الممالك العثمانية ماعدا إقليم الحجاز أسوة رعايا الدولة وبدون شرط آخر » .. كما صدر فى نفس الوقت بروتوكول دولي^(٢) بعدم مساس حق الأجانب فى الملكية العقارية ، الامتيازات المصدق عليها بالمعاهدات الدولية « بل تستمر مرعية الإجراء فى حق ذات أشخاص ومنقولات الأجانب الذين صاروا من أرباب العقارات » . وقد شكل هذان الأمران شخصية الأجانب فى الملكية الزراعية وكل ما يتعلق بها من علاقات إنتاجية .

وثمة تحفظ فى استخدام كلمة الأجانب فيما يتعلق بالملكية ، فالمعروف أن الإحصائيات الرسمية بتوزيع الملكية منذ أول صدورها فى عام ١٨٩٦ درجت على تصنيف الملاك بين مصريين وأجانب . وهو تصور يحتاج لشيء من التوضيح إذ أن المعيار الذى كان معمولاً به آنذاك هو الجنسية ، وطبقاً لمعيار الجنسية هذا كان يمكن اعتبار الشخص المولود فى مصر ويتكلم اللغة العربية أجنبياً لمجرد حصوله على جنسية أجنبية لاعتبارات خاصة به مثل اليهود وبعض أفراد الأقليات الأخرى للتمتع بميزات الجنسية التى يحصل عليها ، ومن ناحية أخرى فإن أناساً من مسيحيي

(١) الحكومة المصرية ، القوانين العقارية فى الديار المصرية ص ١٤ .

(٢) نفسه ، ص ١٥ .

لبنان كمائلة سرسق وشديد ممن كانوا قد استقروا في مصر واقتنوا ملكيات كبيرة وحصلوا على الجنسية المصرية كانوا يعتبرون مصريين رغم عدم اندماجهم داخل المجتمع المصري فضلا عن معيشتهم على النمط الأوروبي بحيث كان يجب أن يحسبوا كأجانب لا كمصريين^(١) .

وتمثل شركات الأراضي نوعاً من الملكيات الزراعية الكبيرة أيضاً ، ورغم أنها تعتبر ملكيات أجنبية في التصنيف الاجتماعي للملكيات الكبيرة ، إلا أنها تختلف عن ملكيات الأجانب الفردية من حيث طبيعة استغلال الأرض ، فعلى حين كانت علاقة الأفراد علاقة مباشرة في استغلال الأرض كانت علاقة الشركات تدور حول البيع والشراء في الحل الأول .

وقبل سنة ١٩١٤ كان عدد شركات الأراضي يبلغ خمسة عشر شركة هي :

شركة أبو قير (تأسست في ١٨٨٨) وشركة أراضي البحيرة (١٨٩٤)
والشركة العقارية المصرية (١٨٩٦) والشركة المساهمة الزراعية الصناعية (١٨٩٧)
والشركة المصرية الجديدة (١٨٩٩) وشركة كوم أمبو (١٩٠٤) والشركة المصرية
للمشروعات والتنمية Egyptian Enterprise, Development Co (١٩٠٤)
وشركة أراضي الغربية (١٩٠٥) وشركة الشيخ فضل (١٩٠٥) والاتحاد العقاري
المصري (١٩٠٥) والشركة الإنجليزية المصرية لتقسيم الأراضي (١٩٠٥) Anglo
Egyptian Land Allotment Co. وشركة الأراضي المصرية المتحدة ليتد
United Egyptian Lands Ltd, وشركة سيدى سالم (١٩٠٦) وشركة
كفر الدوار الزراعية (١٩٠٧) والشركة الزراعية المصرية (١٩١١)^(٢) .

ولقد توقف تأسيس هذا النوع من الشركات منذ عام ١٩١١ إلى عام ١٩٢٦ حيث عاد النشاط مرة أخرى إلى سابق عهده وإن كان بدرجة أقل ، وربما يرجع

(1) G. Baer, OP. Cit, p. 120.

(2) Ibid, p. 125.

هذا إلى عدم الاستقرار السياسى الذى مر به المجتمع المصرى من الحرب العالمية الأولى إلى ثورة ١٩١٩ . ففي ١٩٢٦ تأسست شركة القاهرة الزراعية وفى ١٩٢٩ تأسست شركة أراضى الدقهلية ، وفى عام ١٩٣٦ تأسست شركة الكروم والكحول المصرية *Viticole et Vinicole d'Egypt* وفى عام ١٩٣٧ تأسست شركة أراضى كفر الزيات . وفى عام ١٩٤٦ تأسست شركة تأجير الأراضى الزراعية *Soc. agricole et Fermier Fermag* وشركة الجعفرية للصناعة والزراعة . وفى عام ١٩٤٧ تأسست شركة البساتين والكروم المصرية (١) .

ولقد بلغت هذه الشركات قمة استثماراتها حوالى ١٩١٠ ثم انكمشت تدريجياً إلى ١٣ مليون جنيه فى أوائل العشرينات ، وبعد تدهور ضئيل فى الثلاثينات عادت للنهوض مرة أخرى خلال الأربعينات حتى وصلت إلى ١٤ مليون جنيه فى عامى ١٩٤٥ - ١٩٤٦ .

ويلاحظ بصفة عامة أن شركات الأراضى الرئيسية الضخمة استطاعت أن تحقق الاستقرار والصمود والبقاء حتى خلال سنوات الأزمات ، ولعل ما يؤكد ذلك استقرار حجم الملكيات التى تحت يدها استقراراً نسبياً خلال الفترة ودون تغيير يذكر فيما عدا ما حدث خلال العشرينات من قيام شركات الأراضى الكبرى وفى مقدمتها شركة أراضى البحيرة ببيع مساحات كبيرة من ممتلكاتها .

وثمة نقطة على جانب من الأهمية وهى أن التناقص الذى كان يحدث فى ملكيات بعض الشركات لا يعنى أفلاسها فكل ما كان يحدث هو انتقال الملكية من شركة إلى شركة أخرى بسبب اختلاف نوع الاستغلال بين هذه الشركات ، فبلاشركات ينحصر نشاطها الرئيسى فى إصلاح الأراضى وبيعها (شركة سيدى سالم ، والشركة المساهمة الزراعية والصناعية ، شركة أراضى البحيرة) وشركات كانت مهمتها زراعة الأراضى المستصلحة هذه واستغلالها (شركة كوم امبو . شركة البساتين والكروم المصرية . وشركة الكروم والكحول المصرية) . وأكثر من هذا

أنظر الجدول ص ٣٧ . (1) G. Baer, op. Cit., p. 124.

والجدول التالى يبين حجم ملكيات هذه الشركات خلال الفترة :

الملكية بالفدان				إسم الشركة
١٩٤٨ / ١٩٤٩	١٩٤٠	١٩٣٢	١٩٢٤	
٣٦٧٣	٨٣١٠	٩٥٥٩	=	شركة أبو قير
٤٩٥١١	٦٠٣٤٥	٦٥٤٦١	٧٠٠٠٠+	شركة أراضي البحيرة
٢٦٠٠	١٣٤٠	—	—	الشركة العقارية المصرية
٣٧٤٥	١٣٦٤٢	١٦٥٠٠	١٩٠٢٠	الشركة الزراعية والصناعية والمساهمة
٥٦٧٥	٤٩٥٥	٦٢٢٥	٦٥٨٢	الشركة المصرية الجديدة
٦٨٤٩٦	٦٩٣٨٨	٧٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	شركة كوم أمبو
١١٥٣	٩٥٠	٢٠٠٤	٢٠٠٠+	الشركة المصرية للمشروعات والتنمية
٧٦٩١	٤٩٦٩	٥٨٠٠+	٦٢٨٧	شركة أراضي الغربية
٧٠٠٠	=	—	—	شركة الشيخ فضل
٣٤٢٨	٣٣٧٢	٣٦٦٨	٥٤٢٥	الاتحاد العقارى المصرى
٢٣٤٢	٤٣٩٩	٣٤٨٠	٤٩٦١	الشركة الانجليزية المصرية لتقسيم الاراضى
—	١٦٨٣	=	١٣١٥	شركة الاراضى المصرية المتحدة ليمتد
١٥٣٨	=	٨٥١٩	١٠٥٠٩	شركة سيدى سالم
—	—	—	١٧٩٤	شركة كفر الدوار الزراعية
—	٣٦٤٨	=	=	الشركة الزراعية المصرية
١٢٥٧	=	٦٩٧٧	—	شركة القاهرة الزراعية
٢٢٠٨	٢٨٥٦	٤٧٣٤	—	شركة أراضي الدقهلية
٧٣٥٥	٤٤٣٢	—	—	شركة الكروم والكحول المصرية
٣٢٩٤	٤٥٠٠	—	—	شركة أراضي كفر الزيات
٣٠١٥	—	—	—	شركة تأجير الاراضى الزراعية
١٤٢٥	—	—	—	شركة الجمعورية للصناعة والزراعة
٥٢٥٣	—	—	—	شركة البساتين والكروم المصرية
١٨٠٦٥٩	١٨٨٧٧٩	٢٠٢٩٢٧	١٥٧٨٩٣	إجمالى

ملاحظات للجدول :

= شركات تملك أراضي ولكن غير معروفة

— شركات لا تملك

+ تقدير على أساس السنوات السابقة واللاحقة

فقد حدث أن غيرت شركات الكروم تخصصها الأصلي من إصلاح الأراضي وبيعها إلى الزراعة . يضاف إلى هذا أن الأراضي كانت تنقل من شركة إلى أخرى فمثلا كل أراضي شركة سيدى سالم عند تأسيسها — حيث يملك الاتحاد العقارى المصرى جزء كبير منها — اشترتها من شركة أراضي البحيرة، كما أن جزءاً هاماً من أراضي الشركة المساهمة الزراعية والصناعية التي اشترتها خلال الأربعينات انتقلت إلى شركات أخرى (حوالى ٣٠٠٠ فدان لشركة أراضي الغربية ، وأكثر من هذا لشركة تأجير الأراضي الزراعية) ..

وجدير بالذكر في هذا المجال أن مؤسسى شركة ما كانوا من كبار الملاك نقلوا ملكياتهم أو باعوا أنصبتهم لحساب تأسيس الشركة فمثلا اشترى مؤسسو شركة الاتحاد العقارى وهم عائلات قطاوى ومنشه وسوارس أكثر من ٦٠٠٠ فدان بناحية البدرشين (جيزة) ، واشترت شركة الكروم والكحول المصرية أراضيها من الأخوان جانا كليس وبيرار كوس Pierrakos الذى كان يملك أغلب رأسمال الشركة في عام ١٩٤٩ ومديرها في الوقت نفسه . كذلك اشترت شركة الجعفرية أراضيها من تومايدس Thomaidis الذى أصبح واحداً من مديري الشركة فيما بعد .

ومن ناحية أخرى فإن بعض الشركات حصلت على أراضيها بوسائل الحجز والبيع وفاء للديون خلال أزمة عام ١٩٢٩ ، ومن هذه الشركات الشركة الزراعية المصرية التي خصصت نشاطها في هذا المجال لسنوات طويلة ، وشركة أبو قير التي زادت — ملكياتها من ٧٨١٤ فدان إلى ٩٦٨٦ فدان بين عامى ١٩٢٩ — ١٩٣٤ (١) .

وتأتى بعد ذلك الحكومة المصرية كمالك كبير يمتلك بقية أراضي البلاد غير المملوكة ملكية خاصة . واعتبار الحكومة مالكا كبيراً ليس مبنياً على أساس حجم المساحة الواقعة تحت يدها وإنما مبنى على أساس أن علاقتها بتلك الأراضي

(1) G. Baer, Op. Cit; P. 124—127.

ليست علاقة ملكية مجردة فقط بل هي تمارس نشاطاً اقتصادياً داخل أراضيها من تأجير وزراعة وغيره مما يسمح لنا بوضعها ضمن كبار الملاك .

وتمارس الحكومة نشاطها هذا من خلال مصلحة الأملاك الأميرية التي أنشئت بأمر عال في ٧ أبريل ١٩١٣ من مصلحتين كبيرتين ضمنا معاً وهما : مصلحة الدومين ومراقبة أملاك الميرى الحرة . وكانت مصلحة الدومين (تأسست في ١٨٧٨) تدير قبل ١٩١٣ أكثر من ٤٢٥٠٠٠ فداناً مرهونة لضمان قرض حكومي قدره ٨٥٠٠٠٠٠٠ جنية باعت منها نحو ثلثها لحساب الدين المضمون وبقي حوالى ١٥٠٥٠٠ فدان خالصة من الرهن سلمتها للحكومة في عام ١٩١٣ حيث ضمتها الحكومة إلى مراقبة الأملاك بوزارة المالية . وكانت هذه المراقبة تدير وقتئذ أملاك الحكومة الخاصة ، والتي كان يعبر عنها بالأملاك الحرة من أراضي بناء وزراعة وإن كان أكثرها بوراً ، ثم أطلق على أراضي مراقبة الأملاك « أطيان المديرية والمحافظات » كما أطلق على أراضي الدومين إسم « التفاتيش » وبلغ عدد هذه التفاتيش ثمانية هي : بلقاس . بشيش . برارى المنصورة . محلة موسى . المربعين . سخا . الفيوم . بيلة . وكانت أراضي كل تفاتيش تقسم إلى أراضي بور وأراضي صالحة للزراعة^(١).

وتعتبر وزارة الأوقاف - وهي هيئة حكومية - من كبار الملاك أيضاً إذ تقع تحت إدارتها كل الأراضي الزراعية الموقوفة على أعمال البر والإحسان وليست علاقاتها بتلك الأراضي علاقة تبعية مجردة بل هي تدير هذه الأراضي إدارة اقتصادية بهدف الربح^(٢). كما سيأتى ذكره .

* * *

بعد استعراض التصنيف الاجتماعي لسكبار الملاك ، يجدر بنا أن نتناول الجهود

(١) تقرير لجنة المالية بمجلس النواب عن ميزانية عام ١٩٣٦ - ١٩٣٧ .

(٢) تقرير عن مشروع ميزانية وزارة الأوقاف ١٩٣٠/١٩٣١ (مجلس النواب)

التي كان يذلها هؤلاء الملاك للملك والوسائل التي انتهجوها لاقتناء الأراضي وتوسيع ملكياتهم والدوافع الكامنة وراء ذلك ..

فمنذ إعطاء الأفراد حق ملكية الأراضي في مصر منذ عام ١٨٩١ وجهودهم لم تنقطع في الضغط على الحكومة بوسيلة أو بأخرى لكي تنازل عن الأراضي الواقعة تحت سيطرتها وإباحة ملكيتها للأفراد . ففي البداية أصدر مجلس النظار في ٢١ فبراير ١٨٩٤ لائحة^(١) . « بجواز إعطاء البرك والمستنقعات ملك الميري المضرة بالصحة العمومية بصفة ملكية إلى من يتعهد بردمها » (مادة ١) مع إعفاؤها من دفع ضريبة عنها لمدة عشر سنوات (مادة ١١) وبشرط أن تكون هذه البرك والمستنقعات على مسافة أقل من ألف متر من أما كن سكن كل مدينة أو ناحية أو عزبة (مادة ١٢) . وقد يكون الدافع وراء تلك اللائحة حماية الأهالي من الأمراض التي قد تصيبهم من جراء انتشار هذه البرك ، ولكنها من ناحية أخرى كانت مشجماً على التملك .

وسعيًا وراء هذا الهدف ارتفعت أصوات الملاك تبصر الحكومة بطريقة أو بأخرى بأهمية مشروعات إصلاح الأراضي وتقديعها على ما عداها من المشروعات الأخرى ، فقد كتب مالك كبير يطالب الحكومة بالبدء في إصلاح الأراضي البور بتقسيمها إلى قطع تختلف بين مائة فدان وعشرة آلاف فدان وبيعها بثمن « زهيد » للملاك المصريين أو الشركات لإصلاحها وتعميرها في مدة معينة ، فإذا كان المشتري شركة تتعهد بأنها إذا باعت الأرض لصغار الملاك لا يتجاوز ربحها الثمن الأصلي ومصاريف الإصلاح وفوائد هذه المبالغ^(٢) . وواضح أن مساحة القطع المقترحة للبيع لا يقدر على شرائها ما كان ثمنها زهيداً ، إلا كبار الملاك الذي كان يبيع عنهم ولا شك .

(١) الحكومة المصرية ، القوانين العقارية في الديار المصرية ص ٣٨ - ٤٠ .

(٢) المقطم ، ١٩١٩/٨/٦ - رأى لحمد أبو الفتوح يرد فيه على جريدة التيمس التي نشرت مقالاً لمراسلها في مصر قال فيه بوجود زيادة الماء في السودان بدلاً من أحياء الأقسام الشمالية من الدلتا .

وبعد إنشاء مصلحة الأملاك الأميرية في عام ١٩١٣ لتدير أملاك الدولة - كما تقدم - أخذت الدعوة لتصفية هذه المصلحة وطرح أراضيها للبيع تنتشر وحل اوائها كبار الملاك بطبيعة الحال ، وقيل أن تصفية هذه المصلحة وتقسيم أراضيها وبيعها للأهالي لزراعتها واستغلالها يعد مساهمة للتطور الاجتماعي « وعندئذ تستريح الدولة من مصلحة لا تجدد من بقائها إلا المصاعب التي لا تقابلها فوائد (١)

ونوه مالك كبير آخر (٢) إلى الخسارة التي تحققها هذه المصلحة فهي تصرف نحو ٦٠ ٪ من إيراداتها على موظفيها وعمالها ، بينما كانت إيرادات عام ١٩٢٣ ، ٧٨٢ جنيتها كانت المصروفات ٤١٠٣٦٢ جنيهه وبينما كانت الإيرادات عام ١٩٢٤ ٧٩٣ جنيتها كانت المصروفات ٤٠٢٦٢٦ في حين أنه لا ينبغي الا تتمدى المصروفات ١٥ ٪ من الإيرادات ، ومن ثم طالب ببيع هذه الأراضي للأهالي وهو اقتراح سبق أن تقدم به في الجمعية التشريعية « لأن الحكومة لا تستطيع أن تكون مزارعه أو متاجره - وتتقن عملها كما يتقنه الأفراد » وفي ذلك فائدة للحكومة تعود عليها من ربط المال على تلك الأراضي تدر إيرادات ثابتاً ضخماً .

ولا شك أن وراء مثل هذه الآراء الفكرة الليبرالية التي كانت منتشرة آنذاك والتي كانت تحدد دور الحكومة أو الدولة في الدفاع والأمن وبعض الخدمات العامة وتفرض أن تقوم الحكومة بدور استثماري في أي مجال من مجالات الزراعة والصناعة والتجارة ، ومع هذا فقد وجد من يعترض على فكرة تصفية مصلحة الأملاك وينبه إلى خطورة ذلك على أساس « أن النظم الاجتماعية الراقية تقتضي في مصر خاصة أن لا تباع الأقطان الميري للأفراد بل أن توضع النظم الهادئة العادلة التي تجعل كافة الأقطان تؤول إلى الحكومة ثم توزع بطريق التأجير للزراع توزيعاً عادلاً » حتى يعود التوازن إلى ملكية الأراضي بدلاً من انقسام « الأمة إلى قسمين

(١) السياسة ٢٩ / ٨ / ١٩٢٤

(٢) الأهرام ٢٩ / ٤ / ١٩٢٥ « إصلاح اقتصادي خطير بقلم فليبي فهمي »

غير متناسبين : أحدهما السادة المرفهون والآخر العبيد المرهقون^(١) » خاصة وأن أول صفقة من أراضي الحكومة طرحت للبيع عام ١٩٢٨ لصغار المزارعين أوضحت أن بعض كبار الملاك أغروا صغار الملاك للتقدم لشراء هذه الأراضي لحسابهم ثم أى كبار الملاك وهكذا^(٢) .

وعندما وضعت الحكومة مشروعاً يبيع ٥٠٧١٠٣ فداناً من الأملاك الأميرية خصصت ١٣١٥٨٢ فداناً لصغار الزراع مكونة من ٦٤٠٠٠ قطعة لزيادة الواحدة عن عشرة أفدنة ، بينما خصصت لكبار الملاك ٣٤٣٥٢١ فدان مكونة من ٣٨٠٠٠ قطعة كل قطعة من عشرين إلى مائة فدان بالإضافة إلى طرح ٣٢٠٠٠ فدان من الأراضي البور كل قطعة بين مائة فدان ومائتي فدان^(٣) .

أى أن المستفيد الأول من هذا التوزيع كانوا كبار الملاك ، فرغم قلة عددهم بالنسبة إلى صغار المزارعين فقد خصصت لهم الحكومة نسبة أكبر من الأرض . فقد قال مكرم عبيد صاحب المشروع أن الحكومة « إذا اتجهت بادية ذى بدء للفلاح والزراع الصغير فيما وضعت من مشروعات فإنها لم تفعل شأن متوسطى وكبار الزراع . فليقبل الأهليون على الشراء فهم أصحاب الحق الأول في أراضي الحكومة

(١) شاكر فهمى الحامى ، بيع الأملاك الأميرية خطأ اجتماعى « السياسة ٢٠ / ٧ / ١٩٢٦ » .

(٢) المقطم ٢٣ / ٨ / ١٩٢٨ - افتتاحية العدد « أطيان الحكومة ولمن تباع »

(٣) مشروع وزير المالية مكرم عبيد لتوزيع أراضي الحكومة « الكتلة ١٨ / ٩ / ١٩٤٥ » أنظر أيضاً مذكرة وزارة المالية في ١٩٣٦ مرفوعة لمجلس الوزراء بشأن إصلاح الأراضي البور وتوزيعها بمعرفة مصاحبة الأملاك الأميرية أو بعض الهيئات والشركات حيث اقترح تخصيص ٤٠٦٠٠ فداناً بوراً وتوزيعها على كبار الملاك لإصلاحها بشرط أن يدفع ٢٠ ٪ من الثمن مقدماً بفائدة قدرها من ٣٥ ٪ إلى ٨٠ ٪ الباقية (مجلس النواب ١٦ / ٩ / ١٩٣٦) .

التي لا يصح عدلا ولا فعلا أن تبقى الأرض بين يدي الوكيل ويحرم منها الأصل (١)
فعبّر بذلك عن وجهة نظر كبار الملاك وموقفهم من بقاء الأراضي في يد الحكومة.

أما فيما يتعلق بحركة الأجانب وجهودهم من أجل التملك في مصر فيلاحظ أنه
حتى العشرينات كان نشاط الأجانب موجها إلى المهن المختلفة في مجالات الصناعة
والتجارة والمال والخدمات بنسبة أكبر من تلك التي كانت للمصريين . أما في
مجال الزراعة فإن نسبة الأجانب الذين وجهوا جهودهم نحوها كانت ١ - ٢ ٪
بينما بلغت نسبة المصريين حوالي ٦٠ ٪ . ورغم أن عدد الأجانب كان قليلا ولا
يزيد عن ٢ ٪ من السكان فقد كانوا يمتلكون أكثر من ١٠ ٪ من الأراضي
حتى العشرينات وأكثر من ٨٥ ٪ حتى منتصف الثلاثينات وأكثر من ٦ ٪
حتى أواسط الأربعينات . وهذا يرجع إلى أن جهودهم كانت محصورة في تكوين
شركات الأراضي التي كانت تمثل الجزء الأكبر من ملكية الأجانب والتي كانت
تقوم باستصلاح الأراضي البور وبيعها - كما سبق ذكره - بحيث يكون من الخطأ
تصور أن الأجانب كانوا راغبين عن استثمار أموالهم في مجال الزراعة ، بل أن
الأجانب المقيمين بمصر من اليونان والطيالين سثمروا أموالهم في هذا المجال
وخاصة في أوقات ارتفاع قيمة الأراضي والإيجارات فمثلا امتلك كل من جانكليس
و بيرار كوس اليونانييّن حوالي ٧٠٠٠ فدان في البحيرة ، وامتلك تومايدس اليوناني
أيضاً حوالي ١٤٣٥ فداناً بالشرقية كما تملك أرمانت السندريني armant Alessandrini
الإيطالي أكثر من ٢٤٠٠ فدان كان يزرع منها بالفعل حوالي ١٦٠٠ فدان (٢)

وإذا كانت ملكيات المصريين تقسم عادة بين صغيرة ومتوسطة وكبيرة فإن
ملكية الأجانب كانت ملكية كبيرة دائمة ، سواء على مستوى الأفراد أو
الشركات ، ففي سنة ١٩١٩ بلغت نسبة الملكيات الكبيرة للأجانب ٩٢٩ ٪

(١) بيان وزير المالية (مكرم عبّيد) بشأن بيع أراضي الحكومة (الكتلة)

١٨ / ١٠ / ١٩٤٥

(2) G. Baer, op. Cit.P. 120 - 121

من مجموع الملكيات الأجنبية ، ٩٣.٠٪ في عام ١٩٢٩ ، ٩١.٢٪ في عام ١٩٣١ ثم وصلت إلى ٩٠.٩٪ في عام ١٩٤٩ (١) .

وإذا كانت الفترة من ١٩٠١ إلى ١٩١٠ تعتبر فترة ازدهار بالنسبة لتوسع الأجانب في تملك الأراضي حيث زادت مساحة ما كانوا يملكون من ٥٥٤٤.٠٩ فدان إلى ٧٢.٢٣٠ فدان من مجموع المساحة الكلية أى بنسبة ١.٠٩٪ - ١٣.٢٪. فإن الفترة من ١٩١٧ إلى ١٩٢٠ شهدت انكماشاً حاداً في هذا المجال فقد تقلصت الملكية من ٧١٣١.٥ فدان (١٩١٧) إلى ٥٥٣٢.٧١ (١٩٢٠) أى من ١٣٪ إلى ١٠٪. بالنسبة لمجموع الملكية الفردية ، وأرغمت هذه الحالة الشركات على إيقاف معاملاتها المالية من قروض وغيرها واضطر بعضها مثل الشركة المصرية الجديدة والاتحاد العقاري المصري لبيع قدر كبير من أراضيها بنسبة لم تحدث من قبل ، كما انخفضت رؤوس الأموال المستثمرة في هذا المجال من ١٨٤٧٧.٠٠ جنيه مصري في ١٩١٥ إلى ١٤٩٣٩.٠٠ جنيه مصري في ١٩٢١ ، وقد ازدادت ملكيات الأجانب حوالى ٤٠.٠٠٠ فدان خلال الثلاثينات نتيجة مشتريات شركة كوم أمبو في عام ١٩٣١ (٢) .

على أن حجم ملكية الأجانب كان يتأثر إرتفاعاً أو انخفاضاً بالوضع السياسى في البلاد ، ففي أعقاب عقد معاهدة ١٩٣٦ وإنهاء الامتيازات الأجنبية في ١٩٣٧ بمعاهدة مونتري ، انخفضت نسبة ملكياتهم انخفاضاً كبيراً إلى حوالى ٧٠.٠٠٠ فدان وإلى حوالى ١٠.٠٠٠ في عامى ١٩٤٨ / ١٩٤٩ كما أن قانون الشركات الذى صدر في عام ١٩٤٦ حدد من نشاط الأجانب في امتلاك الأراضي لدرجة أن شركة كوم أمبو أعادت تسجيل نفسها كشركة مصرية وليست أجنبية (٣) . يضاف إلى هذا مشروع القانون الذى قدمه عبد الرحمن الرافعى في مجلس الشيوخ في ٨

(1) G. Baer, op. Cit., P. 122

(2) Ibid, P 123.

(3) Ibid,

ديسمبر ١٩٤٨ بمحضر بيع الأراضى للأجانب (١)

* * *

إذا انتقلنا إلى الوسائل والطرق التي حصل بها كبار الملاك على الأرض - خلال الفترة - وجدنا أكثر من طريقة ووسيلة فهناك من كان يحصل على أرضه بالشراء من أراضى الدولة المطروحة للبيع بمعرفة مصلحة الأملاك الأميرية وهناك من كان يعتمد إلى وضع يده على مساحات من الأرض دون مبالاة ، ومنهم من كان يستند إلى وجوده بالسلطة السياسية .

غير أن الشراء من أراضى الدولة يمثل الطريقة الرئيسية لاقتناء الأرض بالنسبة لكبار الملاك ، فمنذ تأسيس مصلحة الأملاك الأميرية في عام ١٩١٣ - كما تقدم - وحتى عام ١٩٤٩ باعت ٤٥٥٧٩٩ فداناً ، ورغم أن الإحصائيات الرسمية الخاصة ببيع هذه الأراضى لا توضح نوعية المشترين إذا كانوا من كبار الملاك أم من صغارهم فهي تذكر فقط المساحات المباعة سنوياً ، فمن الممكن معرفة المساحات التي اشتراها كبار الملاك من ملاحظة الارتفاع النسبي في شرائح الملكيات أكثر من ٥٠ فداناً حسباً توضح الإحصائيات الرسمية . فقد كانت مبيعات مصلحة الأملاك منذ عام ١٩٣٩ إلى ١٩٤٩ - وهى السنوات التي شهدت ارتفاعاً في الملكيات الكبيرة - كما يلي :

السنة	عدد الأفدنة	السنة	عدد الأفدنة
١٩٣٩ - ١٩٤٠	١٢٦٢٠	١٩٤٤ - ١٩٤٥	١٧٠٧٤
١٩٤٠ - ١٩٤١	٢٠٧٩٩	١٩٤٥ - ١٩٤٦	٢٦٥٤٨
١٩٤١ - ١٩٤٢	١٥١٩٩	١٩٤٦ - ١٩٤٧	٣٧٣٢٥
١٩٤٢ - ١٩٤٣	١٤٤٠٨	١٩٤٧ - ١٩٤٨	١٥٦٦٢
١٩٤٣ - ١٩٤٤	٢٦٥٧٩	١٩٤٨ - ١٩٤٩	١٥٦١٥

(١) مجلس الشيوخ جلسة ١٢/٨/١٩٤٨ .

وقد تركزت هذه المبيعات في كل من مديريات البحيرة والغربية والشرقية وهى مناطق الأراضى الأميرية ، فقد بيع بالبحيرة حوالى ٢٠.٠٠٠ فدان بين عامى ١٩٤٠ ، ١٩٤٤ ، وحوالى ٥٥.٠٠٠ فدان بالغربية بين عامى ١٩٤٠ ، ١٩٤٨ ، وحوالى ١١.٠٠٠ ، ٣٥.٠٠٠ فدان بنفس المديرية بين عامى ١٩٤٠ — ١٩٤٤ وعامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٩ . وهذه المديريات الثلاث هى التى شهدت ارتفاعاً فى الملكيات أكثر من خمسين فداناً ، وفى البحيرة ازدادت هذه الملكيات ١٢٣٢٣ فداناً بين عامى ١٩٣٩ ، ١٩٤٦ ، وفى الغربية زادت ٢١٤٧٥ فداناً بين عامى ١٩٣٩ ، ١٩٤٧ ، وبالشرقية ١٢٧٦٠ فداناً بين عامى ١٩٤١ ، ١٩٤٦ (١) .

وإذا كان الشراء من أراضى الحكومة (الميرى) يمثل وسيلة هامة ورئيسية لتملك الأرض ، فقد كانت هناك وسيلة أخرى وهى الشراء من شركات الأراضى بنظام التقسيط الذى أغرى كثيراً من الملاك باقتناء الأرض وسبب وقوعهم فى حبال الديون فيما بعد .

فقد كانت القواعد المعمول بها فى شراء الأرض من الشركات هى دفع نصف ثمن الأرض أو ربعها قبل أو عند التصديق على عقد البيع ثم دفع الباقى أقساطاً حسب الشروط الموضوعه ، فإذا كانت قيمة الأرض ٤٠٠ جنيه ودفع المشتري النصف مقدماً وكانت مدة التقسيط عشر سنوات فإن قيمة القسط السنوى بعد الفوائد يبلغ ٢٢٠ جنيهاً . وبعض الشركات كانت تبيع بالتقسيط أيضاً ولكن بصورة عقد إيجار بينها وبين المشتري بحيث تكون قيمة الإيجار موازية للقسط السنوى مضافاً إليه فائدة رأس المال بنسبة ٧ — ٨ ٪ ، وهذه الطريقة كانت تعطى الشركة سهولة نزع الأرض وطرد المستأجر الذى هو المشتري فى حالة تأخيره فى سداد الإيجار (وهو قسط البيع السنوى) . وقد أوقعت تسهيلات شراء الأرض بالقسط الملاك فى مشاكل كثيرة ، وفى سنوات ارتفاع أثمان المحاصيل كما حدث خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) اندفع الملاك وراء شراء الأراضى ، غير أن هبوط أسعار المحاصيل فى سقى ١٩٢٠ — ١٩٢١ وإنخفاض قيمة الأراضى

أعجز الملاك عن سداد الأقساط السنوية المستحقة عليهم مما جعل الشركات تنزع ملكية الأراضى بثمن بخس وتعيدها إلى حظيرتها^(١).

وقد حدث أن محمد كامل جلال - أحد كبار الملاك بالمنيا - اشترى من شركة أراضى الشيخ فضل أراضى فى ١٩٢٠ ولكن أزمة الثلاثينات أعجزته عن الوفاء بأقساط الشراء حتى أن ورثته توقفوا عن الدفع تماماً فى عام ١٩٣٥ وانتهى الأمر إلى استعادة الشركة لأراضىها فى عام ١٩٣٧^(٢).

وبعض كبار الملاك - وإن كانوا قلة - كانت وسيلتهم فى اقتناء الأرض وضع اليد عليها عنوة ، فمثلاً نجد أن واحداً من هؤلاء وهو محمد باشا محفوظ قد وضع يده على ٣٠٠ فدان من أجود أراضى جزيرة منفلوط وكذلك سيد بك خشبة وضع يده على ٣٠٠ فدان أخرى بناحيته تالياً والمنشأة الكبرى بأسىوط دون دفع ثمنها^(٣).

كذلك فإن واحداً من عائلة البدراوى عاشور وهو عبد العزيز وضع يده على ٥٠٠ فدان بكفر سعد بالغربية عام ١٩٤١ دون دفع ثمنها بل دفع « خلو رجل » لأحمد أبو الفتوح الذى كان واضعاً يده هو الآخر عليها . بل كان يرتكب حوادث القتل والاعتقال لمن يعترضون طريقة فى وضع يده على أى قطعة أرض . فقد قتل - بواسطة أشقياء كان يستأجرهم لهذا الغرض - ناظر زراعة بنواحى مجاورة له لاعتراضه على محاولته وضع يده (أى عبد العزيز) على ٥٠٠ فدان يملكها هو . وفى محاولة للاستيلاء على أرض يملكها بنك مصر بالغربية قتل أعوان عبد العزيز بعض عمال البنك وسرقوا أدوات الزراعة^(٤).

(١) عبد الثنى غنام ، المصدر السابق . ص ٤٠ - ٤٢ . أنظر أيضاً أحمد على ، المشكلة العقارية الزراعية وآثارها الاقتصادية والاجتماعية ص ٢٧ .

(2) G. Baer, Op. Cit. p. 126,

(3) F. O. 848/12/3967,

(٤) محاكمات الثورة . المضبطة الأصلية لمحاكمة فؤاد سراج الدين ١٧/١/١٩٥٤ (مصلحة الاستعلامات) .

كما أن واحداً من عائلة سراج الدين شاهين وهو عبد الحميد وضع يده على ٤٧٠ فداناً بناحية أبيس بالبحيرة ، غير أن وزارة الداخلية رفعت يده عن الأرض بالقوة في عام ١٩٤٨ ، وفي عام ١٩٥٠ - بعد تولى الوفد الوزارة - عاد ووضع يده من جديد على الأرض وعلى غيرها ولم تفعل له الحكومة شيئاً بطبيعة الحال فوصل جملة ما اغتصبه من الأرض ١١٨٢ فدان^(١) .

هذا إلى أن للموم بك السعدى اغتصب ستة أفدنة وثلاثة وعشرين قيراطاً وأربعة عشر سهماً عنوة من ثمانية من صغار المزارعين بنواحي مغاغة بالنيا وإن كان تم التراضى بين الطرفين على أساس البيع فيما بعد^(٢) وليس المهم هنا حجم الأرض المقتضية بقدر أهمية الواقعة نفسها .

ولقد كان الاستناد إلى النفوذ السياسى أحد الوسائل التى استخدمها بعض كبار الملاك فى اقتناء الأراضى فمثلاً استطاع محمد أبو الفتوح (باشا) الذى كان وكيلاً لوزارة الزراعة عام ١٩٢٢ أن يحصل على أرض جيدة من أراضى الميرى بالتبادل مع أرض رديئة من أملاكه بالفريية خسرت بسببها خزانة الحكومة ٣٧٣٣٣٩٥٠٠ فقد لجأ إلى طرق غير شريفة فى تعمية مدير مصلحة الأملاك من حيث جعله يمر فى القطع الجيدة بأملاكه بينما اتفق مع خولى أراضى الميرى على أن يحمل مدير المصلحة يمر فى القطع الرديئة من أملاك الحكومة المطلوب التبادل معها فى مقابل مكافأة بشرقيته^(٣) .

(١) محركات الثورة ، المصدر السابق .

(٢) مكلفة ناحية طنبرى مغاغة النيا (المدة من ١٩١٢ - ١٩٢٦) دار المحفوظات المصرية .

(٣) الأخبار ١٩٢٤/٥/٢٠ حيث نشرت الخطاب المرسل من محمد أبو الفتوح إلى الشيخ محمد هريدى ناظر زراعته فى ١٩٢٢/٧/٩ بترتيب خطة زيارة مدير مصلحة الأملاك مستر أنطونى . أنظر أيضاً مجلس النواب جلسة ١٩٢٤/٦/٧ حيث =

وثمة نموذج آخر في هذا المجال وهو الوسيلة التي حصلت بها زينب الوكيل وأخوتها على أرض فمن المعروف أن زينب الوكيل من أسرة ليست غنية فقد ورثت من أبيها بعد وفاته في أرائل ١٩٤٢ ، ١٢ فداناً و ٢١ قيراطاً ، ٢٢ سهماً عليها ديون قدرت بـ ٧٦ جنيه ثم دخلت في مجال الشراء فاشتريت ٨٠ فداناً ، ٧ قيراط ، ١٤ سهم بمركز شربين من فؤاد سراج الدين في يونيو ١٩٤٢ بسعر الفدان ٥٣ جنيه ثم باعتها مرة أخرى لنفس البائع في يونيو ١٩٤٤ بسعر الفدان ١٢٠ جنيه ثم اشترت في أكتوبر ١٩٤٢ — ٧٤ فداناً ، ١٨ قيراطاً ، ٢٢ سهماً من أميل عدس بناحية البركة مركز شبين القناطر بمبلغ ٩٢٩٤ جنيه . وفي نوفمبر ١٩٤٣ اشترت ٣٢ فداناً ، ٢٦ قيراطاً ، ١٦ سهماً في ناحية سمخراط من بنك الأراضي بمبلغ إجمالي ٢٤٨٧ جنيه ثم ١٢٩ فداناً ، ٢٣ قيراطاً ، ٥ أسهم في يونيو ١٩٤٤ بناحية البركة والقليج من صبحي الشوربجي بمبلغ إجمالي ٢١٥٢٩ جنيه ، وكذلك الحال بالنسبة لأخويها أحمد وعبد الحميد الوكيل اللذين اشتريا ٦٥٧ فداناً منها ١٥٧٠٠٠ جنيه من شركة الاتحاد العقاري^(١) .

ولعل بيع الأراضي الميرى الذي تم بمعرفة مصلحة الأملاك الأميرية خلال المدة من ١٩٣٩ إلى ١٩٥٠ يثبت إلى حد كبير كيف استغل النفوذ السياسي في اقتناء الأرض^(٢) .

== طالب النائب محمد عبد الجليل أبو سمرة بتقديم المستر أنطوني إلى المحاكمة بسبب هذه الصفقة .

(١) محكمة الثورة ، جلسة محاكمة زينب الوكيل في ١ ، ٢/٣/١٩٥٤ (مصلحة الاستعلامات) .

(٢) أنظر أيضاً ص ٤٤ من هذا الكتاب . وأيضاً سيد مرعى ، الإصلاح الزراعى ص ٣١ حيث يذكر أن ما بيع لصغار المزارعين خلال المدة ١٩٣٩ — ١٩٤٩ بلغ ٣١١١ فداناً بنسبة ١٧٪ ، ولخريجي المعاهد الزراعية كإقطاعات ١٣٨٢٧ فداناً بنسبة ٧٦٪ بينما كانت نسبة ما تملكه كبار الملاك ٩٠٧٪ .

ولم يكن الإستناد إلى قوة السلطة كوسيلة من وسائل التملك قاصراً على رجال الأحزاب السياسية وأنصارهم بل كان موجوداً داخل أسرة محمد على ، فمن الملاحظ مثلاً أن فرع الحديوى اسماعيل الذى استمر فى الحكم حتى عام ١٩٥٢ كان يملك أكثر من نصف ملكيات الأسرة كلها^(١) . وهذا راجع بلا شك إلى استمرار وجودهم فى السلطة دون فروع الأسرة الأخرى . فرغم أن الملك فؤاد وإبنة فاروق حكماً ٣٥ سنة (١٩١٧ - ١٩٥٢) من ٧٣ سنة لحكم فرع إسماعيل إلا أنها كانت الفترة التى كانت يد السلطة الملكية مطلقة فى شئون البلاد بعد أن كانت أمور البلاد للمستعمر البريطانى ، فالملك فؤاد كان له فى بداية ارتقائه العرش (١٩١٧) ٨٠٠ فدان وصلت إلى ٢٨٠٠٠ فدان فى عام ١٩٣٦ وكان لفاروق وحده ٢٨١٠٩ فداناً ولأمه ولاخوته الخمسة ٢٠٨١٥ فداناً بما لا يدل على أن الأرض التى حصلوا عليها كانت بالوراثة من أبيهم فؤاد^(٢).

ولعل الظروف السياسية التى كان يمر بها المجتمع المصرى أدت إلى التكالب على اقتناء الأرض بأى وسيلة من الوسائل ، فقانون الانتخاب المنبثق من دستور ١٩٢٣ اشترط أن يكون من بين المعينين بمجلس الشيوخ « كبار الملاك الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن مائة وخمسين جنيهاً فى العام^(٣) » فضلاً عن رغبة المرشحين فى الدوائر الانتخابية وخاصة فى الريف فى زيادة فرص نجاحهم باقتناء الأرض وربط أكبر عدد من الفلاحين الناجحين بهم وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى ارتفاع أثمان الأراضى إلى ألف وألف خمسمائة جنيه للفدان الواحد ، وارتفاع القيمة الإيجارية للفدان الواحد إلى ٢٠ أو ٢٢ أو ٢٧ جنيهاً وهو مبلغ كان يعادل الثمن الحقيقى للفدان بل دفع هذا العامل أصحاب المهن غير الزراعية القاطنين بالمدين إلى الدخول

(١) أنظر ص ٣٣ من هذا البحث .

(٢) الهيئة العامة للإصلاح الزراعى ، ملفات الأسرة المالكة .

(٣) محاضر اللجنة العامة للدستور . جلسة ١٢/٦/١٩٢٢ .

في حلبة الصراع حول الأرض واستغلالها عن طريق التاجير حتى وصلت نسبة الأرض المؤجرة ٧٥ ٪ من المساحة الكلية للأرض المزروعة^(١).

والجدول التالي يثبت إلى حد كبير مدى الاندفاع وراء تملك الأرض خلال الفترة:

جـ - جدول *

يوضح تطور الملكية الزراعية لعينة محددة خلال الفترة من ١٩١٤ - ١٩٥٢

الاسم	الملكية في ١٩١٤ بالفدان	الملكية في ١٩٥٢ بالفدان
عبد العزيز فهمي	٦٠	٥٩٠
أسرة نوار	٢٠٠٠	٥٤٤٣
عبد اللطيف المكباتي	٥٠٠	١٠٦٢
أحمد أبو الفتوح	١٠٠٠	٣٠٣١
علي المنزلاوي	٥٠٠	١١٩٧
علي الشمسي	٢٠	٢٠٠
المصري السعدى	٦٠٠	١٩٨٠
فتح الله بركات	٢٠٠	١٥٧٢
قليبي فهمي	٥٠٠	٥٣٥
حافظ المشاوي	١٥٠	٤٤٠
حمد الباسل	٣٤٠٠	٢٨٠٧
إبراهيم إسماعيل أبو رحاب	١٠٠٠	٢١٥٣
محمود أبو حسين	١٠٠٠	٢٤١٧
محمود الاثري	٨٧٢	٢٣٤٣
عزام	٥٠٠	٥٠٧
محمد محفوظ	٣٥٠	٨٣٤
محمد شريعي	٨٠٠	٢٦٠٣
راغب عطيه	٦٠٠	٦١٢

(١) مجلس النواب ، ١٩٣٣/٥/٢ .

٢٦٥	٦	١٦	٨٠٠	السعدى بشارة الطحاوى
٦٠٠	-	-	٣٠٠	زايد جلال
١١٥٨	١٠	١٣	١٧٥	زكريا نامق
٦٦٠٤	٨	١١	٣٠٠٠	لطف الله
١٥٥٠	٤	٧	٢٠٨	متولى نور
٤٨٣	١٨	٢٢	٧٥٠	محمد علام
٨٠٠	-	-	٤٥٠٠	أبو سقيت
١٣٣٧	١٢	١٣	٦٠٠	محمد السيد أبو على
١٤٠٥	١٣	١٩	٥٥٩ فى	عبد الخالق ثروت
			١٨٩٦/١١/٢١	
٧٦٩	٢١	٢٣	١٥٠ فى	أحمد حشمت
			ديسمبر ١٨٩٦	
٩٦٣	٧	٤	منزل واحد بعبدين	أحمد طاهى
			فى ١٨٩٦/٧/٤	

ورغم أن اختيار هذه العينة تم عشوائياً إلا أن هناك صفة واحدة تكاد تجمع بينهم هي أنهم كانوا شخصيات برزت بصورة أو بأخرى على مسرح الحياة السياسية والاقتصادية في مصر خلال الفترة .

(*) تستند مادة هذا الجدول إلى المصادر التالية :

« أ » مصادر الملكية في ١٩١٤ : مكلفات الأفيان الزراعية بدار المحفوظات ،

F.O., 371/1964/15252 : Report from Ministry of Interior, Adviser's office ; Note on the first elections for the Egyptian legislative Assembly, by Ronald Graham. Dec. 29, 1913.

وملفات خدمة ثروت وحشمت وطلمت بدار المحفوظات بناء على إقرارات الملكية في ١٨٩٦ .

« ب » الملكية في ١٩٥٢ : قانون الإصلاح الزراعى ١٩٥٢/١٧٨ ، وقانون الإصلاح الزراعى ١٩٦١/١٢٧ .

ويعطينا هذا الجدول الحقائق التالية :

١ - أن ملكية بعض الأسر نمت نمواً عالياً بل أن واحداً مثل أحمد طلعت لم يكن يملك سوى منزل واحد بعابدين وصلت ملكية أسرته في نهاية الفترة إلى ٩٩٣ فداناً .

٢ - أن معدل النمو لدى بعض الأسر ظل ثابتاً لم يتغير كثيراً مثل قليلي فهمي من ٥٠٠ فدان في ١٩١٤ إلى ٥٣٥٢٠٠٧ فداناً في ١٩٥٢ ، وأسرة عزام من ٥٠٠ فدان في ١٩١٤ إلى ٥٠٧١٦٠٥ فداناً في ١٩٥٢ وراغب عطية من ٦٠٠ في ١٩١٤ إلى ٦١٢١٦٠١١ فداناً في ١٩٥٢ وهؤلاء كانوا بيدين عن مجالات المضاربة بالأرض والوقوع في حبال الديون العقارية .

٣ - إن ملكية بعض الأسر انخفضت إنخفاضاً ملحوظاً في آخر الفترة . عن بدايتها مثل أسرة السعدى بشارة الطحاوى من ٨٠٠ فدان في ١٩١٤ إلى ٢٦٥٦١٦ فداناً ، ومحمد علام من ٧٥٠ فدان في ١٩١٤ إلى ٤٨٣١٨٢٢ فداناً وأسرة أبوسيت من ٤٥٠٠ فدان في ١٩١٤ إلى ٨٠٠ فدان في ١٩٥٢ ، وأسرة المصرى السعدى من ٥١٧١ في ١٩١٤ إلى ٢٩١٨٨٢٢ فداناً في ١٩٥٢ .

ويرجع هذا المهبوط الملحوظ إلى عدة عوامل منها تفتت الملكية بين أفراد الأسرة عن طريق الوراثة أو التعرض لنزع الملكية بسبب الديون العقارية أو الانصراف عن مجال الزراعة إلى مجالات أخرى للاستثمار .

٤ - إن الأسماء التى تتكون منها هذه « العينة » في عام ١٩١٤ ليست هى بطبيعة الحال المذكورة في عام ١٩٥٢ فقد بدأت بفرد واحد وانتهى بعضها إلى الأسرة التى كونها هذا الفرد .

أشرنا فيما تقدم^(١) إلى أن عدد كبار الملاك (١٠٠ فدان فأكثر) معبرين

(١) أنظر ص ٢٩ من هذا البحث .

وأجانب لم يتجاوز ثلاثة آلاف أسرة (٢٧٤٠ أسرة) خلال الفترة من ١٩١٤ — ١٩٥٠ . ومعنى هذا أن الملكية الزراعية الكبيرة قد انحصرت وتركزت داخل هذا العدد الضئيل بالنسبة لمجموع المولدين (الملاك) على اختلاف ملكياتهم والذي لم يتجاوز عددهم خلال الفترة في المتوسط عن مليون ونصف مليون (٢٠٥٣٣٠٥٠) تقريباً . وتدفعنا هذه النتيجة إلى دراسة ظاهرة تركيز الملكية الزراعية في مصر من حيث العوامل التي أدت إليها والآثار التي انتهت إليها .

وترتبط دراسة ظاهرة تركيز الملكية في مصر بدراسة التطورات التي طرأت على المساحة الكلية المزروعة ، لعلاقة هذا بتحديد نسب الملكيات الكبيرة إلى المساحة الكلية ، على أنه يجب التنويه إلى أن دراستنا لتطور المساحة لن يكون إلا بالقدر الذي يفيد في إبراز ظاهرة التركيز فقط وليس دراسة الجانب الجغرافي في المسألة .

والجدول التالي^(١) يوضح تطور المساحة الكلية للأرض الزراعية في مصر خلال المدة من ١٩١٤ — ١٩٥٠ .

ويلاحظ بادىء ذي بدء أن الزيادة التي طرأت على المساحة خلال الفترة زيادة طفيفة بالقياس إلى طول الفترة الزمنية ، ففي خلال ٣٧ عاماً لم تزد الأرض الزراعية سوى ٦٧٨ ٥٠٤ فداناً من ٩٨٤ ٥٧٢ ٥٤٠ فدان في عام ١٩١٤ إلى ٦٦٢ ٩٦٢ ٥٨٥ فداناً في ١٩٥٠ ، بل أن ما يقرب من نصف هذه الزيادة وهو ٢٢٦ ٧٩٤ فداناً قد حدث خلال المدة من ١٩٢٥ إلى ١٩٣١ أى من ٥٠٦ ٥٩٨ ٥٨٥ فداناً في ١٩٢٥ إلى ٣٠٠ ٨٢٥ ٥٨٥ فداناً في عام ١٩٣١ وكانت هذه الزيادة نتيجة لمشروعات الصرف واستصلاح الأراضي في شمال الدلتا التي تمت خلال تلك الفترة .

وبطبيعة الحال فإن الزيادة في رقعة الأرض القابلة للزراعة كان يتبعه ارتفاع

(١) أعداد الإحصائية الشهرية الزراعية الاقتصادية التي تصدرها مصلحة الإحصاء بوزارة المالية ١٩١٤ — ١٩٥٠ . أنظر الجدول ص ٥٥

السنة	جملة المساحة بالفدان	السنة	جملة المساحة بالفدان
١٩١٤	٥٠٤٥٧٩٨٤*	١٩٣٣	٥٨١٨٣٩٠
١٩١٥	٥٤٥٧٠٩٦	١٩٣٤	٥٨٣٧١١٠
١٩١٦	٥٤٥٢٤٤٨	١٩٣٥	٥٨٣٦٩٥٩
١٩١٧	٥٤٨٦١٤٤	١٩٣٦	٥٨٣٦٩١٢
١٩١٨	٥٤٨٩١٢٤	١٩٣٧	٥٨٣٤٩٢٦٩
١٩١٩	٥٥١١٢٥٩	١٩٣٨	٥٨٣١٢٥٥٦
١٩٢٠	٥٥٣٥٣٥٢	١٩٣٩	٥٨٣٦٧٤٦
١٩٢١	٥٥٧٤٢٥٠	١٩٤٠	٥٨٤١٢٠١١
١٩٢٢	٥٥٩٥٧٠٧	١٩٤١	٥٨٤٤١٨٧
١٩٢٣	٥٥٩٧٩١٦	١٩٤٢	٥٨٥٧٢٥٥٦
١٩٢٤	٥٥٩٧٢٠٣	١٩٤٣	٥٨٥٩٨٩١
١٩٢٥	٥٥٩٨٢٥٠٦	١٩٤٤	٥٨٧٣٢٠٠
١٩٢٦	٥٦٢٧٢٥٠١	١٩٤٥	٥٨٨١٠٦٠
١٩٢٧	٥٦٦٨٧٧٧	١٩٤٦	٥٩٠٣١٩٣
١٩٢٨	٥٨٢٥٢٠٦٣	١٩٤٧	٥٩٢٢٢٠٤٣
١٩٢٩	٥٧٩٣٣٠٩	١٩٤٨	٥٩٣٨٢١٧
١٩٣٠	٥٧٩٠٢٠٥٠	١٩٤٩	٥٩٤٨١٣٤
١٩٣١	٥٨٢٥٣٠٠	١٩٥٠	٥٩٦٢٢٦٦٢
١٩٣٢	٥٨١٦٣٤٣		

في نسب الملاك الذين كانوا يقبلون على شراء تلك الأراضي ، وكان يتبعه أيضاً ارتفاع في الأجور وارتفاع في أثمان الأراضي^(١) وتركيز أكثر في الملكية .

(*) يذكر أمين سامي في تقويم النيل الجزء الأول ص ١٣٣ أن جملة المساحة

في ١٩١٤ هي : ٥٧١٢١٦٣ فدان .

(1) G. Baer, Op. Cit., P. 75.

والجدول التالي^(١) يوضح الملكيات أكثر من خمسين فداناً المصريين والأجانب من حيث نسبة عددهم إلى عدد المولدين بصفة عامة ونسبة ما يملكون إلى المساحة الكلية بصفة عامة :

ويوضح هذا الجدول مدى تركز الملكية الزراعية في أيدي كبار الملاك بل أن معدل نسبة الملكيات الكبيرة إلى إجمالي الملاك كانت تتأرجح بين ٠,٧٪ ، ٠,٦٪ إلى أن استقرت على ٠,٥٪ ابتداء من عام ١٩٣٠ وحتى نهاية الفترة .

ويلاحظ أن هذا التركيز الشديد (٠,٥٪) جاء في أعقاب زيادة مساحة الأرض الزراعية بعد إتمام مشروعات الإصلاح والصرف في شمال الدلتا مما يعني أن معظم تلك الأرض الجديدة المستصلحة ذهبت إلى أيدي كبار الملاك ، فلقد ارتفعت ملكياتهم بالنسبة لإجمالي المساحة من ٣٣,٩٪ في ١٩٢٥ إلى ٣٥,١٪ في ١٩٣٠

س ط

وكذلك ارتفع متوسط ما يملكه الفرد من ١٥١١٢١٦ فداناً في عام ١٩٢٥

س ط

إلى ١٩٠٨١٩١٣ فداناً في ١٩٣٠ . وإذا كانت نسبة الملكية قد انخفضت إلى ٣٣,٨٪ في عام ١٩٣٥ فقد جاء ذلك كنتيجة لأزمة الديون العقارية وقيام شركات الأراضي وبنوك الرهونات بتوقيع الحجز على بعض الأراضي وفاء للديون كما سيأتي ذكره في الفصل الثالث .

أما نسبة الملكيات الكبيرة الأجنبية إلى إجمالي الملاك الأجانب كانت ثابتة إلى حد كبير فهي في عام ١٩١٤ ١٩,٠٪ ، ٢٠,٢٪ في عام ١٩٢٠ ، ١٩,٣٪ في عام ١٩٢٥ ، ١٧,٧٪ في عام ١٩٣٠ ، ١٧,١٪ في عام ١٩٣٥ ، ثم بدأت في الانخفاض بعد ذلك في عام ١٩٤٠ حيث أصبحت ١٧٪ ثم أصبحت ١٦٪ في عام ١٩٥٠ .

(١) مصادر الجدول : النشرة الشهرية لبيان حالات محصول القطن المصري ، الإحصائية الشهرية الزراعية ، الإحصائية الشهرية الزراعية الاقتصادية . وكلها من إصدار مصلحة عموم الإحصاء بوزارة المالية (١٩١٤ - ١٩٥٠) .

أنظر الجدول ص ٥٧

متوسط ما يملكه الفرد	نسبة المساحة للمجموع الكلى. %	إجمالي المساحة	مساحة اللكيات الكبيرة بالقدان	نسبة كبار الملاك للمجموع الكلى. %	إجمالي الملاك	العدد	النوع	السنة
١٦١ ١٨ ١٢	٣٦٧	٤٧٦٣٠٨٨	١٧٤٥٦٧٣	٧	١٥٥٥٥٠٣	١٧٩١	مصريون	١٩١٤
٤١٣ ١٥ ٢٢	٩٣	٦٩٤٨٩٦	٤٤٦١٤١	١٩	٨٢٢٠	١٥٦٢	أجانب	
١٤٤ ٩ ٢١	٣٥١	٤٩٨٢٠٨١	١٧٤٧٠٧٩	٧	١٨٥٩٧٤٥	١٢٠٩٨	مصريون	١٩٢٠
٣٦٣ ١٩ ١٩	٩٣١	٥٥٣٢٧١	٥١٤٢٤٨	٢٠٢	٧٠١٦	١٤١٤	أجانب	
١٥١ ١٢ ١٦	٣٣٩	٥٠٤٧١١٣	١٧١٢١١٦	٦	٢٠٣٣١١٤	١٢٦٨	مصريون	١٩٢٥
٣٩٢ - ٤	٩٣١	٥٤٩٩٢٠	٥١١٩٦١	١٩٣	٦٧٧٤	١٣٠٦	أجانب	
١٥٨ ١٩ ١٣	٣٥١	٥٣٠٩٧٨٩	١٨٦١٢٢٠	٥٥	٢٢٠٤١٦٩	١١٧٢٢	مصريون	١٩٣٠
٤٠٧ ١٠ ٧	٩٢٧	٤٨٠٢٦١	٤٤٥٣١٩	١٧٧	٦١٧٢	١٠٩٣	أجانب	
١٥٩ ١٧ ٩	٣٣٨	٥٣٣٠٢٧١	١٨٠٣٠٧٦٠	٥٥	٢٣٥٨٧٩٧	١١٢٩٣	مصريون	١٩٣٥
٤٠٠ ١٥ ١	٩٢٢	٥٠٦٦٨٨	٤٦٧٠٥٣٢	١٧١	٦٨٠٧	١١٦٧	أجانب	
١٥٩ ٥ ٩	٣٣٦	٥٣٣٩٨٨٤	١٧٩٦٠٥٣	٥٥	٢٣٩٤٣٨٩	١١٢٨٠	مصريون	١٩٤٠
٤٠٠ ٢٣ ١٩	٩٢	٤٩٧٠٢٨	٤٥٧٥٣٠	١٧	٣٦٢٦	١١٤٠	أجانب	
١٥٩ ٢١ ١٨	٣٣٩	١٤٠٥٥٤٣	١٨٣١٥٦٩	٥٥	٢٤٣٣٦١٥	١١٤٥٤	مصريون	١٩٤٥
٣٩٤ ٢٢ ٩	٩١٨	٤٢٨٧٢٦	٣٩٣٧٤٨	١٦	٦٥٥٦	٩٩٧	أجانب	

ولعل هذا الانخفاض الملحوظ جاء في أعقاب عقد معاهدة ١٩٣٦ وتوقيع معاهدة مونتريه ١٩٣٧ بإلغاء الامتيازات الأجنبية وبدء مطالبة الوطنيين (الحزب الوطني) بوضع التشريعات بحظر تلك الأجانب ملكيات عقارية . ولعل هذا يلاحظ أيضاً من انخفاض المساحة المملوكة للأجانب بالنسبة لإجمالي المساحة من ٩٢,٢٪ في عام ١٩٣٥ إلى ٩٢٪ في عام ١٩٤٠ إلى ٩١,٨٪ في عام ١٩٥٠ .

إذن ، فتركز الملكية الزراعية في مصر ظاهرة تثبتها الإحصائيات ، وهذا يدعونا بالتالي إلى ضرورة التعرف على أسباب وعوامل نشوء هذه الظاهرة ..

ويرى علماء الاقتصاد أن التركيز الذي عرفه أسلوب الإنتاج في الرأسمالية الصناعية لم يعرفه الإنتاج الزراعي كثيراً لأن مزايا الإنتاج الكبير — القائم على التركيز — في الزراعة أقل منها في الصناعة ولهذا يجب التفرقة هنا بين الإستغلال والملكية فقد يكون هناك تركيز في الملكية لا يقابله تركيز في الإنتاج^(١) .

وعندنا أن المقصود بالتركز في الزراعة في مصر هو التركيز بمعناه الشامل في الملكية وفي الإنتاج عند الملكيات الكبيرة ، أما الملكيات الصغيرة والضيئلة فتندم فيها ظاهرة التركيز في الإنتاج حيث يقوم أصحابها باستغلالها بأنفسهم بعكس الملكيات الكبيرة التي يعتمد فيها الإنتاج والاستغلال على الغير بطرق الإيجار المختلفة وهو أوضح ما يكون في شركات الأراضي التي قامت أساساً على أسلوب الإنتاج الرأسمالي .

وتركز الملكية في مصر يعود إلى عدة عوامل إقتصادية واجتماعية وسياسية ، فشراء مساحات واسعة من الأرض للقيام فيها بعمليات الاستصلاح لم يكن ليقدر عليه إلا الأثرياء الذين كانوا يركزون استثماراتهم في هذا المجال بالدرجة الأولى ، فضلاً عن سهولة حصولهم على مختلف التسهيلات المالية من بنوك وشركات الأراضي مما مكنهم من توسيع رقعة ممتلكاتهم وتحسين تربتها وتجويد إنتاجها ، وهي مميزات

(١) عبد الحكيم الرفاعي ، المصدر السابق ص ٢٩٨ .

لم تكن في متناول محدودى الدخل ، بالإضافة إلى كثرة نفقات الإنتاج الزراعى الكبير التى أقعدت محدودى الدخل والثروة عن التوسع فى الملكيات (١).

وكان وجودهم فى أجهزة سلطة الحكم -- كما سيأتى ذكره -- عاملاً قوياً ساعد على التركيز فمن خلال السلطة حصلوا على أعلى نسبة من أراضى الدولة المباعة كما تقدم ، فضلاً عن التمتع بمزايا مختلفة كالتخفيض فى الضرائب المقدرة على أطيانهم والتسهيلات فى شئون الري والصرف والتسليف الزراعى ، هذا بالإضافة إلى موقف سلطة الاحتلال الإنجليزى من البداية فى مساندة كبار الملاك خاصة وأن نسبة لا يستهان بها من الأجانب كان يعد بالفعل من كبار الملاك على مستوى الأفراد أو المؤسسات المالية ، ولا شك أن الملكية الكبيرة كانت تضى على أصحابها مكانة إجتماعية مرموقة فكان هذا داعياً إلى تشبث أصحابها بها والحرص عليها من التفتت حتى أن أغلب الملكيات الموروثة كانت تترك على الشيوع بين أفراد العائلة الواحدة تحقيقاً لوحدة الملكية وإبرازاً لعلو شأن العائلة (٢).

ولقد أدى تركيز الملكية فى مصر إلى زيادة الطلب على الأرض فارتفعت القيمة الإيجارية لها ، وكلما زاد عدد السكان بنسبة أكبر من نسبة تزايد الأراضى الزراعية — وهذا ما يحدث فى مصر — كلما زاد الطلب على الأراضى الزراعية وارتفع القيمة الإيجارية أيضاً ، بالإضافة إلى أن تفضيل بعض كبار الملاك بما فيهم الحكومة طريقة زراعة المالك أدى إلى زيادة الطلب على الأرض مما رفع قيمة الإيجار حتى تتعادل كلفة العرض بالطلب إذ أن ارتفاع قيمة الإيجار يفرض كبار الملاك بالتأجير (٣).

ولو أن الملاك لم يحتكروا لأنفسهم كل المنفعة من الأرض الزراعية واشترك معهم فيها عدد آخر من الناس عن طريق تخفيض الإيجار ورفع أجر العامل الزراعى

(١) د. حسين خلاف ، التجديد فى الاقتصاد المصرى الحديث ص ١٠٩ — ١٠٧

(٢) نفسه ، ص ١٠٨ — ١٠٩

(٣) محمد فهمى لطيفة ، المصدر السابق ص ٤١٢

لكان في ذلك تخفيض للأثر الذى يحده تركيز الملكية ، ولكن الملاحظ مثلاً أن عدد الملاك لأكثر من ١٠٠ فدان في عام ١٩٣٩ كان يبلغ ٥٤٧٨ مالِكاً بينما بلغ عدد الحائزين (المؤجرين) في هذا المستوى ٦٧٩٧ حائزاً ، أى أن الفرق ضئيل وهذا يثبت تفضيل المالك الكبير لطريقة زراعة المالك تحقيقاً للربح الكبير مما يؤكد ظاهرة التركيز في مجال الزراعة في مصر (١) .

على أن جوانب الملكية الفردية في مصر قد اكتملت بتنظيم التسجيل العقارى على نسق النظام المتبع في أوروبا ، فقد صدر القانون رقم ١٨ لسنة ١٩٢٣ في ٢٦ يونيو بتعديل نصوص القانون المدنى الأهلى الخاص بالسجيل ، وفي نفس اليوم صدر القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٣ بتعديل نصوص القانون المدنى المختلط فيما يتعلق بالسجيل فأدى هذا إلى توثيق الملكية العقارية في مصر (٢) .

لقد عرضنا فيما سبق تحديد الملكية الكبيرة وأسس قيامها نظرياً واختلاف معاييرها من حيث المساحة أو أسلوب الإنتاج أو المركز الاجتماعى الذى تحقق لصاحبها ، ثم انتقلنا إلى تحديد الملكية الكبيرة في مصر وكيف أن عدم وجود تحديد رسمى لها ترك المجال مفتوحاً لاجتهادات الباحثين بل أن تحديد الملكية الصغيرة كان يتأرجح بين أقل من ثلاثين فداناً وخمسين فداناً حسب الظروف ، ورأينا أن نحدد ما بمائة فدان فأكثر معتمدين في هذا على أساس المساحة وقيمة الأرض التى تحددها الضرائب المقررة لأن ملكية خمسين فداناً جيدة تساوى مع ملكية مائة فدان غير جيدة من حيث إجمالى قيمة الضرائب المقررة على كل منهما ، ثم تعرضنا لشرائح الملكيات الكبيرة اجتماعياً بين مصريين وأجانب ومؤسسات مالية والحكومة ، وهو تقسيم كما لاحظنا يختلف عن تقسيم القرن التاسع عشر وذلك لاختلاف الظروف الاجتماعية .

(١) محمد السعيد محمد ، الاقتصاد الزراعى ص ٩٧ .

(٢) عزيز خانكي ، الملكية العقارية في مصر ص ٦٨ .

ولقد كان المصدر الرئيسي للملكيات الكبيرة في أغلب الأحيان هو الشراء سواء من أراضي الدولة أو من شركات الأراضي الأجنبية التي اشترت أراضيها هي الأخرى من الدولة . وذلك فيما عدا أسرة محمد علي التي كانت تحتكر ملكية الأرض منذ البداية ، وبعض كبار رجال الدولة والعربان الذين منحوا أراضيهم من السلطة الحاكمة في خلال القرن التاسع عشر . وفيما عدا حالات استثنائية أخرى تم فيها الحصول على الأرض بوضع اليد أو استناداً للسلطة أو البيع الوفاي ولو أنها كانت حالات خاصة بتوسيع الملكية أكثر منها تكون ملكية .

ومن خلال دراستنا لتطور الملكية وتطور مساحة الأراضي المزروعة يتضح أن الملكية الكبيرة تركزت في حوالي ٢٧٤٠ أسرة خلال الفترة ، وكان متوسط نسبة أفراد هذه الأسر إلى نسبة جميع الملاك تتراوح من ٧٪ ، ٦٪ ، ٥٪ . مما دال على وجود ظاهرة التركيز التي كانت ترجع إلى عوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية ساهمت جميعها في تكوين هذه الظاهرة في مصر . ورغم محاولة بعض الكتاب الفصل بين الاستغلال والملكية في مصر وذهابهم من وراء ذلك إلى أن انتشار الإيجارات يلغى ظاهرة التركيز بمعنى الاستغلال وجدنا أن الواقع يثبت الارتباط بين جناحي ظاهرة التركيز وهي الملكية والاستغلال لدى كبار الملاك على الأقل .

على أن الملكية الكبيرة لم تكن محصورة في أيدي أفراد أو شركات بل كانت الحكومة تعتبر مالكة كبيرة لا باعتبار المساحة التي كانت تضع يدها عليها بل لأنها كانت تقوم بنشاط اقتصادي ولها علاقات إنتاج داخل أراضيها .

الفصل الثاني

النشاط الاقتصادي لكبار الملاك

مر الاقتصاد المصري خلال الفترة من ١٩١٤ — ١٩٥٢ بمرحلتين كبيرتين من مراحل التطور الاقتصادي ، ويعتبر عام ١٩٣٠ حدا يكاد يكون فاصلا بين مرحلتين ، الأولى وتعرف بعصر سياسة التخصيص وحرية التجارة واستمرت حتى أول الثلاثينات حيث أخذت مكانها لسياسة جديدة من التدخل الحكومي والتوجيه الاقتصادي .

حقيقة أن هذا التقسيم الصق بالتطور الاقتصادي العالمي في بلاد أوروبا وأمريكا عنه في مصر ، إلا أن مصر ارتبطت بمراحل هذا التطور بطريقة أو بأخرى بسبب خضوعها للرأسمالية العالمية منذ منتصف القرن التاسع عشر بحيث كانت تتأثر باستمرار بعوامل الانتماء الاقتصادي وأزماته .

وعلى أية حال فلسنا هنا في مجال دراسة خصائص المرحلتين وإنما سنكتفي بتصوير الملامح العامة لكل منهما حتى نتعرف على الإطار العام الذي كان كبار الملاك يزاولون فيه نشاطهم الاقتصادي .

شهد الجزء الأخير من القرن التاسع عشر زيادة حجم التجارة الدولية كنتيجة للتخصص وتقسيم العمل الذى كان أهم خصائص الاقتصاد الدولى آنذاك ، وقد تأثرت مصر بدورها بسياسة التخصص هذه على أثر الاحتلال الانجليزى (١٨٨٢) حيث تميزت الفترة حتى عام ١٩١٤ بالتوسع فى الزراعة وزيادة حجم رأس المال المستثمر فى مشروعات الرى الكبرى ، وإنشاء شبكة من الترع ، ومد شبكة من الخطوط الحديدية ، بينما بقيت الصناعة بدائية تسد المطالب البسيطة لسكان المدن وظل الاعتماد على الخارج فيما يتعلق بالإنتاج الصناعى . وكانت الزراعة وخاصة زراعة القطن هى مجال التخصص الرئيسى للإنتاج فى مصر خلال هذا العصر ولقد تعرضت سياسة التخصص هذه لنقد شديد يتلخص فى أنها أضرت بمصالح مصر وإنها كانت موجهة لتحقيق مصالح إنجلترا لإستخدام الفائض الذى يتحقق من تجارة القطن فى دفع أقساط وفوائد الديون . . . الخ على أن ما يضعف من قيمة هذا النقد أنه تم بعزل عن الظروف الاقتصادية القائمة آنذاك ، فمثلا كان التخصص فى زراعة القطن مبعثا للميزة النسبية التى يتمتع بها ، ففدان القطن كان يدر ربحا ضعف ما يدره فدان القمح فلا ضرر إذن فى أن تزرع مصر القطن للتصدير وتستورد القمح والحاصلات الأخرى حتى ولو كانت نفقة إنتاج مصر للقمح أقل من الدول المصدرة له مادام الربح العائد من إستخدام عوامل الإنتاج أعلى فى القطن عنه فى حالة القمح ، فضلا عن أن القطن هو أنسب الحاصلات فى ظل الظروف التى كانت سائدة ، من حيث ندرة الأرض ورأس المال ، كما أن قيام صناعة قطنية لم يكن ممكنا قبل عام ١٩٢٩ للقيود التى كان الاقتصاد المصرى مقيدا بها بمقتضى المعاهدات الدولية التى كانت تحول بين مصر وبين حماية هذه الصناعة الناشئة (١) .

على أن عصر التخصص هذا لم يأخذ شكله الكامل والطبيعى فى مصر كما هو الحال بالنسبة لما كان سائدا فى دول التخصص وحرية التجارة . فالمعروف أن الدولة فى إطار هذا النظام تقوم فقط بدور « الحارس الليلى » تاركة النشاط الاقتصادى لحرية الفرد ومؤسساته ولم يكن هذا موجودا فى مصر . حقيقة كانت

(١) جمال الدين محمد سعيد ، التطور الاقتصادى فى مصر منذ السكساد العالمى

هناك بعض الصور النموذجية لهذا النظام في مصر مثل عدم وجود قيود على انتقال رؤوس الأموال عبر حدودها وبعدم وجود ضرائب على الدخل أو الثروات باستثناء الضرائب العقارية وبحرية أسواقها للتعامل في الأرض والعمل ، إلا أن الزراعة في حوض النيل كانت تتطلب إشرافا قويا مركزيا على نظام الري قبل كل شيء ، كما أن قلة رؤوس الأموال في أيدي الأفراد بصفة عامة دفع الحكومة إلى ارتياد ميدان المشروعات العامة مثل السكك الحديدية والقناطر والموانئ . . الأمر الذي جعل الدولة تحتفظ في حياة مصر الاقتصادية بمكانة عالية ، وإن مالت إلى التناقص ، وهي مكانة لا توجد عادة في البلاد التي تسير على نظام الاقتصاد الحر^(١) . فضلا عن أن الفسكّر الديني الإسلامي السائد يعطى الدولة نقلا هاما عملا بالمبدأ القائل « اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » خاصة وأنه لم يحدث انفصال بين الدين والسياسة كما حدث في أوروبا بالنسبة للدين المسيحي فالحاكم في النظام الإسلامي يمثل السلطين الدينية والزمنية .

على أية حال لقد أخلّى عصر التخصص مكانه لمرحلة جديدة بدأت مع الأزمة العالمية (١٩٢٩ - ١٩٣٠) وبدأ العالم يتخلى عن سياسة الحرية الاقتصادية التي أخذت تنحسر بدورها في مصر وتخلي مكانها لسياسة جديدة تقوم على وضع القيود والتنظيمات المختلفة في التبادل الدولي ، فقرضت الحكومة في مصر حماية جمركية وأحدثت تغييرا في شكل الإنتاج من حيث قيام عدد لا بأس به من الصناعات وبدأت تتدخل تدخلا مباشرا في الشؤون الاقتصادية^(٢) . ولو أن هذا التحول في مصر قد صادف انتهاء أجل الإتفاقيات الدولية (١٧ فبراير ١٩٢٩) التي أوعدت مصر عن حماية إنتاجها الداخلي وجعلتها سوقا للإنتاج الخارجي .

ولقد كانت لهذا التحول في مصر أسباب محلية بدأت بذورها خلال الحرب

(١) باتريك أوبريان . ثورة النظام الاقتصادي في مصر من المشروعات الخاصة إلى الاشتراكية . ص ٦٥ .

(٢) محمد عبد العزيز عجمية ، دراسات في التطور الاقتصادي . ص ٢٢٣ .

العالية الأولى ونشؤ الحاجة للإشراف على الإنتاج لمعالجة الازمات الاقتصادية وزادت مع الأزمات المالية في العشرينات حتى الثلاثينات والتي كانت مصر تتأثر بها بشكل أو بآخر ، فضلا عن أن انتقال سلطة الإدارة والسياسة إلى أيدي المصريين بعد عام ١٩٢٢ مهما كان ضعيفا ، كان مشجعا للوزارات المختلفة على توجيه الاقتصاد المحلى بقصد التنمية وحماية المواطنين من بعض النتائج الضارة للمشروعات الخاصة (١) .

ومع هذا ظلت الزراعة هى الشكل الرئيسى للإنتاج حتى بعد زوال عصر التخصص ، الأمر الذى جعل الاقتصاد المصرى فى نواح كثيرة تابعا لغيره من اقتصاديات الدولة المتكاملة يتأثر بما يحدث فى الخارج رخاء أو كسادا (٢) . هذا وأن كان الإنتاج الزراعى قد نما نموا ملحوظا فى ظل حماية الإنتاج المحلى بواسطة تدخل الدولة ، فقبل سنة ١٩٣٠ لم تكن هناك حماية جمركية وكل ما كان موجودا هو منع استيراد القطن مثلا وجاءت تعريفة ١٩٣٠ لتحمى الإنتاج الزراعى والصناعى فأدى هذا إلى زيادة إنتاج القمح مثلا (٣) .

فى ظل هذا الوضع الاقتصادى مارس كبار الملاك نشاطهم الاقتصادى فيما يتعلق باستغلال وإدارة أراضيهم الزراعية ، ويلاحظ أن شكل الاستغلال الذى لجأ إليه المالك الكبير هو أنه كان يجمع بين أراضى يملكها وأخرى قد يستأجرها حيث يقوم باستغلالها اعتمادا على الإيدى العاملة ، أو قد يؤجر جزءا من أرضه للغير ، وبهذا قد يصل الإستغلال الزراعى لدى المالك الكبير إلى مرتبة المشروع الرأسمالى حيث يقوم الاستغلال على أسس حديثة من إستخدام الآلات والمعدات وإنتاج نفس أساليب الشركات الرأسمالية التى تستثمر أموالها فى مجال الزراعة (٤) .

(١) باتريك أوبريان ، المصدر السابق . ص ٦٧ .

(٢) نفسه ، ص ٦٨ .

(٣) عبد المنعم الطنامل ، تطور الاقتصاد الزراعى المصرى خلال الخمسين سنة

الآخيرة . ص ١٠٢ .

(٤) زكريا أحمد نصر ، المصدر السابق . ص ١٣٠ .

وبهذا الأسلوب في الاستغلال تبعد الملكية الزراعية عن نطاقها التقليدي الذي يدور حول الارتباط بالأرض وتكوين العائلة المحتفظة بشخصيتها المستقلة قبل الاتجاه بها إلى التوسع المالي (١).

إن المحور الأساسي الذي كان يدور حوله استغلال كبار الملاك لأراضيهم هو الإيجار ، وهذا أثر من آثار تركيز الملكية ، فكلما تقدم ، يؤدي التركيز إلى رفع قيمة الإيجار كنتيجة لزيادة الطلب على الأرض مما أغرى كبار الملاك بالإصراف عن زراعة أراضيهم على الزمة وتأجيرها أو زراعتها بالمشراكة ، أما لعدم تفرغهم للزراعة بسبب هجرتهم للمدينة أو خوفاً من إخطار الزراعة وتخاصم متاعبها ، وهذا الميل وأن كان قديماً إلا أنه أخذ في الازدياد منذ بدايات القرن العشرين حتى بلغ درجة كبيرة بعد الحرب العالمية الأولى (٢).

وقد لاحظ الخبراء أن انتشار نظام الإيجار في أراضي كبار الملاك يؤدي إلى ضعف عوامل الخصوبة في التربة وعدوا ذلك من البديهيات لأن المستأجر وهو لا يجمعه بالأرض رابطة أبدية يجد أن كل إصلاح يبذله للأرض عائد لا محالة على غيره ومن ثم فهو يرهق التربة إرهاقاً شديداً ويضن عليها بعناصر الإصلاح والتجديد المستمر (٣).

ولم يكن الإيجار ، كوسيلة أساسية من وسائل الاستغلال ، قاصراً على أراضي ومزارع كبار الملاك بل كان محوراً أساسياً أيضاً في استغلال الحكومة لأراضيها الواقعة تحت إدارتها ، ففي عام ١٩٢٦ مثلاً بلغ إيجار الأملاك الأميرية ٤٤١٠٠٠ جنيه سنوياً في مختلف الجهات من أطيان التفاتيش إلى أطيان الجزائر إلى أراضي

(١) خليل سري ، المصدر السابق ص ١٠ .

(٢) أحمد علي ، المصدر السابق ص ٤ حيث نبه إلى أن الإيجار أن لم يكن تمهيداً لنقل الملكية من المالك إلى المستأجر فإنه يكون آفة شديدة الخطورة تهدد الثروة المقاربية الزراعية بالدمار .

(٣) خليل سري ، المصدر السابق ص ٩٦ .

المنافع العمومية^(١). كذلك كان الحال بوزارة الأوقاف التي أعلنت أن قاعدتها في استغلال أراضيها هي التأجير « ولا تعدل عن هذه الطريقة إلا في الأطنان الضعيفة »^(٢) ، وكانت تفضل في البداية تأجير أراضيها في صفقات كبيرة لكبار المستأجرين ، ولما رأت أن ذلك قد أوجد طبقة من الوسطاء تقوم بتأجير الأرض منها وتأجيرها لصغار المزارعين ، بدأت تفكر في التأجير لصغار المزارعين في شكل صفقات صغيرة المساحة^(٣) حتى بلغت في ١٩٣٠ على سبيل المثال ٦٥٣٣١ فداناً بعد أن كانت ٥١٤٩٤ فداناً في عام ١٩٢٧ ومع هذا ظلت الأرض المؤجرة لكبار المستأجرين كبيرة إذ كانت في عام ١٩٣٠ حوالي ١٠٧٤٧٠ فداناً^(٤) ، بل أن الوزارة أجرت أراضي كانت تستغلها بعرقها بالفعل لما في طريقة الإيجار من فوائد وابتعاداً عن كثير من المشاكل ، من ذلك أراضي تقتيش المطاعنة مركز أسنا وقدره ٣١٧٤ فداناً حيث أجرته لشركة السكر بإيجار سنوى قدره ١٥٠٣٥ جنيهها (الفدان ٧٥٠ قرشاً)^(٥) .

إذن فالإيجار الذى لجأ إليه كبار الملاك كوسيلة رئيسية في استغلال أراضيهم قد يؤدى إلى إضفاف خصوبة التربة .

إذا انتقلنا إلى الدورة الزراعية التي كان يقبها كبار الملاك في أراضيهم وجدنا أنها كانت مجهدة للتربة إلى حد كبير ، ورغم وجود فرضية تقول أن المالك الكبير هو أقدر الملاك على أتباع أفضل الدورات الزراعية في صالح التربة إذ أن مركزه المالى يساعده على تبوير أجزاء من أرضه أو تركها شراقى لمدة معينة مع قدرته على إطالة مدى تعقيب الزراعات المجهدة فيها^(٦) — رغم هذا فإن الواقع

(١) مجلس النواب ، ١٧/٧/١٩٢٦ .

(٢) نفسه ، ٨/٩/١٩٢٦ .

(٣) نفسه ، ٣/٧/١٩٢٧ .

(٤) نفسه ، ٢٩/٤/١٩٣٠ .

(٥) نفسه ، ٨/٨/١٩٢٦ ، ٣/٧/١٩٢٧ .

(٦) محمد فهمى لطيطه ، المصدر السابق . ص ٣٩٣

العملى خالف ذلك ، فهدف الملك الكبير ، كأي راسمالى ، الحصول على أعلى الأرباح بأقل التكاليف وخاصة فى أوقات الأزمات المالية التى يتعرض لها ، مثل الوفاء بديونه للبنوك العقارية لضمان مورد مالى يغطى مثل هذه المطالب ، وقد فرض عليه هذا الهدف القيام بزراعة المحاصيل التى لها أسواق كبيرة إقليمية أو عالمية أو محاصيل الإنتاج الأفقى (اعتماداً على المساحة الواسعة) المعروفة بالمحاصيل الرئيسية من الفصيلة النجيلية والليفيه التى ترأس الدورة الزراعية فى معظم تلك الأراضى لأن الربح يتوقف على مدى الانقلاص من نفقات الإنتاج أكثر من توقفه على سعر السوق ، وقد أدى هذا فى الوقت نفسه إلى تضيق مدى إتساع تلك الدورات نظراً لعدم وجود مجال كبير لساثر المحاصيل الأخرى فيتقارب بذلك مدى تردد تلك المحاصيل فى الأرض الواحدة ، فقلل هذا كله من شأن الدورة الزراعية وأضعف من عناصر خصوبة التربة . ولما كان القطن من المحاصيل التى تلائم المزارع الكبيرة لطول مدة بقائه بالأرض وما يتطلبه من مصاريف كبيرة نسبياً فى الخدمة والرى فكثيراً ما لجأ كبار الملاك إلى زراعته السنة بعد الأخرى فى نفس الأرض ، وخاصة فى سنوات ارتفاع سعره ، سواء فى ذلك الأرض المزروعة على الدمة أو المؤجرة من كبار الملاك اصغار المزارعين لأن المستأجر الذى يتعاقد لسنة إيجارية واحدة يبدل جهده للحصول على أعلى ربح ممكن من هذه السنة الأمر الذى كان يدفع بالمستأجرين دائماً إلى التوسع فى المساحة القطنية مما أدى فى النهاية إلى تدهور وهبوط خصوبة التربة لأن القطن من المحاصيل المجهدة للأرض إجهاداً شديداً (١) .

ولا بد أن تدخل الدولة لتنظيم الدورة الزراعية كان مبعثه الهبوط المستمر فى درجة خصوبة التربة وهذا ما كان واضحاً من تقرير وزارة الزراعة إلى مجلس النواب بشأن المطالبة بتطبيق الدورة الزراعية الثلاثية وأبطال ما عداها من الدورات (٢) .

(١) خليل سرى ، المصدر السابق . ص ٦٥ — ٦٦ . أنظر أيضاً محمد فهمى

لهيطة ، المصدر السابق ص ٣٩٣ — ٣٩٤ .

(٢) مجلس النواب ، ١٩٢٦م/٨ .

وعندما أصدرت الدولة قانون الدورة الزراعية الثلاثية منذ ٢٢ سبتمبر ١٩١٤ لم يؤد إلى نتائج إيجابية لأنه إجاز احتساب الأراضي البور الداخلة في زمام المالك ضمن الأراضي المزروعة الجائز زرع ثلث مساحتها قطنا فاحتسبت بذلك المحاجر والمباني وأراضي الحدائق والنخيل مما جعل قانون الثلث قانونا للنصف في بعض الأحوال ، وحتى التعديل الذي أجرى على هذا القانون بالقانون رقم ١١٢ لسنة ١٩٣١ لم يؤد إلى نتيجة إيجابية أيضاً ، لأنه قسم الأرض التي تحتسب على الزمام القطني إلى قسمين : قسم لا يدخل في حساب المساحة وهو جميع الأراضي البور أي التي لا تزرع حتى ولو كانت صالحة للزراعة ، وقسم يدخل في حساب المساحة وهو جميع المساقى والمصارف والجسور والحدائق والنخيل وأراضي المباني وهذا ما أضعف تطبيق الدورة (١) .

وتشياً مع أهداف كبار الملاك في الحصول على أعلى الأرباح سمعوا إلى توفير كل الضمانات ولو على حساب صغار المزارعين ، فمن المسائل الفنية في استغلال أراضي الحياض ضرورة التبريد بدخول مياه الفيضان إليها حتى يمكن إفادة التربة بطمي النيل ، وقد كان المعتاد قبل ادخال زراعة القطن في أراضي الحياض أن تطلق مياه الفيضان حوالي ١٠ أغسطس من كل عام ، فلما دخل القطن في الحياض وجد مجالا كبيراً في أراضي كبار الملاك ولذلك سمعوا سعيًا حثيثاً لتأخير إطلاق المياه في أرض الحياض حيث يكون محصول القطن ما يزال في الأرض ولم يجن بعد ، فأدى هذا إلى حرمان الأرض من المزايا التي كانت تتمتع بها من قبل فأصابها الضعف سنة بعد أخرى .

ولقد أوضح وزير الأشغال في عام ١٩٣٠ هذه المسألة بقوله :

« أن هذه الحالة (حالة تأخير دخول المياه في أراضي الحياض) أصبحت مضرّة جداً بالثروة العمومية لأنه بينما يسعد الأغنياء وأصحاب الآلات الارتوازية بما يجنونه من أثمان القطن والحبوب التي تزرع بعدها مع تسميدها بالسماد السكافي وأعطاها المياه السكافية من آبار ارتوازية فإن أصحاب الأراضي الواقعة في الحياض

(١) خليل سري ، المصدر السابق . ص ٩١ — ٩٣ .

والتي لا تصل إليها مياه تلك الآبار والتي لا تسمد لعدم وجود مياه لربها يشكون من اضمحلال أراضيهم وإحمال محاصيلهم بسبب حرمان الأراضي من طمى النيل مدة الفيضان من جهة ومن حرمانها أيضاً من التشبع بالمياه الراكدة من جهة أخرى فلا تتجمع في جوف الطبقة الأرضية المياه الكافية لإمداد النباتات الشتوية بالرطوبة مدة نموها كما كان يحصل مدة الري النيل القديم التي كانت المياه تمكث فيها على الأرض مدة لا تقل عن الأربعين يوماً (١) .

ورغم اعتقاد علماء الاقتصاد الزراعي بأن المالك الكبير يستطيع إتباع الطرق الحديثة في الإنتاج بالحفاظ على التربة وتجربة كل اكتشاف جديد للوصول إلى أحسن نتائج الاستغلال (٢) ، إلا أن وسائل الاستغلال التي إستخدامها كبار الملاك في مصر من حيث التأجير ونظام الدورات الزراعية أدى إلى إجهاد التربة وإفقادها نسبة كبيرة من الخصوبة — كما تقدم — بحيث جاء مستوى إنتاج أراضيهم أقل من المستوى العام . ويوضح الجدول التالي (٣) مستوى محصول القطن في مزارع كبار الملاك النموذجية مقارنا بمستوى المحصول العام :

(١) مذكرة وزير الأشغال (محمد شفيق باشا) إلى اللجنة التشريعية بوزارة الأشغال في ٢٩/١١/١٩٣٠ (الفلاحة ، السنة العاشرة ص ٢٠٤) ثم أورد الجدول التالي ببيان تاريخ دخول المياه أرض الحياض وتاريخ صرفها :

تفتيش رى	مساحة أراضي الحياض بالعمدان	تاريخ دخول المياه بالحياض	تاريخ الصرف
قسم خامس	٢٩٨٥٨٨	١٠ أغسطس - ١٢ أغسطس	١٥ أكتوبر - ٩ نوفمبر
جرجا	٤٠٣٩٩	١٧ سبتمبر - ٢٧ سبتمبر	٤ « ٧ »
أسيوط	١٩٦٩٦٠	٥ سبتمبر - ٣٠ سبتمبر	٣٠ نوفمبر - ٧ ديسمبر
قسم رابع	١٠٨٢٤٥	١٠ « ٢٨ »	٣٠ « ٧ »
الجيزة	٥١٤١١	٥ « ١٥ » نوفمبر	٥ « ٢٨ » نوفمبر

(٢) عبد القى غنام ، المصدر السابق ، ص ٢ ، أنظر أيضاً عبد الحكيم رفاعى ، المصدر السابق . ص ٢٤٠ .

(٣) قسم الاحصاء بوزارة الزراعة (خليل سرى ، المصدر السابق . ص ١٠٩)

المديرية	الصف	المركز	محصول كبار الملاك بالقطار	المتوسط العام للمحصول بالقطار
البحيرة	جيزه ٧	شبراخيت	٤	٤٢٩
البحيرة	جيزه ٧	الحمودية	٣٦٢	٣٥٨
البحيرة	جيزه ٧	أبو حمص	٢٤١	٣٣٣
»	»	الدلتا	٣٣٦	٣٢١
الغربية	سكلاريدس	شربين	٢٩٧	٣١٨
الشرقية	معرض	كفر صقر	٣٥٤	٤٣٣
»	»	منيا القمح	٥٦٠	٥٦٠
»	»	ههيا	٣٤٩	٤٧٥
المنيا	أشموني	مغاغة	٤١٢	٦٠٨
المنيا	أشموني	المنيا	٥٤٠	٧٢٢
المنيا	أشموني	بني مزار	٤٠٣	٦٤٤
»	»	أبو قرقاص	٨٢٧	٨٠٣

ولقد كانت إحدى وسائل كبار الملاك للحصول على أعلى الأرباح بأقل التكاليف هو الإقبال على شراء الأراضي الضعيفة التي تحت الإصلاح لأنها لا تحتاج في معظم الحالات إلا إلى نفقات قليلة لاختصاصها بحيث كان ربيع رأس المال المستثمر فيها أعلى نسبيا من ربيع رؤوس الأموال المستثمرة في الأراضي القوية المستصلحة حيث يقومون بزراعتها بالفل والسوداني والتمس والبرسيم والشعير والبطيخ . . . الخ (١) ، مما جعل كبار الملاك يشتهرون بتقليد سياسة الإصلاح في مصر لأنهم بأموالهم اكثفوا من غيرهم على استصلاح الأرض البور .

(١) عبد الفتى غنام ، المصدر السابق ص ١٢٣ .

ولقد حاول كبار الملاك أباحة زراعة الدخان في مصر كغلة نقدية تحقق أرباحاً عالية ولكن الجهود التي بذلوها اصطدمت بصخرة الامتيازات الأجنبية رغم تعاون الحكومة دائماً بأنها تدرس المشروعات الخاصة بذلك وتقيم التجارب على أيدي خبراء أجانب استقدمتهم لذلك الغرض (١) .

وكما معنى كبار الملاك إلى احتضان أفضل طرق الربح الكبير بالتكاليف القليلة بصرف النظر عن نتائج ذلك بالنسبة لأدوات الإنتاج فقد بذلوا جهدهم لتقليل من نفقات الإنتاج وخاصة في جانب التمويل ، فكان إنشاء بنك التسليف الزراعي تلبية لرغبتهم كذلك كانت محاولة إلغاء ضريبة القطن وضرائب الأقطان وتخفيض أجور النقل بالسكك الحديدية وتدخل الحكومة في تسوية الديون العقارية على نحو ما سيأتي ذكره ، إلى محاولة الإقلال من بعض المعاملات المصرفية وأجور التأمين على القطن من حيث كبسه وشحنه وهو ما أثير في المؤتمر الزراعي الأول عام ١٩٣٦ (٢) .

ولا شك أن مسئوليات كبار الملاك فيما يتعلق باستغلال الأرض وأضعاف التربة كما تقدم يرجع في جزء منه ، بالإضافة إلى هدف الربح — إلى أحجامهم عن الاهتمام بخبرات خريجي مدارس وكليات الزراعة فكانوا يفضلون عليهم « الذين حذفوا الزراعة بالوراثة حتى لا يدفعوا المرتبات المناسبة » (٣) ، وساهم في ابتعاد هؤلاء المتخصصين اعتياد كبار الملاك على معاملة مستخدميهم بشيء من الزهو والتعالي وهو ما كان يرفضه أصحاب الشهادات بطبيعة الحال ، فضلاً عن رفض كبار

(١) مجلس النواب ١٩٢٤/٥/٢٦ ، ١٩٣٠/٢/٢٦ .

(٢) أحمد عبد الوهاب ، السياسة الزراعية (بحث مقدم للمؤتمر الزراعي الأول

١٩٣٦) .

(٣) المقطم، ١٩٣٩/١١/٣ — حديث لفؤاد أباطة باشا، السياسة ١٩٢٩/١١/٢٨

(الزراعيون في مصر وحقوقهم المهضومة في الأعمال الحكومية والحرية . بقلم مصطفى الحكمانى) ، المجلة الزراعية المصرية فبراير ١٩٣٩ .

الملاك دائماً لكل ما هو جديد رحديث في أساليب الإنتاج وتفضيل السير على سنة السلف الموروثة (١) .

على أن الحال كان يختلف إلى حد ما في مزارع أمراء الأسرة المالكة حيث توجد الدائرة بما تشتمله من مكاتب الإدارة والمحاسبة وناظر الزراعة الذي يمثل المالك في أرضه من حيث القسوة على الفلاحين لإستخراج أفضل النتائج (٢) .

ولقد تسبب اعتماد كبار الملاك على هذا النوع من الموهنين وعدم استعانتهم بالفنيين المتخصصين إلى تفاقم إصابة محصول القطن بالدودة في كثير من الأحيان لأن الحولة الذين يقومون بهذا العمل لا يقدرون المسئولية تمام التقدير بل كثيراً ما كانوا يتواطئون مع مقاولي الأنقار حتى تستمر أعمال المقاومة ، فيكسب المقاول ويقسم الربح مع الحولى على حساب المحصول وهكذا (٣) .

* * *

ويتصل بنظام استقلال المالك الكبير لأرضه أسلوبه في التصرف في المحصول ، والملاحظ في هذا أن المالك الكبير ظل يقوم بدور المنتج فقط ، فهو ينتج المحصول للبيع لا للتصنيع ومن هنا وقع تحت سيطرة التجارة وسيطرة أصحاب المصانع ، وهذا

(١) مصطفى أمين الفسكهاني ، المزارع الواسعة في مصر والطرق العقيمة المتبعة في إدارتها (السياسة ١٧/١٠/١٩٢٩) حيث يذكر نماذج من سوء معاملة كبار الملاك لموظفيهم . أنظر أيضاً ما ذكره مصطفى الفسكهاني من أن كبار المزارع في رحلاتهم للخارج لا يحاولون الاستفادة من نظام المزارع هناك (السياسة ٣/٤/١٩٢٩) .

(٢) هنري عيروط ، الفلاحون ص ٣٢ ، أنظر أيضاً عزيز خانكي ، خاطرات تاريخية ص ٣ حيث يصف المزرعة الملكية بإنفاص وما فيها من وسائل وادوات إنتاج حديثه ،

(٣) المقطم ، ١٩/٧/١٩٤٩ من حديث الدكتور محمد علي السكياني وكيل وزارة الزراعة .

يفسر الحملات الشديدة التي انتشرت في صحافة الفترة على أسعار المحاصيل وخاصة القطن وفرض أسعار محددة طبقاً للسوق العالمية مما جعل المنتجين يجأرون بالشكوى مراراً ويرفعون شكاياتهم والتماساتهم لأولياء الأمر من الوزراء والملوك دون جدوى. وإذا كان المزارع الصغير يجد صعوبات حمة ويتعرض لمناورات البيع وطرقه المختلفة في البورصة لارغامه في النهاية على بيع محصوله بائخس الأتمان^(١) ، فإن المالك الكبير كان أفضل حالا فهو ينتظر فروق الأسعار العالمية ولا يتعرض لمشاكل هذه الضغوط في كثير من الأحوال لأنه يبيع محصوله (القطن) بيعاً عاجلاً بالزاد العلني حيث يحدد موعد جلسة المزاد ومكانها وكمية القطن المراد بيعها ، مع ذكر صفه ومكان خرنه وذلك بالصحف قبل موعد الجلسة بوقت كاف للمعانة ، وبشرط المالك الكبير في الإعلان أن يدفع الراغب في الشراء تأميناً قدره ١٠ ٪ وللمالك — كدأى إعلان للمزاد — الحق في قبول أو رفض أى عطاء بدون إبداء الأسباب^(٢) ، وحتى إذا لجأ المالك الكبير إلى بيع محصوله بالكثيرات أى التعاقد مع الوسطاء فهو يجد تسهيلات أيضاً بمكس المالك الصغير لأن التاجر يتعاقد معه بالثقة في مركزه المالي^(٣) ، أى أنه في أى الأحوال يستطيع تصريف إنتاجه بسهولة عن المالك الصغير .



بهذه الأساليب التي كان يتبعها كبار الملاك في إستغلال وإدارة الأرض تحققت لهم الأرباح وأسباب الثروة والجاء . حقيقة أنهم كانوا دائمى الشكوى من إرتفاع تكاليف ونفقات الإنتاج حتى لم تحل أى صحيفة يومية أو أسبوعية طوال الفترة ، فضلاً عما كان يدور في البرلمان من بيان ضخامة التكاليف والنفقات التي يتحملها

(١) أنظر تفاصيل الطرق العديدة لبيع المحصول في البورصة في ، محمد السعيد محمد المصدر السابق ص ٢٦٣ — ٢٦٨ ، عبد الفتى غنام ، المصدر السابق ص ٢٣١
(٢) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق ص ٢٦٤ ، أنظر أيضاً عبد الفتى غنام ، المصدر السابق ص ٢٣٢ .

(٣) المقطم ١١/٤/١٩٢٦ .

المنتج ، إلا أن الملاحظ بصفة عامة أن هذه الشكاوى كانت تتم بمعزل عن الظروف الاقتصادية المتغيرة يوماً بعد يوم ، فهم في العشرينات كانوا يقيسون تكاليف الإنتاج بأسعار ما قبل الحرب العالمية الأولى وهم في الثلاثينات كانوا يقيسونها بأسعار ما قبل الأزمة العالمية ، وكذلك الحال في الأربعينات تقاس بالنسبة للثلاثينات وهكذا ، أى أن نظرتهم نظرة جزئية من زاوية المصاحبة الخاصة ، وليس في هذا ما يعيبهم فهم أصحاب مصاحبة على أى حال ، هذا في الوقت الذى كانت فيه أسعار البيع وقيمة الإيجار تتغير أيضاً تبعاً لتغير التكلفة بحيث كان الربح في جانبهم على الدوام .

وليس من شأن هذه الدراسة تتبع الأسعار القياسية للتكاليف والبيع سنة بعد أخرى ولكن يكفى القول أن نفقات زراعة ثلاثة فدادين دورة ثلاثية (ذرة بعد قمح وقطن بعد يرسيم وذرة بعد يرسيم) في عام ١٩١٤ هو ٣٦٩٨ ج (شاملة الإيجار وقدره ٢١٠٠ ج) وإن ثمن محصولها يبلغ ٥٦١٠ ج فيكون صافي الربح ١٩١٢ - للمستأجر وللمالك ١٢٠٤ ج الذى يزرع على الذمة . وإن صافي الربح في عام ١٩١٧ للمستأجر يبلغ ٣٩٨٤ ج وللمالك ٦٩٨٤ ج ، بينما بلغت نفقات زراعة فدان واحد ذرة في عام ١٩١٨ مبلغ ١٧٣١٠ ج (شاملة الإيجار وقدره ستة جنيهات نصف سنة) . وبلغ ثمن محصوله ٢٠٧٥٠ (١٠ أردب × ٢٠٠ قرش للأردب + ٥ حمل × ١٥ قرش للحمل = ٢٠٧٥٠ ج) فيكون صافي الربح للمستأجر ٣٤٤٠ وللمالك ٩٤٤٠ (١) ، أما في العشرينات فقد بلغت نفقات زراعة فدان قطن حوالى ٨٨٣ وبلغ ثمن محصوله ٢١ ج (٣ ١/٢ قنطار × ٦ ج) فيصبح صافي الربح ١٣٨٣ ج (٢) ، وفي ١٩١٩ مثلاً بلغ إيراد الفدان من البصل ٣٠٠ ج

(١) F. O, 848/4/3903 : March 6. 1918.

(٢) المقطم ١٩٢٦/٧/٦ ، أنظر أيضاً : يوسف نحاس ، جهود النقابة الزراعية المصرية العامة في ثلاثين عاماً . ص ٢١ - ٢٢ . وحول شكاوى الملاك أنظر في المقطم ١٩٣١/٨/٢٩ (ملاك الأراضي الزراعية وفلاحوها بقلم عبد العزيز مليكة الحامى) المقطم ١٩٣٠/١٠/٩ (زراعة القطن وربحها بعد الضرائب والتكاليف بقلم الفريد شماس) . المقطم ١٩٤١/٥/٢٩ (الفلاح وأسعار القمح بقلم جابر موسى عمدة بردنوها) المقطم ١٩٤٦/١٠/١٩ .

حتى أن بعض الملاك طلبوا من المستأجرين ترك محصول سنسنة في مقابل تملك الأرض لهم (١) .

حقيقة أن المالك كان يتحمل كثير من صنوف وأنواع الضرائب التي بلغت في بعض الأحيان ثلاثة جنيهات عن الفدان الواحد (٢) ولكن هذا لا يعنى أن الخسارة كانت في جانبهم بقدر ما كانت في جانب المستأجر فما بالك بالمالك الكبير .

ويمكننا تقدير مدى الربح الذى يحصل عليه كبار الملاك إذا عرفنا أن رأس المال المطلوب لمزرعة مساحتها ٤٥٠ فدان تزرع القطن في دورة ثلاثية هو ١٢٥١٢٥ ر ٥٤٨٥ ج (٣١٧٠٢٥٠ تقاوى، ٥٦١ ج سماء، ٦٤٢٠٠ عمال خطريه، ١٢٧٣٠٠ مستخدمين وعمال تملية، ٨٨٧ ر ٤٢٠ عليه، ٢٢٥ جنيهها مصاريف نثرية، ٦٧٥ جنيهها ضريبة أطيان، ١٠٠ ج استهلاك وصيانة الآلات، ٢٠ جنيهها استهلاك مواشى، ١٥٠ جنيهها استهلاك مباني وصيانة، ١٠٠ جنيهه استهلاك مهمات وأدوات) وأن إيراداتها تبلغ ٧٩٣٧٥٠٠ ج (إيراد الفدان الواحد ١٧٠٦٣٨ ج بدون خصم المصاريف) فيكون صافى الربح للمزرعة ١٩٨٨٥١٣٤٥ ج . أما إذا كانت تزرع القصب كمحصول رئيسى فيكون جملة الإيرادات ١٠٦٣١٥٠٠ ج (إيراد الفدان الواحد ٢٣٠٦٢٥ ج بدون خصم المصاريف) فيكون صافى الربح للمزرعة ٦١٤٥٩٨٨ جنيهها (٣) .

أما رأس المال المطلوب لمزرعة مساحتها ١٠٠ فدان أرض رملية وتزرع دورة ثنائية (فول سودانى . ترمس . شعير . ذرة رفيعة) (٥٤٧٨٠٠ ج (٣٤١٠٠ ج تقاوى، ١٣٢ جنيهها سماء، ١٦٨ جنيهها موظفون وعمال تملية، ١٠٠ جنيهه خطرية بما فى ذلك تقاوة دودة، ٦٣٧٠٠ ج عليه جافة وبرسيم ودريس، ٥٠ جنيهها

(١) عبد الفتى غنام، المصدر السابق ص ٤٤ .

(٢) مجلس النواب، ١٩٢٦/٩/١٤ .

(٣) عبد الفتى غنام، المصدر السابق ص ٥٢١-٥٢٥، ٥٣٦-٥٣٧ .

أمـوال أميرية) وتبلغ إيراداتها ٦٢٢٥٠٠ ج فيكون صافي الربح هو ٧٤٧٠٠ (١) .

وأهل أبرز دليل على مدى الربح الذي كان يحصل عليه كبار الملاك من الاستغلال الزراعى أن متوسط الدخل السنوى للفرد الذى يملك من ١٠٠ فدان — ٢٠٠ فدان بلغ في عام ١٩٤٦/١٩٤٧ — ١٠٥ جنيهها ، ولمن يملك من ٢٠٠ فدان — ٥٠٠ فدان ١٠٩٤١ جنيهها ولمن يملك أكثر من ٥٠٠ فدان ٤٦٦٩٢ جنيهها ، وهذا فى الوقت الذى بلغ فيه متوسط الدخل لمن يملك أقل من فدان ٢٨ جنيهها ، ١٥٠ جنيهها لمن يملك خمسة أفدنه (٢) .

* * *

بعد أن فرغنا من دراسة نظام استغلال كبار الملاك للأرض من حيث الإيجار والدورة الزراعية التى كانوا يتبعونها ، ننتقل إلى مجالات استثماراتهم .

كان إقتناء المزيد من الأرض أحد مجالات الاستثمار الرئيسية التى كان كبار الملاك ينفقون فيها أرباحهم الناتجة من استغلال الأرض بحيث كانت الأرض قد أصبحت سلعة تباع وتشترى لا لتوسيع رقعة الملكية فقط ولكن بهدف الربح أيضاً وذلك بالاستفادة من ارتفاع وانخفاض قيمة الأرض ، وإن تسبب هذا النوع من الاستثمار فى وقوع بعض الملاك أسرى شركات الاراضى وبنوك الرهن العقارية وهم أولئك الذين كانوا يشترون الأرض بالتقسيط من إحدى شركات الأراضى اعتماداً على ارتفاع قيمة المحاصيل التى يتسدد منها الأقساط ، فى سنة معينة ثم يفاجئون بانخفاض قيمتها (أى المحاصيل) فى السنوات التالية ، الأمر الذى يعجزهم عن الوفاء بالأقساط فى مواعيدها فتعرض أراضهم الجديدة والقديمة على حد سواء لخطر

(١) عبد الفى غنام ، المصدر السابق . ص ٥٣٥ — ٥٤٢ .

(٢) الفرقة التجارية المصرية لمحافظة الإسكندرية ، التطور الاقتصادى

فى مصر .

يتم في المزادات المختلفة التي كانت هذه الشركات تقيمها^(١) .
وقد يكون من المفيد أن نعرض هنا بعض نماذج اكبار الملاك الذين جملوا
من الأرض سلعة تباع وتشترى بهدف الربح ، فمحمد باشا الشريعى يشتري ويبيع
في ناحية سمالوط المنيا خلال المدة من ١٩١٢ - ١٩٢٩ على الوجه التالى (٢) :

التاريخ	الحالة	المساحة	التاريخ	الحالة	المساحة
س ط ف			س ط ف		
١٩١٢/٨/١٠	اشترى	١٦ ٥ ١٧	١٩١٧/٦/١٠	»	— ٦ —
١٩١٢/١٢/١٤	باع	١٦ ١٠ ٨	١٩١٧/٦/١٧	»	١٤ ٩ ٣
١٩١٣/١١/١٦	اشترى	٢٠ ٢ ١	١٩١٧/١٠/٣٠	»	— ١١ ٢
١٩١٤/٤/١٠	»	١٢ ٣ —	١٩١٨/٢/٢٠	اشترى	١٢ ١٨ ١
١٩١٤/٤/٢٤	»	— ٨ —	١٩١٩/٣/١١	»	٢٠ ٩ ٧٥
١٩١٥/٥/٤	»	— ١ —	»	»	— ١٢ ٩
١٩١٦/٩/٣٠	باع	— ٣ —	»	»	٢٠ ١١ ١٤
١٩١٦/٩/٣٠	باع	٨ ٢١ ١	١٩٢٠/٢/١	اشترى	— ١٩ ٣٦
١٩١٦/١٠/٣١	»	١٢ ٩ —	١٩٢٠/٨/١١	»	٢ ٢ ٢
١٩١٧/١/٢٢	»	٤ ٢٣ ٧	١٩٢٠/١٠/٦	»	— ١ ١٢
١٩١٧/٥/٣٠	»	١٤ ١٠ ٤	١٩٢٠/١/٢٤	»	— ٦ ١٨

(1) A. E. Crouchley, The econcomec Oevelopment of Modern Egypt. p. 190.

أنظر أيضاً : حسين خلاف ، المصدر السابق ص ١١٠ وكذلك :

MurrayHarris. Egypt under The Egyptian, P. 147

حيث يذكر أن أول ما يفعله المالك بعد حصوله على أرباحه هو شراء عربة
ماركة فورد وبناء عربة وشراء أرض جديدة .

(٢) مكلفة ناحية سمالوط مركز سمالوط المنيا المدة ١٩١٢ - ١٩٢٦ (دار
المحفوظات المصرية) .

التاريخ	الحالة	المساحة	التاريخ	الحالة	المساحة
س ط ف			س ط ف		
١٩٢١/١/٩	»	٢ — —	١٩٢٣/٥/٢٨	اشترى	٦ ٤ —
١٩٢١/١/٣١	»	١ ٢٢ —	١٩٢٣/١٢/١٧	باع	١٤ ١٨ ٣
١٩٢١/٢/٢١	باع	١٦ ٤ —	١٩٢٤/٥/٣	»	— ١ ١
١٩٢١/٢/٢٢	اشترى	١٦ ١٤ ٤	١٩٢٤/٦/١٧	»	— ١٤ ٤
١٩٢١/٣/١٧	»	— ١٦ —	١٩٢٤/٨/١٨	»	١٦ ٧ ٣
١٩٢١/٤/٢٠	»	— ٣ ١١	١٩٢٤/١٢/٢	»	— ٨ —
١٩٢١/١٢/١	»	٨ ٦ —	١٩٢٥/١/١٤	اشترى	— ٦ —
			١٩٣٥/٣/٢٢	باع	١٢ ٢١ ٢٩
١٩٢٢/٥/٩	باع	— — ١	١٩٢٦/٧/٢٨	اشترى	١٨ ٨ ٢
١٩٢٢/١٢/٢٠	اشترى	١٢ ١ ٢	١٩٢٧/٨/٤	باع	١٤ ١٦ ٣
١٩٢٣/١/٣٠	باع	٢ ٣ ١	١٩٢٨/٦/٧	»	٢ ١٣ ٢٣
١٩٢٣/٥/١٢	»	— ١٢ —	١٩٢٨/١٠/١٥	»	١٢ ٢٣ ٤
»	اشترى	١٦ ٤ —	١٩٢٩/١١/١٦	»	٦ ١ ٣٢

كذلك نجد أن صالح الموم بك السمدى يبيع ويشترى في ناحية البسلقون بالمنيا خلال المدة من ١٩١٢ — ١٩٢٤ كما يلي (١) :

(١) تكلفة ناحية السلقون مركز العدو المنيا المدة من ١٩١٢ — ١٩٢٦
(دار المحفوظات المصرية) .

التاريخ	الحالة	المساحة	التاريخ	الحالة	المساحة
١٩١٥ / ٥ / ١٦	اشترى	— ١٧ ١	١٩١٨ / ١ / ٢٨	اشترى	٢٠ ١٤ ٦
١٩١٥ / ١٠ / ٢٨	»	— ٧ —	»	»	٨ ١٢ ٤١
١٩١٥ / ١٢ / ٢١	»	١٢ ٢ —	١٩١٨ / ٢ / ٢٣	»	١٢ ١٤ —
١٩١٦ / ٦ / ٧	»	— ٧ —	١٩١٨ / ٨ / ٣١	باع	٨ ٣ ١٢
١٩١٦ / ٩ / ٢٥	»	— ٥ —	١٩١٨ / ١٠ / ١٩	»	— ١٨ —
١٩١٦ / ١٠ / ١٥	»	— ٥ —	١٩١٩ / ١ / ١	»	— ١ —
١٩١٦ / ١٢ / ١٣	»	— ١ —	١٩١٩ / ٦ / ١١	»	١٦ ٤ ١
١٩١٦ / ١٢ / ١٣	باع	— ١ —	١٩١٩ / ٧ / ٥	اشترى	— ٦ ١
١٩١٧ / ٢ / ١٨	اشترى	— ١٢ —	١٩١٩ / ٧ / ٢٩	باع	٤ ٥ —
١٩١٧ / ٩ / ١٠	»	— ٤ ١	١٩٢٣ / ٥ / ١٥	»	— ٣ —
١٩١٧ / ١١ / ٨	»	٨ ١٣ —	١٩٢٤ / ٢ / ٢٨	»	— ٣ ١

أما حمد البازل فقد كان يبيع ويشترى في ناحية تطون بالفيوم خلال المدة من
١٩١٦ — ١٩٢٦ كما يلي (١) :

(١) تكلفة ناحية تطون مركز أطسا الفيوم المدة من ١٩٠٧ — ١٩٣٠
دار المحفوظات المصرية .

التاريخ	الحالة	المساحة	التاريخ	الحالة	المساحة
س ط ف			س ط ف		
١٢ ٤ —	باع	١٩٢٠ / ٦ / ١٢	١٢ ٨ —	باع	١٩١٦ / ١١ / ٢٧
٢٠ ١٤ —	»	١٩٢٠ / ٧ / ١١	١٨ ١٨ —	اشترى	»
١٨ ٢٢ —	»	١٩٢١ / ٤ / ١١	١ ١٥ —	باع	١٩١٧ / ٤ / ٤
١١ ١٢ ١٨	»	١٩٢١ / ٤ / ٢٧	٧ ١٢ —	اشترى	١٩١٧ / ٥ / ١٩
٢ ٤ ٨	اشترى	١٩٢١ / ٥ / ٢٥	٣ — —	باع	»
١٨ ١٢ —	باع	١٩٢٢ / ١١ / ٢٥	١ ٨ ٢	اشترى	١٩١٨ / ١ / ١٥
١ ٢ ٨	»	١٩٢٢ / ١٢ / ٢٨	١٢ ١٨ —	باع	١٩١٨ / ١ / ٢٣
٤ ٢ —	»	١٩٢٣ / ٢ / ٢١	٢ ٦ —	»	١٩١٨ / ٢ / ٩
١٧ — —	»	١٩٢٣ / ٦ / ١٧	٤ ١٥ ١٤	»	١٩١٨ / ٤ / ١٣
٣ — —	»	١٩٢٣ / ٧ / ١	— ٢١ —	»	١٩١٨ / ٤ / ٣٠
١٢ ٢٠ —	»	١٩٢٣ / ٩ / ١٢	— ٦ —	»	١٩١٨ / ٦ / ٤
١٧ ١٤ ١٦	»	١٩٢٤ / ١ / ٣	٢ ٦ —	»	١٩١٨ / ٦ / ١٩
١ — —	»	١٩٢٤ / ١ / ١٢	٣ ١١ ١٦	»	١٩١٨ / ٦ / ١٩
٢ ٨ ٢٢	»	١٩٢٤ / ٥ / ١	٦ ٢٣ ٢	»	١٩١٨ / ٧ / ٣
٥ ١١ ١٠	»	١٩٢٤ / ٦ / ١٢	— ١٥ ١٦	»	١٩١٨ / ١٢ / ٢٤
— ١٩ ٢٠	»	١٩٢٤ / ١٢ / ٢٢	٣ ٤ ١٢	»	١٩١٩ / ٢ / ٢٣
— ٥ ١٠	»	١٩٢٤ / ١٠ / ١٨	٧ ١٢ ٢٠	»	١٩١٩ / ٧ / ٢٤
— ١١ ١٤	»	١٩٢٤ / ١١ / ١٢	١ ٧ ١٤	»	١٩١٩ / ١١ / ١١
٣ ٢١ ٢٠	»	١٩٢٦ / ١٠ / ٢١	١ ٥ —	»	١٩١٩ / ١٢ / ٢٤

نموذج آخر من هذه النماذج وهو حسن رشدى باشا الذى كان يبيع ويشترى
بناحية بيا بى سوف خلال المدة من ١٩١٥ — ١٩٢٥ كما يلى :

(١) مكلفة ناحية بيا مرسى سوف المدة ١٩١٢ — ١٩٣٩ (دار المحفوظات المصرية)

التاريخ	الحالة	المساحة	التاريخ	الحالة	المساحة
		س ط ف			س ط ف
١٩١٥ / ٦ / ٩	باع	٢٠ ٩ ٨	١٩١٨ / ٨ / ٢	اشترى	١٨ ١ —
١٩١٥ / ٧ / ٦	اشترى	٨ ١٣ ٢٩	١٩١٨ / ٨ / ٢	باع	١٢ ٩ —
١٩١٥ / ١٠ / ٦	باع	١٦ ١١ —	١٩١٨ / ٨ / ٢٣	اشترى	١٠ ١٠ ٣٤
١٩١٦ / ٢ / ١٢	اشترى	٢ ١٧ ٣	١٩١٨ / ٩ / ١٢	باع	٢٠ — ١
١٩١٦ / ٨ / ٦	»	١٢ ١١ —	١٩٢٠ / ١١ / ٢٨	اشترى	١٧ ٢ —
١٩١٧ / ٢ / ١٢	»	٨ ٢ ١	١٩٢٠ / ٦ / ٥	باع	٦ — ١١٢
»	باع	٨ ٢ ١	١٩٢٠ / ٧ / ٢١	اشترى	١٠ ١٦ —
١٩١٧ / ٦ / ١١	اشترى	١٢ ٤ ٣	١٩٢٠ / ١١ / ٢٨	باع	٢ ١٩ —
١٩١٧ / ٧ / ٢٨	باع	١٦ ٩ —	١٩٢١ / ٢ / ٢٠	اشترى	٦ ٣ ١١٣
١٩١٧ / ٧ / ٢٧	اشترى	— ٤ ١	١٩٢٣ / ١٠ / ١٤	»	٤ ٤ ١
١٩١٧ / ٨ / ١٣	»	١٢ ٤ —	١٩٢٣ / ١١ / ١٥	»	— ٦ —
١٩١٨ / ١ / ٣١	باع	١٦ — ١	١٩٢٤ / ٣ / ٣	»	١٢ ١ —
»	اشترى	— ١ ٤	١٩٢٥ / ٣ / ١٨	باع	٢٢ ٩ ١٠٤
١٩١٨ / ٣ / ٢٠	»	— ١١ —	»	»	٦ ١٠ ٩
١٩١٨ / ٧ / ١٣	»	— ٨ —			

كذلك نجد أن إبراهيم محمد بايع ويشتري في ناحية الفشو البحري بالبحيرة خلال الدة من ١٩١٦ — ١٩٢٨ كما يلي (١).

التاريخ	الحالة	المساحة	التاريخ	الحالة	المساحة
		س ط ف			س ط ف
١٩٢٠ / ٦ / ٧	اشترى	٤ ٢٢ ٢٧	١٩٢٧ / ٨ / ٢٤	اشترى	٨ — ٢
١٩٢٠ / ١١ / ٢	»	٤ ٢٢ ٥٣	١٩٢٨ / ٨ / ٢٩	باع	١٠ — —
١٩٢٤ / ٤ / ٢٢	باع	٤ ٢٢ ٢٧			

(١) مكافئة ناحية الفشو البحري مركز كفر الدوار بحيرة الدة من ١٩١٦ — ١٩٢٨
(دار الحفوظات المصرية)

ويلاحظ من هذه النماذج التقارب الشديد بين تواريخ البيع والشراء مما يثبت إلى حد كبير أن الأرض كانت سلعة تباع وتشترى بأسلوب رأسمالي بحث يهدف إلى الربح .

أما شركات الأراضي الأجنبية فقد كانت وظيفتها الأساسية هي بيع وشراء الأرض وأن وجدت بينها اختلافات بسيطة في طرق التعامل مع الأرض . وتأتى شركة أراضي البحيرة في مقدمة هذه الشركات التي بلغ مجموع ما باعتها من الأرض حوالى مائة ألف فدان فقد كانت وظيفتها الأساسية إصلاح الأرض وإعداد وسائل الري والصرف المختلفة بها ثم بيعها في أقطاعات كبيرة لكبار الملاك أو تقوم بتأجيرها قطعا صغيرة للفلاحين حيث يجهز كل فلاح القنوات الفرعية الخاصة بأرضه ، فإذا رغب الفلاح في شرائها يقوم بدفع عربون معين بسيط إلى حد ما ثم يدفع للشركة جزءا من أرباحه وهو عادة أعلى من قيمة الإيجار السنوى . وبعد دفع ثلث ($\frac{1}{3}$) المبلغ المتفق عليه بهذه الطريقة يصبح في استطاعته تسجيل الأرض باسمه على أن يدفع باقى الثمن على أقساط سنوية ما بين عشرون أو خمسة وعشرين عاما ، ومعظم شركات الأراضي التي كانت موجودة في مصر آنذاك كانت تتعامل بمثل هذه الوسائل في بيع وشراء الأرض (١) .

* * *

إذا انتقلنا إلى دراسة المجالات الأخرى التي كان كبار الملاك يستثمرون فيها أموالهم بمسند الأرض ، وجدنا أنهم لم يوجهوا عناية كبيرة للإنتاج الصناعي (٢) وفضلوا عليه النشاط التجارى ، حتى عام ١٩٤٧ كان جزء من مدخرات هؤلاء الملاك يودع في البنوك التجارية التي كانت في حقيقتها فروعا لبنوك عالمية . وبهذا كان هؤلاء الملاك يساهمون في تنمية مختلف القطاعات في الخارج لا في مصر باعتبار أن هذه البنوك توظف الجزء الأكبر من أرباحها في الخارج . حقيقة أن ظاهرة تسرب الأموال المصرية إلى الخارج قد خفت بعد عام ١٩٤٧ إلا أن مساهمة كبار

(1) G. Baer, op. Cit, . P. 127 — 128

(٢) حسين خلاف ، المصدر السابق ص ١١٠

الملاك في مجالات التنمية الداخلية كانت تتوقف على مدى إقبالهم على هذا النوع من الاستثمار (١) .

وليس من المعروف على وجه الدقة أسباب أحجام كبار الملاك عن استثمار أموالهم في مجالات الإنتاج الأخرى وخاصة الصناعة، ولكن إذا طرقتنا باب الاجتهاد وجدنا أكثر من احتمال . فربما يكون السبب أنهم وجدوا الأجانب قد سبقوهم إلى هذه المجالات وبرزوا فيها بل وسيطروا ومن ثم خشيتهن عن عدم القدرة على المنافسة ، وهنا تقع مسؤولية الامتيازات الأجنبية التي منحت الأجانب فرص العمل والاستثمار في الميادين المختلفة . وربما كان السبب في أصول الشريعة الإسلامية التي كانت تحرم الربا تحريماً تاماً ، وكان الثابت في الأذهان لدى البعض آنذاك أن فوائد المال من الاستثمار في البنوك أو الشركات تعادل الربا تماماً . ويذكر كروتشلي (٢) أنه حدث نوع من التسامح والمرونة في تفسير الفرق بين الربا والفوائد بمناسبة افتتاح ، مكتب البريد في ١٩٠١ حين أفتى مفتي الديار المصرية بأن إيداع الأموال في هذا المكتب لا يتناقض مع الشريعة الإسلامية ، وعلى هذا الأساس جعل من حق المودع المسلم ، أن يسمح لمدير البنك بأن يستخدم أمواله فيما لا يتناقض مع الشريعة الإسلامية . ومع هذه التحفظات لوحظ أن أحد التقارير السنوية للبنك يشير إلى وجود مبلغ ١٢٠ ١٤٤ رجباً منها مصرياً مودعاً بدون فوائد كطلب صاحبه ، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى زاد الإقبال على إيداع الأموال في البنوك .

وربما كان السبب، في التكوين الثقافي لدى كبار الملاك وافتقارهم روح المغامرة بأموالهم في المشروعات الصناعية والتجارية فطبيعة هذه المشروعات تتطلب قدراً كبيراً من المغامرة بعكس التعامل مع الأرض .

الحقيقة أن كل هذه الاحتمالات تكمل بعضها بعضاً ولا نستطيع تغليب واحد

(١) عبد المنعم الطنامل ، المصدر السابق ص ١٠٨

(2) A. E. Crouchley, The Investment of Foreign Capital in Egyptian Companies and Public debt p 91 - 92

على الآخر حتى إذا ثبتت صحته دون غيره وأن كنت أرجح احتمال فقدان روح المفامرة لدى هؤلاء الملاك فالثابت — وهذا ما يدعو للدهشة — أن كبار الملاك أحجموا حتى عن المشروعات التي كانت تتضمن حلا لمشكلة تسويق القطن عماد الثروة الأساسى سواء بمحاولة تصديره بمعرفتهم دون وساطة الأجانب أو بمحاولة تصنيعه (غزل ونسيج) بإنشاء الشركات الصناعية اللازمة حتى لقد نجح صوت الذين دعوا إلى ذلك شطرا كبيرا من الزمان ولم تتحقق إلا نتائج جزئية .

ومن ناحية أخرى فهذه النداءات تثبت إلى حد كبير عدم اكتراث كبار الملاك بالمشروعات الصناعية والتجارية رغم ما تقدمه من حلول لمشكلاتهم الاقتصادية (١) .

ويمكن تلخيص أهداف هذه النداءات والدعوات فيما يلي :

أولا : إنشاء بنك زراعى بأموال كبار الملاك وبتشجيع أمراء الأسرة المالكة من محبي المشاريع الوطنية مثل الأمراء : محمد على ، حسين كامل ، عمر طوسون ، فؤاد (٢) . أو شراء أسهم البنوك خاصة بعد نزول أسعارها خلال الازمة العالمية وبهذا يتم استهلاك ديون الزراع لدى هذه البنوك الأجنبية (٣) ، واتخاذ إنشاء بنك مصر انطلاقة نحو الدخول في هذا المجال وعدم التسرع في منح الامتيازات للأجانب في مثل هذه المجالات (٤) .

(١) مجلس النواب ١٨/٥/١٩٣٣ حيث أشار النائب عبدالعزيز نظمى إلى احجام الاغنياء عن تقديم رؤوس الاموال لتأسيس الشركات اللازمة بدلا من الشركات الاجنبية .

(٢) الاهالى ، ١٩١٤/١ حيث طالب السكاتب باشتراك كبار الملاك في هذا المشروع مثل عمر سلطان ، ادريس راغب ، محمد الشريمى ، ابراهيم مراد ، ابراهيم سعيد ، حسين واصف وغيرهم من المالىين الزراعيين .

(٣) توفيق بحرى ، الثروة المصرية وكيف تصان (المقطم ١١/١٠/١٩٢٩) .

(٤) السياسة ، ١٩٢٩/٢/٧ ، المقطم ١٨/١/١٩٢٣ .

ثانياً : إنشاء مصانع للفزل والنسيج لتصنيع القطن وبيعها خيوطاً أو نسيجاً وبهذا يتم التخلص من شروط المصانع الأوربية التي تعتمد على القطن المصرى فى صناعة المنسوجات ، وهذه الدعوة أخذت أشكالاً مختلفة ، ومن المهم أن نعرض لبعضها . فقد طلب أحدهم (١) من كبار الملاك تكوين شركة تحت رعاية السلطان حسين تنشئ مصنعا بالقاهرة والآخر بالإسكندرية لفزل القطن وفى ذلك فائدتين : الأولى تصريف محصول القطن والأخرى الاستفادة من الأرباح الناتجة من التصنيع . كما دعت النقابة الزراعية — وما أكثر ما دعت — كبار الملاك إلى التدخل عن إيداع أموالهم فى البيوت والبنوك بلا فوائد ، والقيام بإنشاء المنازل والأنوال لأن هذا طريق الاستثمار الاقتصادى الصحيح (٢) .

ودعا آخر (٣) إلى إنشاء شركة مساهمة تسمى «شركة الدفاع عن القطن المصرى» رأس مالها من أموال المنتجين المصريين أو بأموال ضريبة القطن التى تتنازل عنها الحكومة لمدة خمس سنوات ، على أن تستثمر هذه الأموال فى إنشاء مصانع الفزل والنسيج التى تستهلك الجزء الأكبر من المحصول .

وطالب آخر (٤) بإيقاف ضريبة القطن لمدة عشر سنوات وبأموالها يتم إنشاء بنك يسمى «بنك نقابات التعاون الزراعية وإنشاء المنازل» بحيث يعين لكل مزارع أسهما فيه بنسبة الضريبة التى تجبى على قطنه وبذلك يكون ما أخذ من الضريبة على القطن قد استعمل فى مصلحة القطن .

(١) المقطم ١٨/٥/١٩١٥ ، السياسة ٢٤/١٠/١٩٢٩ (اقتراحات مشابهة) .

(٢) المقطم ١١/٦/١٩٢٥ — من كلمة مصطفى ماهر رئيس النقابة الزراعية العامة .

(٣) السكان أبسخرون ، الدفاع عن القطن ووجوب تعاون الأمة (المقطم ١١/٦/١٩٢٥ ، ٧/١١/١٩٢٦) .

(٤) ناجى عبد اللطيف فايد ، تشجيع صناعات الفزل والنسيج فى مصر (المقطم ٦/٩/١٩٢٦) .

وهناك من اقترح تأسيس شركة مساهمة برأس مال قدره أربعة ملايين من الجنيهات تقسم إلى مليون سهم قيمة كل سهم أربعة جنيهات على أن تقرضها الحكومة نصف مليون جنيه سلفة لمدة خمس سنوات بدون فوائد ويمكن لمن لا يستطيع شراء الأسهم بأموال يقدم بدلا عنها إقطانا ويكون من شأن الشركة التسليف على القطن بفائدة لا تزيد على ٥ ٪ وشراء أقطان صغار الفلاحين وإنشاء معامل الغزل والنسيج وإرسال إحصائيين إلى أوروبا للبحث عن أسواق لتصريف القطن (١) .

واقترح آخر بأن يصدر مرسوم ملغى بفرض ضريبة خمسة قروش على كل فدان لمدة سنتين أو ثلاثة سنوات لمن يملك خمسين فداناً فأكثر من المصريين في مقابل أسهم مالية ، كما تطرح أسهم أخرى للاكتتاب العام الاختياري ويحظر بيع الأسهم لغير المصريين (٢) .

ورأى البعض أن استثمار الأموال في إنشاء المصانع أجدى وأنتفع من شراء الأراضي وخاصة بالنسبة لإبناء المدن الذين يستطيعون العمل في الشركات والمصانع وفي هذا حماية للشباب « من الإندفاع في طريق المبادئ المتطرفة شديدة الخطر (٣) » .

ويلاحظ أن أغلب هذه الآراء تتضمن اعتماداً كبيراً على معونة الحكومة من حيث تقديم إعانات مالية كسلفة أو إلغاء ضريبة القطن وفي هذا ما يشير إلى فقدان كبار الملاك لروح المخاطرة في مثل هذه الميادين .

(١) المقطم ، ١٠/٢٤/١٩٢٦ . اقترح من أحمد رشدي الجزار نائب شمين الكوم ووكيل بنك مصر ورئيس الفرقة التجارية بها .

(٢) المقطم ، ١٥/١٢/١٩٢٦ .

(٣) السياسة ، ٢٩/٧/١٩٢٦ مقال بعنوان « واجب الأغنياء والحكومة اتقاء الخطر قبل وقوعه » بدون توقيع .

ورغم هذا الحماس الشديد — ولو أنه لم يتعد سطور الجرائد أو أحاديث
المنتديات — نجد أن جريدة المقطم التي فتحت باب المناقشات في هذه الموضوعات
تقول أن تصدير القطن منسوجا بدلا من تصديره خاما لا يغير المشكلة ، وتأسيس
صناعات قطنية ، رغم أهميته للبلاد ، إلا أنه يستغرق زمنا طويلا ، ومن ثم فإن
العلاج الأمثل هو العمل على زيادة متوسط محصول القطن في جميع الفلات وتحسين
الإنتاج وبهذا لا تجد مصر من ينافسها ^(١) . ولقد أغفل « المقطم » هنا أن تحسين
الإنتاج وزيادة الغلة يتطلب تغيير واستبدال أدوات الإنتاج القديمة بأخرى حديثة
وهذا — كما رأينا — لم يكن ليقبل عليه المنتج المصري بسهولة بل أن إدخال أدوات
إنتاج جديدة يحتم رفع ثمن المحصول فيجعل تسويقه صعبا بل وأشد صعوبة مما
هو كائن .

ثالثاً — العمل على تصدير القطن بمعرفة المنتج المصري دون وساطة الأجانب
وقد حملت لواء هذه الدعوة النقابة الزراعية المصرية العامة التي كونت بالفعل لجنة
من أعضائها لدراسة مشروع لتأسيس « شركة أهلية نقابية من المزارعين لتتولى
تصدير أقطانهم » ^(٢) ، بل أن جريدة « السياسة » دعت النقابة لتؤسس « شركة
مساهمة لتجارة القطن » والاتصال بالأسواق الخارجية عن طريق مندوبين بأسواق
ليفربول ونيو اورليانز ^(٣) .

رابعاً — ألاكثر من زراعة غلات أخرى غير القطن والأكثر من زراعة
الفواكه ، وتصنيع الإنتاج الزراعي مثل صناعة الصلصة وعمل المربات وسائر
المعلبات ^(٤) ، والاهتمام بزراعة قصب السكر كغلة نقدية بديلة عن القطن . وحتى

(١) المقطم ١٩٢٩/٤/٧ (الافتتاحية) .

(٢) جلسة مجلس إدارة النقابة الزراعية المصرية العامة في ١٩٢٣/٥/٥ (يوسف

نحاس المصدر السابق . ص ١٠٧) .

(٣) السياسة ، ١٩٢٦/١٠/١٤ .

(٤) المصدر السابق ، ١٩٢٧/٩/١٩ .

يقبل المزارع على زراعته يجب أن توفر له الضمانات الكافية كأن تضيف الحكومة نصف نصيبها الذي تتقاضاه من شركة السكر إلى أسعار القصب الحالية حتى يرتفع ثمنه وإنشاء مصنع آخر لعصر القصب في منطقة متوسطة مثل مغاغة على أن تضع الحكومة في اعتبارها تصدير كميات كبيرة من السكر (١) .

إلى أى حد نجحت هذه الدعوات في تشجيع كبار الملاك على تكوين الشركات الصناعية والتجارية ؟ لعل في استعراض الشركات التي أسسها أو ساهم في تأسيسها هؤلاء ما يجيب على هذا التساؤل . .

المعروف أن تأسيس بنك مصر في عام ١٩٢٠ يعد منعطفاً أساسياً في استثمارات كبار الملاك في غير مجال الأرض حيث شارك فيه ولأول مرة جمع كبير من كبار الملاك وكان نشاطهم قبل ذلك نشاطاً فردياً . فمثلاً كانت لبشرى وسينوت حنا تجارة واسعة في الأقطان (٢) ، كذلك كان محمد الشناوى يملك في المنصورة مطاحن للدقيق ومكابس للحلاوة ومضارب للأرز ومصانع لأعمال الحدادة والتجارة وكلها مجهزة على الطرز الحديثة آنذاك (٣) .

وفي أغسطس ١٩١٩ تأسست أول شركة مصرية لتصدير القطن برأسمال قدره خمسون ألف جنيه بألف سهم قيمة كل سهم خمسون جنيهاً امتلك معظمها أمين باشا يحيى ، وأحمد بك يوسف الجبال ، إذ كان للأول ثلثمائة سهم (١٥٠٠٠ جنيه) وكان للثاني ٥٢٠ سهماً (٢٦٠٠٠ جنيهه) وقد أجرت الشركة الاتصالات مع معامل القزل والنسيج في إيطاليا وفرنسا وإنجلترا وألمانيا والنمسا وتركيا حيث كانت لبنت « الجبال » اتصالات واسعة بهذه البلاد منذ خمسين عاماً قبل ١٩١٩ (٤) .

(١) المقطم ، ٢١/٨/١٩٣٠ ، ١٥/٢/١٩٣٩ (مقالات بقلم قلابى فهمى) .

(٢) الأهرام ، ٦/١٢/١٩١٤ .

(٣) الأخبار ، ٣١/٥/١٩١٦ .

(٤) الأهرام ، ١٦/٨/١٩١٩ .

على أن إنشاء بنك مصر كان المنعطف الأساسي — في الواقع — في استثمارات كبار الملاك في مجالات إنتاج جديدة غير الأرض ، وأن اقتصرَت هذه الاستثمارات في معظم الأحوال على جانب شراء الأسهم المالية في أكثر من شركة والتمتع بعضوية مجالس إدارة هذه الشركات .

فمؤسسو بنك مصر^(١) الأساسيون وهم ثمانية كانوا من كبار الملاك حيث ساهم عبد العظيم المصري بألف سهم (السهم أربعة جنيهات) وخمسمائة سهم لكل من مدحت يكن ومحمد طلعت حرب ، ومثثا وخمسين سهما لكل من يوسف قطاوى وعبد الحميد السيوفى وفؤاد سلطان وإسكندر مسيحة وعباس بسيونى الخطيب ، كما كان من كبار المسكتبيين محمد الشريمى (٥٠٠ سهما) عدلى يكن (٢٥٠ سهما) عبد الستار الباسل (٢٥٠ سهما) على إسماعيل (٢٥٠ سهما) صار وفيم مينا عبيد (١٢٥ سهما) مرقص حنا (١٠٠ سهما) وكلهم من كبار الملاك^(٢)

ويلاحظ أن استثمارات كبار الملاك في هذا المجال سارت في الاتجاهات التالية تقريباً :

أولاً — الشركات التجارية وخاصة تجارة الأقطان . من ذلك « الشركة المساهمة المصرية لتجارة الأقطان وحلجها » التى تأسست في أكتوبر ١٩٢٤ برأسمال قدره ثلاثون ألف جنيه بين بنك مصر وأحد عشر مؤسساً بينهم ستة من كبار الملاك وهم : أحمد مدحت يكن ، فؤاد سلطان ، عبد الحميد السيوفى ، عبد العظيم المصري ، محمد الشريمى ، محمد طلعت حرب وميدان عملها على وجه الخصوص شراء القطن محلوفاً أو غير محلوفاً وبذور مختلف الفئات الزراعية وأى أعمال أخرى لها ارتباط بإنتاج وتجارة وصناعة القطن أو أى محصول زراعى آخر^(٣) .

(١) يلاحظ أن بنك مصر أسس على اعتبار أنه شركة مساهمة مصرية بعنوان « بنك مصر » .

(٢) المقطم ١/٥/١٩٣٥ .

(٣) الأهرام ٧/١١/١٩٢٤ .

على أن حاج القطن ظل مجالا فرديا لاستثمارات كبار الملاك بعيداً عن الشركات المساهمة ، حيث وجهت بعض الأسر جزءاً من استثماراتهما في هذا الميدان وفي مقدمة هذه الأسر : بليغ وسليمان الوكيل ونوار والمغازي بالبحيرة ، والشناوى بالمنصورة ، البدر اوى وأبو الفتوح والشريف وسرسق بالغربية ، ومنشه والجزار والقاضى بالمنوفية ، والشهسى بالشرقية ، والشواربى بالقليوبية ، وويصا بأسىوط ، وقلينى وجاويش بالمنيا وسوهاج ، بالإضافة لصلحة الاملاك الإمبرية التى كانت لها محالج بتفتيش سخا والقرشية ، وتفتيش وزارة الأوقاف بالبحيرة ، وأوقاف الخاصة الملكية بابتائى البارود ودائرة السلطان حسين كامل بالبحيرة ، وكان أصحاب هذه المحالج يديرونها بمقرتهم أو يؤجرونها لأفراد آخرين وشركات (١) . وعموما فقد كانت تشكل أحد مصادر الربح لهؤلاء الملاك .

ومن الشركات التجارية التى تأسست ، شركة مصرية لتصدير الخضر والفاكهة وذلك بعد النجاح الذى احرزته الصناعات المصرية في سوق تل أبيب عام ١٩٣٢ (٢) .

ثانياً — الشركات الصناعية وخاصة صناعة غزل ونسج القطن كما هو الحال في التجارة ، من ذلك وعلى سبيل المثال تأسيس «شركة مكابس الاسكندرية» في ١٥ فبراير ١٩٢٥ برأسمال قدره ١٠٠.٠٠٠ جنيه من ٢٥٠٠٠ سهم قيمة كل سهم ٤ جنيهات غير أن كل مؤسسيها من الأجانب بينهم من كبار الملاك في مصر موسى سرسق (٣٠٠٠ سهم) وتقوم الشركة بالاشتغال بكبس وتنظيف الاقطان وجميع العمليات الملحقه بهذه الصناعة (٣) .

وفي خلال عام ١٩٢٧ تكونت ثلاث شركات كل مؤسسيها من كبار الملاك

(١) الاحصائية الشهرية الزراعية الاقتصادية ، الاعداد من مارس ١٩١٤ —

مارس ١٩٣٩ .

(٢) مجلس النواب ، ١٤/٣/١٩٣٣ .

(٣) المجلة الزراعية المصرية ، يوليو ١٩٢٥ .

الزراعيين وهذه الشركات هي (١) :

(١) شركة مصر للكتان وتأسست في ٢٦ أغسطس ١٩٢٧ برأسمال ١٠.٠٠٠ جنيه مقسمة إلى ٢٥٠٠ سهما كل سهم قيمته ٤ جنيهات بين بنك مصر (١١٢٥ سهم) وشركة مصر للنقل والملاحة (٢٥٠ سهم) وستة أفراد بينهم خمسة من كبار الملاك وهم : أحمد مدحت يكن (٣٠٠ سهم) محمد طلعت حرب (٢٥٠) فؤاد سلطان (٢٥٠ سهم) عبد الفتاح اللوزي (١٠٠ سهم) سلطان محمود بهنسى (١٠٠ سهم)

(ب) شركة مصر للنسيج الحرير وتأسست في ٢٦ أغسطس ١٩٢٧ برأسمال قدره ١٠.٠٠٠ جنيه مقسمة إلى ٢٥٠٠ سهما قيمة كل سهم ٤ جنيهات بين بنك مصر (١٦٢٥ سهم) وأربعة أفراد بينهم ثمانية من كبار الملاك منهم أربعة من أسرة اللوزي (٣٥٠ سهم) وأحمد مدحت يكن (١٢٥ سهم) محمد طلعت حرب (١٠٠ سهم) وفؤاد سلطان (١٠٠ سهم) يوسف قطاوى (١٠٠ سهم) .

(ج) شركة مصر لفزل ونسيج القطن وتأسست في ٢٧ أغسطس ١٩٢٧ برأسمال قدره ٣٠.٠٠٠ جنيه مقسمة إلى ٧٥.٠٠٠ سهما قيمة كل سهم ٤ جنيهات من بنك مصر (٣٣٨٢٥ سهم) والشركة المساهمة المصرية لتجارة وحلج الأقطان (١٢٥٠ سهم) وشركة مصر للنقل والملاحة (١٢٥٠ سهم) وخمسة وثلاثون مساهما بينهم ستة وعشرون من كبار الملاك الزراعيين يأتي في مقدمتهم :

محمد بدرأوى عاشور والسيد محمد بدرأوى عاشور (٢٥.٠٠٠ سهم) وأحمد مدحت يكن (٢٥٠٠ سهم) محمد طلعت حرب (١٢٥٠ سهم) محمد شعراوى (١.٠٠٠ سهم) وسيد خشبة (٢٥٠ سهم) وغيرهم .

وهذه الشركة كانت تعد أكبر تجمع لكبار الملاك الزراعيين خلال هذه الفترة ، ويلاحظ أن بنك مصر كان قاسما مشتركا في تأسيس هذه الشركات وواضح أيضاً مساهمة معظم الملاك في أكثر من شركة وخاصة المجموعة التأسيسية لبنك مصر .

(١) المصدر السابق ، ديسمبر ١٩٢٧ .

ثالثاً — شركات الاستيراد والتصدير وخاصة في الآلات الزراعية من ذلك :
« الشركة المساهمة المصرية للمحارث »^(١) التي تأسست في ٣ سبتمبر ١٩٢٩ برأسمال قدره ٤٠٠.٠٠٠ جنيه موزعة على ١٠.٠٠٠ سهم قيمة كل سهم ٤ جنيهات ولو أن مؤسسيها من الأجانب الإيطاليين إلا أن بينهم محمد شفيق باشا (٢٥٠ سهم) ومحمد محمود خليل (٥٠٠ سهم) وهما من كبار الملاك .

رابعاً — مجالات متنوعة مثل تأسيس « الشركة المساهمة للمصحافة المصرية » في ٩ فبراير ١٩٢٥ برأسمال قدره ١٥٠.٠٠٠ جنيه مقسمة إلى ١٥٠٠ سهم قيمة كل منها عشرة جنيهات من ثمانية مساهمين بينهم ستة من كبار الملاك هم : محمد بدر اوى عاشور وبولس حنا وفؤاد عزت (لكل منهم ١٠٠ سهم) أحمد تيمور وجميل السيد أبو علي (٤٠٠ سهم لكل واحد) محمد فتحى يكن (٧٠ سهم) . وتحددت أغراض هذه الشركة في إنشاء الجرائد والمجلات اليومية باللغة العربية أو باللغات الأوربية والطباعة والتجليد والنشر بصفة عامة^(٢) .

من ذلك أيضاً « شركة مصر لمصايد الأسماك » التي تأسست في ٢٦ أغسطس برأسمال قدره ٢٠٠.٠٠٠ جنيه مقسمة إلى ٢٠٠٠ سهم قيمة كل سهم عشرة جنيهات بين كل من بنك مصر (٨٨٠ سهم) وشركة مصر للنقل والملاحة (٢٠٠ سهم) والمجموعة التأسيسية لبنك مصر^(٣) .

وإذا كانت هذه الاستثمارات فردية تمت عن طريق شراء الاسهم المالية في مختلف الشركات التي تأسست خلال الفترة فقد كان للجمعية الزراعية الملكية — وكانت تضم كبار الملاك — استثمارات في مجال الإنتاج الصناعى ، فقد ساهمت بمبلغ ٣٠.٠٠٠ جنيه لتأسيس شركة لصنع سماد السوير فوسفات وحامض الكبريتيك

(١) المجلة الزراعية المصرية ، ديسمبر ١٩٢٩ .

(٢) نفسه ، يونيو ١٩٢٥ .

(٣) نفسه ، ديسمبر ١٩٢٧ .

بالاشتراك مع شركة الفوسفات بالقصير وبنك مصر وشركة الغاز (ليبون) ، كما ساهمت بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه في تأسيس شركة لتجفيف وحفظ الحفص والفاكهة بالاشتراك مع زنايري باشا والمسيو رينهارت وغيرهم^(١) .

ويبدو أن الانطلاقة التي تحققت بتأسيس بنك مصر ايقظت حاسة الاستثمار — وهي حاسة فطرية — لدى كبار الملاك فانطلقوا يشترون أسهم الشركات هنا وهناك حتى لقد لاحظ مدير الاتحاد العقاري لمصر (ليوبولد جوليان) وجود دفقة في توظيف رأس المال لم تكن موجودة من قبل^(٢) . كما تبين للكثيرين أن الذين يسيطرون على ثروة العالم هم أصحاب السندات والأسهم في الشركات والبنوك ، لا أصحاب الأرض والمقارات^(٣) . وزاد من هذا الاتجاه كذلك انخفاض أسعار المحصولات الزراعية خلال أزمة ١٩٢٩ وارتفاع الأرباح الناتجة من الاستثمار الصناعي خاصة بمد فرض الحماية الجمركية في عام ١٩٣٠ مما شجع كبار الملاك على نقل استثماراتهم إلى هذا المجال^(٤) .

ولم يكتف أفراد أسرة إسماعيل على بملكية الأرض الزراعية بل نقلوا استثماراتهم إلى مجال الشركات الصناعية والتجارية كجزء من التحول العام الذي حدث خلال الفترة ، فألهامى حسين زوج الأميرة شويكار كن يملك كثير من أسهم شركة اليبسى كولا ومعه أيضاً الملك فاروق الذي كان له ٢٠.٠٠٠ سهم في شركة مياه الاسكندرية ، وكان شريف صبرى — شقيق الملكة نازلي — مديراً لشركة الكيماويات التي كان يمتلكها أحمد عبود كما كان نائباً لمدير البنك الأهلى .

يتضح من تعدد مجالات استثمارات كبار الملاك لأموالهم في غير الأرض محاولة

(١) المقطم ، ١٩٣٣/٣/١١ ، ١٩٣٣/٤/٥ .

(٢) الأخبار ، ١٩٢٧/٦/٤ .

(٣) مجلس النواب ، ١٩٢٨/١/٩ .

(٤) G. Baer, op. Cit, P 141

(٥) Ibid, P. 142,

السيطرة على كافة مجالات النشاط الاقتصادى فى التجارة والصناعة بعد الزراعة والحلول محل الأجانب شيئاً فشيئاً ، بل ومنافستهم كذلك . حقيقة أن هذه المجالات وأن طرقت ميدان التجارة والصناعة إلا أنها كانت فى النواحي التى تخدم الزراعة بطريقة أو بأخرى فى المحل الأول فيما عدا مجالات الصحافة أو الطباعة على وجه العموم ، ولو قدر لهذه الخطوات التى بدأوها بتوسع منذ أواخر العشرينات أن تستمر لتضجبت التضج الكافى ولاستطاعوا الوصول إلى مراحل عالية من النمو الرأسمالى كالاختكار وتكوين كارتل الإنتاج الصناعى الذى يعتبر فى هذا المجال أسهل وأيسر من مجال الزراعة حيث يكثُر عدد المنتجين فضلاً عن إنتشارهم فى مناطق واسعة وعدم المساواة فى ظروف الإنتاج بينهم وهى أحد شروط الكارتل الأساسية^(١) .

ويتصل بهذا المجال فى ميدان الاستثمار عضوية مجالس إدارة الشركات التى كان يساهم فيها هؤلاء الملاك أو التى لم يكونوا مساهمين فيها ولكنهم تمتعوا بعضويتها باعتبارهم من « طائفة » المستورزين بحيث كان الواحد عضواً فى أكثر من شركة ، فعلى يكن باشا كان عضواً بالبنك الأهلى المصرى والبنك العقارى المصرى ، واسماعيل سرى باشا كان عضواً بينك روما Banco di Roma per l'egitto el Ievanta والبنك الإيطالى — المصرى Italo — Egiziano وشركة الاتحاد المصرى للنفط النهري ، ومحمد طلعت حرب كان عضواً بالبنك العقارى المصرى ومطبعة مصر وبنك مصر والعديد من الشركات الأخرى ، وبوسف أصلان قطاوى كان عضواً فى البنك التجارى المصرى وشركة مياه القاهرة وشركة طنطا للمياه المساهمة وشركة أراضى الشيخ فضل ، والبنك العقارى المصرى وجراذر هوتيل والشركة العامة للرى ، والشركة المساهمة لسنترال مصر وشركة الإيجوبيايا بالقاهرة . وحسين رشدى كان عضواً بشركة مياه القاهرة ، وأحمد ذو الفقار كان عضواً بشركة سكك حديد مصر وأحمد مدحت يكن كان عضواً بالبنك العقارى المصرى ومطبعة مصر . وبطرس غالى كان عضواً بشركة أراضى الغربية ، وعبد

(١) عبد الحكيم الرفاعى ، المصدر السابق ص ٣٤٥ .

الحديد السيوفى بشركة أراضى الغربية أيضاً والشركة المصرية للمشروعات والتنمية ومطبعة مصر ، وأحمد شفيق كان عضواً بشركة النور والقوى الكهربائية ومطبعة مصر . وأمين يحيى وأحمد يوسف الجمال كانا عضوين بشركة تجارة المنتجات ، وعبد المنعم رسلان كان عضواً بشركة القطن المصرى (١) .

كذلك كان محمد محمود خليل يرأس شركة السكر وشركة خطوط البريد الفرعونية وشركة الجرارات المصرية بالإضافة إلى عضويته بمجالس إدارة بنك مصر وشركة الشرق للتأمين وشركة الأراضى الإنجليزية المصرية وشركة ملح بور سعيد ، والبنك العقارى المصرى وشركة الإسكندرية للملاحة . كذلك كان عبد الحميد إسماعيل أباطة مدير عام شركة أباطة وشركاهم وكلاء الجمعية الزراعية الملكية ، ورئيس مجلس إدارة شركة الاتحاد المصرى للنقل وعضو مجلس إدارة منتدب لشركة تصدير الفواكه والخضروات . وأيضاً عطا عفيفى كان عضواً بشركة خطوط البريد الفرعونية وشركة غزل الصوف وشركة البترول ، وغيرهم كثير (٢) .

كذلك كان من بين الأربعين عضواً الذين تولوا عضوية مجلس إدارة بنك مصر خلال المدة من ١٩٢٠ - ١٩٥٢ أربع وعشرين عضواً من كبار الملاك يأتى فى مقدمتهم أحمد عبود وطلعت حرب وأحمد مدحت يكن وسلطان محمود بهنسى وعبد العظيم المصرى وعبد الفتاح اللوزى وعلى أمين يحيى وفؤاد سلطان ومحمد محمود خليل (٣) .

على أن اتجاه كبار الملاك نحو مجالات النشاط التجارى والصناعى هذا لم يحوهم

(1) E. D. Papasian, *L'egypte economique et Financiere etudes Financieres*. P. 47, 187, 195, 198, 160, 201, 207, 214, 219, 24, 451' 493.

(٢) حسن خضر ، دليل الطبقة الراقية . ص ٣٥ ، ٤١ .

(٣) اليويل الذهبى لبنك مصر ١٩٢٠ - ١٩٧٠ ص ١٦٧ - ١٦٩ .

عن اتجاه كان ملازماً لإقتناء الأرض والتوسع فيها وهو المباني العقارية ، فقد زاد حجم استثماراتهم في هذا المجال بعد ١٩١٤ ففي تلك السنة كان عدد المباني في القاهرة ١٩١٤ مبنى فأصبحت في سنة ١٩٢٣ ، ٥٧٥٦٠ وفي الإسكندرية كان عددها في عام ١٩١٤ ، ٢٧٠٣١ زادت إلى ٣١٧٧٣ في عام ١٩٢٣ . وفي المدن والبنادر الأخرى زادت من ٨٦٧٩٦ في عام ١٩١٤ إلى ١٠٧٩٨٢ في عام ١٩٢٣ واستمر هذا النمو ملحوظاً بعد الحرب العالمية الثانية (١) .

* * *

ولقد وجه بعض كبار الملاك جانباً من نشاطهم الاقتصادي في تكوين جمعيات التسويق التعاوني كجزء من محاولة زيادة أرباحهم بإلغاء دور الوسيط التجاري ، ذلك أن التسويق التعاوني لا يقضي على الربح في مجال التعامل ولكنه يحول الربح من الوسيط لعضو الجمعية التعاونية ولهذا فالسويق التعاوني بهذا الشكل هو أحد صور الرأسمالية تسمى كأي تنظيم رأسمالي لتحقيق الربح بدليل أن إلغاء دور الوسيط لا ينتج عنه تخفيض ثمن السلع للمستهلك الذي يؤثره المنتج على نفسه ويضن به على المستهلك (٢) .

ولقد بدأ هذا النشاط مبكراً نوعاً ما قبل عام ١٩١٤ كانت توجد بعض جمعيات من هذا النوع متناثرة في أنحاء البلاد ، وقد أدى نجاح بعضها إلى اهتمام كثر منذ عام ١٩١٣ بتشجيع مثل هذه الجمعيات وتنظيمها بقانون عام . وفي يونيو ١٩١٤ وافقت الجمعية التشريعية على قانون للتعاون ولكن رؤى آنذاك تعديله ، وفي عام ١٩١٧ شكل ريجنالد ونجت لجنة لدراسة هذا المشروع ولم تصدر لعدم موافقة لجنة الامتيازات على كثير من بنوده فأهمل المشروع مرة أخرى إلى أن أصدر مجلس الوزراء في ١٥ ديسمبر ١٩١٩ بياناً خاصاً بإنشاء جمعيات التعاون

(١) مجلس النواب ، ١٩٢٤ / ٦ / ٢٥ . أنظر أيضاً عبد المنعم الطنملي . المصدر السابق ص ١٠٩ .

(٢) محمد المعيد محمد ، المصدر السابق . ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

الزراعية دعا فيه مجالس المديريات إلى الاهتمام بها واعداد بذل النصح والمساعدة لذلك الغرض (١) .

وقبل قرار مجلس الوزراء بتشجيع هذا اللون من النشاط تأسست في يونيو ١٩١٧ أول جمعية من هذا النوع بسالوط بالمنيا برئاسة محمد شريعى باشا ومعه اثنان وثلاثون عضواً يمثلون جميعهم ٤٣٥١ فداناً، ١٢ قيراطاً أى بمتوسط ١٣٢ فداناً لكل منهم (٢) . كما تأسست في نوفمبر ١٩٢٠ جمعية مركزية بمغاغة برأسمال قدره ٥٠٠٠٠ جنيه اشترك فيها قلبنى فهمى وعبد العظيم المصرى ، وصالح الموم ، وغيرهم من كبار الملاك ، وحددت هدفها في حفظ القطن وعدم طرحه للبيع فور جمعه والتسليف عليه لمن يحتاج حتى تتحسن أمانه (٣) .

ولقد كان يطلق على هذه الجمعيات في البداية « شركات التعاون الزراعية » مما يدل على الإطار الرأسمالى الذى كان يتحرك فيه هذا النوع من النشاط وكثيراً ما طالبت النقابة الزراعية العامة — الممثلة لمصالح الملاك — الحكومة بإمداد هذه الشركات بحجز مما تحصله من ضريبة القطن على سبيل الإعانة المالية وأسوة بما تفعله حكومتا فرنسا والهند (٤) .

ثم جاء إصدار قانون التعاون في ١٩٢٧ ليعطى الاسم إلى « جمعيات التعاون الزراعية » وكانت تلك خطوة كبيرة نحو الاعتراف باتفاقات المنتجين الزراعيين

(١) تقرير اللورد اللانبي عن سنة ١٩٢٠ (الاخبار ١٠، ٢، ٣، ١١/١٩٢١)

(٢) الألهالى، ١٢، ١٩١٧/٦ .

(٣) نفسه، ٣، ١١/١٩٢٠ .

(٤) السياسة، ٢٨، ١/١٩٢٦ . ولقد بلغ عدد هذه الشركات (التى شرع في تكوينها بمقتضى القانون رقم ٢٧ لسنة ١٩٢٣) في عام ١٩٢٦ ، ١٤١ شركة موزعة على مديريات القطر المصرى كالآتى : (المجلة الزراعية المصرية، مارس ١٩٢٦) =

(السكراتل) وذلك بتأليف جمعيات تعاون مركزية^(١) . ومع هذه التيسيرات القانونية فلم تنتشر الجمعيات المركزية انتشارا واسعا ، حتى نهاية الأربعينات لم يوجد في مصر أكثر من خمس جمعيات مجموع رأسمالها ٤١١٨ جنيها ، واحدة منها لمنتجى البطاطس ، وواحدة لمنتجى البصل ، وثلاثة لمنتجى الموالح ، وكان غرضها الأساسى التصدير . على أن أنشطتها جميعا جمعية الإسكندرية التى كانت تباع بما يزيد على ربع مليون جنيه سنويا من إنتاج أعضائها من الخضر والموالح وتقدم قروضا لأعضائها نحو مائة ألف جنيه سنويا حتى لقد تنازلت لها بلدية اسكندرية عن حق إصدار الرخص لعربات الخضار التى يصرح لها بدخول مدينة الإسكندرية^(٢) .
وفي هذا نوع من احتكار التوزيع .

وربما يرجع عدم انتشار التعاون الزراعى واكسابه قوة الاستمرار ، إلى غياب معظم كبار الملاك عن هذا النشاط لأسباب تكمن فى شروط تكوين التعاونيات التى اشترطت ألا يزيد قيمة ما يمتلكه الفرد الواحد من الأسهم عن ٢٠٠ جنيه بمحد

المديرية	العدد	الأعضاء	رأس المال بالجنيه	المديرية	العدد	الأعضاء	رأس المال بالجنيه
البحيرة	١٠	٦٤٥	٣٣٤٣	القليوبية	١٢	١٥١٩	١٢٤١٣
الشرقية	٢١	١٤١٠	١٣٦٧٦	الجيزة	٦	٨٢٩	٤٣٦٧
الدقهلية	١٥	٧٣١	٨٩٤٩	بنى سويف	٦	٨٤٧	٤٨١٤
الشرقية	١٣	١٣٢١	١٤٦٩٩	الفيوم	٣	١٧٨	٣٣٨٠
المنوفية	١٦	٩٧٠	٨٦٩٤	المنيا	١٨	١١١٩	١٠٤٤٤
أسيوط	١٢	١٠٥٧	١٠٣٣٧	جرجا	٥	١٤٩	١٧٨٦
قنا	٣	١٠٨	١٠٣٨	أسوان	١	٤٣	٢٥٤

(١) عبد الحكيم الرفاعى ، المصدر السابق . ص ٣٤٦ .

(٢) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ٣٩٠ .

أقصى عشر (١/١٠) مجموع رأس المال (١) ، وهذا لا يتفق مع ميول المالك الكبير ومركزه الاجتماعى الذى يجعله يتمتع بالسيطرة فى أى مجال من المجالات ، فضلا عن أن قاعدة التصويت داخل الجمعيات عديدة وليست على حساب قيمة رأس المال ، ثم أن شراء السندات المالية وشراء أسهم الشركات المساهمة الكبيرة أربع له من شراء أسهم فى الجمعيات التعاونية خاصة وأنه — أى المالك الكبير — لا يقوم بزراعة أرضه بنفسه حتى يخشى على تسويق محصوله ولا هو مقيم بالقريبة ، ومن هنا كان اعتماد معظم كبار الملاك عن هذا اللون من النشاط .

* * *

وإذا كانت تلك هى مجالات النشاط الاقتصادى لكبار الملاك ، فلقد انفق هؤلاء جزءاً من نشاطهم فى حماية مصالحهم التى تكونت مختلف مجالات هذا النشاط حتى نشأ ما كان يعرف فى أفق المجتمع المصرى بمشكلة أصحاب المصالح الخاصة التى بدأت بمطالبة معونة الحكومة وانتهت بتدخل الحكومة لحماية هذه المصالح .

والملاحظ بصفة عامة أن الأساليب والوسائل التى انتهجها هؤلاء الملاك لحماية مصالحهم كانت تتنوع وتختلف باختلاف وتنوع جوانب نشاطهم الاقتصادى حتى لم تكن تفهم وإردة أو شاردة إلا والتقطوها وإداروا حولها النقاش والجدل لاقناع الرأى العام أولاً ثم اقناع الحكومة بمساعدتهم . وإذا كانت الظروف غير مواتية تماماً حتى الثلاثينات حيث كانت حرية التجارة وما يرتبط بها من وسائل ، هى شكل الاقتصاد السائد ، فضلا عن الاتفاقيات التجارية مع الدول الأجنبية التى كانت تحول دون حماية الإنتاج المحلى ، فإن تغير الظروف ابتداء من الثلاثينات وتدخل الدولة لحماية الإنتاج ساعد كبار الملاك على الوصول إلى مأربهم والتمتع بقدر كبير من الاستقرار والإطمئنان بحماية مصالحهم تحت رعاية الدولة .

(١) المجلة الزراعية المصرية ، فبراير ١٩٢٥ .

ولا نقالى إذا قلنا أن محصول القطن ، من زراعته إلى تصريفه ، كان وراء كل نشاط الملاك في حماية مصالحهم . ولا عجب في هذا فالقطن على حد تعبير أحد المعاصرين هو « نقدنا الذى نتعامل به والذى نسدده به قيم وارداتنا وديوننا وفوائدها ، وعلى أسعاره تتوقف أيضاً قيم أسهمنا المالية جميعها فنكل زيادة في أسعاره تزيد في قيم ثروتنا المذكورة وفي ثقتنا المالية » (١) .

حول القطن إذن تركز نشاط كبار الملاك الذى بدأ بمحاولة حماية أسعاره من التدهور عن طريق تأجيل عرضة في سوق البيع حتى تتحسن أسعاره ومحاولة تجميع أكبر عدد ممكن من المزارعين حول هذا الرأى ، فمثلاً دعا الأمير عمر طوسون — وكان مشهوراً برعايته للمشائل الزراعية — كبار المزارعين إلى اجتماع بقصره بالاسكندرية (في ٢ سبتمبر ١٩١٦) لمناقشة قرار البورصة بتحديد ٢٣ ريالاً أعلى سعر للقطن (٢) ، والتريث في بيعه كما يفعل مزارعو الولايات المتحدة وخاصة في الأوقات التى لا يكونوا مضطرين فيها إلى بيع محصولهم (٣) ، حتى أن عمدة الرحمانية بالحيرة جمع مزارعى قريته ونصحهم بعدم التسرع في بيع القطن وعرض المال على من يحتاج منهم إلى أن تتحسن السوق ، وبلغت جملة السلف التى قدمها للفلاحين حوالى أربعة آلاف جنيه (٤) .

وطالب الكثيرون « بالاعتصاب » وعدم بيع القطن إلا بالثمن الذى يوافقهم من مائة ريال للقنطار فصاعداً ، وفي هذا العمل ردع لتجار القطن في الأعوام القادمة (٥) بشرط أن توافق الحكومة على تأجيل تحصيل الأموال المقررة حتى

-
- (١) المقطم ، ١٩٢٠/١١/٦ (القطن والبنك الوطنى بقلم ثابت ثابت)
(٢) نفسه ، ١٩١٦/٩/١ ، المقطم ١٩١٦/٨/١٤ (دعوة نمائىة لحد محمود الباسل لمزارعى الفيوم) وأيضاً المقطم ١٩١٦/١١/٢٩ (أين التضامن بين زراع القطن)
(٣) المنظم ، ١٩٢٠/١٠/٥ .
(٤) نفسه ، ١٩٢٠/١٠/١٦ .
(٥) نفسه ، ١٩٢٠/١٠/٣٠ .

لا تدفع المزارعين — وخاصة صغارهم — إلى بيع محصولهم بالأسعار المنخفضة ،
أو يقوم كبار الملاك بدور البنوك في تسليف صغار المزارعين لأن يبيع أى قدر من
المحصول فيه خسارة على الجميع كبار الملاك وصغارهم (١) .

ولقد اقترح البعض أن يشترك جميع المصريين في حل مشكلة تسويق القطن بأن
يشترى كل قادر من سكان مصر مقداراً صغيراً من القطن من سوق ميناء البصل
ويخزنها لحسابه ولا يبيعها إلا إذا ارتفع الثمن وفي هذا مساهمة من كل مصرى في حماية
محصول المصريين (٢) .

ومن جهة أخرى فقد شكك البعض في إمكانية مثل هذا التضامن في تحقيق المآرب
على أساس أنه غير ممكن ومعظم الملاك مثقل بالديون ومضطرب إلى دفع الأقساط
ولا سبيل إلى ذلك إلا ببيع المحصول فضلاً عن صعوبة جمع المزارعين ، وعددهم كثير
في مكان وزمان واحد لمقدد الاتفاقات والتوصيات بينهم (٣) .

على أية حال لقد كانت البداية هي محاولة التبشير بأهمية التضامن وتأجيل عرض
المحصول للبيع حتى تتحسن الأسعار ، ورغم وجود التشكيك في أهميته التضامن
فقد خطا أصحاب المصالح خطوة أخرى نحو تكوين النقابات الزراعية .

ولقد مرت هذه الفكرة بمراحل مختلفة حتى ظهرت إلى حيز التنفيذ ،
فمنذ البداية اتجهت النية إلى أن يكون مؤسسى النقابة « من الملاك لا من المستأجرين
ولا من صغار المزارعين حتى تكون الثقة بالنقابة وبعملها متوفرة » (٤) .

وفي ١٧ مارس ١٩١٤ اجتمع جمع من كبار الملاك وتباحثوا فيما يجب عمله
بشأن هبوط أسعار القطن فتقرر مبدئياً تأسيس « نقابة عامة لمزارعى الأقطان بالقطر

(١) المقطم ، ١١/٦/١٩٢٠ وأيضاً السياسة ، ١٠/٢٤/١٩٢٦ .

(٢) نفسه ، ١١/٢٣/١٩٢٠ .

(٣) نفسه ، ١٢/٥/١٩١٦ .

(٤) الأهالى ، ١/٣٠/١٩١٤ .

المصري ، حيث تقوم بالإتفاق بمعرفتها مع بنك أو عدة بنوك في كل ما يتعلق بالنواحي المالية كما تتكفل بالإتفاق بمعرفتها مع بنك أو عدة بنوك في كل ما يتعلق بالنواحي المالية كما تتكفل بإرسال اللجنة كل عام للاتفاق مع معامل الذبيح مباشرة ، ودون وساطة « على السكينة المطلوبة وصنفها على أن يدفع كل من ينضم إلى النقابة عشرة قروش عن كل فدان في المتوسط لتكوين رأسمال النقابة (١) .

وفي نفس الوقت تكونت تجمعات مشابهة مثل جمعية التعاون الزراعية بالقليوبية التي ألفها كبار المزارعين بالمديرية لتيسير الحصول على البذور والسماذ والآلات الزراعية ومواد الوقود والسعى لمعرفة أثمان المحاصيل في الخارج ومقارنتها بالسعر المعروف في مصر وتبصير الزراع بالتوقيت المناسب في بيع المحصول (٢) .

كما تكونت « نقابة تجار الأقطان المصرية » من التجار المزارعين في مقدمتهم محمود بك الوكيل ومحمد بك القتال ومحمود بك مفتاح ومركزها العام بالإسكندرية وهدفها المحافظة على مصالح تجار الأقطان والمزارعين وعدم التلاعب بهم ، وتقرر أن يكون رسم العضوية خمسة وعشرين جنيها والاشتراك السنوي اثني عشر جنيها (٣) .

واشتمرت الدعوة قائمة لإنشاء نقابة زراعية عامة « ينظم فيها جمع من كبار المزارعين المفكرين أصحاب المصالح الحقيقية وعلى الحقيقة وعلى رأسها رجل همام له من المصالح ما يساعد على اشتراكه في هذا العمل العظيم وهو حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون » (٤) ، وتأليف نقابات زراعية في كل مديرية

(١) الأهالي ، ١٩/٣/١٩١٤ حيث كان على رأس المؤسسين: محمود أبو حسين باشا رئيسا للجنة وكامل باشا جلال ومحمد طلعت حرب ، ومحمد بك توفيق الترجمان ، وميشيل بك لطف الله وجورجي بك ويصا واسكندر بك الخوري وكلهم من كبار الملاك .

(٢) الأخبار ، ٢٧/٦/١٩١٩ .

(٣) المقطم ، ١١/٣/١٩٢٠ .

(٤) المقطم ، ١٨/١٠/١٩٢٠ .

وفي كل مركز يتراوح الاشتراك فيها من مائة جنيه ومائة قرش للتسليف منه للضغط
والاحتاج حتى لا يتصرف ببيع القطن^(١) ، ويضاف إلى حصيلة الاشتراكات أموال
مجالس المديرية والمجالس المحلية ، وأموال القصر وعديى الأهلية المودعة خزائن
الحكومة ، وأن تقدم الحكومة لكل نقابة مبلغاً من المال يساوى ما جمع بهذه
الكيفية^(٢) .

وفي غضون أغسطس من عام ١٩٢٠ قدم عبد الحميد شديد (مدير بنك
روما) - شروعاً بإنشاء « عصبة الفلاحين » ،^(٣) وهى كما شرحها قرينة من نظام
الترست فى الرأسمالية ولا تتكون من شركات نوعية كما هو الحال فى الرأسمالية بل
يكونها كبار المزارعين والدوائر الكبرى بحيث يتفق أفراد هذه العصبة على ألا تباع
أقطانهم إلا بواسطة العصبة ولمدة خمس سنوات ، على أن تنحصر أعمال هذه
العصبة فى بيع الأقطان وبذرتها وتقديم كل ما يتعلق بالزراعة من الاسمدة
والآلات وغيرها . . .

وقال أن إرادات « العصبة » سوف تتكون بالطريقة الآتية :

١ — على المشتري أن يدفع للعصبة عن كل قنطار يشتره ٢ ٪ وذلك مقابل
ما كان يدفعه للوسيط وللوزان .

٢ — على المزارع أو التاجر الذى عهد للعصبة ببيع قطنه ، أن يدفع لها
عمولة قدرها قرشان ونصف عن كل قنطار نظير الوزن الذى تقوم به العصبة غير ذلك
من المصروفات أيضاً فى مقابل الاستعلامات والارشادات التى تقدمها له مجاناً ويسمى
قطنه بثمان لا غبن فيه عليه .

(١) الأهمال ، ١١/٢/١٩٢٠ إقتراح من قلابى فهمى لرئيس مجلس الوزراء .

أنظر أيضاً المقطم ١٢/١/١٩٢٠ .

(٢) المقطم ، ١٢/١/١٩٢٠ .

(٣) الأهمال ، ٩/٥/١٩٢٠ .

٣ — تحفظ العصبية عمولة قدرها ٥ ٪ على الأثمان الأساسية من كل ما يشتريه منها المزارع من تقاوى وغيرها كالأسمدة والآلات والأدوات والأسمدة وخلافها .

٤ — تؤجر العصبية لصغار الفلاحين الأدوات التي تلزمهم وتستعصرها لهم لهذا الغرض نظير أجر قليل يدفع لها .

٥ — تباع العصبية ما عندها من العينات في آخر كل موسم وهي تقدر بالآلاف الجنيهات في بعض المرافق المائية .

على أن يكون للعصبية — كما ذكر صاحب المشروع — مركز عام بالقاهرة وآخر بالاسكندرية ونقابات فرعية بالمديريات تؤسس تدريجيا من صافي دخل العصبية وبهذا يسهل على كل فلاح إيداع قطنه في شون مراكز العصبية الإقليمية ويكون باستطاعته ابتياع ما يلزمه رأسا منها وهو على ثقة بأن قطنه سيبيع بأثمان أعلى مما لو باعه بمعرفته ، وشراء ما يلزمه بأسعار لا يمكنه الحصول عليها من غير العصبية ونقاباتها .

ورغم أن هذا المشروع لم يعتمد في تمويله على الحكومة في أى مرحلة من مراحله مثل غيره من المشروعات بل هو يعول نفسه ذاتيا بالاعتماد على تكاتف ونضام كبار الملاك ، فلم يستجب له أحدا فيما يبدو .

وإزاء الاستمرار في مناقشة فكرة تكوين نقابة عامة شرع بالفعل في وضع الأنسب الأولى لتكوين النقابة الزراعية العامة . ففي ٧ يناير ١٩٢١ ، وأزمة أسعار القطن على أشدها ، اجتمع عدد من كبار الملاك الزراعيين لبحث أسباب انخفاض ثمن القطن ذلك الموسم وتقرير الحطة التي يترتب عليها ارتفاع سعره . وانتهى النقاش بينهم بالاتفاق على تأليف نقابة من المنتجين وعهدوا إلى لجنة منهم بوضع مشروع النظام الأساسي للنقابة من : إبراهيم مراد باشا ومحمد البدراوي عاشور باشا وكامل جلال باشا ومحمود أبو حسين باشا وميشيل لطف الله ، وعيسوى زايد بك وبشرى حنا بك وعلى المنزلاوى بك وبسيونى الخطيب بك وهباس الجزار بك وعبد العزيز

رضوان بك وإسماعيل عاصم باشا الذى عرض مكتبته بمصنع الطرايش الذى يملكه
بشارع المناخ ليكون مقرا للنقابة (١) .

وفي ١٣ يناير من نفس العام اجتمع المؤسسون مرة أخرى وشاركهم عدد كبير
من كبار الملاك الزراعين ، حيث أعلن على المزلأوى التدابير التى وضعها اللجنة
الاساسية والتى أصبحت تشكل نظام النقابة الاساسى وهى :

البند الأول : تأسيس شركة مدنية تدعى نقابة الدفاع عن مصالح المزارعين
يكون رأسمالها مستقلا عن أموال أعضائها ومكونا من الاكتتابات والتبرعات
ويكون غرضها كل ما من شأنه مساعدة الزراع المصريين والدفاع عن مصالحهم
بجميع الطرق المشروعة ، ويدخل ضمن ذلك تقرير مقدار المساحة التى يحسن
زرعها من كل صنف من الاصناف سنويا كالقطن والذلل وغير ذلك وتحسين
الماشية والسعى إلى عقد الاتفاقات مع الفزالين مباشرة توصلا لانتقاص عدد الوسطاء
الذين يحولون بين المنتجين والفزالين ويأخذون جزءاً عظيماً من الفائدة وتسهيل
تصريف الحاصلات والتسليف عليها وتنظيم الدفاع عن أسواقها فى أوقات الازمة ،
وهى تطمح أيضاً إلى أن تكون فى المستقبل نقابة النقابات الزراعية التى تحت الحكومة
إنشائها فى البلاد .

البند الثانى : لأجل معالجة الازمة القطنية الحالية ومنع ضغط المعارض على
السوق إزاء قلة الطلب وإلى أن تستعيد صناعة الغزل نشاطها ، يتعهد كل عضو
من الأعضاء المنضمين إلى النقابة بأن يحتفظ بقطنه ولا يبيعه إلا بتصريح كتابى
من مجلس إدارة النقابة بحيث لا يقل القطن المحتفظ به عن مليون قنطار وذلك
بالشروط الآتية :

أولاً — كل عضو منضم يقرر للنقابة أن عنده فى مخازنه أو فى شون البنوك
والتجار مقدار كذا من القناطير مع بيان نوع ورتبة القطن بقدر المستطاع .

ثانياً — يتعهد بأن لا يبيع هذا القطن إلا بعد إخبار النقابة والحصول على تصريح كتابي منها إذا كان ممن البيع أقل من ستين ريالاً للقطن الفولى جود فير سكلاريدسى وبشمن متناسب مع هذا السعر للرتب الأخرى منه ومن أصناف ورتب القطن الأخرى .

ثالثاً — أما إذا كان البيع بأزيد من السعر المذكور فعلى العضو إخبار النقابة عن عزمه على البيع ولكنه لا يكون مقيداً برأيها .

رابعاً — يجب على النقابة أن تجيب كل عضو يطلب هذا التصريح في ظرف أربع وعشرين ساعة من وصول طلبه إليها وإلا فهو حر في تصرفه .

خامساً — على النقابة أن تراعى في قراراتها ملائمة الوقت والظن ، فإذا رأت أن مصلحة عموم المزارعين تقضى بالتأجيل فهي ترجىء التصريح .

سادساً — إذا كان قطن العضو المنضم مودعا في شونة أحد البنوك أو التجار يجب عليه أن يحرر كتاباً للبنك يخبره بتمهده للنقابة وبأنه لا يستطيع البيع إلا بتصريح منها ويرسل هذا الكتاب على يد النقابة .

سابعاً — كل عضو يبيع قطنه بدون تصريح النقابة متى كان هذا التصريح لازماً كنص الفقرة الثانية من هذا البند يلزم بفرامة قدرها جنيه واحد عن كل فنطار مباع فضلاً عن النشر عن ذلك في الجرائد وشطب اسمه من النقابة مع حرمانه من كل حق فيها وتلك الفرامة هي تعويض للنقابة عن الضرر الذى يالحق بأعضائها بسبب المخالفة .

البند الثالث : تأخذ النقابة على عهدها أن تسهل لكل عضو يريد الاقتراض على قطنه على سلفة لا تقل عن ٥٠ ٪ بما يساوية قطنه يوم طلب السلفة ، وأن البنك لا يجبره على البيع أو التغطية في حالة نزول الأسعار ، على أن يماد وفاء السلفة لا يتجاوز آخر شهر أكتوبر ١٩٢١ أما إذا مضت سبعة أيام على طلب السلفة ولم توفى النقابة للحصول عليها ففي هذه الحالة يكون العضو في حل من تمهده

المذكور في الفقرة الثانية من للبند الثاني وتكون له الحرية المطلقة في التصرف في قطنه بدون تصريح .

البند الرابع : كل عضو يبيع قطنه بثمان يزد عن أربعين ريالاً للقطن القولى جود فير سكلاريديسى أو بثمان مبيع على هذه النسبة لباقي رتب السكلاريديسى ولاصناف القطن الأخرى ورتبها يكون ما زما بدفع ٥ ٪ من المبلغ الذى يزد عن هذا الثمن وهذا المبلغ يكون منه ١ ٪ للجنة التنفيذية تحت حساب المصاريف ، ٢ ٪ أرباح للأعمال الذى يكون الجميع أحراراً فى الاكتتاب به مدة عشرة أيام تبتدىء من يوم الشروع فى العمل ، ٢ ٪ بصفة اكتتاب فى النقابة لمساعدتها على تكوين رأسمالها ويقيم لحسابه (١) .

وواضح أن هذا المشروع يحتوى على الحد الأدنى الذى يمكن أن تلتقى عنده مصالح الأعضاء ، فليس فى شروط الانضمام تقييد كبير لحرية العضو فى التصرف فى محصوله ، فضلاً عن أنها تقوم بدور البنوك من حيث التسليف على المحصول ، كما أن الطرق المشروعة ، التى ستسعى النقابة من خلالها للدفاع عن مصالح الزراع تنفق إلى حد كبير مع طبيعة كبار الملاك التى لا تميل إلى العنف كثيراً حتى فى الدفاع عن مصالحهم .

ولعل التسهيلات التى وهدت بتقديمها « شركة الأمريكان أكسبريس » كانت حافزاً كبيراً على تكوين هذه النقابة ، فبتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٢٠ — أى قبل الاجتماع الأول بشأن تأسيس النقابة فى ٧ يناير ١٩٢١ — أرسل مساعد المدير العام المالى فى أوروبا للشركة ، خطاب إلى محمد بدر بك وكان موجوداً بلندن آنذاك يخبره « أنه إذا كان أغلب المصريين يرغبون فى إنشاء هذه النقابات وأن تكون لها نقابة عامة فشركة الأمريكان أكسبريس تتمهد بأن تقدم لكم خدماتها فى تمويل المحصول ونقله والتأمين عليه وبيعهم » (٢) ، إذ أن محمد بدر بك جاء وأعلن فى اجتماع

(١) الأخبار ، ١٤/١/١٩٢١ . أيضاً يوسف نحاس ، المصدر السابق ص ١٤ .

(٢) الأخبار ، ١٩٢١/٢/١ حيث نشرت نص الخطاب المشار إليه .

النقابة في ٢٧ يناير ١٩٢١ هذا التفويض من قبل الشركة^(١) .

ومن ثم وزعت على الأعضاء تعهدات خاصة بحجز القطن وبيعه بمعرفة النقابة التي ستقوم بتعريفه بواسطة هذه الشركة إلا إذا كان سعر البيع المعروض أكثر من ستين ريالاً للقنطار من رتبة الفولى جود فيرسكلاريديسى ، وبشمن يتناسب مع هذا السعر للرتب الأخرى^(٢) .

وأغلب الظن أن مؤسسى النقابة العامة لم يفكروا جدياً في تأسيسها إلا بعد الضمانات التي وعدت بتقديمها شركة الأمريكان أكسبريس ، لأن نائب المدير العام المالى لهذه الشركة فى أوربا يشير فى خطابه (١٩٢٠/١٢/٢٩) إلى محمد بدر بك باعتباره نائب المؤسسين، ويشير أيضاً إلى مفاوضات عديدة تمت بينهما وعرض فى خلالها مشروع إنشاء نقابات زراعية لمزارعى القطن فى مصر ، ويشير كذلك إلى موافقته على شروط البيع التي وضعها محمد بدر فى تقريره المؤرخ ٢٦ نوفمبر ١٩٢٠ فإذا لاحظنا أن هذا النشاط كان سابقاً لأول اجتماع تمهيدي لإنشاء النقابة فى ٧ يناير ١٩٢١ ، أدركنا الاحتمال الكبير وراء هذه الفكرة .

على أية حال ، عقدت الجلسة الأولى لمجلس إدارة النقابة فى ١٢ فبراير ١٩٢١ بعد أن تغير اسمها من « نقابة الدفاع عن مصالح المزارعين » إلى « النقابة الزراعية المصرية العامة » وكان أول مجلس إدارة لها ممثلاً لكبار الملاك الزراعيين^(٣) .

(١) الأخبار ، ١٩٢١/١/٣٠ .

(٢) المقطم ، ١٩٢١/١/٢٨ .

(٣) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ص ١٦ حيث شكل مجلس الإدارة برئاسة الأمير يوسف كمال ، وعضوية كل من : مصطفى ماهر (وكيل أول) عبدالله وهبى (وكيل ثان) حسن سعيد (أمين صندوق) فؤاد سلطان (أمين مساعد صندوق) يوسف نحاس (رئيس السكرتارية) وموسى قطاوى . على المنزلاوى . أحمد لطفي الحامى ، الياس عوض ، عزيز خانكى ، ميشيل لطف الله . إبراهيم عاداه . محمود أبو حسين . أبو بكر راتب . اسماعيل عاصم . بشرى حنا . إبراهيم مراد .

ووضعت النقابة العامة نصب أعينها هدف إنشاء النقابات الفرعية في الإقليم لتكون عوناً لها ، وقد اعتمدت في تحقيق هذا الهدف على معونة الحكومة لها ، من حيث تمويل هذه النقابات بالأموال اللازمة من حصيللة ضريبة القطن ، غير أن الحكومة لم تحرك ساكناً ولم تبذل النقابة العامة جهوداً جديدة في سبيل هذا الهدف سوى النداءات والقرارات والتوصيات التي تنشرها في الصحف أو ترفعها إلى السلطات الحكومية . ومن هنا بقيت النقابة خلال الفترة تنظيماً فوقياً لا يرتبط بتجمعات إقليمية تعطى أسباب القوة والاستمرار ، ومن هنا أيضاً كان الانفصال بين كبار المزارعين وبين صغارهم .

ولا بأس من أن نعرض للجهود النقابية العامة في هذا المجال وجهود غيرها من أنصار الفكرة ، ففي جلسة النقابة العامة (٢٧ ديسمبر ١٩٢٢) رفعت مذكرة إلى رئيس الوزراء بأنها تقبل استمرار ضريبة القطن (وكانت خمسة وعشرين قرشاً على القنطار آنذاك) إذا خصصت الحكومة قيمتها لمدة خمس سنوات ليكون رأس مال يمول النقابات الفرعية^(١) ، ثم تقدمت إلى أول برلمان بمذكرة تطالب فيها بإصدار قانون النقابات الزراعية « والمساعدة على إنشائها في البلاد وبأسرع ما يمكن وإمدادها بالمال أو منحها قرضاً حسناً على الأقل لتعمل به على تحسين شؤون الزراعة وإصلاح أحوال المزارعين »^(٢) .

وقدم محمد أبو الفتوح باشا إلى الجمعية الزراعية الملكية مشروعاً قال فيه أن النقابات الزراعية ألزم للفلاحين وأقرب إلى مساعدتهم من البنك وقد تكون النواة الصحيحة لبنك مصرى وطنى لأن النقابات تقدم خدمات لا يستطيع البنك تقديمها مثل شراء التقاوى الجيدة والأدوات الزراعية والمواشى وبيع المحاصيل والنقل أى أنها قرية من شكل الجمعيات التعاونية الزراعية^(٣) .

(١) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ص ٧٦ .

(٢) المقطم ، ١٩٢٤/٥/٢٣ .

(٣) المقطم ، ١٩٢٣/١/٣١ أيضاً المقطم ١٩٢٣/٦/٢٤ (نزهة على الور الزراعة ،

بقلم محمد توفيق السيد أباظة) .

ورأى البعض أن تتصل هذه النقابات ببنك زراعى تشرف عليه الحكومة وتعاونه وتكون وظيفته تمويل النقابات بالمال وقبول ودائعها على أن يتكون رأس مال هذا البنك من ضريبة القطن التى يجب أن تخفض إلى عشرة قروش ، وبهذا يمكن للمزارع المصرى أن يواجه احتسارات (الترس) معامل الفزل الانجليزية (١) .

على أن أقرب الآراء إلى الواقع العملى فى كيفية تكوين النقابات الزراعية ما قاله محمود شكرى باشا مراقب مجلس الشيوخ من أن تكوين النقابات يأتى بالتعاون بين الحكومة والأفراد لأنه يصعب قيام طرف واحد بالمشروع كله مرة واحدة فيمكن لأهالى كل بلدة الا ككتاب بنصف أسهم رأس المال ، والحكومة تكتسب بالنصف الباقي ، ومشاركة الحكومة على هذا النحو يجنبها الدخول فى سوق القطن شارية فتصون بذلك أموالها من المنامرة فى الأعمال التجارية ، ولما كان تنازل الحكومة عن دخل الميزانية من حصيله ضريبة القطن ليس من السهولة بمكان . فيمكن أن يؤخذ منها ما تقتضيه الحال لإنشاء النقابات وهذا المبلغ يصبح بثابة أسهم الحكومة فى النقابات بواقع النصف (٢) .

ومنذ البداية وجد من يذم النقابة إلى خطورة الاعتماد على الحكومة فى أمور هى أحق بالمشروع فيها وحدها ، لأن النقابة وجدت لتنقذ السوق بأعمال مادية لا أدبية ، نجعلها فى نظر الفلاح المنتج قوة لا يستهان بها مثل جمع المال من الأغنياء ذوى الأملاك الواسعة للوقوف فى وجه العاملين على نزول الأسعار ، فضلا عن أن تعرض الحكومة لهذه الأمور تعترضه عقبات جمة إزاء مصالح أجنبية لا قبل لها

(١) السياسة ، ١٩٢٣/٦/٢٩ (الافتتاحية) أنظر أيضاً المقطع ١٩٢٣/٧/١٢
اقتراح مقدم من بسيوفى بك الخطيب إلى مجلس مديرية الغربية .

(٢) المقطع ، ١٩٢٦/٢/٢٠ .

بها الآن (١) .

ولقد ذهبت هذه الآراء سدى رغم أهمية التضامن والاتحاد بين الزراع كمصلحة مشتركة واحدة ، حتى لقد أبدى أحد المعاصرين دهشته من أن معمر القذافي يشغل ٨٠٪ من أهلها بالزراعة لا تمثلهم سوى الجمعية الزراعية الملكية والنقابة الزراعية العامة . ولهذا دعا إلى قيام الاتحادات الزراعية التي تتكون من « طبقات » الزراع المشابهة لبعضها أى التي تكون وحدة اقتصادية حتى يسهل تطبيق أحدث الطرق الزراعية وأنجحها (٢) .

ورغم كل هذا فقد ظلت النقابة الزراعية العامة رمزاً لتجمع المصالح الزراعية ومصالح كبار الملاك على أى حال .

حتى أن فكرة تجمع أصحاب المصالح الزراعية أخذت بعداً آخرأ وضع في الدعوة إلى إنشاء ما يعرف « بحزب المزارعين الاقتصادى » (٣) ، الذى دعا إليه أحد كبار الملاك بالدقاية على أن يتكون من « نخبة المزارعين الذين لهم المصالح الحقيقية في البلاد والأحرار في معاملاتهم » ولا يشتغل بالسياسة ولا يشغل أعضاؤه بوظائف الحكومة وتكون له جريدة ترشد الملاح إلى مصالحه وتعلمه أحوال الزراعة .

(١) حسين تيمور الحامى ، أزمة القطن المصطنعة والنقابة الزراعية العامة (المقطم ١٩٢٣/٦/٢٨) . أنظر أيضاً يوسف نحاس ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ حيث يقول أن الفتابة ليس في استطاعتها وهى غير ممضدة تعفيدا مالياً كافياً من الزراع أنفسهم أن تسمى في الحالة الحاضرة وظيفة الدراسة ووضع المشروعات المفيدة حتى تتحسن الظروف .

(٢) حسين محمود عنان — سكرتير وزارة الزراعة — واجبتنا الزراعى بعد المعاهدة (محاضرة أقيمت بقاعة يورت ، المجلة الزراعية المصرية ، فبراير ١٩٣٧) .

(٣) حسن الزيفى ، حزب المزارعين الاقتصادى (المقطم ، ١٩٢٣/٣/٣) .

ولقد وجدت هذه الدعوة تأييداً من آخرين علقوا الأمل على معاونة الحكومة
« تحرياً لمصلحتها هي في ذلك » وعلى تأييد كبار الملاك وفي مقدمتهم البدر اوى
عاشور وفوده والأترى وعبد العظيم المصرى (١) . .

واستمرت الدعوة قائمة فتألفت اتجايدات نوعية مثل « الاتحاد الزراعى لتصرف
الحفص والفاكمة » والاتحاد الزراعى لتصرف البطاطس » في أبريل ١٩٣٣ (٢) .

ولكن الدعوة إلى تكوين اتحاد زراعى عام ظلت قائمة تتجدد في مختلف
المناسبات ، ففي ديسمبر ١٩٣٨ ، دعا أحدهم إلى وجوب إنشاء هذا الاتحاد « تجاه
ما يواجهه الزراع من صعاب كل عام سواء في عملهم أو تصرف حاصلاتهم بأثمان
بخسة (٣) وفي يوليو ١٩٣٩ دعا آخر إلى اجتماع عام يحضره من يهيمه أمر الفلاح
من أعضاء الهيئات النيابية وعمد وأعيان البلاد لتوثيق الروابط والتشاور فيما يجب
عمله لتوحيد السكامة (٤) .

غير أننا لم نعد نسمع عن هذه الدعوات بعد ذلك ، فقد أعلنت الحرب العالمية
الثانية وشغل الجميع بتطور الأحداث السياسية التي مرت بالمجتمع المصرى خلال
الحرب وبعدها . ومن الملاحظ أن مثل هذه الدعوات التي كانت تهدف إلى تجميع
الأصحاب المصالح الزراعية لم تكن تجدى الاستجابة الكافية لأنها فيما يبدو ، لم تكن
تظهر إلا في أوقات أزمة انخفاض سعر المحصولات الزراعية وخاصة القطن حتى إذا

(١) المقطم ، ١٩٢٣/٣/٧ . أنظر أيضاً العمدة ، يونيو ١٩٢٣ .

(٢) نفسه ، ١٩٣٣/٤/٢٠ ، ١٩٣٣/٤/٢٥ .

(٣) أحمد رشاد البدرى ، وجوب إنشاء اتحاد للزراع (المقطم ١٩٣٨/١٢/٣٠)
حيث كان يعلق على سياسة اللجان الزراعية والقطنية والمجلس الاستشارى الزراعى
وعدم فاعلية أى منها .

(٤) المقطم ، ١٩٣٩/٧/١٧ (دعوة من عبد اللطيف البدينى عضو مجلس مديرية

بنى سويف) .

انتهت الأزمة ومرت بسلام بتدخل الحكومة أو بطريق آخر ، فتر الخامس وعاد كل إلى أحواله الخاصة .

وكان هذا الأمر مثار دهشة في الواقع ، جعل أصحاب « المقطم » وهم من كبار الملاك — يعجبون « لأن يكون من كبار الزراع وأصحاب الأقطان في مصر جمهور من أقطاب البلاد وساستها وعلمائها ومحاميها وأطبائها ومهندسيها ، وأن تظل المصالح الزراعية من الوجهتين الفنية والتجارية عرضة لفعل كل ريح معاكسة تهب على هذا القطر من الخارج » (١) .



وإذا كانت فكرة النقابة الزراعية العامة قد راودت أصحاب المصالح الزراعية كهيئة تعبر عن مصالحهم ، فلقد ناضلوا نضالا دون توقف لإنشاء بنك لتسليف المزارعين بالأموال اللازمة حتى يتجنبوا اللجوء إلى البنوك الأجنبية وبيوت الرهونات فيطمئن الفلاح على محصوله وأرضه . وكما كانوا يأملون في مساعدة الحكومة لهم في إنشاء النقابات الزراعية ، علقوا عليها أملهم أيضا في إنشاء بنوك التسليف ، ولم يختلف أحدا ممن دعا إلى هذه الفكرة وحتى إنشاء بنك التسليف الزراعي في عام ١٩٣٠ ، في أن يكون إنشاء مثل هذه البنوك من أموال ضريبة القطن التي تحصلها الحكومة والتي ظل المزارعون يعتقدون أنها تجبى بدون وجه حق .

ويعتبر قايي فهمي باشا أقدم المناضلين من كبار الملاك لإنشاء بنك التسليف الزراعية ، فلم يترك أي فرصة إلا وعرض فيها فكرته سواء في الصحافة أو في الهيئات التشريعية أو إلى المسؤولين وأن كانت فكرة التسليف التي كان يدعو إليها لا تتطابق تماما ونظام التسليف الذي وضعت الحكومة في مشروع بنك التسليف ١٩٣٠ ، فقد كان يسميه هو ومعاصره البنك الزراعي ولكنه على أي حال يحمل

(١) نفسه ، ١٠/٤/١٩٣٣ .

فكرة البسليف الزراعى (١) .

ولم يكن قليلى فهمى وحده فى الميدان — وأن تفوق على الجميع — فقد شاركه آخرون معاصرون فى الدعوة إلى إنشاء بنك حكومى مصرى لمواجهة إحتكار الأجانب لأسواق المال وتسببهم فى الأزمات (٢) .

كما دعت النقابة الزراعية العامة إلى تأسيس بنك زراعى تعاونى أهلى تستمد منه النقابات الفرعية الأموال اللازمة لبسليف الفلاح الصغير (٣) ، وسماء البعض « البنك المملوكى المصرى » الذى يكون تحت إدارة المجلس الاقتصادى وإشرافه (٤) ، أو بنك الفلاح الذى يكون له فروع فى جميع مراكز الأقاليم تقرض المزارعين على أقساطهم فى موسم القطن (٥) . أو إنشاء بنوك زراعية صغيرة فى المديريات

(١) المقطم ١٩١٥/٥/٤ (بنك البنوك ووقاية البلاد من الأزمة المالية) ، السياسة ١٩٢٣/٢/١٦ (اقتراح مرفوع لهيئة الجمعية التشريعية بإنشاء بنك زراعى) ، المقطم ١٩٢٤/٩/١٦ (نداء للبرلمان عن الحالة الاقتصادية) ، المقطم ١٩٢٨/١٠/٥ (حماية الأقطان من تدهور أسعارها) ، المقطم ١٩٢٩/١٠/٣١ (مجموعة بركات للحكومة بشأن الحالة الحاضرة تتضمن نفس الاقتراحات) .

(٢) الأهالى ، ١٩٢٠/١١/٧ (بحث فى الاستقلال الاقتصادى بقلم محمد أبو الفتوح) . أيضاً ١٩٢١/١/١٢ إقتراح إبراهيم عاداه بمناسبة الاجتماع الذى عقد بدار أحمد لطفى الحامى لمناقشة الأزمة الراهنة .

(٣) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ص ٦٠ (نداء للنقابة فى ١٥/٦/١٩٢٢) وأيضاً نشرة إتحاد الزراع فى مصر — نوفمبر ١٩٣٠ .

(٤) المقطم ، ١٩٢٣/١/٢٧ (مشروع اقتصادى عظيم لحل مشكلة القطن بقلم أنيس دوسى) .

(٥) نفسه ، ١٩٢٩/١/٥ (اقبلوا فلاح من عثاره بقلم محمود فتح الله الجيار) ١٩٢٩/٧/٢٤ .

تأييدها الحكومة كما هو الحال في بلاد سويسرا ، فقد يستغرق إنشاء البنك الزراعى الحكومى وقتاً طويلاً (١) .

ولم يتخلف النواب من الملاك عن آتارة فكرة إنشاء بنك التسليف في مجلس النواب كلما واتتهم الفرصة فمئذ البرلمان الأول (١٩٢٤) ولم تتوقف الاقتراحات أو المشروعات حيث بدأها نائب الحوامدية (٢) ، وحتى حين وعدت الحكومة في خطاب العرش بإنشاء هذا البنك تساءل أصحاب المصالح الزراعية الصناعية عما إذا كان سيتمند نشاط هذا البنك للتسليف الصناعى أو التفكير في إنشاء مثل هذا البنك لمساعدة الصناعات (٣) .

واقدر واكتب فكرة إنشاء بنك التسليف فكرة أخرى لإنشاء بنك عقارى وطنى « إذ أن بنك مصر على أهميته لا يغطى كل حاجات « الأمة » من الأعمال التجارية ، فهذا البنك يحفظ الملكيات الزراعية من الوقوع فريسة في أيدي الأجانب عن طريق بنوكهم العقارية ، ويعول البنك — كما اقترح صاحب الفكرة — من الاكتتابات العامة وتقديم ٢٥ ٪ من مرتبات موظفى الدولة لمدة عشر سنوات وتحويل نسبة ما يخصم من مرتبات الموظفين لحساب المعاشات إلى هذا البنك حيث يستفيد الموظف بمدى حالته للمعاش بفوائد هذه الأسهم . كما توضع فيه أموال الأوقاف وأموال الجمعيات وأموال المجالس الحسبية والمدبريات ، على أن يقوم هذا البنك بتسوية الديون المطلوبة من أصحاب الملكيات والتي لا تزيد على ٤٠ مرة عن قيمة الأموال المقررة للقدان ويسددها البنك عنهم ويبرها قروضا عليهم بفائدة

(١) نفسه ، ١٣٠/١١/٩ (ضائتنا الاقتصادية ومتى تضع أوزارها بقلم عبد الحميد شديد) .

(٢) مجلس النواب ، ١٩٢٤/٤/١٩ .

(٣) نفسه ، ١٩٣٠/٤/٣ (سؤال لحامد الشواربى باشا) .

٥. فقط لمدة ٣٠ سنة تقسط على أقساط سنوية (١) .

وإلى جانب بنك التسليف والبنك العقاري الوطنيين ، ظهرت فكرة إنشاء بنك لتأمين الفلاح ضد ما يصيب محصولاته من الندوة (للقطن) والآفات وكافة الأخطار الأخرى . وأعلن صاحب الفكرة أنه يكتب فيه بخمسة آلاف جنيه أسهم ورفع مشروعه إلى الأمير عمر طوسون « صاحب المشروعات الرائدة » (٢)

والجديد الذى كان فى هذه المشروعات ، فكرة إنشاء بنك أمريكى مركزه الإسكندرية يكون حلقة وصل بين البنوك الأمريكية والسيارة المصرية ، وهى الفكرة التى عرضت على الوفد التجارى الأمريكى خلال زيارته القاهرة فى غضون شهر مارس ١٩٢٣ ، وتدور حول إنشاء بنك الفلاح كشركة مصرية مساهمة ينفى نصف رأسماله بنك مصر بالاشتراك مع المالىين المصريين الآخرين . وينفى النصف الآخر البنك الأمريكى وذلك لمساعدة النقابات والفلاح وإدخال كل ما هو جديد ، ومفيد للزراعة المصرية ، وإنشاء شركة مساهمة مصرية أخرى تكون مهمتها إنشاء مخازن واسعة فى القرى المصرية ولتشفيل محالج بجانبها (٣) .

وحول هذه الفكرة نفسها سافر أمين يحيى باشا إلى الولايات المتحدة لإقناع ذوى الشأن من أصحاب الأموال الأمريكية بالشروع فى إنشاء فرع للبنك الأمريكى المؤسس بالآستانة والذى يمثل رؤوس الأموال الأمريكية فى الشرق الأدنى (٤) ، ولكن فشلت هذه الفكرة بسبب خسارة الولايات المتحدة فى أزمة ١٩٢٠ حوالى مائة مليون دولار — الأمر الذى جعلها تغلق عدة فروع لبنوكها

(١) المقطم ، ١٩٢٥/٩/١ ، ١٩٣٠/١٠/١٨ (إنشاء بنك عقارى بقلم حسن الزينى) .

(٢) السياسة ، ١٩٢٦/١٠/٣ ، المقطم ١٩٢٦/١٠/٥ (اقترح لعبد الحميد شديد) .

(٣) المقطم ، ١٩٢٣/٤/٢١ (بنك أمريكى بقلم عبد الفنى جميعى باسكندرية) .

(٤) نفسه ،

في الخارج ، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط (١) .

تلك كانت جهود كبار الملاك من أجل بنوك التسليف وبنوك التأمين والبنوك العقارية ، وإذا كانت جهود الملاك من أجل إنشاء الاتحاد الزراعى العام قد انتهت باقامة النقابة الزراعية العامة التي ظلت رمزا لتجمع أصحاب المصالح الزراعية أكثر منها منظمة أو هيئة ذات فاعلية ، فإن جهودهم من أجل إقامة بنوك التسليف الزراعى قد كملت بالنجاح حين إنشأت الدولة بنك التسليف الزراعى (١٩٣٠) وإن كن هذا يعد إستجابة للظروف الاقتصادية المتغيرة عقب الأزمة العالمية وتدخل الدولة لحماية الإنتاج المحلى أكثر منه إستجابة لجهود كبار الملاك في هذا المجال .

* * *

إذا كانت النقابة الزراعية العامة — رغم ضعفها — تجمعها يحمى مصالح كبار الملاك ، وكانت بنوك التسليف التي دعوا إليها — على اختلاف مسمياتها — مصادر تحمى الثروة من الضياع في أيدي المرابين وبنوك الرهن الأجنبية فلقد كانت لكبار الملاك قضية أخرى تصل اتصالا وثيقا بحماية مصالحهم وهي تخفيض تكاليف الإنتاج ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وقد دفعهم هذا الهدف إلى مناقشة أمور كثيرة في هذا المجال مثل ضريبة الاطيان وضريبة القطن وغيرها من الضرائب ، ونفقات النقل والحليج والمواد الأولية كالفحم . . . الخ .

والحقيقة أن شكوى كبار الملاك من الضرائب ، كانت ترجع إلى أن قواعد الضريبة التي تقررت بالقانون الصادر في ١٠ مايو ١٨٩٩ لم تحقق المساواة في توزيع أعباء الضريبة على جميع أهالى مصر ، إذ كانت الضرائب تفرض على الدخول العقارية دون الثروات المنقولة ، وكان من نتائج ذلك أن تحملت بعض الفئات العبء دون غيرها ، ورغم أن المالك الكبير كان أحيانا ينقل عبء هذه الضريبة على المستأجر ، ورغم أنه كان يتساوى مع المالك الصغير والضئيل من حيث قيمتها ، بل كان يتفوق

عالية عند تقرير القيمة الإيجارية لأراضيه توطئة لفرض ضريبة عليها أو عند تقسيطها عليه في وقت الإزمات المالية^(١) ، إلا أنهم كانوا في مقدمة من طالبوا بتعديل ضرائب الأطنان وتطبيقها على جميع أهالى البلاد كضريبة على الثروة بصفة عامة .

ومحاولة تحقيق هذا الهدف قديمة قدم قانون الضرائب العقارية (١٨٩٩) حتى أن محمد فريد آثارها في المؤتمر الوطنى (٧ يناير ١٩١٠) حيث قال أن أصحاب الأطنان يدفعون ٢٨ ٪ من الإيجارة كضريبة ، بينما يدفع أصحاب المقارات المبنية فى المدن ٨ ٪ من الإيجارة ، والتجار لا يدفعون شيئا وكذلك المصارف وأصحاب الأموال المنقولة أى حصة الأسهم فى البنك القارى ، أو البنك الأهلى ، وأهاب بالكتاب والخطباء أن يشرحوا هذه المسائل لماقشتمها فى ميزانية عام ١٩١١^(٢) .

ومنذ آثار محمد فريد هذه المسألة ، وجهود الملاك لم تتوقف سواء فيما نشرته الصحافية من مقالات وصرخات وبرقيات أو فيما أعلنه النواب فى المجالس النيابية من المطالبة بتعديل ضرائب الأطنان والتصدى لمن يحاول المطالبة بتحميل الملاك ضرائب أخرى . ففى خلال الحرب العالمية الأولى مثلاً طالب أحد المحامين (نجيب شقرأ) بفرض ضريبة قدرها ٢٠ أو ٣٠ قرشا عن كل فدان فى السنة بالإضافة إلى الضريبة الأصلية لإرتفاع أثمان المحصولات آنذاك (١٩١٧) بحيث يبقى هذا الوضع طوال الحرب وبمدها بسنة على أن تعرف المبالغ المتجمدة على من لا يجد عملا وعلى العمال وصغار الموظفين ، فنقده أحد كبار الملاك (زكريا نامق) تقدما ر واعتبر ذلك « إضرارا بالثروة القومية وقاتلا للفلاح ومعطلا لسداد الديون العقارية ومشجعا لفريق السكالى والعاطلين على التمدادى فى البلادة والسكسل » وقال أن هذا الاقتراح إذا كان مبنيا على ارتفاع أثمان المحاصيل ، فإن المستفيد الأول هو الفلاح المستأجر لا المالك ، وقال أيضاً أن مثل هذه المطالب

(١) حسين خلاف ، تطور نظام الضرائب فى مصر . ص ٤٣ - ٤٤ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، محمد فريد . ١٣٣ - ١٣٤ .

تجعل الملاك يرفعون قيمة الإيجار على الفلاح فترفع بذلك الرحمة من قلوب الأقوياء
وتتخرج مرا كز الضعفاء (١) .

وفي مناقشات اللجنة العامة لدستور ١٩٢٣ (٢) ، عرض مشروع المادة (٩٣)
وتنص على أنه « لا يجوز إنشاء ضريبة أو تعديل ضريبة أو إلغاؤها إلا بقانون » .
وفي مناقشة هذه المادة وضع اتجاه كبار الملاك ، فقد حاولوا جعل هذا الحق من
سلطة المجلس لأن أغليته منهم فيكونون بذلك أحرص من غيرهم على الضرائب
وتقريرها وقد عبر عن ذلك عبد اللطيف المسكباني وأيده محمد علي علوبه — وهما
من كبار الملاك — بقوله « الضرائب هنا كلها عقارية ولا ضرائب على الإيراد
ولا على التجارة ، فاصلاح هذه الحال يقتضى تخويل المجلس حق اقتراح الضرائب
ويخشى أن تقع الحكومة تحت تأثير أصحاب رؤوس الأموال فلا تقترح الضرائب
المشروعات العامة التي يقتضيها الإصلاح » . . . أما الذين اقترحوا أن يكون
حق فرض الضرائب للحكومة فقد كان دافعهم هو المحافظة على مصالحهم أيضاً ولكن
من زاوية أخرى ، فزكريا نامق — وهو مالك كبير — يقول « تخويل حق اقتراح
الضرائب للمجلس فيه خطر خصوصاً بعد أن تقرر مبدأ الانتخاب من غير اشتراط
النصاب ، فقد يوجد مجلس فيه أغلبية اشتراكية أو أغلبية من الملاك فيرهقون التجار
والعكس ويلاحظ أن الحكومة مسؤولة وهذا يدعوها إلى الاحتراس أما المجلس
فغير مسؤول ويخشى أن يسرف في هذا الحق » . . أما عبد العزيز فهمي الذي
طالب بأن يكون هذا حق الحكومة ، فقد كان يخدم بوجهة نظره الملاك ولكن
من ناحية أخرى كما ذهب زكريا نامق ، فهو يقول « إعطاء هذا الحق للمجالس
فيه خطر على الشعب أما الحكومة فمسؤولة عن عملها وقد لا تلجأ إلى الزيادة في
الضرائب بل تعالج الحالة عن طريق الاقتصاد في المصروفات ويخشى أن خول المجلس
هذا الحق أن تقف الحكومة في وجه كل مشروع يقترحه المجلس بدعوى أن ليس
لديها المال وتطالب المجلس فرض ضريبة جديدة ولكن لو كان هذا الحق للحكومة

(١) المقطم ، ١٩١٧/٦/١٦ (الفلاح أولى بالرحمة بقلم زكريا نامق) .

(٢) محاضر اللجنة العامة للدستور ، جلسة ١٦ بتاريخ ١٩٢٢/٨/١١ .

فـكون مأمورية المجلس مطالبتها بالمشروعات اللازمة والحكومة يكون عليها إيجاد المال اللازم لذلك من أى طريق تراه .

ولما كان تعديل ضرائب الأتيطان مطالباً رئيسياً — كما قلنا — فقد نادى به جميع الملاك سواء فى البرلمان أو خارجة، ففى جلسة ١٤ يوليو ١٩٢٦^(١) طالبت لجنة مالية بالمجلس بالبـدء منذ ذلك الوقت فى تشكيل لجان تعديل ضرائب الأتيطان المنتظر إجرائها فى عام ١٩٤٢ بحيث تراعى العدالة والمساواة بين أهالى البلاد دون تمييز بين « طبقة وأخرى » والبحث عن موارد أخرى للحكومة بدلاً من ضرائب الأتيطان فقط .

وفى جلسة ٥ يونيو ١٩٣٣ قدم إبراهيم دسوقي أباطة ومعه تسعة عشر نائباً ، إستجواباً للحكومة عن عدم وفائها بتخفيض ضرائب الأتيطان^(٢) .

وأحياناً كان الملاك يطالبون الحكومة بأن تتجاوز عن جزء من مال الأتيطان لتخفيف العبء عنهم فى أوقات الأزمات ، فقد طالبت النقابة الزراعية بأن تتنازل الحكومة (فى عام ١٩٣٣) عن ١٨٦٦٧٠٠ جنيه من قيمة المتحصل من ضرائب الأتيطان وقدره ٩٤٣٢٢٩ ر ٥ جنيتها بعد خصم نصيب صندوق الدين وقدره ٣٤٠٠٠ ر ٥ جنيتها ورسوم مجالس المديرىات وقدرها ٦٧٦٩٥٢٩ جنيتها، وهذا المبلغ المطلوب تتنازل الحكومة عنه ما يوازى قيمة المال المقرر على ثمانية قراريط من كل مالك^(٣) .

وأحياناً كان الملاك يطالبون بتعديل مواعيد تحصيل هذه الضرائب كما فعل

(١) مجلس النواب ، ١٩٢٦/٧/١٤ ، أنظر أيضاً المقطم ١٩٣٣/٤/٢٧ ، ١٩٣٣/٥/١٦ .

(٢) مجلس النواب ، ١٩٣٣/٦/٥ .

(٣) مذكرة النقابة الزراعية المصرية العامة إلى مجلس الوزراء (المقطم

١٩٣٣/٦/١) .

نائب الشهداء (عبد المقصود حبيب بك) الذى طالب بالفاء تحصيل شهر يونيو وجملة فى شهر يوليو . وكان فى هذا يعبر عن مصلحته كمالك كبير لأن مصلحة الأموال المقررة ردت على هذا الاقتراح « بأن صغار الزراع بالوجه البحرى مجهزون حاصلاتهم فى أوائل شهر يونيو ومن السهل عليهم سداد المطلوب منهم قبل تصرفهم فيها ، أما كبار الزراع فلا يبدأون بتجهيز حاصلاتهم إلا فى شهر يوليو . وفى ضم قسط يونيو إلى يوليو ارهاق لصغار الملاك » (١) .

وفى المؤتمر الزراعى الأول عام ١٩٣٦ (٢) ، أثير موضوع تعديل نظام ضرائب الأتليان وطالب المؤتمرون « بوضع حد أعلى لضريبة القدان يوافق حقيقة الدخل الآن » وليكن ١٢٤ قرشا بدلا من ١٦٤ قرشا لحماية الملكية الزراعية وتخفيف تكاليفها بل طالبوا بجواز أن يطلب المالك إعفاء أرضه من الضريبة كلها أو بعضها لمدة سنة إذا « هاف » المحصول لأسباب قهرية كالبرد والصواعق والفيضانات العالية والآفات وذلك تطبيقاً للأمر العالى الصادر فى ١٨٣٣ والذى لم يلغ أى قانون حتى ذلك الحين .

وبينما كبار الملاك يبذلون جهودهم لتعديل ضرائب الأتليان أقدمت الحكومة على فرض ضريبة على القطن بواقع خمسة وثلاثين قرشا على القنطار بعد حمله ابتداء من موسم عام ١٩٢٠ فأضيفت جهة جديدة بذل فيها أصحاب المصالح الزراعية جهوداً أخرى لالتأثير ، فرادى أو من خلال النقابة العامة أو من خلال البرلمان أو من خلال مجالس المديرية .

وكان أول المحتجين مجلس مديرية الغربية الذى عقد اجتماعاً فى ٢٩ فبراير ١٩٢٠

(١) مجلس النواب ، ١٩٢٧/١٢/٥ ، أيضاً جلسة ١٩٣٣/٢/٢١ حيث طالب النائب محمد عزيز أباطة بتأجيل تحصيل الأموال الأميرية من الملاك الذين انتفخوا من التسويات العقارية .

(٢) عبد الحليم إلياس نصير ، نظام ضرائب الأتليان (بحث مقدم للمؤتمر الزراعى الأول ١٩٣٦) .

فور قرار مجلس الوزراء . بحضور أعضائه الذين يمثلون نخبة من كبار الملاك في مصر وعلى رأسهم محمد البدر اوى عاشور ، محمد أبو الفتوح ، سراج الدين شاهين ، بسيونى الخطيب ، وغيرهم ، حيث قرر المجلس بإجماع الآراء : « تبليغ الحكومة عدم رضا أهالى مديرية الغربية عن هذه الضريبة واحتجاجهم على صدور القرار بغير مراعاة الطرق القانونية فقد أثقل كاهل الفلاح المصرى بالضرائب وأصبح لا يرضى بأن يكون هو محور الثروة المصرية والقائم بأغلب نفقات الحكومة » (١)

وتتابعت الاحتجاجات ، ولم تخرج الاقتراحات التى قدمها أصحاب المصالح الزراعية عن إلغاء الضريبة أو تخفيضها أو تخصيص قيمتها لتمويل النقابات الزراعية أو تأسيس بنوك التسليف ، كما تقدم ، وكأما خفضت الحكومة جزءاً منها طالبوا بالمزيد ، وهكذا . فقد انخفضت من ٣٥ قرشاً إلى ٢٥ قرشاً في ١٩٢٢ إلى ٢٠ قرشاً ثم إلى عشرة قروش في حكومة إسماعيل صدق ، واستمرت بعد ذلك محاولات تخفيضها إلى خمسة قروش أو إلغائها (٢)

فقد دعا واحد من كبار الملاك إلى تأليف الوفود التى تمثل المزارعين في جميع المديريات لتلح على الحكومة في تخصيص ضريبة القطن للدفاع عن القطن ، وأن يطلب فلاحو كل مديرية من مجالس المديرية أن يقرر ذلك الأمر وإعلان الحكومة به ، فإذا وافقت جميع مجالس المديريات على هذا ، كان بمثابة إجماع للرأى وعلى الحكومة تأييده (٣) .

(١) الأهالى ، ١٩٢٠/٣/٤

(٢) المقطم ، ١٩٢٠/١٠/٢٧ ، ١٩٢٦/١/٢٣ ، (الاقتحافية) ، ٢٦/١٠/١٢ ،
(مسألة القطن بقلم الفريد شماسى) ، ١٩٣٣/٤/٢٧ ، ١٩٢٩/١٠/٣١ ،
١٩٣٠/٨/٢٤ (حديث اقتصادى لمحمد المغازى باشا) ١٩٣١/٨/٢١ — (القطن
بقلم يعقوب بياوى) ، ١٩٣٩/١/١٢ ، ١٩٣٩/٧/٣٠ .

(٣) المقطم ، ١٩٢٣/٧/١ (الطريقة المثلى للدفاع عن القطن بقلم السكسان أبسخرن) ،
المقطم ١٩٣٢/٨/٣ والسياسة ١٩٢٦/١/٢٠ (مقالات ليوسف نحاس وقلبنى فهمى)

ولقد قامت النقابة الزراعية العامة بدورها في محاولة إلناء أو تخفيض ضريبة القطن منذ الجلسة الأولى التي عقدتها في ١٤ فبراير ١٩٢١ حيث طالبت بإلئائها^(١)، وتكرر ذلك في كل مناسبة ، ففي جلسة ٢٧ ديسمبر ١٩٢٢ طالبت بتخفيض قيمة الضريبة للنقابات الزراعية^(٢) ، وكذلك في مذكراتها إلى البرلمان^(٣) .

وكانت وجهة نظر النقابة في ذلك أنه يجب حماية محصول البلد الرئيسى من المزاخمة في الأسواق الخارجية ، ومن ثم فلا يجوز إرهاقه بالضرائب بالإضافة إلى زيادة نفقات الزراعة وكثرة الضرائب المقررة على المزارع من رسوم مجالس المديرىات والمجالس البلدية وضريبة الحفر ورسوم التصدير الجمركى وزيادة سعر الحلج وثمان الفحم وأجور العمال . . . الخ^(٤) .

وفى مجلس النواب لم يتأخر النواب من الملاك عن إثارة الأسئلة والاستجوابات حول رأى الحكومة فى إلناء الضريبة فضلا عن تقارير لجنة المالية بالمجلس التى لم يخل أى تقرير لها بشأن الميزانية السنوية من إثارة موضوع ضريبة القطن ، ولقد كانت اقتراحاتهم متفقة تماماً مع اقتراحات النقابة الزراعية أو مجالس المديرىات^(٥) ، وهذا شىء طبيعى فالشكل يعبر عن مصلحة واحدة وأن اختلفت أدوات التعبير .

(١) يوسف نحاس ، المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) نفسه . ص ٧٦ ، ١٥٢ ، ١٥٤ .

(٣) المقطم ، ١٩٢٤/٧/٢٣ ، ١٩٢٥/١١/٦ ، ١٩٢٨/٢/٢٩ ، السياسة

١٩٢٨/٢/٢٨ نشرة اتحاد الزراع فى مصر . نوفمبر ١٩٣٠ ويناير ١٩٣١ .

(٤) المقطم ، ١٩٢٦/١/٣٠ .

(٥) جلسات مجلس النواب ١٩٢٤/٤/٦ ، ١٩٢٤/٥/١٠ (اقتراح من عمود

بدر اوى عاشور) ، ١٩٢٤/٦/٧ (اقتراح من عمود وهبه القاضى) ، ١٩٢٤/٦/٨

(اقتراحات لسراج الدين شاهين . عمود وهبه القاضى . أحمد رمزى) ، ١٩٢٦/٩/١٤

(سؤال لأحمد حمدى سيف النصر) ، ١٩٢٧/٦/٣٠ (تقرير لجنة المالية واقتراح

من أحمد حمدى سيف النصر) ، ١٩٣٣/٥/٢٥ (اقتراح من عشرة أعضاء .

وتقرير لجنة المالية) .

لقد كان كبار الملاك في صراعهم لتخفيض ضريبة القطن أو إلغاؤها يعبرون عن مصالحهم الذاتية ، ولا شك ، وكأى صاحب مصلحة ، كانوا يعالجون شئونهم الخاصة بمعزل عن الظروف القائمة ، ففى مطالبتهم بإلغاء الضريبة نسوا أن ميزانية الدولة بنيت فى باب الإيرادات على هذه الضريبة وعلى غيرها ، فإذا ألغيت من حساب الإيرادات كان لا بد من الاقتصاد فى المصروفات بما يوازى قيمة الضريبة أو تقرير ضريبة جديدة بالقيمة نفسها ، ولم يكن هذا متاحاً آنذاك بالقدر الكافى ، ولقد عبر اسماعيل صدق فى عام ١٩٢٦ عن ذلك — وظلت هذه وجهة نظر الحكومة — إذ قال أن الاقتصاد فى المصروفات أصبح صعباً بسبب زيادة النفقات مع زيادة مرافق الدولة . . وأما تقرير ضريبة جديدة محل ضريبة القطن فيحول دونه الاتفاقات الدولية القائمة التى سوف تنتهى فى عام ١٩٣٠^(١) ورغم هذا فقد جاء عام ١٩٣٢ ولم تلغ الضريبة ولكن خفضت إلى عشرة قروش ، حتى إذا ما طالب النواب بخفضها إلى خمسة قروش ، رفض اسماعيل صدق نفسه حتى يكون هناك بديلاً للإيرادات^(٢) .

وكا بذل أصحاب المصالح الزراعية جهودهم لتعديل ضرائب الأطنان وإلغاء ضريبة القطن كوسيلة من وسائل تخفيض نفقات الإنتاج ، فقد بذلوا جهود أخرى فى سبيل هذا الهدف ، كتخفيض أسعار حليج القطن لدى المحالج ، وخفض أجور النقل والرسوم الجمركية على الواردات من الآلات والمواد الزراعية .

فقد طالبت النقابة الزراعية العامة^(٣) وزارة الزراعة بإقامة محالج للقطن وجعل الحليج فيها بأجرة التكاليف فقط وبدون ربح «فليس للحكومة أن تقوم بالتجارة»

(١) السياسة ، ١/٢١/١٩٢٦ .

(٢) مجلس النواب ، ١٩٣٢/٧/٥ .

(٣) جلسة مجلس إدارة النقابة فى ١٤/٢/١٩٢١ (يوسف نحاس المصدر السابق

ص ١٧) ، المقطم ، ١٩٢٥/٤/١ حيث والت هذا المطالب بمنابتهما فى معظم توصياتها وبلاغاتها .

وبهذا تضطر المحالج التجارية إلى تخفيض أسعار الحالج عندها ، أما إذا تمذر على الحكومة تأسيس المحالج فيمكنها استئجار بعضها من الأفراد لتحقيق نفس الهدف .

كما طالب يعقوب بياوى عضو مجلس الشيوخ اسماعيل صدق رئيس الوزراء بأن يتوسط لدى شركة مصر لتجارة وحالج الأقطان لتخفيض أجرة الحالج إلى ما كانت عليه قبل الحرب العالمية الأولى مقابل أن يقوم بنك التسليف الزراعى بحالج جميع أقطانه لديها^(١) .

كذلك طالب أعيان الفيوم بتخفيض أجور نقل البضائع بالسكة الحديد لأنهم لاحظوا أن قيمة النقل إلى الفيوم هى نفس قيمتها إلى أسيوط^(٢) ، وأثيرت أجور النقل بصفة عامة في المؤتمر الزراعى الأول ١٩٣٦^(٣) .

وبمناسبة وضع نظام الحماية الجمركية أبدى النواب رغبات كانوا قد تقدموا بها في عام ١٩٢٧ تنحصر في تخفيض الرسم على الأسمدة الكيماوية والمواد اللازمة للرش والتدخين ، وتخفيض الرسوم على الآلات الزراعية ، وإعفاء الحاصلات التى تصدر للخارج من رسوم التصير حتى تنمو تجارة الصادرات وتتسع^(٤) .

(١) المقطم ، ١٩٣١/٨/٢١ .

(٢) نفسه ، ١٩٢٠/١٠/٢٧ ، جلسة مجلس إداره النقابة الزراعية في ١٤/٢/١٩٢١ (يوسف نحاس ، المصدر السابق ص ١٧) .

(٣) المؤتمر الزراعى الأول عام ١٩٣٦ (بحث مقدم من قاينى فهمى) .

(٤) مجلس النواب ، ١٩٣٠/٢/١٣ ، نشرة اتحاد الزراع فى مصر ، يناير ١٩٣٠ (على ذكر الإصلاح الجمركى ، بقلم أ . لىفى . حيث طالب بالاهتمام بمصالح المزارعين بنفس درجة الاهتمام بالمصالح الصناعية ، لأنه يتمذر فى الوقت الحاضر ولزمن طويل وجود ميداناً تتناقض فيه المصالح الزراعية والصناعية تناقضاً أساسياً لا سبيل إلى التوفيق فيه بل أن التوفيق بين أصحاب المصالحتين فيه فائدة للجميع .

وأثيرت هذه المطالب مرة أخرى في المؤتمر الزراعى الأول (١٩٣٦) الذى أوصى بإنشاء مصانع للالات الزراعية فى البلاد التى يحفى مخرجوها الأجانب أرباحاً طائلة^(١) .

وتعشياً مع هدف تقليل النفقات وزيادة الأرباح سعى أصحاب المصالح الزراعية منذ وقت مبكر إلى الاتصال بمصانع الغزل الانجليزية مباشرة دون وساطة تجار الصادرات فى بورصة مينا البصل أو غيرها ، الذين كانوا يتقاضون مبالغ كبيرة لقاء القيام بهذه العمليات ، فلقد قدم محمد أبو الفتوح — أحد كبار الملاك — مذكرة إلى مجلس التجارة الزراعية^(٢) يقترح تشجيع أصحاب مصانع الغزل فى انجلترا بإيجاد وكلاء لهم بالمدن يشترى القطن من المزارعين مباشرة ، وفى ذلك توفير ٣٧ قرشاً عن كل قنطار تبقى فى « جيب » المالك بدلاً من أن تذهب إلى « جيب » الوسيط حيث أن تكاليف نقل القنطار من مخزن المزارع إلى رصيف الميناء بالاسكندرية بمعرفة الوسيط تبلغ ٥٨٥ قرشاً بينما تتكلف بدون الوسيط ٢١ قرشاً . ولأن هذا المجلس كان معظمه من الأجانب ذوى المصالح المشتركة مع تجار الصادرات بالبورصة ، فقد أبدى صعوبة تحقيق هذا الهدف وأعلن تفضيله لطريقة البيع السائدة مع ما فيها من مشقة .

واهتمت النقابة الزراعية العامة بمسألة إلغاء الوسطاء فوضعت مشروعاً فى فبراير ١٩٢٢ ، بتأليف جمعية من داخل النقابة تقوم بشراء واستلام القطن من الراغبين ، وعلى هذه الجمعية أن تختار البنوك التى تتعامل معها بمعرفتها ، وكذلك اختيار المحلات والوكالات التى تقوم بحركة البيع لحسابها داخل مينا البصل^(٣) .

(١) المؤتمر الزراعى الأول ١٩٣٦ (بحث مقدم من قلىنى فهمى) .

(٢) محمد أبو الفتوح ، بحث فى إصلاح الطرق المتبعة فى بيع القطن . بحث مقدم إلى لجنة التجارة الزراعية (المقطم ، ٢٥/٥/١٩١٦) .

(٣) جلسة مجلس إدارة النقابة الزراعية العامة فى ١٩٢٢/٢/٦ (المتظم والأخبار فى ١٥/٢/١٩٢٢) .

وفي يونيو ١٩٢٢ أعلنت النقابة أنها تسعى إلى تأسيس شركة لشراء الأقطان من المزارعين مباشرة والعمل على تقليل الوسطاء بين المنتج المصري والغزال الأجنبي في إنجلترا وفرنسا وألمانيا لزيادة أرباح المزارع المصري (١) .

وخلال عام ١٩٣٦ - ١٩٣٧ وضعت النقابة مشروعاً لإقناع الغزالين في الخارج بتفضيل القطن المصري على سواء وإغرائهم بتقديم سلفيات للغزالين الذين يغيرون منازلهم لتصبح صالحة لغزل أصناف القطن المصري (٢)

ولقد ظلت هذه المشروعات تعبيراً عن حماس أصحاب المصالح الزراعية لتخفيض نفقات الإنتاج ولم تصل إلى نتائج إيجابية ، فلم يكن من المتصور مثلاً أن ترسل مصانع الغزل بإنجلترا أو غيرها كلما احتاجت للقطن المصري بمندوبيها للتجول في قرى ونجوع القطر المصري لشراء ما يلزمها ، هذا في الوقت الذي لم تسكن فيه النقابات الزراعية - على ضآلتها - مهياًة للقيام بتجميع الأقطان في شئونها وإرسالها للنقابة المركزية لتوضع تحت تصرف مندوبي مصانع الغزل (٣) .

وكما كانت محاولات كبار الملاك تعديل ضرائب الأطنان وإلغاء ضريبة القطن وتخفيف أجور النقل والحاج ، وإلغاء الوساطة بينهم وبين الغزالين ، وسيلة من وسائل تخفيض النفقات وزيادة الأرباح ، فقد سعوا - تحقيقاً لنفس الهدف - إلى حماية إنتاجهم من المنافسة الأجنبية وقد سارت جهودهم في هذا المجال في خطين متوازيين :

الأول : المطالبة بزيادة الرسوم الجمركية على الواردات التي لها مثيل مما ينتجه المزارعون .

(١) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ص ٦٠ « جلسة مجلس إدارة النقابة في

١٩٢٢/٦/١٥ » .

(٢) نفسه ، ص ٣٦٩ .

(٣) المقطم ، ١٢/١٠/١٩٢٨ .

الثاني : المطالبة بتخفيض رسوم التصدير على ما يصدر من هذا الإنتاج .

فعندما رفعت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية رسم الوارد على بعض المنتجات المصرية كالقطن والبصل في عام ١٩٢٩ لحماية إنتاجها المحلي ، ثار المنتجون المصريون وطالبوا بإقناع الحكومة الأمريكية بالمدول عن هذا الموقف ، كما طالبوا الحكومة المصرية برفع الضريبة الجمركية على البضائع الأمريكية إلى نسبة ٦٠ ٪ مقابل العشر ريالات التي قررتا الولايات المتحدة على كل قنطار قطن مصرى يدخل أراضيها (١) .

كما طالبوا من خلال مجلس النواب والنقابة الزراعية بزيادة التعريف الجمركية على الواردات والحاصلات التي تنتجها أرض مصر بكثرة وزيادة الرسوم تدريجياً على الأصناف التي تنتجها مصر بكميات لا تزال غير كافية (٢) ، وزيادة الرسوم على المنتجات الحيوانية المصنوعة وغير المصنوعة اللازمة للصناعة المصرية والتي تنتج في مصر (٣) . وأيضاً زيادة الرسوم على الوارد من الفاكهة والخضر المزروعة

(١) المقطم ، ١٩٢٩/٤/٦ (حديث لمحمد لغازي باشا) ، ١٩٢٩/٤/٢ ،
(رسالة رفعها أمين يحيى باشا المسالى الكبير إلى الملك بشأن الاتصال بالحكومة الأمريكية ومنهم من إصدار تعريف كبير على دخول القطن المصرى أراضيها) وأيضاً
جلسات مجلس النواب في : ١٩٣٠/٣/٢٤ (مناقشات أزمة تصدير البصل لفخري
عبدالنور نائب جرجا) ، ١٩٣٠/٤/١٧ (اقتراحات للنائب عبدالعزيز المجيزى) ،
١٩٣٣/٥/١٧ (مناقشات النائب عبد المنعم عبد القادر للموم) أنظر أيضاً : يوسف
نحاس ، المصدر السابق ص ١٨٦ ، ٢٣٩ — ٢٤٥ .

(٢) نشرة اتحاد الزراع في مصر ، يناير ونوفبر ١٩٣٠ ، مجلس النواب ،
جلسة ١٧ / ٥ / ١٩٣٣ ، المقطم ، ١٩٣٤ / ٢ / ٢ (رأى لقلبي فهمى حيث
اعترض على قرار اللجنة مكافحة الغلاء بخفض الرسوم على الواردات من القمح
والدقيق) .

(٣) مجلس النواب ، ١٩٣٠/٢/١٢ .

في مصر (١) .

ويضاف إلى هذا المذكرات العديدة التي تقدم بها مزارعو القصب إلى الحكومة بشأن خطر منافسة السكر الأجنبي وضرورة تشجيع المستهلك المصري للسكر المحلي وهذا لا يتأتى إلا بوضع رسم جمركي على السكر الوارد يتعادل مع الثمن المراد تحديده لقطار قصب السكر (٢) .

وفي نفس هذه الاتجاهات سارت جهود أصحاب المصالح الزراعية في محاولة لإلغاء رسم التصدير المقرر على القطن وبذرتة وبعض المنتجات الأخرى التي تصل في إنتاجها إلى مرحلة التصدير وهي جهود بدأتها النقابة الزراعية العامة منذ إبريل ١٩٣١ ، ولم تخرج محاولاتها — شأن كل المحاولات — عن استعطاف الحكومة لإلغاء رسوم التصدير المقررة (٣) .

لقد كانت حماية الإنتاج الداخلي مسألة ضرورية وبدونها — كما عبر أحد كبار

(١) المقطم ، ١٩٢٩/١٢/٢٧ حيث أبدى نستور جينا كايس ، منتج العنب ، أحجابه عن التوسع في زراعة العنب مزاحمة العنب الوارد من إيطاليا واليونان . أنظر أيضاً جلسة مجلس النواب في ١٩٣٠/٢/١٢ .

(٢) أنظر على سبيل المثال الوفد الذي قابل محمد محمود رئيس الوزراء والمؤلف من كبار المزارعين في مقدمتهم بولس باشا حنا ، كامل جلال باشا ، عبد المجيد سيف النصر ، عبد الهادي عبد الرحيم وغيرهم (لأخبار ، ١٩٢٩/٥/٢٨) وأيضاً جلسة مجلس النواب في ١٩٢٦/٧/٣١ .

(٣) المقطم ، ١٩٣٥/١٠/٢٨ (خطاب النقابة إلى وزير المالية ووزير التجارة والصناعة وإلى رئيس مجلس الوزراء) . أنظر أيضاً : يوسف نحاس ، المصدر السابق (أعمال النقابة خلال عام ١٩٣٥ — ١٩٣٦) ص ٣٦٨ ، وأيضاً : المقطم ، ١٩٣٧/٩/٣٠ حيث طالب عبد العزيز رضوان (مالك وتاجر كبير) بأن تخصص الحكومة إعانة لمصدري القطن .

الملاك — لا جدوى من العناية بالزراعة في مختلف مراحلها^(١) .

ولقد تفسر محاولات كبار الملاك في هذا الصدد على أنها حماية للإنتاج القومي أكثر منها حماية لمصالح ذاتية ، ومع هذا يصعب تجاهل عامل المصلحة الخاصة في هذه الجهود .

ومن عجب أن أصحاب المصالح الزراعية الذين كثيراً ما نقدوا الحكومة في سياستها من أجل تخفيض نفقات الإنتاج وحمايته من المنافسة الخارجية وتشجيع تصديره ، كانوا في الوقت نفسه يطالبونها بالتدخل لحماية سوق القطن ، مصدر ثروتهم الرئيسى ، وتلخصت جهودهم في هذا المجال في مطالبة الحكومة بإصلاح نظام بورصة مينا البصل حيث يباع القطن ، والتدخل في سوق القطن شارية أو تقييد المساحة المزروعة من القطن والتسليف عليه .

وجاءت مطالبهم بإصلاح البورصة في وقت مبكر عن المطالب الأخرى ، ففي مايو ١٩١٦ قدم محمد أبو الفتوح مذكرة إلى لجنة التجارة الزراعية بتعديل نظام سوق مينا البصل حتى تتحقق المساواة بين البائع والمشتري وإعتبار البيع نهائياً ومقيداً للطرفين متى تم الاتفاق عليه ، وأن يكون خبراء البيع محايدين ، وتحديد قيمة العمولة والسهمرة ، وفي ذلك إنقاذ للفلاح الذى يقع ضحية مناورات البيع داخل البورصة^(٢) .

ولقد قامت النقابة الزراعية العامة بدورها أيضاً في هذا المجال ، فأعلنت في عام ١٩٢٢ أن مشروعاتها تتمحور نحو إصلاح بورصة العقود ومينا البصل لتنظيم السوق الزراعية التجارية وذكرت أن شركة المحاصيل Produce Association

(١) محمود أبو حسين (عمدة منفلووط) ، ثمرة الزراعة في حماية الأسعار المقطع ، ١٩٣٣/٤/١١ .

(٢) محمد أبو الفتوح ، بحث في إصلاح الطرق المتبعة في بيع القطن (المقطع ، ١٩١٦/٥/٣١) .

تسيطر على بورصة منيا البصل ، فهي ، أى الشركة ، التى أسستها ومن هنا ارتبط مجلس إدارة البورصة بشركة المحاصيل التى لها تسعة سماسرة وثلاثة منتجين فى مجلس إدارة البورصة . ولما كان السماسرة تابعين بطبيعة الحال لتجار الصادرات كان لهم تأثيرهم فى تحويل التيارات لمصالحهم ، الأمر الذى جعل ستين سماسراً يسيطرون على سوق العقود وجعل لبضعة مجال تجارية السيادة على البضاعة الحاضرة باستمرار ، لهذا اقترحت النقابة تكوين لجنة تسمى « لجنة المراقبة العليا لأسواق المحاصيل والعقود » من اثني عشر عضواً منهم ستة من أعضاء النقابة الزراعية باعتبار أنهم يمثلون مصالح المنتج المصرى ، وستة آخرون من بين سماسرة بورصة العقود وتجار الصادرات والمصارف ، ويضم إلى اللجنة مندوبان من وزارة الزراعة ومندوب من وزارة المالية يرأس اللجنة (١) .

وقد جددت النقابة هذا المطلب فى مذكرة رفعتها إلى مجلس النواب والشيوخ فى ١٠ إبريل ١٩٢٤ (٢) .

ولم يغفل أعضاء مجلس النواب من أصحاب المصالح الزراعية عن المطالبة بإصلاح نظم البيع فى البورصة . وأن حمل لواءها فى معظم الأحيان أعضاء مجلس إدارة النقابة الزراعية (النواب) (٣) ، بالإضافة إلى مناقشات المهتمين فى

(١) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ص ٦٠ ، ٩٠ (جلسة مجلس إدارة النقابة فى ١٥ / ٦ / ١٩٢٢ ، ٣١ / ١٢ / ١٩٢٢) . أنظر أيضاً : السياسة ٢٩ / ١٢ / ١٩٢٥ حيث طالبت بإدخال عنصر المنتجين فى مجلس إدارة البورصة كما هو الحال فى أمريكا . بدلاً من تجار الصادرات الذين يعملون لحساب الغزاليين أكثر من المنتجين .

(٢) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ص ١١٩ — ١٢٢ .
(٣) أنظر على سبيل المثال جلسات مجلس النواب فى : ١٩ / ٤ / ١٩٢٤ ، ٢٠ / ٩ / ١٩٢٦ (اقتراح من حسين بك هلال) ، اقتراح من محمد محمد بايع) ، ٥ / ٣ / ١٩٣٠ (سؤال من وديع صليب) ، ٣٠ / ٥ / ١٩٣٤ (بيان لجنة المالية) .

هذا المجال (١) .

ومن الملاحظ أن محاولات إصلاح البورصة قد ظلت قائمة دون جدوى حتى نهاية الفترة تقريباً ، ولعل الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة التي ظلت قائمة من الناحية العملية حتى عام ١٩٤٩ ، كانت الصخرة التي تحطت عليها كل الجهود التي بذلت ، فعلى سبيل المثال وضعت الحكومة في ١٩٢٤ مشروع قانون يحظر بيع القطن تحت القطع سواء على السكوترات أو بالوجه ، وأرسل إلى الجمعية العمومية بالحكمة المختلفة لإقراره ، غير أن الحكومة سحبت تحت تأثير معارضة التجار الأجانب المتنفعين من هذه الطريقة (٢) .

وفي خلال سنوات هبوط أسعار القطن ، كان الملاك يطالبون الحكومة بالتدخل في السوق بشراء كميات كبيرة لحسابها حتى تعيد للسوق توازنه . والحقيقة أن المطالبة بتدخل الحكومة على هذا النحو ، كانت تصاحبه المطالبة بتحديد مساحة القطن إلى الربع أو الثلث ، فإذا كان التدخل مطلوباً في سنة ، كان التحديد مطلوباً في السنة التالية .

وترجع هذه المسألة — كما شرحتها النقابة الزراعية (٣) — إلى موقف الفزاليين ، فهم يريدون كميات وفيرة بثمن قليل ، والمنتج لا يستطيع التوفيق بين هذين الأمرين لأن الآفات قد تصيب القطن فيقل المحصول ، فإذا رأى المنتج هبوطاً في أسعار القطن ، أنقص المساحة في السنة التي تليها حتى يرغم الفزال على دفع الثمن المناسب ، وهذا ما كان يسبب نقص المساحات القطنية عقب السنة التي يكون فيها السعر منخفضاً ، وزيادتها عقب السنة التي يرتفع فيها السعر .

-
- (١) محمد نجيب ولاية ، مسألة القطن (المقطع ، ١٢/١٠/١٩٢٦) أيضاً :
كلمة الفلاح المنتج بقلم الكسان ابسخرون (المقطع ، ١٨/٩/١٩٣٧) .
(٢) مجلس النواب ، ١٩/٤/١٩٢٤ .
(٣) يوسف نجماس ، المصدر السابق . ص ١٥٣ (اجتماع عام للنقابة في ١١/٣/١٩٢٥) .

وفي هذا النطاق تحركت جهود أصحاب المصالح الزراعية ، ففي ٢٩ نوفمبر ١٩٢٠ زار وفد من كبارهم قصر عابدين والوزراء مطالبين بقيام الحكومة بإصدار قوانين تحدد المساحة التي تزرع قطناً في الموسم القادم بثلاث الزمام^(١) ، كما وجه المزارعون نداءاتهم لإعداد ربع المساحة فقط للقطن^(٢) .

وهكذا كان الحال في كل سنوات انخفاض الأسعار في ١٩٢٦^(٣) ، ١٩٣٠^(٤) ، ١٩٣٧^(٥) . هذا إلى أن النقابة أ كثرت من نصحتها للمزارعين بانقاص مساحة القطن ، كما أ كثرت من طلبها تدخل الحكومة في تحديد المساحة^(٦) .

وفي نفس الوقت ، وجد من يعترض على سياسة تقييد مساحة القطن ، ويرى

(١) الأخبار ، ١٩٢٠/١١/٣٠ ، وكان على رأس الوفد محمد أبو الفتوح باشا ، محمود أبو حسين باشا ، فتح الله سلطان باشا ، بشرى بك حنا ، سراج الدين شاهين ، جورجى ويصا بك ، السيد خشبه وهم يمثلون الوجه القبلى والبحرى .

أنظر أيضاً : المقطم ١٩٢٠/١٢/٢ .

(٢) المقطم ، ١٩٢٠/١٢/٦ ، ١٩٢١/١/٦ ، ١٩٢٥/٩/١٠ ، ١٩٢٥/١٠/٢٣ .

(٣) المقطم ، ١٩٢٦/١٠/١٢ (اقتراحات لمحمد كامل جلال باشا ، واقتراح لالفرید شماس باقتفاء أثر أمريكا في تخفيض المساحة المزروعة قطناً) أيضاً : السياسة ، ١٩٢٦/١٠/١٤ (المصحفة الزراعية) مجلس النواب في ١٩٢٦/٧/١٧ .
(٤) المقطم ١٩٣٠/٨/٢٤ (حديث لمحمد المغازى باشا الذى طالب بإيقاف زراعة القطن في العام الزراعى المقبل) .

(٥) الكسان البسخرون ، (كلمة الفلاح المنتج ، ١٩٣٧/٩/١٨) .

(٦) يوسف نحاس ، المصدر السابق . جلسة مجلس إدارة النقابة في ١٩٢٢/٩/١٥ .

أنظر أيضاً : المقطم ، ١٩٢٥/١١/٦ .

على العكس زيادتها وزراعة الأرض البور بالقطن بشرط إيجاد المصانع لفضله ونسجته،
فلا يتعرض المزارع إلى أزمة تسويقه (١) .

كما نادى البعض بأن تقييد زراعة القطن بالثالث غير مفيد لأن المتحكم في أسعار
القطن هي أمريكا ، أكبر الدول المنتجة . وكل ما يجري في أسواقها من زيادة
أو نقصان في الثمن يؤثر على الأسواق الأخرى بدليل أنه لم يحدث تغيير يذكر في
الأسعار ، رغم تحديد المساحة ، بل ومن المحتمل في هذه الحالة أن تنظم مصانع
الغزل الانجليزية خططها في الإنتاج أساس كمية المحصول الناتج من الثالث وتحول
باقي مازالها لإنتاج أصناف أخرى غير القطن المصري، فيخسر المنتج المصري بذلك
مصدراً كبيراً للثروة (٢) .

على أية حال ، لقد كان تحديد زراعة القطن بثالث الزمام من ابتكار كبار
الملاك (٣) كوسيلة من وسائل حماية أسعار القطن وذلك بالإقلال من عرضه عن طريق

(١) محمد أسعد ولاية ، القطن المصري بين حاضره ومستقبله (المقطم
١٣/١١/٢٦) ، المقطم ٤/٥/١٩٢٠ ، ١٤/٦/١٩٣٠ (رسالة من الأمير عمر طوسون
يتتقد فيها التحديد) .

(٢) الكسان ابسخرون ، الدفاع عن القطن بانقاص زمامه إلى الثالث (المقطم ،
٢٦/١١/١٩٢٥) أنظر أيضاً : نجيب ميخائيل جرجس ، الشك في فائدة قانون
الثالث (المقطم ، ٢٩/٧/١٩٢٨) .

(٣) يرجع بدء التفكير في وجوب إتباع الدورة الزراعية الثلاثية إلى عام
١٩٠٨ حيث قررت اللجنة التنفيذية للجمعية الزراعية الخديوية المنعقدة تحت رئاسة
الأمير حسين كامل باشا بجلسته ٢/٣/١٩٠٨ تشكيل لجنة خاصة لبحث أسباب عجز
محصول القطن ، وقد اجتمعت اللجنة للمرة الأولى في ٣٠ مارس ١٩٠٨ ، وقد
استعرضت حالة الإنتاج وقارنتها بالزيادة المطردة في مساحة القطن خلال المدة من
١٨٩٥ - ١٩٠٧ وانتهت إلى أن نظام الزراعة المتبع إذ ذاك يعد مسؤولاً عن تدهور
خصوبة التربة ، ومن ثم نصحت باتباع الدورة الثلاثية خاصة وأنها متبعة في أراضي
الدومين (خليل سري ، المصدر السابق . ص ٨٦ - ٨٧) .

تقليل كمية المنتج ، وهذا التحديد لم يكن يضر بمصالح كبار المزارعين لسكبر حجم مساحة ملكياتهم بحيث يكون ثلث المساحة في أى الأحوال مناسب . ولكنه كان مضرأ ولا شك بصغار الملاك لضآلة حجم ملكياتهم ومن هنا كانت مطالبتهم بشدة للحكومة بتطبيق قانون الثلث في أوقات أزمات أسعار القطن ، ولو أنهم في الأوقات العادية يعملون من قانون الثلث قانوناً للنصف كما سبقت الإشارة .

أما المطالبة بتدخل الحكومة في سوق القطن شارية ، فكما ذكرنا كان يسير جنباً إلى جنب مع مطالبتها بتحديد زراعة القطن ، ولقد جعلته النقابة الزراعية أول أعمالها في الاجتماع الأول لها بعد تشكيلها حيث قررت أن تطالب الحكومة بشراء مليوني قنطار من البضاعة الحاضرة ، ومطالبة الأهالي في نفس الوقت بالاحتفاظ بمليون آخرين (١) .

وحين قررت الحكومة شراء صفقات صغيرة من القطن لا تتجاوز الواحدة مائة قنطار تخفيفاً للعبء عن صغار المزارعين ، تساءلت النقابة الزراعية العامة قائلة « وهل كبار المزارعين من رعايا الحكومة لا يستحقون أيضاً العطف عليهم .. » (٢) ثم تقدمت في ديسمبر ١٩٢٢ بمذكرة إلى رئيس الوزراء أعلنت فيها « أن الحكومة إذا أرادت إنتشال البلاد من الوهدة المالية التي هي فيها فلا سبيل إلى ذلك إلا بدخولها على الفور شارية في سوق القطن » (٣) ، وتذكور منها ذلك الموقف في كل الأزمات التي تعرض لها سوق القطن (٤) .

ووقف كبار الملاك خارج النقابة يطالبون بتدخل الحكومة في سوق القطن

(١) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ص ١٧ (الجلسة الأولى لمجلس إدارة النقابة في ١٤/٢/١٩٢١) .

(٢) نفسه ، ص ٢٨ (جلسة مجلس إدارة النقابة في ٦/٣/١٩٢١)

(٣) نفسه ، ص ٧٦ (جلسة مجلس إدارة النقابة في ٢٧/١٢/١٩٢٢)

(٤) المقطم ، ١١/٦/١٩٢٥ ، ١٧/١٠/١٩٢٦ .

دون تردد ، فإن خسرت فما عليها إلا أن تعوض خسارتها من إيراد ضريبة القطن (١) ، أو أن تشتري بالمبالغ التي كانت تكسبها من تدخلها المتكرر ، على أن تقوم بإعدام المخزون الموجود لديها حتى تقل قيمة المعروض أو أن تتصرف في هذا المخزون بتصنيعه (٢) . وطالب آخرون فقط بالتدخل دون قيد أو شرط (٣) .

غير أن البعض كان يعترض على قيام الحكومة بمثل هذه الأدوار التجارية ، كما نقدوا من اقترح إعدام المخزون القطني لدى الحكومة وعدوا ذلك انهزامية فضلاً عما فيه من تبديد لأموال الأمة (٤) .

وفي الأوقات التي كانت الحكومة تتردد فيها في دخول سوق القطن شارية ، كان أصحاب المصالح الزراعية ، يطالبونها بتقديم السلفيات للمزارعين حتى لا يضطروا لعرض محصولهم للبيع بأثمان بخسة . وقبل إنشاء بنك التسليف كان الملاك يطالبون الحكومة بالتدخل لدى البنك الأهلي لتسليف المزارعين بالضمانات اللازمة (٥) ، أو تكليف بنك مصر بهذه المهمة بعد تزويده بمبلغ واف من المليون جنيه التي كان

(١) نفسه، ١٢/٧/١٩٢٣ (اقتراح من بسيوني بك الخطيب عضو مجلس مديرية الغربية لرئيس المجلس) .

(٢) محمد توفيق الطوبجى ، اقتراح لتحسين أسعار القطن (المقطم ١٦/١٠/١٩٢٥) .

(٣) المقطم ، ٣١/١٠/١٩٢٩ ، ٢٩/٧/١٩٣٩ . أنظر أيضاً جلسة مجلس النواب في ٦/٧/١٩٢٩ .

(٤) عبد العزيز رضوان ، أزمة القطن ورأى في تفرجها (المقطم ٣٠/٩/١٩٣٧)

أيضاً . المقطم ، ١٣/١/١٩٢٦ .

(٥) المقطم ، ٢/١٢/١٩٢٠ (مذكرة قدمها وفداً من الاعيان إلى السلطان فؤاد) .

البرلمان قد أقرها لمشروع التعاون الزراعى^(١) ، أو أن تقوم الحكومة بالتسليف من الحزنة العامة بمعرفتها وبالشروط التى تراها بحيث تكون فى صالح الزراع^(٢) ، كأن تكون ثلاثة جنيهات ونصف على القنطار من القطن الاثمنونى وأربعة جنيهات ونصف جنيهه على القطن من السكلاريدسى ، على أن يقوم المالك بتوريد القطن إلى البنك الذى تحدده الحكومة^(٣) . وقيام الحكومة بهذا الدور يعادل ما تقوم به الحكومة الأمريكية بالنسبة لمزارعيها^(٤) .

فلما انشئ بنك التسلف الزراعى (نوفمبر ١٩٣٠) لمساعدة صغار المزارعين إراد كبار الملاك الإفادة منه فطالبت النقابة الزراعية العامة بالألا يقصر التسليف على كل مالك لا يزيد ملكه على ٢٠٠ فدان كما كانت شروط البنك بل يشمل كل مالك كبير مهما بلغت ملكياته^(٥) .

-
- (١) نفسه ، ١٢/١٠/١٩٢٦ (محمد نجيب ولاية ، مسألة القطن) .
(٢) محمد أسعد ولاية ، القطن المصرى بين حاضره ومستقبله (المقطم ، ١٣/١/١٩٢٦) ، المقطم ، ١٧/١٠/١٩٢٥ .
(٣) محمد كامل جلال باشا ، مسألة القطن (المقطم ، ١٢/١٠/١٩٢٦) ،
أيضاً المقطم ، ١٥/٨/١٩٢٨ (اقتراح من محمد سليمان غنسان عضو مجلس مديرية الغربية) .
(٤) السكسان ابسخرون ، لحماية القطن (المقطم ، ٣/٥/١٩٢٩) .
(٥) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ص ٤٢٥ ، ٤٤٩ (من أعمال النقابة خلال عام ١٩٣٨ — ١٩٣٩) أنظر أيضاً على سبيل المثال : المقطم ، ١٨/٩/١٩٣٧ (كلمة الفلاح المنتج ، السكسان ابسخرون) ، ٥/١٠/١٩٣٧ (علاج مسألة القطن ، بقلم أحمد مدوح منصور عمدة قلين) ، ٣/١/١٩٣٩ (علاج تدهور أسعار القطن بقلم محمد عبد الحميد الدماطى) ، ٢٩/٧/٣٩ (فى مقال مشكلة القطن بقلم قلبنى فهمى) ، ٣٠/٧/١٩٣٩ (الكارثة القطنية بقلم جابر موسى عمدة برد نوها ، ٢٢/٨/١٩٣٩ (علاج أزمة القطن بقلم أحمد أباطة بك) أيضاً : السياسة ، ٢٢/١/١٩٢٩ .

ولقد اعترض البعض على مبدأ التسليف هذا على أساس أنه يؤدي إلى الإكثار من الخزون القطفي باستمرار (١) .

والملاحظ بصفة عامة أن الاعتراض على مبدأ التسليف على الأقطان أو على مبدأ دخول الحكومة سوق القطن شارية ، كان يأتي من جانب كبار الملاك الزراعيين التجاريين لأنه في الحالتين سوف يحول بينهم وبين الانفراد بسوق الشراء اعتماداً على حاجة الفلاح ، بينما وقفوا إلى جانب المطالبين بتدخل الحكومة في إصلاح بورصة العقود حتى يستطيعوا انتزاع الأرض من جانب تجار الصادرات الذين كان أغلبهم من الأجانب . حتى كبار الملاك الذين كانوا يطيألون الحكومة بالتدخل في الشراء أو التسليف لحماية المزارع الصغير كانوا يخدمون أنفسهم بطريق غير مباشر ، لأن اضطراب المزارع الصغير إلى البيع بالأسعار البخسة — وفي ضوء الظروف الموجودة — سيؤدي إلى حصول تجار الصادرات على حاجاتهم من المحصول المعروض في السوق ومن ثم يتخرج مركزهم أي كبار الملاك ولا يملكون في هذه الحالة إلا تخزين محصولهم ، وهكذا كانوا يظهرون دائماً بمظهر المشفق على « الفلاح الصغير » .

على أن اعتماد أصحاب المصالح الزراعية على تدخل الحكومة ، بل ومطالبتهم بذلك ، يؤكد إلى حد كبير أنهم لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى درجة عالية من النضج والتوحد وامتلاك ناصية الأمور في أيديهم حتى يستطيعوا تقرير ما يريدون ودون استجداء الحكومة واستعطافها ، وقد تبدو هذه النتيجة غير منطقية مع حقيقة أنهم موجودون في أجهزة السلطة الحكومية على نحو ماسيأتي ذكره . وأغلب الظن أن القيود الاقتصادية التي فرضتها الامتيازات الأجنبية قد شلت حركة أصحاب المصالح الزراعية حتى عن الدفاع عن مصالحهم وحمايتهم من التدهور .

على أية حال ، لقد بذل كبار الملاك جهوداً ضخمة في تمثيل حماية مصالحهم الاقتصادية فلم يتركوا باباً إلا وطرقوه بحثاً عن وسائل حماية هذه المصالح حتى لقد

(١) عبدالعزيز رضوان، أزمة القطن ورأى في تفريجهما (المقطم، ١٩٣٧/٩/٣٠)

أيضاً : المقطم ، ١٩٣٧/١٠/٥ .

أوقمهم حرصهم هذا في تناقص مع موظفي الدولة حين كانوا يطالبون بتخفيض مرتباتهم « وتسريح ، نصفهم حتى تحصل الدولة على فائض من الأموال يجعل بإمكانها التنازل عن ضريبة القطن وغيرها من الضرائب ، فقد نادوا بأن أولى وسائل تدبير الأموال لخزينة الدولة هو خفض مربوط الوظائف الكبيرة^(١) ، وتخفيض ميزانية مرتبات موظفي الدولة إلى النصف على الأقل^(٢) ، أو تخفيض ١٥ ٪ من مرتبات الموظفين الذين يتقاضون أكثر من ٢٥ جنيها شهرياً^(٣) . كما اقترح الرجوع بمرتبات الموظفين إلى ما كانت عليه قبل الحرب العالمية الأولى فقد كانت مرتباتهم في عام ١٩١٣ تبلغ ١٧ ٪ من مصروفات الدولة وأصبحت في الثلاثينات تبلغ ٤٢ ٪^(٤) .

وفي مناقشة ميزانية الدولة لكل عام كان النواب يطالبون بتخفيض مصروفات الدولة عن طريق خفض مرتبات الموظفين وانقاص درجاتهم وعلاواتهم أو إيقافها^(٥) كما طالبوا بإلغاء الفقرة الثانية من المادة ٢٣ من لأئحة المستخدمين الصادرة في ٢٤ يونيو ١٩٠١ التي تجيز ترقية المستخدم إلى أكثر من درجة^(٦) .

وواضح هنا الرؤية الذاتية في مناقشة موضوع مرتبات موظفي الدولة فالرجوع بها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى دون تقدير للارتفاع النسبي في الأسعار الذي شمل كل مرافق الحياة بصورة جعلتهم وهم أصحاب الأراضي والضياع يشكون ، فيه

(١) على إسلام ، وسائل تحسين حالة الفلاح إقتصادياً . ص ١٢ .

(٢) السياسة ، ١٩٢٥/٤/٢٧ . تعليق قليق فهمي على طلب ٩٠٠.٠٠٠ جنيه زيادة في مرتبات موظفي الدولة واعتبار ذلك بعثرة لأموال الأمة . انظر أيضاً . المقطم ، ١٩٢٦/١/٢٣ ، ١٩٣١/٩/١٢ .

(٣) نشرة اتحاد الزراع في مصر ، نوفمبر ١٩٣٠ .

(٤) الكسان ابسخرون . كلمة من أحد المولدين ودافعي الضرائب (المقطم ، ١٩٣٢/٨/٣) أيضاً ميناس خورى الهاجى ، ضريبة الأتليان (المقطم ، ١٩٣٣/٥/١٦)

(٥) مجلس النواب ، ١٩٢٦/٧/٢٥ ، ١٩٢٧/٦/٣٠ ، ١٩٣٣/٥/٨ .

(٦) نفسه ، ١٩٢٧/١٢/١٣ .

اقتنات على فئة اجتماعية كانت وما زالت تعتبر من الفئات السكادحة ، فضلا عن أن زيادة نسبة المرتبات في الدولة من ١٧ ٪ في عام ١٩١٣ إلى ٤٢ ٪ في الثلاثينات راجع بلا شك إلى زيادة حجم الأعباء التي أصبحت تقوم بها الدولة مما استتبع زيادة عدد الموظفين وهكذا .

* * *

لقد اتجه النشاط الاقتصادي لكبار الملاك بصفة أساسية إلى استغلال الأرض الزراعية بأسلوب الإنتاج الرأسمالي القائم على الإيجار والذي اتخذ من الأرض سلعة تباع وتشتري ، بهدف الحصول على الأرباح بالإفادة من تغير أثمان وقيمة الأراضي من آن لآخر .

ولقد ظلت الزراعة محالا رئيسيا لاستثماراتهم لفترة طويلة كما ظلوا محجوبين عن الدخول في مجال النشاط التجاري والصناعي ، تاركين هذا الميدان لرؤوس الأموال الأجنبية . فلما دخلوا هذا المجال منذ أواخر العشرينات ، اقتصر أغلب نشاطهم فيه على شراء الأسهم في الشركات المساهمة فكانوا مساهمين أكثر منهم منتجين .

وكان طبيعيا أن يبذل كبار الملاك جهودا لحماية مصالحهم الزراعية من حيث تخفيض نفقات الإنتاج لزيادة أرباحهم فطالبوا الحكومة بتعديل ضرائب الاطيان والغاء ضريبة القطن وغيرها من الضرائب المفروضة على فروع الإنتاج الزراعي . كما طالبوا بزيادة رسوم الواردات على المنتجات المماثلة للإنتاج المحلي ، وتخفيضها بالنسبة للالات والمواد الزراعية الرئيسية ، كما طالبوا بتخفيض رسوم الصادرات على الإنتاج المحلي ليسهل تصديره والاتصال بأسواق العالم . كما طالبوا بالتدخل في الدورة الزراعية وتقييد مساحة القطن المزروع بثلاث الزمام حين بدأ أن هذا التدخل لازم لحماية أرباحهم ، كما طالبوا بالتسليف على القطن حتى لا يضطر المزارع الصغير إلى بيع محصوله بأسعار بخسة لتجار الصادرات فيضف بذلك مركزهم ويضطروا هم الآخرين إلى بيع محصولهم بالأسعار السائدة .

غير أن هذه الجهود وقفت في غالب الأحيان عند حد استعطاف الحكومة

وإستجداً لها ولم يتمكن كبار الملاك من حماية مصالحهم الحماية الكافية رغم تركيزهم في السلطات التشريعية والتنفيذية ، مما يثبت أن الامتيازات الأجنبية كانت تحول دون فرض وسائل الحماية اللازمة وخاصة تلك التي تتعرض للحد من نشاط رؤوس الأموال الأجنبية بأى صورة من الصور .

حتى النقابة الزراعية العامة التي كونها كبار الملاك في مطلع عام ١٩٢١ لم تستطع القيام بدوراً إيجابياً وفعال في تنفيذ السياسة الزراعية التي طالبوا بها برغم انها كانت تضم كبار الشخصيات السياسية ، فقد ظلت تنظيماً فوقياً لا يعتمد على نقابات فرعية إقليمية تمده بأسباب القوة والحياة وذلك أنهم اعتمدوا في تحقيق هذه الأهداف على معونة الحكومة وتدخلها .

ولقد ظلت يد كبار الملاك مغلوطة عن القيام بحماية إنتاجهم ومصالحهم فترة غير قصيرة ، إلى أن ساعدتهم الظروف على تحقيق ذلك تدريجياً وعلى مراحل ، وكان أولها في عام ١٩٣٠ حيث وضعت التعريفات الجمركية وثانيتها بعد إلغاء الامتيازات الأجنبية في عام ١٩٣٧ وأن لم يكن بصورة مطلقة حيث استمرت المحاكم المختلطة ، التي تم دسورة أساسية لحماية الامتيازات الأجنبية ، من الناحية العملية حتى عام ١٩٤٩ .

الفصل الثالث

علاقات كبار الملاك بالقوى الاقتصادية

استعرضنا في الفصل السابق النشاط الاقتصادى لكبار الملاك وكيف أنه انتقل من الأرض كعجال رئيسى للاستثمار إلى مجالات أخرى كتأسيس الشركات المساهمة التجارية والصناعية . كما رأينا كيف أن تعدد مجالات نشاطهم الاقتصادى قد استازم منهم جهوداً ضخمة لحماية مختلف الوسائل والطرق حق نشأ ما كان يعرف بأصحاب المصالح الزراعية . ومن ناحية أخرى ، فقد ترتب على هذا النشاط دخول كبار الملاك فى علاقات بقوى اقتصادية أخرى كانت تحكم هذا النشاط بطريقة أو بأخرى ، وكانت هذه القوى فى الأساس : الفلاحون أو مستأجرو الأرض بصفة عامة ، والبنوك وشركات الأراضى ، وأخيراً الحكومة التى كانت لها السلطة المركزية والتى كانت لها هى الأخرى علاقات مباشرة مع مستأجرى أراضى الأملاك الأميرية . وعلى هذا سيكون محور هذا الفصل علاقات كبار الملاك بهذه القوى الاقتصادية بادئين بالعلاقات مع الفلاحين ومستأجرى الأرض الزراعية .

كان الإيجار بصورة وأشكاله المختلفة يشكل علاقة رئيسية بين كبار الملاك

والفلاحين، فكما تقدم، كان المالك الكبير يستغل أرضه عن طريق الإيجار الذي كان يضمن له ربحاً ثابتاً مهما تغيرت ظروف الأسواق، ويجدر بنا قبل أن نتعرض لإشكال الإيجار المختلفة، أن نتكلم أولاً عن الإيجار وقيمه وأحكامه كإطار عام يحكم العلاقات بين الطرفين . .

الإيجار عقد يلتزم بموجبه المالك بأن يعطى لآخر، حق الانتفاع بالأرض مقابل دفع أجرة معينة، فالمستأجر في هذه الحالة يقوم بدور المنظم للإنتاج، وبهذا المعنى فالإيجار يشبه إلى حد كبير نظام الشركات المساهمة فكما أنها تقوم على توظيف أموال الأغنياء في مشروعات لا يستطيعون القيام بها، كذلك الإيجار يعتبر وسيلة لحصول المختصين بالفلاحة على الأرض واستغلالها . وفي هذه الحالة يعتبر مالك الأرض ممثلاً للمصالح المستقبلية والدائمة للأرض بينما المستأجر يمثل المصالح الوقتية (١) .

وبالاحظ أن الذين اعتمدوا على الإيجار في استغلال أراضيهم كانوا من الملاك الذين لا يحترفون الزراعة ولا يقيمون بالريف، أو أصحاب الدوائر الكبيرة التي يصعب عليهم إدارتها على الذمة، وكذلك البنوك وشركات الأراضي التي تضم إليها أراضي المدنيين، وأيضاً الأوصياء على القصر الذين يجدون في التأجير ما يبرئ ذمهم ويدفع عنهم سوء الظن والشبهات (٢) .

ولقد قدر الاقتصاديون الزراعيون قيمة الإيجار عادة باعتبار ٥ ٪ ربحاً صافياً لرأس المال، فإذا كان الفدان يساوي مائة جنيه فيؤجر بمبلغ خمسة جنيهات، وإذا كان ثمنه مائة وعشرين جنيهاً يؤجر بمبلغ ستة جنيهات وهكذا (٣) .

(١) عبد الحكيم الرفاعي، المصدر السابق . ص ١٩٨ . أنظر أيضاً . حسن سعد شديد، طرق استغلال الأراضي الزراعية (المجلة الزراعية المصرية . يناير فبراير . ومارس ١٩٤٣) . .

(٢) محمد السعيد محمد، المصدر السابق . ص ١٠٤ .

(٣) عبد الفتى غنام، المصدر السابق . ص ١٢٧ .

ومع ذلك فلم يحدث أن كانت قيمة إيجار الأرض في مصر خلال الفترة بهذه النسبة ، ففي عام ١٩٣١ على سبيل المثال بلغت أثمان وإيجارات الأراضى الزراعية في مصر كما يلي (١) :

المديرية	متوسط ثمن الفدان الواحد	متوسط إيجار الفدان	متوسط الربح %
البحيرة	٨٣ر٠٧٢	٥ر٥٩٥	٦ر٩
الغربية	٩٨ر٢٦٩	٧ر١٢٣	٧ر٢
الدقهلية	١١٥ر٢٠٦	٨ر٤٤٦	٧ر٣
الشرقية	٨٦ر١٥٥	٥ر٨٥٨	٦ر٨
المنوفية	١٤٠ر٠٨٨	٩ر٤٥٦	٦ر٣
القليوبية	١٥٣ر٤١٧	١٠ر٤٠٥	٦ر٨
الجيزة	١٤٤ر٦٠٥	٩ر٩٤٩	٦ر٩
بنى سويف	١٢٧ر٦٧٨	٧ر٩٢٠	٦ر٢
الفيوم	٨٧ر٢٨٥	٤ر٤٦١	٥ر١
المنيا	١٢٩ر٥٠٠	٧ر٠٨٥	٥ر٥
أسيوط	١٢١ر٦١٦	٧ر٦٨٣	٦ر٣
جرجا	٨٩ر٨٥٨	٦ر٠٣٠	٦ر٧
قنا	٧٢ر٠٧٦	٥ر٥٩٩	٧ر٨

ويلاحظ من هذا الجدول أن متوسط الربح زاد عما قدره علماء الاقتصاد الزراعى (٥ ٪ من رأس المال) فيما عدا مديرية الفيوم التى وصلت فيها النسبة إلى ١٠ ٪ والمنيا التى وصلت فيها إلى ٥ ٪ بينما كانت أعلى نسبة في مديرية قنا (٧٨) تليها الدقهلية (٧٣) ثم الغربية (٧٢) .

وفي سنوات ١٩٣٥ - ١٩٣٧ كان متوسط إيجار الفدان في مصر ٧١٢ روجنيه بل إن إيجار الفدان في بعض مناطق مصر كان يكفي لشراء فدان من الأرض في إنجلترا (١) .

وكان تحديد قيمة الإيجار مثار نزاع دائم بين المالك والمستأجر خلال الفترة ، وكان هذا يرجع في الحل الأول إلى أن فئات الإيجار لم تسكن تتمشى مع الظروف الاقتصادية المتغيرة ، فإذا أريد في أى وقت المطابقة بين الإيجار السائد والأحوال الاقتصادية القائمة قامت المنازعات بين الملاك والمستأجرين في حالة ارتفاع الأسعار ، وبين المستأجرين والملاك في حالة انخفاضها (٢) .

وعندما أثيرت مسألة تحديد قيمة الإيجار وضرورة وضع أسس لها في المؤتمر الزراعى الأول (١٩٣٦) وقف كبار الملاك إلى جانب مصلحتهم بطبيعة الحال ، فقد رأوا أن تحديد القيمة الإيجارية على أسس معينة أعفلوا فيها قوة العمل التي يبذلها المستأجر في الأرض ، فقد اقترحوا أن يراعى في تقدير الإيجار : قيمة ثمن الفدان ، والظروف التي تم فيها شراء الأرض ومعناها ودرجة خصوبتها والرى والصرف فيها وتوافر الأيدي العاملة وخبرة الأهالى الزراعية ، ومدى توفر المواصلات وقربها وبُعدها من المساكن والأسواق ، كما تراعى الحالة الاقتصادية والمالية محليا ، وأيضا العادة والعرف المتبع في المعاملات ، وكذلك أسعار المحصولات ، ومدى تأثيرها بالمشروعات والمنافع العامة ، وأخيراً مقارنة عقود إيجار أرض الحوض بعقود الأحواض المماثلة ودون التقيد بما في العقود (٣) . وكل هذه الاشتراطات في صالح الملاك ولا أثر فيها ولا اعتبار للمستأجر أو قوة عمله التي يبذلها في الإنتاج .

وأثيرت المسألة مرة أخرى في المؤتمر الزراعى الثالث (١٩٤٩) وقدم الدكتور أحمد حسين مشروعا يعطى للمستأجر - الذى اعتبره مدير الإنتاج المسئول عنه

(١) جمال الدين محمد سعيد ، اقتصاديات مصر . ص ١٣٢ .

(٢) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ١١٨ .

(٣) عبد الحليم الياس نصير ، نظام ضرائب الأقطان (بحث مقدم للمؤتمر الزراعى الأول ١٩٣٦) .

والمحتمل لإخطاره من الآفات وتقلبات المناخ — ربحاً محدوداً لا يتجاوز ١٠٪ من صافي الدخل ، وقال عنها أنها نسبة لا تكفي التاجر الذى يتداول سلعة لا يكلفه تداولها عناء كبيراً فما بالك بالمستأجر الذى يوالى الزراعة فى مختلف أدوارها . وقال أنه إذا أريد تحقيق ذلك لوجب تخفيض قيمة الإيجار بمقدار ٢٠٪ عما هو سائد آنذاك ، ومع ذلك جاءت توصيات المؤتمر خالية من هذا الاقتراح فيما عدا إعلانه أنه « يسره زيادة نسبة الإيجار العيني الذى أشار المؤتمر الزراعى الثانى فى ١٩٤٥ باتباعه ، وما زال المؤتمر يرجو عمل الدعاية اللازمة لانتشاره لما فيه من فوائد للملاك والمستأجرين على حد سواء (١) » .

ولقد فشلت محاولات تعديل قيمة الإيجار لصالح المستأجر بسبب تركيز الملكية الذى جعل الملاك فى مركز أقوى من المستأجرين حتى انعدم التكافؤ فى العلاقة المالية (الإيجار) بينهما ، فالمالك يملئ إرادته على المستأجر عند تقدير فئات التأجير (٢) ، بل أن عقد الإيجار كثيراً ما كان يكتب من نسخة واحدة يحتفظ بها المالك وكثيراً ما كان يوقعها المستأجر على « بياض » مما أتاح الفرصة للمالك لإساءة استعمال هذا الوضع ، إذا كان يطالب المستأجر بأكثر مما اتفق عليه إذا ارتفعت الأسعار أو يطلب منه ترك الأرض أو غير ذلك (٣) .

وقد ساعد على وجود مثل هذه الأوضاع واستمرارها ، زيادة عدد السكان بالنسبة للأراضي المزروعة ، الأمر الذى دفع كثيراً من الناس الذين لا حرفة لهم غير الزراعة إلى التسابق على استئجار الأرض واكتساب رضا الملاك بالشروط التى يفرضونها ، فإذا صدر قانون بتحديد فئات الإيجار مثلاً ، فمن السهل على الملاك العدول عن تأجير جزء من أراضيهم والقيام باستغلالها على ذمتهم فيتهافت الراغبون على استئجار الجزء الباقى بالشروط التى يمايها المالك عليهم ، وبهذا وجدت سوق سوداء لايجار الأرض الزراعية مثلها فى ذلك مثل أى سلعة أو خدمة ذات طلب

(١) أحمد حسين ، أساس التشريع الذى ينظم العلاقة بين ملاك الأراضي ومستأجريها (بحث مقدم للمؤتمر الزراعى الثالث ١٩٤٩) .

(٢) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ١٠٨ .

(٣) أحمد حسين ، المصدر السابق .

غير مرن ، كالبتروول والسكر والزيت ، يستفيد ملاكها المحتسكون بالخدمن الكمية المعروضة منها بقصد رفع ثمنها^(١) .

يضاف إلى هذا ، أن الأحكام العامة للإيجار ، كانت في صالح المالك بطبيعة الحال ودون مراعاة للظروف الطبيعية التي قد تأتي في غير صالح المستأجر ، فإذا هلكت الزراعة كلها أو بعضها بمحادث قهرى فليس للمستأجر أن يتخلص من الأجر كله أو بعضه ، وكذلك الحال إذا لم يستطع المستأجر بسبب ظروف قهرية ، تهيئة الأرض للزراعة كلها أو أكثرها ، أو عدم بذرها بعد تهيئتها أو أدت ظروف إلى ظروف إلى اتلاف هذه البذور^(٢) .

على أن الحكومة قد تدخلت في أوقات الأزمات الاقتصادية التي كان يهبط فيها سعر القطن ، في محاولة لتخفيض الإيجارات ، ففي عام ١٩٢١ صدر القانون رقم (١٤) بإعادة النظر في إيجارات الأراضي الزراعية المتفق عليها في العقود المبرمة من سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ الزراعية وذلك بتشكيل لجنة في كل مديرية تسمى « لجنة إيجارات الأراضي الزراعية » تتألف من أحد القضاة رئيساً ومن اثنين من الأعيان أحدهما يمثل الملاك والثاني يمثل المستأجرين . وفي عام ١٩٢٢ صدر قانون آخر لتخفيض إيجار الأراضي الزراعية عن سنة ١٩٢١ - ١٩٢٢ بواسطة تلك اللجان . وفي عام ١٩٢٧ فكرت الحكومة في إصدار تشريع مماثل ولكنها اكتفت بإنشاء لجان استشارية للتوفيق بين المالك والمستأجر . وفي عام ١٩٣٠ ، أصدرت قانوناً في ٣ ديسمبر بمنح مهلة لدفع الإيجارات الزراعية ، فإذا دفع المستأجر $\frac{1}{3}$ إيجار سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ فلا يجوز مطالبته قبل أول سبتمبر ١٩٣١ بالخمس الباقي ولا بالتأخر من السنتين الزراعتين السابقتين بمقتضى العقد ،

(١) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ١٠٩ - ١١٠ . أنظر أيضاً .
مریت غالى ، المصدر السابق . ص ٧٣ - ٧٦ . وأيضاً : أحمد على ، المصدر السابق . ص ٤ ، محمد فهمى لميطة ، المصدر السابق . ص ٤١٢ .

(٢) عبد القى غنام ، المصدر السابق . ص ٢٦ .

كما تقرر تخفيض ٢٠٪ من إيجار سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ لمن قام بدفع ٨٠٪ من الإيجار ، وتخفيض ٣٠٪ عن سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ لمن سدد ٧٠٪ وهكذا (١) .

ويلاحظ أن هذا التدخل لم يكن حاسماً لصالح المستأجر دوماً ، فقد ترك تقريره بأيدي الأعيان فضلاً عن أن قرارات هذه اللجان لم تكن ملزمة فهي استشارية أكثر منها تقريرية .

ورغم الضعف الواضح في تدخل الحكومة هذا ، فقد كان هناك من يعترض على مبدأ التدخل وتخفيض الإيجار بواسطة التشريع واعتبر ذلك « إجراءً شاذاً يحسن عدم الالتجاء إليه لأنه يؤثر في العلاقات الشخصية بين المالك والمستأجر ، وهو بعيد عن العدالة في كثير من الأحوال لأنه مع وجود ملاك يرهقون مستأجريهم فإن هناك من يعطفون عليهم كل العطف (٢) » .

إذا انتقلنا إلى دراسة صور وأشكال الإيجار لوجدنا أنها كثيرة ومتشابهة ومتغيرة من وقت إلى وقت ، ومن مكان إلى مكان ، وإن كان التغير عادة في الدرجة وليس في النوع .

وفي مقدمة أنواع الإيجار يأتي التأجير النقدي ، وهو طريقة من طرق التأجير يتفق فيها على دفع إيجار الثمن بمقدار معين من النقود يحدد عادة عند التعاقد ، وإذا دفع المستأجر جزءاً من هذا الإيجار مقدماً فإنه يتعهد بتسديد الباقي منه في المواعيد المتفق عليها في العقد بصرف النظر عن نجاح الزراعة أو فشلها وارتفاع أثمان المحاصيل أو انخفاضها (٣) .

(١) عبد الحكيم الرفاعي ، المصدر السابق . ص ٢٠٠ أنظر أيضاً : عبد الفتى غنام ، المصدر السابق . ص ٤٤ .

(٢) أحمد عبد الوهاب باشا (وكيل وزارة الزراعة) مذكرة بشأن إقرار الحكومة لسياسة قطنية مستديعة . ص ٦ - ٧ .

(٣) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ١١٢ .

وتختلف قيمة الإيجار تبعاً لحصص الأرض وبعدها أو قربها من المدن وطرق مواصلاتها وحالة الأمن بها ، وطبيعة ربيها وصرفها ، وأصناف المحاصيل التي تزرع بها ، فالأراضي الضعيفة يتفاوت إيجارها بين ثلاثة وخمسة جنيهات للفدان ، والمتوسطة بين ستة وتسعة جنيهات للفدان ، والجيدة بين عشرة واثني عشر جنيهاً ، ويستثنى من ذلك بعض المساحات القريبة من المدن التي تزرع خضرا في أكثر الأحيان ويتفاوت إيجارها بين أربعة عشر وستة عشر جنيهاً أو يزيد (١) .

وإذا كانت الأرض مؤجرة إلى صغار المزارعين مباشرة ودون وسطاء من كبار المستأجرين ، فإن المالك كان يضع يده على المحصول ويبيعه بتوكيل منهم — بعد وضعه في مخازنه أو قبل ذلك — لحساب مستأجره ثم يخصم من الثمن قيمة الإيجار المستحق له عليهم ، ويسلم كلا منهم ما يتبقى بعد ذلك من صافي الثمن ، فإذا لم يسدد ثمن المحصول القسط المطلوب وتبقى منه شيء فيسدد من محصول الزراعة التي تلي المحصول الباع ، وبهذا يضمن المالك أرباحه (٢) .

ويحدد الإيجار في بعض التفاتيش بنسبة ثمن قنطار القطن بسعر اقبال بورصة الاسكندرية يوم ١٥ أكتوبر من كل سنة ، بحيث إذا زاد ثمن القنطار أو نقص خلال سنوات التأجير زادت قيمة الإيجار أو نقصت تبعاً لذلك . وكان هذا التحديد يسرى أياً كان صنف القطن المزروع ، وأحياناً يحدد الإيجار على أساس ثمن القنطار ١٢ ريالاً فإذا زاد الثمن أو نقص خلال مدة التأجير تقاسم المالك والمستأجر فرق الزيادة أو النقصان مناصفة . وفي مديرية الشرقية مثلاً يشترط بعض الملاك أن يؤجر أرضه بشفة تقل عن قيمة الإيجار المجاور على شرط أن يحاسب سعر محصول القطن

(١) حسن سعد شديد ، المصدر السابق .

(٢) عبد الفتى غنام ، المصدر السابق . ص ١٣٠ . أنظر أيضاً :

F. O, 371 — 4979 — 8076, Memo by Brigadier General Sir O. Thomas M. P. to Milner's mission on « agricultural and Economic Position of Egypt » .

الناتج من الأرض المؤجرة بسعر ١٢ رايالا للقنطار الواحد مهما زاد سعره في البورصة عن ذلك (١) .

وتختلف مدة التأجير النقدي من ١ سنة في الزراعة النيلية كالقندرة ، ٢ سنة في الزراعة الشتوية كالقمح والبرسيم ، وسنة في الزراعة الصيفية ، كالقطن في الحياض لصغار المستأجرين ولمدة تتراوح بين سنة وثلاث سنوات لكبار المستأجرين (٢) .

على أن طريقة التأجير النقدي هذه — كما لاحظ أحد المعاصرين — مرهقة للفلاح الصغير وخاصة عندما يشترط كما كان يحدث في كثير من الأحيان ، أنه في حالة زيادة سعر القطن عن ١٥ جنيتها مثلاً تقسم الزيادة مناصفة وهو ما كان يسمى بشرط القطن (٣) .

وهناك طريقة أخرى للإيجار تسمى بالتأجير العيني وبقيضاها يحصل المالك على جزء ثابت أنسبة معينة من المحصول أو المحاصيل المتفق على زراعتها بينه وبين المستأجر ويتضمنها عقد الإيجار ، وبهذه الطريقة يحصل المالك على الإيجار المتفق عليه بعد نضج المحصول أى مؤخراً ، بعكس الحال في التأجير النقدي . وللتأجير العيني طريقتان : أن يحصل المالك على نسبة معينة من المحصول تتفق مع مقدار مساهمته مع المستأجر في العمليات الزراعية وإمدادها بالمال ، وهذه تتطلب جهداً وعناية من المالك . وأما أن يحدد مقدار معين من المحصول ورتبة معينة منه يقدم للمالك كإيجار للأرض بعد نضج المحصول كأن يحصل على ثلاثة أرباب من فدان القمح وثلاثة قناطير من فدان القطن وهكذا . . فإذا عجز المستأجر عن توريد السكينة

(١) حسن سعد شديد ، المصدر السابق .

(٢) عبد الفتى غنام ، المصدر السابق . ص ٣١٧ .

(٣) إبراهيم رشاد ، علاقة صاحب الأرض بمستأجرها (مشروع مقدم لوزارة

الشئون الاجتماعية) المقطم ، ١٩٥٢/٦/٢ .

المتفق عليها أو جزء منها يقوم بدفع تمويض عنها يساوى ثمنها السائد في السوق الرسمية وقت التسليم (١) .

ويحتوى هذا النوع من التأجير على طرق متعددة في كيفية اقتسام المحصول بين المالك والمستأجر بحيث أن كل مديرية كانت لها طرق تختلف عن الأخرى بل في طريقة التعامل بالمحصول الواحد (٢) .

ولقد أدت هذه الطريقة في بعض الأحيان إلى الإخلال بنظام الدورة الزراعية الثلاثية وما يترتب عليها من أضعاف التربة لأن المستأجر كان يلجأ — في حالة عجز محصول القطن — إلى زراعة القطن على مساحات أوسع مما يقضى به قانون الدورة حتى يتسنى له تسوية موقفه في الموسم التالي (٣) .

ويفضل بعض الملاك طريقة التأجير العيني لأن حصتهم من الإيجار عيناً أعلى منها نقداً وتمتعهم بالزيادة التي يحققها الإنتاج لأى غلة من الغلات، فضلاً عن أنها تكفل له الإشراف المباشر على زراعة الأرض (٤) .

بالإضافة إلى طريقة التأجير النقدي والتأجير العيني وجدت طريقة أخرى للتأجير أطلق عليها طريقة المزاوعة وهى عبارة عن اشتراك المالك والمزارع في استغلال الأرض ، وكل منهما يعتبر منظماً للإنتاج لانهما يتحملان مخاطر الإنتاج فيشتركان في الربح والسياسة ، ويقسم الناتج بينهما بنسبة معينة يحددها العرف (٥) وتنتشر هذه

(١) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ١١٥ .

(٢) حسن سعد شديد ، المصدر السابق . ، عبد الفتى غنام ، المصدر السابق ص ١٣٣ . أنظر أيضاً :

F. O, 371 — 4979 — 8076, op, Cit.,

(٣) إبراهيم رشاد ، المصدر السابق .

(٤) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ١١٦ ،

(٥) عبد الحكيم الرفاعى ، المصدر السابق . ص ٢٠٢ ، أيضاً محمد فهمى =

الطريقة حيث يخشى من تقلبات أسعار المحصولات (١)

وهناك نظام آخر قريب الشبه بنظام المزارعة وهو نظام المشاركة وينتشر بين صغار الملاك حيث يحصل المالك على نصف أو ثلاثة أخماس أو ثلثي المحاصيل الناتجة الناتجة تبعاً لنوع المحصول وقوة الأرض أو ضمها ، وكل مديرية لها عرف معين للتعامل بهذه الطريقة (٢) .

ويلاحظ على هذه الطريقة أنها لا تدفع المستأجر لبذل جهد كبير فهو لا يشعر بأنه مطالب بسداد إيجار محدد فضلاً عن أنه يعتبر أن كل ما يحصل عليه من هذه المشاركة مكسباً في أى الأحوال ، ثم أنها تثير شكوك المالك ، وتجعله غير مطمئن للحصول على حصته كاملة (٣) .

وبجانب طرق الإيجار هذه وجدت طريقة يتم فيها دفع الإيجار بجزء نقد أو جزء صنفاً من المحصول وفيها يتسلم المستأجر الأرض بإيجار معين ويعدده المالك بالتقاوى ويدفع الضريبة ، وعند نضج المحصول يضع المالك يده عليه ويسترد منه مقدار التقاوى صنفاً ويبيع الباقي ويخصم من ثمنه قيمة الإيجار ، ثم يقسم الباقي بعد ذلك مناصفة . وهذه الطريقة شائعة في إيجار القطع الصغيرة ويلاحظ أن المستأجر

ملهيطة ، المصدر السابق . ص ٤١٣ ، عبد الفتى غنام ، المصدر السابق ، ص

١٢٦ - ١٢٧ .

(١) الأخبار ، ٥ ، ١٣ / ١١ / ١٩٢٧ (الزراعة بين القبط والجرن والأسواق)
أنظر أيضاً : المقطم ٢٠ / ٢ / ١٩٢٣ (توزيع الأرض واستغلالها بالقطر المصرى) ،
١٩٤٢ / ٤ / ٧ (كلمة لفؤاد أباطة في تفضيله هذه الطريقة ويعدها قائمة على أساس
الراشمالية المشبعة بالإصلاح الاشتراكي .

(٢) حسن سعد شديد ، المصدر السابق . وأيضاً عبد الفتى غنام ، المصدر السابق

ص ١٣١ - ١٣٣ وأيضاً محمد السعيد محمد ، المصدر السابق ص ١١٧ .

(٣) أحمد حسين ، المصدر السابق .

يأخذ التقاوى وهي مرتفعة الثمن ويردها وقت المحصول وهي منخفضة الثمن ، كما قد يستأجر الأرض بإيجار أقل بنصف جنيه واحد عن قيمتها مساعدة له من قبل المالك. (١)

وهذه الطريقة تمثل درجة من النضج الاقتصادى والاجتماعى من حيث قدرة المستأجر على تحمل مسؤولية التعامل ، كما أنها تتضمن قدراً من الثقة بين المالك والمستأجر بحيث إذا زاد المحصول فى أحد السنين وارتفعت أثمانه فإن المالك لا يطمع فى الحصول على جزء من تلك الزيادة ، وبالعكس إذا جاء المحصول قليلاً وانخفضت أثمانه فإن المستأجر لا يتذمر ويطلب من المالك تحمل كل شيء أو شيء منها (٢) .

ويلاحظ على طرق الإيجار هذه — فيما عدا التأجير النقدى — وجود قدر من المشاركة بين المالك والمستأجر فى كل مراحل الزراعة إلى الحصاد والبيع مع اختلاف الصور والإشكال .

وبالإضافة إلى هذا وجدت طريقة للإيجار عرفت بالتأجير بالمزايدة ، وتأجير الأرض بهذه الطريقة يجعل نظام استقلال الأرض قريباً من نظام الاستقلال الرأسمالى .

وطريقة التأجير بالمزايدة تتم وفقاً لنظام معين بين المتزايدين محوره التنافس على استئجار الأرض وهذا التنافس يؤدى إلى كثير من المناورات والمساومات بين المتزايدين أنفسهم حتى يرسو على أحدهم .

ومن المفيد هنا أن نوضح المراحل التى يتم فيها هذا النوع من التأجير .

(١) عبد النفى غنام ، المصدر السابق . ص ١٣٣ . وأيضاً :

F. O. 371 — 4979 — 8076, op. Cit.;

(٢) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ١١٧ — ١١٨ .

تحدث الزائدة عندما يقدم الراغبون في الاستئجار عطاءاتهم داخل مظاريف مخطومة تفتح بعد وصولها ليد المالك أو من يحل محله في جلسة تخصص لذلك ، أو تقدم العطاءات على قائمة مزاد مفتوحة في جلسة علنية بوجود الراغبين في استئجار الأرض . والتأجير بواسطة المظاريف المخطومة قليل الاستعمال ولا يلجأ إليه إلا في بعض أحوال نادرة حين يراد تأجير الأرض كلها دفعة واحدة وذلك في المساحات الكبيرة . أما التأجير في الجلسات العلنية فقد كان أكثر شيوعاً ، وتكون جلسات هذا المزاد لمدة طويلة تكون في إنشائها قائمة المزاد معروضة لمن يحضر من الراغبين لوضع عطاءه عليها، وهذه طريقة كثيراً ما يحصل فيها تلاعب واتفاقات بين المستأجرين ضد مصلحة أصحاب الحق وقيمون الصعوبات في وجه من لا يتفق معهم من المستأجرين الآخرين . ومضى وصلت الأرض في الحالة السابقة إلى القيمة المتفق عليها وتكون أقل مما تساويه الأرض يكف المزايدين يدهم لترسو على أحدهم بشرط أن يدفع للآخرين تعويضاً أو يتقاسم معهم الأرض ، ومن يشذ عن الاتفاق يتزايدون ضده حتى يرتفع إيجار الأرض وترسو عليه بقيمة مرتفعة ، وقد تكون جلسات المزاد العائلي قصيرة وتكرر عدة مرات ويعلن عنها في كل مرة فيحضر المزايدين جلسات المزاد إلى أن يرسو على أحدهم . .

وقبل تحديد جلسات المزاد كان المالك الملم بأعمال الزراعة يقوم ببعض إجراءات تمهيدية فيعاين الأرض التي ينوى تأجيرها ليقف على حالتها ويحصر أجزاءها القوية وأجزاءها الضعيفة ثم يقسمها إلى أحواض كل حوض ثلاثون أو خمسون أو مائة أو مائتا فداناً فأكثر . ثم يحرر قائمة مزائدة لكل قسم من هذه الأقسام التي تسمى في العرف « بالصفقات » وكل قسم يسمى « صفقة » ويبين في القائمة مساحة القطعة أو القطع التي تتكون منها الصفقة المحررة عنها قائمة المزاد مع بيان حدود كل قطعة ونعوتها على خريطة فك الزمام واسم حوضها ونعوتها والناحية والمركز والمديرية السكائنة بها ، ثم يحدد لها قيمة إيجار أساسية حسب الإيجار السابق أو بحسب ما تساويه . . وبعض الملاك كان يفضل أن تحتوى كل صفقة على جزء من الأطيان الجيدة وجزء من الأطيان الضعيفة أى ما يسمى عرفاً « تحميل الأرض على بعضها »

والبعض كان يجعل أجزاء الأرض القوية كلها في قوائم مستقلة وحدها ، وأجزاء الأرض الضعيفة في قوائم أخرى^(١) . وبعد انتهاء عملية المزاد يحرر عقد الإيجار^(٢) بين المالك ومن رضى عليه المزاد . وهذا العقد يتكون من أربع وعشرين مادة تشمل شروط استقلال الأرض بمعرفة المستأجر والحفاظة عليها . ومن المهم أن نشير هنا إلى أن العقد يحتوى على الضمانات الكافية للمالك قبل المستأجر دون تقدير الظروف الطبيعية التي قد تصيب الأرض أو المحصول ، فإذا تأخر المستأجر عن دفع قسط من الأقساط المستحقة في ميعاده يصبح باقى الإيجار مستحقا عن جميع مدة الإيجار دون تنبيه أو إنذار رسمى (مادة ١) . ويلاحظ أنه يدخل ضمن مساحة الأرض — المؤجرة الترع والمساقى والجسور والسكك والتوالف مهما كان سبب التلف والبور والبرك والعجز . وليس للمستأجر الحق في رفع مساحتها من المقدار المؤجر أو تنقيص الإيجار بسببها (مادة ٣) ، كما تكون صيانة المصارف والمساقى والجسور على حساب المستأجر وبدون الرجوع بشئ فيها على المالك ، فإذا تأخر المستأجر عن تطهيرها في الميعاد المحدد (كل سنة في مدة الجفاف تنتهى في ٣١ يناير) فمن حق المالك القيام بهذا العمل دون معارضة من المستأجر وبالكيفية التي يراها سواء كان باشهارها للمناقصة أو بالإتفاق مع أحد القاولين على أن يتحمل المستأجر التكاليف فى النهاية (مادة ٤) . .

ويقوم المستأجر بدفع أجرة خفر العزب الداخلية ضمن المساحة المؤجرة سواء كانوا خفراء نظاميين أو غير نظاميين وذلك طبقا لما تقرره الحكومة من فئات (مادة ٦) وكل تلف أو ضرر يصيب المحصول بسبب الظروف الطبيعية كآلافات وغيرها يتحملة المستأجر وحده (مادة ١١) . .

(١) عبد الفتى غنام ، المصدر السابق . ص ١٣٥ — ١٣٦ ، جمال الدين محمد سعيد ، التطور الاقتصادى فى مصر منذ الكساد العالمى . ص ١٢٧ .

(٢) عبد الفتى غنام ، المصدر السابق . ص ١٣٩ — ١٤٠ .

وزيادة في ضمان المالك لحقوقه قبل المستأجر فقد ذكر أن التأمين العقارى الذى يدفعه المستأجر للمالك لا يكفي ضمانا بل ينسحب التأمين على كل ما يملكه المستأجر من ثابت ومنقول خارج المساحة المؤجرة ، وما يملكه من مواشى وآلات زراعية داخلها بحيث يكون من حق المالك توقيع الحجز على هذه الممتلكات مع وجود التأمين سواء كان الحجز بالطريق القضائى أو بالطريق الإدارى ، حجزاً تحفظياً أو تنفيذياً ، للحصول على الأيجار المستحق أو ملحقاته الناشئة من الاخلال بشروط عقد الإيجار وقاعة المزاد فى أى وقت كان وفى نزاع ملكية أراضى المستأجر الخاصة حق ولو كانت مرهونة وأخذ اختصاص عليها وفاء للإيجار المستحق على المستأجر (مادة ١٩) .

ولاشك أن طريقة التأجير بالمزايدة تعد وسيلة مضمونة للحصول على أعلى قدر من الأيجار والارباح للمالك .

وبجانب طريقة التأجير بالمزايدة كانت هناك طريقة التأجير بالمعاسرة حيث يتارس أى يتفاوض المالك مع المستأجر على تأجير أرضه له ، وبعد الاتفاق — الذى تتخلله مناقشات كثيرة بطبيعة الحال — يحدد قيمة الإيجار السنوى للأرض وطرق استعمالها وكيفية سداد أقساط الإيجار أو التأمين . ويحرر عقد الإيجار بينهما سواء كان عقداً عرفياً أم رسمياً . وهذه الطريقة يلجأ إليها ملاك الأراضى فى تأجير أراضيه الخاصة التى لهم مطلق التصرف بلا منازع أو ممانع ، أو مشارك يعترض على شيء (١) .

تلك كانت طرق الإيجار التى كان معمولاً بها بين ملاك الأراضى بصفة عامة خلال الفترة ، ولم تسكن كلها مما كان يلجأ إليه كبار الملاك فى تأجير أراضيه — بطبيعة الحال — بل لقد اختاروا منها ما يناسب أهدافهم فى الربح . وعموماً فقد كانت

(١) عبد النفى غنام المصدر السابق . ص ١٣٤ .

طرق التأجير التي يفضلها كبار الملاك هي التأجير النقدي ، والمزايدة أو الممارسة بصفة رئيسية ثم المزارعة في بعض الأحوال الاستثنائية .

أما تفضيل التأجير النقدي فلأنه يعفى المالك من تحمل تبعة إهمال المستأجر في الزراعة أو ما يترتب على العوامل الطبيعية من ضعف المحصول وقلته أو ما يترتب على انخفاض الأثمان ، ثم أنها لا تضطره (المالك) إلى مراقبة المستأجر والاشتراك معه في الإدارة ، فضلاً عن سهولة الحصول على قيمة الإيجار (١) .

أما التأجير بالمزايدة فهو يضمن للمالك الحصول على أعلى الأرباح استفادة من صراع المتزايدين وتنافسهم . وهذه الطريقة تقوى صفار المستأجرين عن الدخول في المزايدة ، وتمنعهم من الاتصال بالمالك اتصالاً مباشراً وذلك بسبب كبر المساحات التي تعرض واشتراط تقديم التأمين اللازم وطول مدة الإيجار التي لا تقل عن ثلاث سنوات زراعية في الغالب ، ومن ثم يترك المجال لكبار المستأجرين من المضاربين والمرايين الذين يقومون بدورهم بتأجير الأرض لصفار الفلاحين من الباطن بفئات إيجار عالية حتى يضمنوا الوفاء بالتزاماتهم تجاه مالك الأرض (٢) .

وفي التأجير بالممارسة فرصة للمالك في رفع قيمة الإيجار لحاجة صفار المزارعين للأرض وهي محدودة وهم كثيرون ، ولا يتساهل كبار الملاك في قيمة الإيجار إلا إذا ضمنوا مزايا أخرى تعود من التخفيض كأن يكون مركز المستأجر المالي والاجتماعي يدعو للثقة والاطمئنان أو يكون متميزاً بكفاءة ونشاط في خدمة الأرض ،

(١) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ١١٤ . عبدالغنى غنام ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(٢) خليل سري ، المصدر السابق . ص ١٣٨ . أنظر على سبيل المثال جريدة الاهالي ١٩١٤/٣/٧ حيث نشرت إعلاناً لدائرة طوسون باشا بطرح قطعة أرض بناحية أبي قير للإيجار بالمزايدة لمدة صيف ١٩١٤ لإقامة « أخواخ » أو خيام لتضية فصل الصيف . كما أن صحافة الفترة مليئة بإعلانات التأجير بالمزايدة .

وعموماً فالتأجير لصغار المزارعين بهذه الطريقة كان محصوراً في دائرة صغيرة من الفلاحين القريبين لدى الملاك ، ولم يكن يلجأ إليها إلا بعيد النظر من كبار الملاك . أما التأجير بالممارسة لغير صغار المزارعين فقد كان يقصد به أن يزرع المستأجر بنفسه أو يكون يقصد التأجير لصغار المزارعين بالباطن وهي هنا تشبه الزيادة لأن المستأجر الأصلي يقوم بتأجير الأرض من الباطن بقيمة عالية حتى يضمن تسديد قيمة الإيجار التي اتفق عليها مع المالك وفي هذا غبن على الفلاح الصغير (١) .

أما التأجير بالمزراعة فلم يكن يقبل عليه كبار الملاك إلا في أحوال معينة كأن تكون التربة فقيرة وتحتاج إلى اليد العاملة المدربة لإصلاحها ، أو عند حلول الأزمات الزراعية ، وخاصة في حالات هبوط وانخفاض أسعار القطن ، ولجوء الملاك إلى هذه الطريقة يجعلهم يتفادون أثر مثل هذه الأزمات الطارئة بإشراك المستأجر معهم في النتائج فيجمعون بين اهتمام المستأجر وانسكابه على العمل ، ومن الظروف الاستثنائية التي قد تلحق بالمحصول سواء بالزيادة أو بالنقصان (٢) .

ولقد كانت الحكومة في الأملاك الأميرية ووزارة الأوقاف تبتعان طرق التأجير التي كان يتبعها كبار الملاك خلال الفترة وخاصة الإيجار النقدي أو الإيجار بالزيادة . أما إيجار الممارسة أو المزارعة الذي كان يتبعه كبار الملاك كما تقدم فلم يكن يتلائم معهما بقدر ما كان يتلائم النوعان الآخران (الإيجار النقدي والزيادة) .

ولقد بلغت جملة الأراضي التي كانت تؤجرها الحكومة في عام ١٩١٤ : ١٠٥٩١١ فداناً وغير المؤجرة ١٦٥٤٢٨٧ فداناً (٣) ، ثم أصبحت الأراضي

(١) خليل سري ، المصدر السابق . ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٢) نفسه . ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٣) أمين سامي ، المصدر السابق . ص ١٣٣ .

المؤجرة في عام ١٩٣٠ — ١٩٣١ : ١١٧٢٨١ فدانا واستمرت في الزيادة (١) .

ومن أمثلة سياسة الحكومة في تأجير أراضيها أنها في ١٩١٢ قامت بتقسيم ٩٣٦ فدانا بناحية بيلا إلى قطع تتراوح القطعة الواحدة بين أربعة وسبعة أفدنة ، أجرتها إلى ١٣٣ مزارعاً صغيراً . وكان المستأجر يدفع إيجاراً رمزياً في الثلاث سنوات الأولى ، ثم إيجاراً بواقع ١٠٥ قرش صاغ للفدان الواحد مضافاً إليه مبلغ يساوى ضريبة الأطنان المستحقة على الأرض وذلك في العشر سنوات التالية ، وبعد ذلك يصبح الإيجار لمدى الحياة . وفي أوائل عام ١٩١٤ قامت بتقسيم ١٠٢٥ فدان بناحية منشية عباس الثانى بكفر الشيخ إلى ١٩٤ قطعة مساحة الواحدة خمسة أفدنة ونصف ، قامت بتأجيرها لصغار المزارعين بنفس شروط ناحية بيلا فيما عدا المرحلة الثانية التي مدت إلى خمس عشرة سنة بدلا من عشر (٢) .

أما وزارة الأوقاف فقد كانت تقوم بتأجير أراضيها لكبار المستأجرين مقابل تأمينات عقارية أو نقدية (٣) ولصغار المزارعين بتأمينات نقدية تتراوح بين ٢٠ ، ٣٠٪ من إيجار سنة واحدة وكانت ٥٠٪ حتى عام ١٩٢١ (٤) ، ويكتفى بالنسبة للبعض أن يكون التأمين ما لديهم من ماشية بمقد أدنى زوج من الماشية (٥) .

أما قيمة الإيجار فقد كان يحدد — طبقاً لإعلان الوزارة (٦) — على أساس

(١) مجلس النواب ، ١٩٣٠/٦/٣٠ .

(٢) مريت غالى ، المصدر السابق . ص ٣٥ ، محمد فهمى لطيفة ، المصدر السابق .

ص ٤١٣ — ٤١٤ .

(٣) مجلس النواب ، ١٩٢٦/٩/٨ .

(٤) نفسه ، ١٩٢٤/٥/١٣ .

(٥) نفسه ، ١٩٢٦/٩/٨ .

(٦) نفسه ، ١٩٢٧/٧/٣ ، ١٩٣٠/٤/٢٩ .

ما تنتجة الأرض من الحاصلات وقيمة أثمانه وحسب العرف السائد في مناطق ملكية الوزارة . وعموماً فقد كان متوسط إيجار الفدان في مساحات الوزارة المختلفة ٨٦١٦ ج في عام ١٩٢٦ ، ٨١٤٥ ج في عام ١٩٢٧ ، ٨٢٧٩ ج في عام ١٩٢٨ ، ٧٩٧١ ج في عام ١٩٢٩ مع ملاحظة أن نسبة الإيجار كانت ترتفع أو تنخفض حسب العقود المتغيرة .

وإذا تأخر المستأجر في دفع أى قسط من أقساط الإيجار كله أو بعضه في ميعاده يصبح باقى الإيجار مستحقاً عن جميع المدة دون تلبية أو إنذار كما تقضى بذلك المادة الأولى من عقود إيجارات الوزارة (١) .

وكانت الوزارة تقدم بعض التسهيلات لمستأجريها كأن تشتري تقاوى القطن للزراعيين ثم تحصل ثمنها مع الإيجار مضافاً إليها ١٠٪ رسوم إدارية ، أو حرث وري الأراضى في الزراعات الصيفية كما كان يحدث في أراضى تفتيش المطاعنة أو الحصول لهم على سلفيات من شركة السكر لشراء التقاوى والأسمدة (٢) .

ولقد نبه أحد كبار الملاك الوزارة إلى أن طريقة المزايدة التى تلجأ إليها في تأجير أراضها تؤدي إلى التنافس بين المزايدين فتنشأ الخصومات بين الأسر . ومن القريب أنه طالبها بأن تتبع طريقة التأجير بالممارسة حيث تقسم الأرض إلى مساحات صغيرة مساحة كل منها ١٠٠ أو ٢٠٠ فدان بدلاً من تقسيمها إلى قطع الواحدة ألف فدان كما كان يحدث في طريقة المزايدة (٣) ١١

ومن الملاحظ أن قاعدة تأجير الأرض انتشرت بين كبار الملاك بصورة ملحوظة ابتداء من عام ١٩٣٩ . فقبل هذا العام كانت نسبة الأراضى المؤجرة ١٧٣٪ زادت إلى ٦٠٧٪ سنة ١٩٤٩ ثم أصبحت ٧٥٪ في عام ١٩٥٢ . وهذا يرجع

(١) مجلس النواب ، ١٩٣٢/٧/٧ .

(٢) نفسه ، ١٩٢٧/٧/٣ ، ١٩٣٠/٤/٢٩ .

(٣) نفسه ، ١٩٣٢/٦/١٤ (سؤال للنائب محمد قطب عبد الله) .

إلى أن الدخل من الإيجار كان يفوق الدخل من الزراعة على الذمة فقد كان دخل
القدان على سبيل المثال في عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ لا يزيد على سبعة عشر جنيهاً
ونصف ، بينما كان الإيجار يبلغ من ٣٥ - ٤٠ جنيهاً . وكانت وزارة الأوقاف
تؤجر أراضيها في الوجه البحري بمتوسط ثلاثين جنيهاً لكبار المستأجرين وبمتوسط
ثمانية وثلاثين جنيهاً لصغارهم . هذا إلى أن مصلحة الفلاح بوزارة الزراعة أثبتت
من خلال البحوث التي قامت بها أن إيرادات الزراعة على الذمة يقل عن إيرادات الأراضي
المؤجرة بنسبة الثلث (١) .

ولا شك أن الزيادة في نسبة الأراضي المؤجرة أدت إلى زيادة التنافس على
اقتنائها باعتبارها رأسمال مدر للربح ، وأدى هذا بالتالي إلى ارتفاع أسعار الأراضي
ارتفاعاً عالياً خضع لقاعدة العرض والطلب ، كما دفع هذا الوضع بعدد من أصحاب
المهن غير الزراعية من سكان المدن إلى ميدان تلك الأراضي الزراعية ، واستغلالها
عن طريق الإيجار فنشأت بذلك طبقة الوسطاء أو كبار المستأجرين (٢) الذين
سيطروا على سوق المزايدات في الإيجار ، وأقصوا بذلك صغار المستأجرين من
الفلاحين البسطاء عن هذا الميدان فزادهم فقراراً .

(١) إبراهيم عامر ، الأرض والفلاح . ص ١٠٦ (كان يوسف وروز سمعان

س ط ف

صيدناوى والياس سليم صيدناوى يؤجرون - ر ٥ ر ٣٧٣ إلى ٧٦ مستأجراً
تتراوح مساحة القطع المؤجرة من فدان وأثنى عشر فدان وبلغت القيمة الإيجارية
١٠٩٠٩٨٦٥ ج في عام ١٩٥٢ (حافظة عقود إيجار ملف يوسف سمعان صيدناوى
بالمهينة العامة للإصلاح الزراعي) .

(٢) بلغ من ضخامة عددهم إن كونوا اتحاداً لرعاية مصالحهم أسماه « لجنة
اتحاد مستأجري الإطيان بالوجهين القبلي والبحري » المقطع ، ١٩٢٣/٧/١ .

لقد كانت علاقة كبار الملاك بالفلاحين المستأجرين تنحصر في تحصيل قيمة الإيجار ولا شيء غير ذلك ، مما جعل الفلاح ينظر إلى المالك نظرة رهبة مزوجة باحترام مبني على الخوف والخضوع . ويذكر الأب هنري عيروط أن أحد كبار الملاك قال له « إن الفلاحين يجب سوقهم بالسوط » ويذكر أيضاً أن أحد ضباط الشرطة كان يوسع أحد الفلاحين المتهمين ضرباً فلما أظهر دهشته هو ومن معه أجابه الضابط بأنه « ينبغي أن يعامل الفلاحون على هذا النحو لأنهم بهائم ^(١) » .

ولمست هذه النظرة المستغربة ، والقانون لم يكن يفرق فعلاً بين الفلاح والماشية ، فقد عرف قانون إنشاء酒庄 ، العزبة بأنها « الباني التي تقام في الأراضي الزراعية لصالحها وتكون معدة لسكن المزارعين وصاحب العزبة عند الاقتضاء ولحفظ الحاصلات الزراعية وايقاد المواشي » ^(٢) .

وإذا ما تأخر المستأجر في دفع الإيجار المقرر في الميعاد المحدد فلا شيء أمام المالك إلا تحصيله بكافة الطرق والوسائل القضائية وغير القضائية ^(٣) ، وإذا ما عجز المستأجر عن دفع الإيجار نتيجة هبوط أثمان المحاصيل أنكر عليه المالك ذلك واتهموه

(١) هنري عيروط ، المصدر السابق . ص ٣٩ .

(٢) مجلس النواب ، ١٩٣٢/١٢/٢٠ .

(٣) جاء في محاكمة فؤاد سراج الدين أن وكيل دائرة عبد العزيز البدرأوى عاشور ذهب إلى ثلاثة من المستأجرين وأخذ الإيجار بطريقة مؤلمة جداً لدرجة أنه أخذ حلقان نسائهم وباعهم فتعدى أحد المستأجرين عليه بالشم فذهب وكيل الدائرة إلى مقر الدائرة وأخطر نقطة بوليس نبروه حيث حضر بعض الضباط والجنود واحضروا المستأجرين الثلاثة وأخذوا يضربونهم بالعصى الفليضة فتجهمر الأهالي فاطلق البوليس النار في الهواء ، ولسكن عبد العزيز البدرأوى أطلق بنديقيته على الفلاحين وقتل أحدهم (مضبطة محاكمة فؤاد سراج الدين — ١٩٥٤/١/١٧ . مصلحة الاستعلامات) .

بالظلم وعدم الذمة^(١) .

وإذا ما أثبتت محاولات تخفيض إيجارات الأراضي في مجلس النواب إيجاب الملاك على ذلك بأن مثل هذه الاتجاهات فيها ، القضاء على الملاك قبل كل شيء ، وأننا إذا أردنا أن نشرع وجب أن يتناول تشريعنا الملاك كما يتناول المستأجرين »^(٢) . فضلا عن أن مشروعات تخفيض الإيجارات كانت تقدم لمجلس النواب كانت تحال إلى لجان الاقتراحات وغيرها حتى لقد انتهت الدورة دون الانتهاء فيها لأمر رغم ما كان يحدث فعلا من تخفيض الإيجارات في بعض السنوات كما سبقت الإشارة^(٣) .

تلك كانت علاقة كبار الملاك بالفلاحين في حالة تأجير الأرض ، أما إذا كان المالك ممن يزرع أرضه على الذمة ، فإن علاقته بالفلاح تأخذ شكلا آخر يهتم في الأجر الذي يأخذه الفلاح الأجير سواء كان ذلك في مزارع الأفراد أو الهيئات مثل مصلحة الأملاك الأميرية ووزارة الأوقاف وشركات الأراضي التي تقوم بزراعة الأرض .

وتتوقف أجور العمال على كثرتهم أو قلتهم في المنطقة ، فتهدد في الجهات المزدهرة بالسكان كالنوفية والقلبوية ، وفي حالة هبوط أثمان المحصول . وفي أوقات الفراغ من الأعمال الزراعية (كلفترة بين الانتهاء من زراعة الشتوى حتى ابتداء خدمة الصيف وفي مدة الزراعة النيلية حيث تقل الأعمال الزراعية) ، وعلى العكس ترتفع الأجور في الجهات قليلة السكان كجهات البراري في شمال الدلتا ، وفي حالة ارتفاع أثمان المحاصيل كما حدث في خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها حتى أزمة ١٩٢٩ ، وفي وقت عزيق القطن والقصب ورهما وزراعة وشتل الأرز ، وضم ودراس المحاصيل الشتوية وأبادة دودة ورق

(١) على فكرى ، ما أشد ظلم الفلاح (المقطم ، ١/٢ ، ١٩٣٤) .

(٢) مجلس النواب ، ١٩٣٣/٥/٣١ .

(٣) نفسه ، ١٩٢٧/١٢/٥ ، ١٩٣٣/٣/٢٧ ، ١٩٣٣/٥/٢٥ ، ١٩٣٣/٦/٢٠ .

القطن ، كما ترتفع الأجور في وقت تخضير الذرة أو جنى القطن وحصاد الأرز حيث يرغب المالك في انجاز أعماله الزراعية قبل فوات الأوان . .

وكان عمال المزرعة ينقسمون عادة إلى عمال دائمون ، وعمال مؤقتون ، وعمال بالمقولة .

أما العمال الدائمون فيقسمون بدورهم إلى « ثملية » وهم الذين يعينون بصفة دائمة للقيام بالأعمال الزراعية العادية على اختلافها (واقع عشرة عمال لكل مائة فدان) ، ومرابون ويعملون لقاء ٢ — ٤ كيلات حبوب بالإضافة إلى أطعام وكسوة المالك لهم ، وظهورات لمساعدة الثملية في جميع العمليات الزراعية (عشرة لكل مائة فدان) .

وأما العمال المؤقتون ، فقد كان يطلق عليهم الحطرية أو اليامون أو الاجرية ، وهؤلاء كانوا يستأجروا للعمل في المزرعة في زراعة المحاصيل التي تحتاج إلى طاقات أكبر من جهود الثملية ويلزم انهاءها بسرعة وتدفع أجورهم نقداً وفي الغالب عينا .

أما عمال المقولة فقد كان يستحضرهم الحولى بالإتفاق مع أحد المقاولين نظير أجرة نفر عن كل عشرة افقار وتقل النسبة حتى تصل إلى ٤ — ٥٪ كلما زاد عدد العمال عن مائة عامل .

وتختلف الأجور وطريقة الحصول عليها حسب نوع العمل ، فهيشة الموظفين من وكيل الدائرة إلى المفتش والأمور والناظر والمعاون والكاتب والخزنجي والميكانيكي كانوا يتناولون مرتباتهم نقداً وشهريا . أما باقي العمال من الحولة والسكلافين والتملية والرعاة والعطشجية وما مائلهم ، فقد كانوا يتناولون مرتباتهم نقداً أو نقداً وصنفا كل شهر أو يعطون أرضا زراعية تسمى معاشا يساوي قيمة أجورهم .

ولم تسكن مرتبات العمال ثابتة وإنما كانت تتغير بالزيادة أو التقصان حسب

الحالة الاقتصادية وحسب المـسـكان . وعموما فقد كانت أجور العمال الدائمـين (التـمـلية) تتراوح بين ٦٠ ، ١٢٠ قرشاً في الشهر إذا كانت نقداً وإذا كانت حبوباً فتساوى أجرهم الشهري أو السنوي ، أو يعطى جزءاً من الأجر نقداً والباقي أرضاً . فيعطى في القليوبية والمنوفية من ١٢ - ١٦ قيراطاً للعامل درجة أولى ، $\frac{1}{2}$ إلى $\frac{1}{3}$ فداناً للولاد وذلك في الأرض الجيدة ويشترط على التـمـلي زراعتها حبوباً أو علفاً وليس قطعاً وبعض الجهات كانت تعطى العامل التـمـلي قطعة أرض مساحتها من نصف فدان إلى فدانين بحسب قوة الأرض ودرجة خصوبتها بحيث يساوى إيجارها أجرته السنوية بشرط قيامه بجميع الأعمال الزراعية طوال السنة فإذا انقطع عن العمل يوماً استعـضـر عاملاً بدلاً منه وتضاف عليه إجرته ، وهذه الطريقة تسمى بالمعاش وكانت شائعة في نواحي سخا وكفر الشيخ .

وقد يكون أجر التـمـلي قطعة أرض تعطى له بإيجار منخفض عن المستأجر العادي بمقدار جنيه واحد للفدان وتحسب له أجرة عن كل يوم عمله وتقل عن أجر العامل المؤقت (الخطري) قرشاً واحداً بحيث تخضع مجموع الأجرة المستحقة له في السنة من الإيجار المطلوب ..

وبعض عمال التـمـلية كانوا يحصلون على أجرهم نقداً وعينا في آن واحد ففى بعض الجهات كان العامل يعطى ثلاثة أرادب أجرة في الستة شهور الأولى من نصف بؤونه إلى نصف كيهك وأردب قمح ، ١٥٠ قرشاً في الستة شهور الثانية ، يصرف له المالك كل ستة شهور كسوة (جلباب ولباس وممـداس وطاقيـة) وهذه الطريقة متبعة في جنوب الدلتا في بعض بلاد المنوفية والقليوبية ، أو كان يحصل على ثلاثين قرشاً شهرياً مع أربعة كيلات ذرة أو يأخذ أجرة قرش ونصف في اليوم وفداناً يزرعه ذرة لنفسه بإيجار مخفض أو يؤجر له البرسيم ناقصاً ١٥٠ قرشاً عن إيجار الفدان المعتاد .

أما أجور العمال المؤقتين (الخطريه أو المياومون الاجرية) فكانت تدفع في الغالب نقداً وتتراوح بين خمسة وعشرين وأربعين مليماً في اليوم حسب الجهات وحسب اختلاف العمليات وارتفاع أو انخفاض ثمن المحاصيل ، وفي الأحوال

لأنه إذا كان العامل المؤقت يحصل على أجره عينا أو صنفاً وهذا الأجر يختلف من جهة لأخرى ومن محصول المحصول ففي الذرة يعطى قدح ونصف في اليوم . وفي صم القمح والارز والشعير يعطى حزمة مما ضمه . وفي حصاد الذرة الرفيعة (المويجة) في الوجه القبلي يعطى ١/٢ كيلة اليوم . وفي تذرية القمح والفل والحلبة يعطى كيلة من كل خمسة أردب . أما في تذرية البرسيم فيعطى كيلة عن كل ثلاث أردب أو يعطى سدس التبن الناتج من القمح والشعير في الأرض الجيدة في نظير التذرية ..

وفي مشال القمح يعطى الجمال كيلة ونصف من محصول الفدان ينقله من الغيط إلى الجرن وقد تزيد أو تقل حسب المسافة . أما في الذرة فيأخذ الجمال نصف حمل . وفي دراس القمح يعطى العامل ١/٢ إلى ١/٣ التبن الناتج بشرط أن يقدم النورج والمواشي اللازمة . وفي دراس القمح الهندي يعطى نسبة أعلى « النصف » لأنه يأخذ وقتاً أطول في الدراس ، وفي دراس الشعير يعطى ١/٣ التبن لقلته عن القمح . وفي دراس البرسيم والحلبة يعطى ١/٣ التبن نظير الماشية والنورج . وفي تفريطه أودق الذرة المويجة يعطى ٤٠ — ٥٠ كوزاً أو قدحين من كل أردب وفي دق الذرة الشامية يعطى العامل ربع كيلة من كل أردب .

أما أعمال المفاولة الذين يستقدمون للمزرعة بواسطة المفاول فكانوا يأخذون أجورهم مقدماً أو صنفاً ، ففي بعض الجهات كان المفاول يأخذ كيلتين من الذرة عن قطع فدان ذرة وكيلة من مشاله على الجمال ، ويطلب بعض الملاك تأميناً من المفاول الذي ترسو عليه المفاولة لضمان اتقان العمل^(١) .

* * *

(١) عبد الفتى غنام ، المصدر السابق . ص ٤٦٢ — ٤٦٧ ، محمد مصطفى عقر ، نظام التلية بالمزارع الكبيرة (الزراعة ١٩١٩/١٢/٨) ، حسن سعد شديد =

إذا كانت علاقة كبار الملاك بالفلاح المستأجر هي علاقة بأحد أدوات الإنتاج التي تعطى قوتها للأرض من أجل أن يتمتع المالك بإنتاجها ، فلقد كانت لهؤلاء الملاك علاقة أخرى بمصادر تمويل الأرض من حيث اقتنائها أو الصرف على العمليات الزراعية وغيرها من وسائل المعيشة . تلك هي علاقتهم بالمؤسسات المالية ، الشركات والبنوك ، التي كان لها تعامل بالأرض بصورة أو بأخرى ، وهي العلاقة التي بدأت بالاقتراض من هذه المؤسسات بضمين الأرض أو المحاصيل ، وانتهت بعد تراكم التمسك وعدم تسديدها أولا بأول إلى ما كان يعرف بمشكلة الديون العقارية تلك المشكلة التي كانت سببا في أرق وضجر الملاك المدينين خلال الفترة وحق نهايتها فضلا عن آثارها الاقتصادية والاجتماعية على تطور المجتمع المصري بصفة عامة .

ولقد كانت المؤسسات المالية التي وظفت أموالها في التسليف العقاري والزراعي هي : البنك العقاري المصري الذي انشئ في عام ١٨٨٠ ، والبنك الزراعي (١٩٠٢) وبنك الأراضي (١٩٠٥) وشركة الرهن العقاري (١٩٠٨) ثم البنك العقاري الزراعي المصري (١٩١٠) وكان أشهرها على الإطلاق البنك العقاري المصري بالإضافة إلى كبار الماليين الذين كانوا يوظفون أموالهم في هذه المجالات . . وكان لكل مؤسسة من هذه المؤسسات شروط خاصة بالتسليف والقوائد أدناها ٩٪ وأعلىها ٩٪ وقد أدى التنافس بينها إلى تخفيض سعر الفائدة تخفيضا نسبيا ومن ثم كان الإقبال على شراء الأرض واستصلاح البور منها^(١) .

ومما شجع البنوك على الاكثار من الاقراض ، قوانين المحاكم المختلطة التي كانت تقبل الأراضي الزراعية كضمانة قانونية لتسديد الديون ، كما أنها منحت الدائن حقوقا واسعة في بيع الأراضي المرهونة سواء أكان شخصية معنوية (بنك أو شركة)

= (المصدر السابق) . المجلة الزراعية المصرية ، يناير وفبراير ومارس ١٩٥٢

(تفتيش سحبا بقلم محمد أحمد جمعة) .

(١) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ١٥٦ .

أو فرداً بعينه ، ومن ثم انتشر بين هذه البنوك الأقراض برهن أول وثان وثالث (أى الرهن لأكثر من جهة على الشيء نفسه) فيما عدا البنك العقارى المصرى الذى لم يكن يقبل الأقراض إلا برهن أول . كما ساعد البنوك على التسهيل فى الأقراض أيضاً ، استمرار الارتفاع الذى كان يحدث فى أثمان الأراضى وذلك بارتفاع أثمان المحاصيل الزراعية وارتفاع قيمة الإيجارات فيما بين عامى ١٩١٦ ، ١٩٢٦^(١) .

وكان من آثار هذه التسهيلات فى الاقتراض أن أقبل الملاك على الاقتراض بسبب أو لآخر أما لشراء أراضى بالتقسيط أو لإصلاح أراضيهم أو بناء مساكن خاصة أو الزواج أو للإقامة فى المدن أو شراء السيارات الخاصة وغيرها والسفر للخارج لقضاء أشهر الصيف وللتزهة وغيرها من مجالات الصرف التى لا تعود بإيراد تسدد منه الديون فيما بعد . وقد أسرف البعض فى الاقتراض فمقدوا قروضاً برهن أول وثان وثالث حتى أصبح ما كان على الفدان الواحد يتراوح ما بين ١٢٠ ، ١٥٠ جنيهها بعد أن كان القرض على أجود فدان لا يزيد على ٦٠ جنيهها ، يضاف إلى هذا تساهل بعض البنوك فى تأجيل دفع الأقساط وقبول تأخير قسطين أو ثلاثة مقابل دفع فوائد الأقساط المتأخرة ، وقد ساعد هذا التأخير وتراكم الأقساط ميل المدين إلى التأجيل ليصرف إرادته فى مجالات أخرى غير العمليات الزراعية^(٢) .

وفى أوقات الأزمات المالية سواء أكانت عالمية أم محلية كانت البنوك تقبض يدها عن التسليف فى الوقت الذى كانت تنخفض فيه أثمان المحاصيل فيعجز

(١) نفسه ، ص ١٥٥ ، عبد النفى غنام ، المصدر السابق . ص ٧٠ . أنظر أيضاً :

Jasper Yeates Brinton, The Mixed Courts of Egypt. p 66

(٢) عبد النفى غنام ، المصدر السابق . ص ٧٠ . أنظر أيضاً : تقرير اللورد اللبى عن عام ١٩٢٠ حيث أشار إلى اتفاق المزارعين دخلهم الزائد فى وجوه الترف وأسباب الحياة الناعمة (الأخبار ، ١ ، ٢ ، ٣/١١/١٩٢١) .

المدنيون عن الوفاء بديونهم فتنزع ملكياتهم وفاء للديون كما حدث في أزمات عام ١٩٠٧، ١٩١٤، ١٩٢٧ التي استمرت حتى الثلاثينات وما بعدها (١)، هذا في الوقت الذي بلغ فيه سعر الفائدة على القروض ٨٪، ٩٪ سنوياً بينما كان صافي الإيراد من الأرض لا يتجاوز ٥٪ حتى لقد وجد الكثير من المدنيين أنفسهم يديرون أراضيهم لحساب البنوك وبدون أجر (٢).

لقد تضافرت إذن عوامل مختلفة في نشأة مشكلة الديون العقارية أبرزها سهولة الاقتراض في أوقات الرخاء دون تفكير في النتائج وتأثير العوامل الاقتصادية العالمية والمحلية، وهبوط أسعار المحصولات مع انخفاض إنتاجية الأرض — وأدى تكرار الأزمات العالمية إلى عجز المدنيين عن السداد، ومن ثم تراكم ديونهم وتشدّد الدائنين من ناحية أخرى في الحصول على حقوقهم كاملة، هذا بالإضافة إلى تخوف أصحاب الأموال من استثمار أموالهم في الأراضي الزراعية مما أدى بدوره إلى أثمان الأرض إنخفاض لا يتفق مع قيمتها الحقيقية (٣).

على أية حال، لقد كان عام ١٩١٤ يمثل نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة في تكون الديون العقارية، فارتفع أثمان محصول القطن ذلك العام (١٩١٤) وزيادة قيمة الصادرات، والرواج الذي أحدثته استهلاك الجنود الإنجليز — كل ذلك ساعد الملاك على سداد الديون التي كانت قد تراكت منذ أزمة ١٩٠٧ فانخفضت نسبة ديون البنك العقاري المصري من ٢٨٤٢٨ر٨٥٧ر٢٩ جنيهات في عام ١٩١٤ إلى ٤٧٧ر٥٦١ر١٩ جنيهات في عام ١٩٢٠.

ولكن بقدر ما استطاعوا تسديده من ديون أقدموا على عقد قروض جديدة أخرى بل أن عام ١٩١٧ يعتبر عام الذروة في الاقتراض وخاصة من البنك العقاري

(١) عبد النفي غنام، المصدر السابق. ص ٧١.

(٢) محمد السعيد محمد، المصدر السابق. ص ١٥٦.

(٣) علام محمد، الديون العقارية (بحث مقدم للمؤتمر الزراعي الأول ١٩٣٦)

المصرى حيث وصلت نسبة الاقتراض إلى ١٢٤٩٠.٠٠ جنيهها بينما كانت في عام ١٩١٥ — (٥١٧٠.٠٠ جنيهها) وفي عام ١٩١٦ (٤٨٥٠.٠٠ جنيهها) وعام ١٩١٨ (١٠.٩٩٠.٠٠ جنيهها) وعام ١٩١٩ (٦٦٤٠.٠٠ جنيهها^(١)) .

وهكذا كان شأن الملاك — وخاصة كبارهم — في أوقات الرواج الاقتصادى تزداد أرباحهم وتزداد ديونهم في نفس الوقت ، فمن رصيد الأرباح يقومون بتسديد جزء من الدين وبالجزم الآخر يقومون بشراء أراض جديدة — لأن أمانها في أوقات الرواج تهبط — فليجأون إلى البنوك العقارية للحصول على الأموال الكافية للشراء ، وهذا ما حدث قبل عام ١٩٢٧ وقبل عام ١٩٢٩ أى قبل حدوث الأزمة العالمية ، فاعتماداً على توقعات ارتفاع أثمان المحاصيل عقدت الصفقات المالية الكثيرة وتم شراء كثير من الأراضى . وبناء على هذا هبطت قيمة ديون البنك العقارى العقارى من ١٩٥٦١٤٧٧ جنيهها في عام ١٩٢٠ إلى ١٨٧٩٠٤٢٦ جنيهها في عام ١٩٢٨ ، ثم ارتفعت مرة أخرى إلى ١٩٥٦٢٦٠٤٨٠ جنيهها في عام ١٩٣٠ . بينما وجدنا أن ديون بنك الأراضى التى كانت في عام ١٩٢٠ — ١٩٢١ : ٤١٦٤٥٧٥٠ جنيهها وصلت بعد ارتفاع طفيف إلى ٤١٤٠٣٢٥ جنيهها في عام ١٩٢٤ — ١٩٣٥ ثم ارتفعت فجأة إلى ٨٠٦١٨١ جنيهها في عام ١٩٢٨ — ١٩٢٩^(٢) .

وفي عام ١٩٣٠ وصلت الديون العقارية إلى أعلى مراحلها ، إذ وصلت قيمتها — كما حددها مسيو مينوست E. Minost مدير عام البنك العقارى — إلى ثلاثين مليوناً من الجنيهات وجملة الأراضى المرهونة إلى ٣٥٠.٠٠ فداناً ، أى كل مصر تقريباً فيما عدا أراضى الوقف والمساكن أقل من خمسة أفدنة المحظور توقيع الحجز عليها بمقتضى قانون الخمسة الأفدنة في عام ١٩١٣ . وجدير بالملاحظة

(1) G. Baer, op. Cit. ,P 105

(2) Ibid. P 107, A.E. Crouchley, The Economic Development of Modern Egypt. P 217 — 218.

أن قروض البنك القمارى فوق ٤٠٠٠ جنيهها كانت تخص الملاك فوق ٥٠ فدانا والذين كان يخصهم وحدهم ٧٧٦٦٪ من جملة الأراضى المرهونة للبنك وكان يخصهم أيضاً ٨٠١٪ من جملة قروضة (١) .

ومن الملاحظ أن صفوة كبار الملاك فى مصر كانوا مثقلين بالديون العقارية إذ كانت أراضيهم مرهونة أولى وثانية وثالثة وعليها اختصاصات لأكثر من بنك ولا أكثر من بيت مالى ولأفراد خارج المؤسسات المالية المعروفة ، كما كان من بينهم رجال السياسة الذين لعبوا دورا خلال الفترة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد الشريمى باشا ، اللوم بك السعدى ، المصرى باشا السعدى ، عبد العظيم بك المصرى بالمنيا وحمد الباسل وعبد الستار الباسل وسالم الباسل بالفيوم ، ونجيب باشا غالى وورثة بطرس غالى بالجيزة وبني سويف ، والفريد شماس وأبورحاب بحرجا وأسيوط سليم وسمعان صيدناوى بالفيوم ، يوسف نحاس بالشرقية ، حسين رشدى باشا ببني سويف على شعراوى باشا وقاينى فهمى باشا بالمنيا ، مصطفى عمرو وأسيوط وإسماعيل الماقوسى بالمنيا (٢) وعدلى يكن وعبد اللطيف الصوفانى وعبد الحميد سلطان وعلى المنزلاوى وزايد جلال (٣) .

ولقد حمل هؤلاء المثقلون بالديون لواء المطالبة بتدخل الحكومة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من ثرواتهم المرهونة لأصحاب الديون والمعروضة فى مزادات البيع بأبخس

(1) G. Baer, op. Cit., P. 102, 107

أنظر أيضاً : عزيز خانكي ، معجزة من معجزات الإصلاح الزراعى . ص ١ حيث يذكر أن مسيو أفيجدور كبير المفتشين بالبنك القمارى المصرى تولى إدارة ١٥٠ عذبة مساحتها ٣٠٠٠٠ فدانا وقيمتها ٢٠٠٠٠٠ ر ٥٠٠ جنيهها وهى الأراضى التى عجز أصحابها عن سداد ديونها .

(٢) مكلفات الاطيان الزراعية بالمنيا والفيوم والجيزة وبني سويف وأسيوط والشرقية (دار المحفوظات المصرية) .

(3) F. O, 371 — 1964 — 15252, op. Cit.,

الإثمان ، وفي مقدمة هؤلاء — كما سنرى — الفريد شماس وقليني فهمى ويوسف نحاس الذى كان سكرتيراً عام النقابة الزراعية العامة وغيرهم ممن كتبوا في الصحف أو قدموا الأسئلة والاستجوابات للحكومة في البرلمان أو أصدروا قرارات وتوصيات من خلال الاجتماعات الدورية لمجلس المديرية .

ولقد كانت مناقشات كبار الملاك بشأن الديون المقارية تدور حول ضرورة تدخل الحكومة وأحلالها محل البنوك الدائنة بالطريقة التى تمنع تسرب الأرض من تحت أيديهم إلى الأجانب . وفى ذلك قدم قليني فهمى — وهو أول من نبه إلى خطورة هذه المسألة — اقتراحاً للحكومة فى ٨ أبريل ١٩١٢ طالب فيه بأن تقوم الحكومة بمحصر ديون الأهالى ودفع قيمتها للبنوك على أن يقوم المدينون بسداد ديونهم للحكومة فى أقساط وعلى آجال طويلة كأن تكون تسعين سنة وبفائدة ٤٪ . وقد جدد هذا الطلب مرة أخرى فى أبريل ١٩١٥ ويونيو ١٩٣١ وسبتمبر ١٩٣١ حيث طالب الحكومة بتأجيل تحصيل أقساط أموال الأتليان حتى يتمكنوا من مواجهة مطالب البنوك المقارية (١) .

وقد فقد يوسف نحاس هذا الرأى على أساس أن قيام الحكومة محل البنوك سيكلفها أعباء إدارية كبيرة من حسابات وموظفين تصل إلى ٦٠٪ . ومن ثم لا نستطيع أقراض المدينين بنسبة ٤٠٪ (٢) ، وكان قد أبدى تخوفه من أن البيوع الجبرية للأراضى المرهونة تسببت فى خفض أثمان الأرض (٣) .

(١) المقطم ، ٨/٤/١٩١٥ ، ٢٥/٦/١٩٣١ ، ١٣/٩/١٩٣١ ، ١٢/٩/١٩٣١
ولقد بذل قليني فهمى جهوداً ضخمة فى سبيل مشكلة الديون المقارية فلم يترك فرصة إلا وكتب منادياً باحلال الحكومة وتدخلها حتى لقد امتدحه أكثر من شاعر على هذا المجهود (أنظر : المقطم ١٩/٣/١٩٣٣) .

(٢) المقطم ، ٢٤/٤/١٩١٥ .

(٣) الإهالى ، ٧/٣/١٩١٥ .

وقد قدم زكريا نامق (عضو الجمعية التشريعية) إلى رئيس الوزراء (حسين رشدي) في فبراير ١٩١٦ اقتراحاً بأن تقوم الحكومة بتعيين حراس من الأعيان للأراضي التي تنزع ملكيتها وتكون مهمتهم إدارة الأرض بمعرفةهم وسداد أقساط ديونها للبنوك من ريعها لمدة خمس سنوات يتمكن بعدها صاحب الأرض من إدارة شؤون زراعته ودفع الأقساط المطلوبة وبذلك لا تتعرض أرضه لنزع ملكيتها^(١).

وقد انفق معه في هذا الرأي محمد بك أبو الفتوح وأضاف بأن تقوم الحكومة بوقف البيوع الجبرية فتحفظ للأرض قيمتها وأن تقسم مواعيد تحصيل الأموال الأميرية على أربعة أشهر تبدأ من نوفمبر ، وتعديل لوائح بورصة البضائع في ميناء البصل ، على أن يحاول الأهالي من جانبهم الاتحاد ولا يبيعوا محاصيلهم إلا دفعة واحدة حتى يضمنوا سعراً معقولاً ويقتصدوا في نفقاتهم ما أمكن لهم الاقتصاد^(٢).

على أن الأزمة كانت قد وصلت إلى ذروتها في منتصف عام ١٩٣١ وزادت البيوع الجبرية زيادة رهيبية فقد نظرت محكمة مصر المختلطة خلال ذلك العام وحده ١١٠٠ قضية نزع ملكية بلغ مقدار الأراضي المروضة للبيع ٣٢٠٦١ فداناً رسماً المزداد على ٢٩٥٤ فداناً منها يضاف إليها القضايا المؤجلة . أي أنه قدر مجموع الأراضي المهسدة بالبيع الجبري في نهاية عام ١٩٣١ بحوالي خمسين ألف فدان^(٣).

ولقد بلغ متوسط ثمن الفدان المروض للبيع ٨٧ جنياً ، ولما كان المتبيع في

(١) المقطم ، ١٩١٦/٢/٥ ، الأهالي ، ١٩١٦/٢/١٢ .

(٢) محمد أبو الفتوح ، الأزمة المالية الزراعية ، داؤها ودواؤها (المقطم ،

١٩١٦/٥/٢٦) .

(٣) حنا أسعد ، ديون الأهالي وقضايا نزع الملكية المقطم ، ١٩٣١/٨/١٣ .

البيع الجبرى تخفيض $\frac{1}{3}$ الثمن الأسمى ، فإن ثمن الفدان المروض للبيع كان أقل من ٧٠ جنيهاً في أول جلسة ثم يأخذ في الانخفاض فى الجلسات التالية طالما أنه لم يباع فيصل إلى ٥٦ جنيهاً فى الجلسة الثانية ثم ٤٥ جنيهاً فى الجلسة الثالثة حتى يرسو المزاد (١) .

إزاء هذا الموقف وأمام صرخات الملاك المدينين تدخلت الحكومة فأصدر مجلس الوزراء فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣١ قراراً بالموافقة على ما كانت قد اقترحت وزارة المالية بتدخل الحكومة فى شراء الأراضى المروضة للبيع الجبرى بالمزاد وبأبخس الأثمان ، على أن يكون هذا التدخل عن طريق الشركة العقارية المصرية التى تتولى إدارة تلك الأطنان بعد شرائها إلى حين وجود مشتر لها بثمن مناسب مع إعطاء المدين الأسمى وعائلته وأهل منطقته حق الأولوية فى الشراء وذلك خلال الخمس سنوات التالية لشراء الشركة للأرض وتكون الشركة بعد ذلك حرة فى البيع لمن تشاء بشرط أن يكون المشتري مصرياً فى كل الأحوال (٢) .

وقد تم الاتفاق على أن تضع الحكومة تحت تصرف الشركة مبلغ مائة ألف جنيه لاستخدامه فى شراء الأراضى الزراعية المروضة للبيع الجبرى بأقل من قيمتها الحقيقية أو الأراضى التى تكون قد رسي مزادها على البنوك بأقل من القيمة الحقيقية أيضاً ، على أن تقسم الأرباح — إذا وجدت — مناصفة بين الشركة والحكومة أما الخسارة فتتحملها الحكومة وحدها (٣) .

وقد سارت الشركة فى عملها ، ووضعت الحكومة تحت تصرفها لتنفيذ هذا المشروع مبلغ مائون جنيه على دفعات متعددة صدر باعتمادها مرسوم بقانون رقم (٢٦) بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٣٢ ، وفى ٨ يونيو ١٩٣٢ رخص مجلس الوزراء لشركة

(٢) نفسه .

(٢) جمال الدين محمد سعيد ، المصدر السابق . ص ٦٨ — ٦٩ .

(٣) أحمد على ، المصدر السابق . ص ٨ .

بشراء ١٤ س و ١٧ ط و ٦٢٥٧ ف من الأراضى التى رسا مزادها على البنك المقارى
المصرى بمبلغ ٤٥٠.٠٠٠ جنيهها دفع منها ٤٠٪ (أى ١٨٠.٠٠٠ جنيهًا) فوراً
وقسط الباقى على عشرين سنة بفائدة ٥٪ سنوياً ، ثم اشترت من المزادات الأخرى
— س و ٢١ ط و ٩٣٨٧ ف بمبلغ ٥٥٤٣٣٠ جنيهها (١) .

ولقد قررت الشركة بالاتفاق مع الحكومة أن تباع الأرض لأصحاب الأولوية
فى شرائها بزيادة قدرها ١٠٪ مما تكلفته الحكومة فى شرائها (ويشمل ذلك
التمن الذى دفعته الشركة مضافاً إليه ملحقاته من مصاريف إدارية وعمومية
وتكاليف إصلاح وفوائد لنهاية تاريخ البيع) وبشرط أن يدفع المشتري ربع (¼)
التمن على الأقل نقداً والباقي مقسطاً لمدة لا تزيد عن عشرين عاماً بفائدة ٦٪ (٢) .

ولم تعجب هذه الشروط الملاك بطبيعة الحال ونوقش الموضوع فى مجلس النواب
حيث وضع ثلاثة عشر نائباً الشروط التى رأوا أن تسير عليها الشركة لتسهل على
الملاك استرداد أراضيهم ، وجاء فى هذه الشروط أن تكون المدة التى يجوز فيها
لصاحب الأرض الحق فى استردادها عشر سنوات وألا تتصرف الشركة فيها قبل
انتهاء هذه المدة وأن يدفع عند الشراء ١٠٪ من التمن الأصلى وليس مما تكلفته
الحكومة فى شرائها كما سبق أن اقترحت الشركة ، وأن يقسط الباقى على ثلاثين
سنة وبفائدة ٥٪ ، وليس على عشرين سنة كما اقترحت الشركة ، على أن تأخذ
الشركة ٢٪ ربحاً من قيمة التمن الذى رسا به المزاد الأصلى (٣) .

ويبدو أن مناقشة النواب قد أثمرت خاصة وأنهم أخرجوا الشركة العقارية
وأظهروها عظمير المستفيد ، فتوقفت الشركة عن شراء الأراضى منذ ١٨ مايو ١٩٣٣
وظلت الشركة تدبر ما تحت يدها من الأراضى إلى أن صدر قرار مجلس الوزراء فى
أول أغسطس ١٩٣٤ بانتهاء هذه العملية وتسليم مصلحة الأملاك الأميرية مابقى لدى

(١) مجلس النواب ، ٢١/٢/١٩٣٣ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه ، ٢٤/٤/١٩٣٣ .

الشركة من أراضي لإدارتها وعرضها على أصحاب الأولوية لشراؤها خلال المدة الباقية من الخمس سنوات التي كانت قد بدأت في ٢٧ نوفمبر ١٩٣١ (١) .

ويبدو أن هذا الإجراء الذي قامت به الحكومة لم يقنع المدينين خاصة وأن الشركة العقارية التي تولت مهمة شراء الأراضي المغروضة للبيع الجبرى دخلت إلى الليدان بقكرة الاستثمار من أجل الربح ، ولا عجب في ذلك فهي منبثقة من مجموعة بنك مصر التأسيسية إذ كان طلمت حرب مديرها وعضو مجلس الإدارة المنتدب . . ولهذا أعلنت النقابة الزراعية العامة أن أى حل لمشكلة الديون العقارية لا يقوم على تخفيض سعر الفائدة وأطالة مدة الاقساط لا يسمى حلا وهذا ما لم يتضح في جهود الحكومة (٢) .

وواصلت النقابة جهودها في تقديم الاقتراحات ، فتقدمت في ١٩ ديسمبر ١٩٣٢ باقتراح للحكومة لكي تجبر شركات الرهن العقاري على تخفيض فوائد التأخير من ٩ ٪ التي كان قد نص عليها في العقود إلى حدها الأصلي المشروط في نظم ولوائح البنوك ، كما اقترحت أن يخفض بنك التسليف الزراعى وفرضه العقاري فائدته إلى ٦ ٪ وأن تتدخل الحكومة وتضع قانونا يجعل الحد الأعلى للفوائد التي يجوز التعاقد عليها مستقبلا ٧ ٪ بدلا من ٩ ٪ (٣) .

واستمرت المناقشات دائرة تطالب الحكومة بوضع حلول عملية لمشكلة الديون العقارية حيث أن ما اتخذته الحكومة من إجراءات وفي مقدمتها دور الشركات العقارية لم يؤد إلى نتائج إيجابية من وجهة نظر الملاك المدينين

(١) أحمد على ، المصدر السابق . ص ٩ - ١٠ .

(٢) المقطم ، ١٤ / ١٠ / ١٩٣٢ (تقرير مقدم من يوسف نحاس إلى مجلس إدارة النقابة الزراعية) .

(٣) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ص ٢٤٧ (أعمال النقابة الزراعية خلال العام من ١ / ٤ / ١٩٣٢ - ٣ / ٣ / ١٩٣٣) .

بطبيعة الحال (١) .

وقد اعترفت الحكومة بأن الإجراءات التي اتخذتها سواء أ كانت عن طريق التدخل الذي قام به بنك التسليف الزراعى المصرى أم عن طريق الصفقات التي عقدتها الشركة العقارية « لم تكن لتكفي لمعالجة معضلة الديون العقارية وإنما كانت إجراءات مؤقتة بررها الأمل وقت اتخاذها في قرب انتشاع غياهب الضيق العالمى » (٢) . ومن ثم ففاوضت الحكومة البنوك العقارية الثلاث (البنك العقارى المصرى ، بنك الأراضى ، شركة الرهن العقارى) في مايو عام ١٩٣٢ وانتهت بالاتفاق على الأسس التالية :

أولاً — تجميد وتجميد القرض الحالية مع كل المبالغ المستحقة على المدينين .
ثانياً — تخفيض فئة الفائدة على بعض القروض التي عقدت بفئات مرتفعه فقبل البنك العقارى تخفيض حده الأعلى إلى ٦.٥ ٪ لمدة خمس سنوات على أن يرتفع بعد ذلك إلى ٧.٠ ٪ ، وخفضت شركة الرهن حدها الأعلى إلى ٦.٥ ٪ طوال مدة القروض . أما بنك الأراضى فقد خفض حده الأعلى إلى ٦.٥ ٪ خلال عشر سنوات وإلى ٧.٠ ٪ خلال الخمس وعشرين سنة التالية .

ثالثاً — أن تسدد الحكومة ٢ ٪ الأقساط المتأخرة لغاية عام ١٩٣٢ بأذونات على الخزينة (بفائدة ٤ — ٤.٥ ٪) يصدرها الحكومة فتستطيع البنوك تداولها وخصمها والحصول على الأموال لتدبر بها حركة أعمالها ، وفي هذه الحالة جعلت الحكومة فائدة على المدينين لها (بمقتضى دفع ٢ ٪ للديون) في حدود ٥ ٪ (٣) .

(١) أنظر على سبيل المثال مناقشات النواب في جلسات ١٩٣٢/٦/٢٢ ، ١٩٣٢/٧/٥ ، ١٩٣٣/١/٣ ، ١٩٣٣/١/١٦ ، وأيضاً المقطم ، ١٩٣٢/١٠/٢١ .
(٢) مذكرة وزارة المالية بحاس الوزراء في ١٩٣٢/١٢/٨ بشأن الديون العقارية (مجلس النواب ، ١٩٣٣/٢/٢١) .

(٣) نفسه .

وعرضت وزارة المالية أسس الاتفاقيات التي وصلت إليها مع البنوك ، على مجلس البرلمان حيث أوضحت أن جملة متأخرات الأقساط بلغت ٢٠٠.٠٠٠.٣٧٢ جنيها . يخص البنك العقاري المصري منها ٢٠٠.٠٠٠.٤ جنيها وبنك الأراضي ١٤٥٢.٠٠٠ جنيها ، وشركة الرهن العقاري ٧٢٠.٠٠٠ جنيها . وبعد المناقشات التي بدأها المجلسان في ١٧ يناير ١٩٣٣ وافق البرلمان على أن تصدر وزارة المالية إذونات على الخزانة لا يتجاوز مجموعها ٣.٥٠٠.٠٠٠ جنيها يصدر منها إذونات بليون جنيه لمدة خمس سنوات وبفائدة ٤ ٪ تدفع في آخر كل ستة أشهر ، وإذونات بليونين ونصف جنيه لمدة عشر سنوات وبفائدة ٤ ٪ سنوياً تدفع في آخر كل ستة شهور ، على أن يخصص المبلغ الناتج من إصدار هذه الإذونات لتنفيذ الاتفاقيات التي كان مقرراً عقدها مع البنوك المعنية^(١) .

وفي ١٤ فبراير ١٩٣٣ صدق مجلس الوزراء على الاتفاقيات التي عقد مع البنوك الثلاثة بناء على الأسس السابقة ، وفي ٨ مارس ١٩٣٣ صدر القانون رقم (٧) بتنفيذ ما جاء بتلك الاتفاقيات حيث نص على تجريد ومد آجال قروض البنوك المقارية الثلاث طبقاً للقواعد الموضحة بالاتفاقيات « ما لم يرفض ذوو الشأن صراحة المعاملة بتلك الإتفاقيات في المدة المحدودة والأوضاع المقررة بها » (مادة ١) ، وعلى أن تودع البنوك بالمحاكم قرائم المدينون المنتعنين من التسوية وذلك في خلال ستة شهور تقوم هذه المحاكم من تلقاء نفسها وبدون أى مصاريف بشطب قضايا نزع الملكية التي لم يكن قد فصل فيها ، ووقف إجراءات نزع الملكية (مادة ٤) ، ولضمان تنفيذ ذلك القانون بلا إبطاء جاء في مادته السابعة بأن تسرى أحكامه « ولو تعارضت مع ما قرره القوانين واللوائح المعمول بها »^(٢) .

وفي ٢٧ مايو ١٩٣٣ صدر القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٣ بتخصيص مايون

(١) مجلس النواب ، ١٧ ، ١٩٣٣/١/٣١ .

(٢) مجلس النواب ، ٨/٣/١٩٣٣ .

جنيه من الاحتياطي العام لإصدار المرحلة الأولى من الاذونات المالية التي كان قد سبق إقرارها (١) .

وبناء على هذه الاتفاقيات قسمت القروض إلى أربعة أقسام رمز إليها بحروف أ ، ب ، ج ، د . فالقروض حرف (أ) تشمل الباقي من أصل الدين لغاية ١٩٣٢ ، والقروض (ب) يشمل $\frac{1}{4}$ الأقساط المتأخرة على المدين في المدة من ١٩٢٨ لغاية ١٩٣٢ . والقروض (ج) يشمل $\frac{2}{4}$ الأقساط المتأخرة في المدة نفسها وهي التي تسدها الحكومة ، والقروض (د) يشمل الأقساط المتأخرة على المدين في المدة السابقة لعام ١٩٢٨ (٢) .

ورغم هذه التسويات لم يتمكن المدينون من تسديد الأقساط المستحقة عليهم في مواعيدها ، فلم تضى ستة شهور من الاتفاقيات حتى بدأت مناقشة الموضوع من جديد على صفحات الجرائد وفي النقابة الزراعية العامة وفي مجالس المديريات وفي البرلمان ، للطالبة بإعادة النظر في التسويات لتتفق مع ظروف الأرض وما تدره من غلات ، ولا بأس من أن تتبع بعض هذه المناقشات التي انتهت بإعادة النظر في التسويات بالفعل .

والملاحظ بصفة عامة أن الحلول التي طرحت من خلال المناقشات لم تتناول مشكلة الديون بمز من الجوانب الاقتصادية الأخرى بل لقد ربطت بينها وبين الوسائل التي يمكن إتخاذها لحل الأزمة كرفع أسعار المحصولات وخفض المصروفات الحكومية العامة وخفض أموال الفرائب بنسبة ٥٠٪ (٣) . أو تحصيل نصف

(١) نفسه ، ٢٧/٥/١٩٣٣ .

(٢) نصوص الاتفاقيات الثلاثة (مجلس النواب ، ٢١/٢/١٩٣٣) .

(٣) محمود أبو حنين (عمدة منفوط) ، مشكلة الديون العقارية والحل ،

القطم ، ٢١/٩/١٩٣٣ »

ضريبة الأطنان المقررة ويبقى النصف الآخر ديناً للحكومة على أصحابها ويستمر هذا الوضع لمدة خمس سنوات بحيث يقسط نصف الضريبة المتجمدة على عشرين سنة، كما تخفض قيمة الأقساط المطلوبة للبنوك العقارية إلى النصف فيطول بذلك أجل السداد مع تخفيض الفائدة إلى $\frac{3}{100}$ أو $\frac{4}{100}$ وإنهاء ضريبة القطن وجعل الحد الأقصى لضريبة مجلس المديرية $\frac{5}{100}$. ويقول صاحب هذا الاقتراح^(١) ، أنه إذا رفضت البنوك تخفيض أقساطها فعلى الحكومة أن تدفع نصف الأقساط وتحمل محلها كما فعلت في تسوية ١٩٣٣ مع مد أجل السداد إلى خمسين أو ستين سنة ، وحتى توفر الحكومة المبالغ اللازم لذلك تقوم بإصدار سندات يشتريها موظفو الدولة بواقع $\frac{20}{100}$ أو $\frac{25}{100}$ من مرتباتهم « لمساعدة اخوانهم الزراع » ، وتخصيص مبالغ مجالس المديريات وهى لا تقل عن مليونى جنيه لهذا الغرض ، وإصدار تشريعاً بأن لا يصرف صندوق التوفير إلا نصف الودائع لأصحابها خلال خمس سنوات والباقي يصرف لهم فى شكل سندات على الخزنة ، هذا فضلاً عن الإقلال من المنشآت الجديدة وبدلات السفر والعلاوات والاشتراكات المجانية ، وهذا كله لا بد وأن يوفر فى خلال خمس سنوات ما يقرب من خمسين مليون جنيهًا وهو كل قيمة الديون العقارية المستحقة .

وقد لاحظ آخرون ، أن قيمة الأرض تأثرت بهبوط غاتها ومن ثم طالبوا بأن تتنازل البنوك عن جزء من أصل الدين يوازى الهبوط الذى لحق بقيمة الأرض وأن لا يزيد القسط الواحد عن ضعفى ضريبة الأطنان فإذا لم تفعل البنوك ذلك فليتركها الحكومة وشأنها مع مدينتها ومن يتعذر عليه منهم الاتفاق معها تبيعها الحكومة قطعة من الأرض بثمن مناسب بلا فائدة ويقسط ثمنها على أقساط

(١) محمود محمد الألفى ، العلاج الضائقة الاقتصادية والديون العقارية (المقطم ،

١٩٣٣/٩/٢٣) .

لا يزيد الواحد على ضعفى الضريبة المقررة فتكون الأرض الجديدة بمثابة مصدراً لتسديد الديون^(١) .

وقد رأى آخرون أن تمسك البنوك بالبيع الجبرى هو من قبيل إثارة أصحاب المصالح حتى تتدخل الحكومة ، فليس من شأن البنوك العقارية استقلال وإدارة الأرض ، فإذا أعلنت الحكومة استعدادها لشراء الأرض المنزوع ملكيتها أطمأنت البنوك وفى هذه الحال تؤجر للمدين أو أحد أقربائه الأرض بقيمة معقولة حتى تتعدل الظروف^(٢) .

وقد أرسل أحدهم رسالة إلى وزير المالية فى ١٧ أكتوبر ١٩٣٣ اقترح فيها أن تتنازل البنوك العقارية عن ٢٥٪ من ديونها مقابل أرباح الماضى ، وتصدر الحكومة سندات مالية بـ ٢٥٪ أخرى « تتداول فى العالم المتمدين بأجمعه » ، والباقى وهو ٥٠٪ يدفعه المدينون أنفسهم فى خلال ثلاثون سنة^(٣) .

ونشر اقتراح بإنشاء بنك عقارى وطنى يحل محل الدائنين وتكون موارده من ضريبه تفرض على الأراضى والأمالك الحالية من الرهون واستقطاع ١٠٪ أو ٢٠٪ أو ٣٠٪ من مرتبات الموظفين تصرف لهم بسندات مالية على خزانة الدولة بحيث يكون التسديد مقسطاً على ثلاثين سنة يبدأ القسط الأول منها فى أول يناير ١٩٣٨^(٤) ، أو أن ترخص الحكومة لبنك التسليف العقارى بإصدار سندات قيمة

(١) أحمد الألفى ، الديون العقارية . ، اقتراحات لحل مشكلتنا
(المقطم ، ١٩٣٣/١٠/٣) .

(٢) عبد الحليم البيلى ، فى الأزمة العقارية (المقطم ، ١٩٣٣/١٠/٨) .

(٣) للمقطم ، ١٩٣٥/٤/٢ (رسالة من عبد الحميد شديد إلى وزير المالية فى ١٧/١٠/١٩٣٣ لم تنشر فى حينها) .

(٤) أنيس دوس ، كيف نحافظ على ثروتنا الأهلية (المقطم ، ١٩٣٣/١١/٧) .

كل سند عشرة جنيهات بفوائد ٥/٣ أو ٣/٣ على أن يصدر البنك هذه السندات على ثلاث سنوات كل سنة بمبلغ عشرة مليون جنيه تستهلك بطريق اليانصيب أو بأى طريق آخر في مدة خمسين سنة من إصدارها ويحل البنك بمقتضى ذلك محل البنوك الدائمة ويقسط الدين للمدين بفائدة ٥/٤ على خمسين سنة ، وحق تستوعب السندات بسرعة ذكر صاحب الاقتراح أنه يمكن « إلزام الموظفين بأمر إدارى يأخذ جانب من هذه السندات (١) » .

وقد اترض البعض على فكرة مد أجل التقسيط إلى خمسين سنة أو أكثر واقترح التخلص من الدين نهائياً وذلك بأن يبيع كل مدين بقيمة دينه جزءاً من أرضه للحكومة بثمن مناسب ويسبق لنفسه ولأولاده باقى أرضه خالية من الدين ، على أن تتولى الحكومة تسديد أقساط الديون من ريع الأرض المباعة لها مع إضافة مبلغ من الخزينة (٢) .

ولما كان البنك العقارى المصرى هو أهم البنوك الدائمة والمثل الذى تحتذيه بقية البنوك فقد اقترحت « المقطم » أن تشتري الحكومة بعض أسهم هذا البنك بما يحمل لها الحكامة العليا فى إدارته وتقرير سياسته فتستطيع بذلك تعديل فائدة الديون وإطالة مدد السداد دون جهد كبير (٣) .

ورأى البعض أن يؤلف المدينون لجنة تتولى مفاوضة البيوت المالية الأجنبية للحصول محل البنوك الدائمة على أن تحمل الاقساط مدد طويلة وبفوائد لا تتجاوز

(١) م . ع ، الديون العقارية (المقطم ، ٩/٦/١٩٣٤) .

(٢) أمين أنطون بك (عضو مجلس مديرية قنا) ، مشكلة الديون العقارية (المقطم ، ٢/٧/١٩٣٤) .

(٣) المقطم ، ١٦/١٢/١٩٣٤ .

٣١/ ، وإذا أضرب الناس عن شراء الأراضى المعروضة في المزاد واستئجار المباع منها يكون في ذلك إخراج لمركز البنوك الدائمة (١) .

وقد قدم مجلس مديرية الغربية اقتراحاً بشأن حل الأزمة لم يخرج عن الاقتراحات التى سبق عرضها بل أن « لجنة تفريج الأزمة العقارية » المنبثقة من مجلس المديرية قالت في تقديمها للاقتراحات ، أنها تتفق مع ما سبق أن أعلنه « أولو الراى في هذا الموضوع » (٢) .

ولم يتخلف قائمى فهمى عن تقديم الاقتراحات في هذا المجال فقال أنه يجب مد آجال الأقساط إلى ستين سنة وتخفيض الفوائد إلى ٤٪ أو تدفع الحكومة سنوياً نصف الأقساط المطلوبة للبنك العقارى باعتباره البنك المتشدد في مرقفه والنصف الآخر يدفعه المدين ، على أن لا تحصل الحكومة النصف الذى دفعته للبنوك إلا بعد خمس سنوات على الأقل (٣) .

وهناك من ناقش تسويات ١٩٣٣ على أساس أنها لم تعالج المسألة إلا من ناحية واحدة وهى سعر الفائدة ودون التعرض لأصل الدين ولتأخرات ، مع أنها أصل الداء ، وحتى لا يظل المدين يزرع أرضه هو وأولاده ليسددوا أوالا للحكومة وأقساطاً للبنوك ، اقترح أن تتجاوز الحكومة للمدينين عما سبق أن سددته من ديونهم القديمة بالقرض حرف (ج) وتدفع عنهم للبنوك ١/٣ قيمة اقترض (أ) (وهو ما كان يشمل الباقي من أصل الدين لغاية ١٩٣٢) بواسطة سندات تصدرها على الخزينة على أن تحصل قيمة ما تدفعه من ضريبة تفرضها على الأراضى الزراعية من نوع ضريبة القطن ، وفي مقابل ذلك تطالب الحكومة من البنوك أن تتجاوز

(١) عبد الله نجيب ، مشكلة الديون العقارية (المقطم ، ٢٨/٥/١٩٣٥) .

(٢) المقطم ، ١٣/٤/١٩٣٥ .

(٣) قاينى فهمى ، الحل الوحيد لمشكلة الديون العقارية (المقطم ،

١٦/٤/١٩٣٥) .

بدورها للمدينين عن ديونهم بالقرض (ب) ، القرض (د) (وهو ما كان يشمل $\frac{1}{4}$ الأقساط المتأخرة على المدين في المدة من ١٩٢٨ لغاية ١٩٣٢ ، والأقساط المتأخرة على المدين في المدة السابقة لسنة ١٩٢٨) وأن تخفض سعر الفائدة إلى ٤ ٪ ، وبهذا تصبح ديون صاحب الأرض محصورة في $\frac{3}{4}$ القرض حرف (أ) يسددها للبنك على أقساط معقولة بفائدة معتدلة تناسب ما تنتجه الأرض (١) .

تلك كانت طائفة من الاقتراحات العديدة التي قدمها أصحاب المصالح الزراعية لحل مشكلة الديون العقارية أكثرها جاد وعملي وبعضها طريف كافتراح عبد الحميد شديد بإصدار سندات بقيمة الدين تتداول في العالم المتمدن أجمع . وبعضها خيالي كافتراح المقطم بشراء أسهم في البنك العقاري يجعل للحكومة اليد العليا في تقرير سياسته ، وبعضها خطير يعكس قصر نظر كافتراح التفاوض مع بنوك أجنبية أخرى تحمل محل البنوك الدائنة ، أى استبدال قوة أجنبية بقرعة أخرى أجنبية . ونسكنها افتراحات هدفت في مجموعها إلى إنتقاذ الثروة من برائن الأجانب .

أما العناية الزراعية العامة فقد ساهمت باقتراحاتها التي لم تخرج عن الاقتراحات السابقة بطبيعة الحال ، خاصة وأن بعضاً ممن ناقشوا المسألة على صفحات الجرائد كانوا على صلة بالثقافة بطريقة أو بأخرى . على أن النقابة قد ركزت بصفة خاصة على ضريبة القطن وضرورة النائها (٢) . وجعل الدين الذي على الأرض مناسباً لقيمتها وغلتها ، وهذا التناسب بين دخل الأرض وتكلفتها لا يأتي إلا بالتجاوز لصاحبها عن كل ما يزيد في تكلفتها على دخلها وتقسيط الباقي من الدين على مدة لا تقل

(١) فيليب ناصف، في مشكلة الديون العقارية وإتفاق الحكومة والبنك العقاري (المقطم ، ٢١/٤/١٩٣٥) .

(٢) المقطم ، ١٠/١٠/١٩٣٣ .

عن أربعين سنة وبفائدة لا تزيد عن ٤ ٪ (١) .

كذلك أثيرت مناقشات عديدة في مجلس النواب ، وقدم النواب الكثير من الأسئلة والاستجوابات حول سياسة الحكومة في مسألة الديون العقارية (٢) . كان أهمها ما ذكرته لجنة المالية بالمجلس أثناء نظر ميزانية الدولة لعام ١٩٣٤ - ١٩٣٥ من أن تسوية ١٩٣٣ وضعت على أمل تحسن الأسعار ، غير أن ذلك لم يتحقق ، ولهذا عندما حانت مواعيد السداد وجد المزارعون أنفسهم في نفس المأزق الذي كانوا فيه عند وضع التسوية ، كما أن تدخل الشركة العقارية لم يؤد الفائدة المرجوة ، بل جاء تدخلها كما ذكرت اللجنة في أغلب الأحيان د لصلحة الدائنين دون الفلاحين . لهذا طالبت اللجنة الحكومة باتخاذ خطوات حازمة لإتقاذ الثروة العقارية فإذا تذر الإتفاق مع الدائنين كان عليها أن تعمل على تمصير الديون العقارية (٣) وأن كانت اللجنة لم تشرح في الحقيقة ما هو المقصود بالتمصير . . هل سيكون عن طريق إحلال الحكومة محل البنوك الدائنة أم إحلال الرأسماليين المصريين بشراء هذه الديون . . .

والحقيقة أن هذه المناقشات كانت تعبر عن واقع الديون العقارية وعجز المدينين عن الوفاء بديونهم ، سواء أ كان هذا العجز يرجع إلى ظروف اقتصادية

(١) مذكرة مجلس الإدارة في ١٢/١٠/١٩٣٣ (المقطم ، ١٧/١٠/١٩٣٣) .
وتقرير مقدم للحكومة في ١٤/١٠/١٩٣٣ مبني على أبحاث قدمها للنقابة قلفي فهمي .
عبدالمعز رضوان ، وهي أديب (يوسف نحاس ، المصدر السابق ص ، ٢٦٠ - ٢٦٢) .
أنظر أيضاً ما ذكره عبد الحليم الياس نصير عضو مجلس إدارة النقابة في شرحه لقرارات النقابة (المقطم ، ١٧/١٠/١٩٣٤) .

(٢) أنظر على سبيل المثال جلسات مجلس النواب في : ١٥ / ٢ / ١٩٣٣ ،
١٩٣٣ / ٦ / ٥ ، ١٩٣٤ / ٥ / ٢١ حيث قدم إبراهيم دسوقي أباظه ومعه ٤٤ نائباً
استجواباً للحكومة .

(٣) مجلس النواب ، ١٣ / ٦ / ١٩٣٤ .

خاصة بالإنتاج وسمر المحاصيل أو كان يرجع إلى ترف المدينين وتبذيرهم واعتمادهم على تدخل الحكومة فمن عدد المدينين البالغ ٧٦١٤ (للبنوك الثلاثة) لم يسدد قسط ديسمبر ١٩٣٣ بأ كمله سوى ١٧٢٣ بينما سدد ٢٢٧٠ واحداً جزءاً منه ، أما الذين لم يسددوا شيئاً على الإطلاق فقد بلغ عددهم ٣٦٢١ وكانت نسبتهم كالآتي : ٣٩٦٨٪ من مديني البنك العقاري المصري ، ٦٣٢٣٪ من مديني بنك الأراضي ، ٣٨٩٠٪ من مديني شركة الرهن العقاري^(١) .

وأمام هذا الموقف إذاعت وزارة المالية بياناً في ١١ أغسطس ١٩٣٥ اعترفت فيه بمعجز تسويات ١٩٣٣ عن مواجهة مشكلة الديون العقارية لأن التحسن الذي كان متوقفاً في الحالة الاقتصادية لم يتحقق على الوجه المرجو وذكرت أنها توصلت مع البنوك الدائنة إلى تسوية ترتب عنها تخفيض سعر الفائدة كما توصلت إلى حلول لمشكلة ديون الدرجة الثانية (الرهن الثاني على الأرض) في ١٠ يوليو ١٩٣٥^(٢) .

وفي ١١ أبريل ١٩٣٦ أصدرت قرار التسويات الجديدة حيث اعتمدت على تخفيض الفائدة وإمكان دفع القسط من غلة الأرض مع مد أجل السداد مرة أخرى. فبالنسبة للبنك العقاري المصري شطرت ديونه قسمين : قسم سهل الاداء يستهلك ويستحق عليه فائدة بسعر ٥٪ ، وقسم عسير الاداء بمعدل حتى نهاية مدة القرض (٣٣ سنة) ويستحق عليه فائدة بسعر ١٥٪ لمدة الخمس سنين الأولى تزداد إلى ٢٪ بعد ذلك ولا تصل إلى ٣٪ إلا إذا بلغ سعر قطار القطن سكلاريديس ٣٥ ريالاً . أما بنك الأراضي المصري فقد قسمت ديونه أيضاً إلى قسمين : قسم يستهلك وهو رأس مال القرض (١) استحقاق أول يناير ١٩٣٥ وتحصل عليه فوائد بسعر ٦٪ ، وقسم يؤجل ولا يبدأ استهلاكه إلا بعد خمسة عشر عاماً اعتباراً من

(١) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ص ٢٥٥ .

(٢) بيان وزارة المالية في ١١/٨/١٩٣٥ (المقطم ، ١٢/٧/١٩٣٥) .

١٩٣٥ وهو عبارة عن الديون المستحقة للبنك في سلفة الزراعية وتسكون فائده ١٥ ٪ في خلال الخمس سنين الأولى ترفع إلى ١٧٥ ٪ في خلال العشر سنوات التالية ثم إلى ٢ ٪ أو ٣ ٪ تبعاً لتطور أسعار القطن . أما تسوية ديون شركة الرهن العقاري فقد حولت إلى البنك العقاري الزراعي المصري وكان أساسها تقدير صافي غلة الفدان ثم استبعاد ٣٠ ٪ منها لنفقات المدين وعائلته والباقي وقدره ٧٠ ٪ يدفع كقسط للفدان عن دين فائده ٥ ٪ لمدة ٣٣ سنة (١) .

ولما كانت هذه التسويات قاصرة على مدينى البنوك العقارية الكبرى الثلاثة ولم تكن شاملة لجميع الحالات فقد قامت الحكومة بإجراءات لتسوية ديون الدرجة الثانية التى تأتى في المرتبة الثانية من ديون البنوك الثلاثة ، فأصدرت قرارات في هذا الشأن في ١٠ يوليو ١٩٣٥ ، ١١ ابريل ١٩٣٦ وأخيراً في ١٥ أغسطس ١٩٣٦ حيث أحالت هذه الديون إلى البنك العقاري الزراعي المصري ليتولى فحص كل حالة على حدة . وقد خول البنك المذكور الحق في أن يحل محل الدائنين بمد دفع ديونهم ، واشترط للتسوية ألا تزيد الديون المستحقة على المدين عن ٧٥ ٪ من قيمة الأرض خفضت فيما بمد إلى ٧٠ ٪ على أن يقوم البنك بتسييط ما دفعه عنهم إلى الدائنين على مدد طويلة مع دفع أقساط الفوائد فقط وتأجيل البدء في دفع أقساط استهلاك رؤوس الأموال إلى سنة ١٩٤٠ وقد خفضت أسعار الفائدة في كثير من الأحوال إلى ٤ ٪ (٢) .

ورغم هذا ، فلم يتيسر للمدينين الوفاء بديونهم المستحقة للبنوك فأعادوا مناقشة المسألة مرة أخرى حيث ناقشها المؤتمر الزراعي الأول (مايو ١٩٣٦) وأصدر توصياته بضرورة إعادة النظر في التسويات على أساس أن لا يزيد ما يتحمله فدان الدرجة الثانية عن ٥٠ حنيتها وبحيث لا يزيد مجموع ديون الدرجة الأولى والثانية

(١) مجلس النواب ، ١٩٣٦/٧/٨ .

(٢) بيان وزارة المالية عن تسوية الديون العقارية (المقطم ، ٣/٥/١٩٤٠) .

عن ٧٥٪ من قيمة الأطنان وعلى ألا تزيد بأى حال من الأحوال عن ٩٠ جنيهاً لكل فدان إلا إذا كان للمدين مورد آخر وخصص كل ربع الفدان لاستهلاك الدين ، فيجوز رفع هذا الحد إلى مائة جنيه ، أما إذا زادت الديون عن مائة جنيه عن الفدان فيسوى مركز المدين بطريق آخر غير طريق تجميد الديون ومدآجلها وذلك بأن تساعد الحكومة ما استطاعت على أن يكون بيع الأطنان بثمن معتدل حتى ولو أدى ذلك إلى شراء بعض الأراضى لنفسها وبيعها بعد ذلك بشروط معقولة إلى صغار المزارعين^(١) .

وقد دعا السيد البدراوى عاشور إلى اجتماع فى البهو الفرعونى بمجلس النواب فى أوائل شهر يوليو ١٩٣٦ للنظر فى مشكلة الديون العقارية ، حضره جمع من كبار الملاك والمفسكرين لبحث الحلول المناسبة للمشكلة وتلقى الاقتراحات فى هذا الشأن حيث اقترح البعض تأجيل دفع الأقساط إلى سنة ١٩٤٠ على أن تكون الفوائد ٣٪ فقط وأن يمد أجل الدفع إلى سنوات طويلة وتسكّم آخرون فى ديون الدرجة الثانية ووجوب تسويتها على أسس تسوية ديون الدرجة الأولى^(٢) .

واقترح اسماعيل مظهر فى هذا الاجتماع أن تصدر الحكومة قرضاً أهلياً قيمته ٣٥ أو ٤٠ مليون جنيهات بسندات على الخزانة بفوائد ٣٪ على أن يسدد القروض فى خلال خمسين سنة تبدأ من تاريخ إصداره ، وبحصيلة هذا القرض الأهلى تشتري جميع الديون العقارية لأن فرض أى حل على البنوك الأجنبية « أمر مستحيل ما لم يؤيده تشريع توافق عليه المحاكم المختلطة القائمة على الامتيازات الأجنبية والامتيازات لم تلغ والمحاكم ما زالت قائمة^(٣) » .

(١) المؤتمر الزراعى الأول ١٩٣٦ (توصيات المؤتمر بناء على بحث قدمه للمؤتمر
علام محمد بعنوان « الديون العقارية » .

(٢) المقطم ، ٢١/٧/١٩٣٦ .

(٣) المقطم ، ٢١/٧/١٩٣٦ .

وقدم آخر ، للجنة الاقتراحات التي شكلها البدر اوى عاشور ، اقتراحاً بتوحيد الدين العقارى بضمان الأملاك المرهونة وتوحيد الاسهم بضمان الحكومة أيضاً وبفائدة ٣/١٠٠ ، وإذا لم يتيسر عقد قرض أهلى كما اقترح اسماعيل مظهر ، يمدد قرضاً مع البيوت المالية الكبيرة في أوروبا لمدة خمسين سنة وبفائدة ٣/١٠٠ (١).

واقترحت النقابة الزراعية العامة على وزير المالية أن تنازل الحكومة تنازلاً شاملاً لجميع مدينى البنوك العقارية الثلاثة عن ٥٠٪ من القرض حرف (ج) وأن يتوسط الوزير لدى هذه البنوك بالتجاوز عن الجزء الذى لا يحتمل الاداء (٢).

وواجهت الحكومة الموقف مرة أخرى بإجراءات عاجلة عن طريق إيقاف البيوع الجبرية فأصدرت قانون فى مارس ١٩٣٧ بوقف البيوع حتى آخر ديسمبر ١٩٣٧ ، ثم مد هذا الإيقاف بالرسوم بقانون رقم (١٢) لسنة ١٩٣٨ إلى نهاية إبريل ١٩٣٨ ، ثم مد مرة أخرى بالقانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٣٨ إلى آخر ديسمبر ١٩٣٨ ، ثم أصدرت فى يناير ١٩٣٩ قانون التسوية وقضت المادة (٣١) منه باستمرار العمل بأحكام القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٣٨ لغاية نهاية يونيو ١٩٣٩ ثم ديسمبر ١٩٣٩ حتى تتمكن اللجنة التي شكلت بمقتضى هذا القانون من تنظيم عملها فى هذه الفترة . وانتهت اللجنة بإجراء تسوية نهائية مع البنوك الدائنة على أساس ترك جزء من الدين ، والفوائد بشرط ألا يكون المدين مثقلاً بالدين ، ودراسة كل حالة على حده (٣).

(١) نفسه ، ٢٩/٧/١٩٣٦ (اقتراح من عبد الله نجيب بالزيتون) .

(٢) اجتماع مجلس إدارة النقابة فى ٢٥/١١/١٩٣٦ (يوسف نحاس ، المصدر السابق ص ٣٦٠) أنظر اقتراحات مشابهة نشرت فى المقطم ، ١٨/١/١٩٣٧ ، ١٠/١٠/١٩٣٨ .

(٣) بيان وزارة المالية بشأن تسوية الديون العقارية فى ٢ مايو ١٩٤٠ (المقطم ٣/٥/١٩٤٠) .

ورغم هذا لم تتوقف المطالبة بوقف البيوع الجبرية ، ورأت الحكومة أنه لم يمدد محل لاتخاذ أى إجراء تشريعى بعد تسوية يناير ١٩٣٩ وأن كل ما يمكن عمله حولت نظر الحاكم المختلطة إلى تطبيق المادة (٦٥٢) من قانون المرافعات المختلط لتأخذ بأسباب العطف على طلبات التأجيل المقدمة من المدينين . كما أعلنت أن بعض المدينين لم يدفعوا شيئاً من الاقساط التى استحققت من تجميد متأخراتهم وأن كثيرين لم يدفعوا منها أكثر من قسطين ، وأن أثمان المحصولات لا تسوغ هذا التأخير ، هذا إلى أن المدينين أغرام تدخل الحكومة بإيقاف البيوع الجبرية فتباطأوا فى تسديد الاقساط وصرفوا إراداتهم فى غير تسديد الديون مما أدى إلى تراكم الديون ونزع ملكياتهم وضياع دين الحكومة لديهم ، وذكرت أنها « لن تفعل أكثر مما صنع حتى الآن ولا بسمها أن توسع صدرها ، ومشاعل الدولة فى الوقت الحاضر لا يجملها أحد ، للمطالبة بين حين وآخر بإيقاف البيوع أو بنير ذلك من التدابير التى تزيد من أسباب القلق المالى وتلحق بالبلاد فى شؤونها العامة أكبر الاضرار » (١) .

وكان هذا آخر تدخل قامت به الحكومة فى مسألة الديون العقارية ، ولم يكن هذا يعنى أن المشكلة قد انتهت ولكنها خفت إلى حد كبير ، فقد أدى الانتعاش المالى خلال الحرب العالمية الثانية إلى تمكن المدينين من تسديد أقساط من الديون ، كما هبطت نسبة الاقتراض من البنوك نفسها إلى درجة ملحوظة ، فقد هبط عدد قروض البنك العقارى من ٣٩٦ قرصاً فى عامى ١٩٣٨ - ١٩٣٩ إلى ثمانية فقط فى عامى ١٩٤٣ - ١٩٤٤ ثم إلى ١٨١ فى عامى ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، كما هبطت قيمة الديون التى لم تسدد لنفس البنك من ١٣١٥٥ جنيه فى عامى ١٩٣٨ - ١٩٣٩ إلى ٨٣٩٤ جنيه فى عامى ١٩٤٣ - ١٩٤٤ ثم إلى ٥٦٢٤ جنيه فى عامى ١٩٤٦ - ١٩٤٧ . أما بنك الأراضى فقد كانت قروضه فى عامى ١٩٣٨ - ١٩٣٩

(١) بيان وزارة المالية بشأن تسوية الديون العقارية فى ٢ مايو ١٩٤٠ (القطم ،

٥٣ قرضا زادت إلى ١٥٣ في عامي ١٩٤٣ - ١٩٤٤ ثم هبطت إلى ١٣١ في عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، كما انخفضت قيمة الدين التي لم تسدد له من ٣٦٩٢ جنيها في عامي ١٩٣٨ - ١٩٣٩ إلى ٢١٧٥ جنيها في عامي ١٩٤٣ - ١٩٤٤ ثم إلى ١٨٠ جنيها في عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٧ (١) .

وجدير بالذكر هنا أن بعضا من أفراد أسرة محمد على كانوا ضمن مديني البنوك العقارية ، فقد بلغت ديونهم في نهاية عام ١٩٥٢ للبنك العقاري المصري وحده ٨٤٠.٠٩٩ جنيها من جملة ديون البنك وقيمتها ٢ مليون جنيها كانت موزعة بين كل من : عمرو إبراهيم (١٦٠٤٢ جنيها) فاطمة اسماعيل (١٢١.٠٠٠ جنيها) والهامي حسين (١٩٥١٣١ جنيها) سميحة حسين (٢٥٦٧ جنيها) ورثة أحمد فؤاد عزت (١٥٥٢٩ جنيها) محمد وحيد الدين (٤٦٣٠٥٢١ جنيها) وفيق عباس يكن (١٣٠.٠٠ جنيها) توحيد يكن (١٣٣.٩ جنيها) (٢) .

لقد طأت مشكلة الديون العقارية تسيطر على الأفق السياسي في مصر حتى نهاية الفترة رغم التسويات التي تمت ، ورغم هبوط نسبة المدينين والديون ، كما تقدم ، حتى أننا نسمع في عام ١٩٤٢ عن ضرورة تأليف حزب يسمى « حزب البنوك العقارية » اصابة الأرض وحفظها للوطنيين (٣) ، وفي عام ١٩٥٠ يبعث قليني فهمي برقية إلى مصطفى النحاس رئيس الوزراء لتهتم الحكومة بتسديد ديون البنك العقاري المصري أقوى البنوك تشدداً في مطالبته (٤) ،

لقد كانت الديون العقارية أحد المصادر الرئيسية لكبار الملاك في اقتناء

(1) G. Baer, op. Cit., P. 110.

(٢) الأهرام ، ١٤/١/١٩٥٤ ، ٥/٤/١٩٥٤ ، ٧/٦/١٩٥٤ ،

١٩٥٤/١٠/١٢ .

(٣) المصور ، ١٧/٤/١٩٤٢ .

(٤) المقطم ، ١٤/١٢/١٩٥٠ .

منذ مطلع القرن العشرين في خلال العشرينات ، وقد أعبت الظروف دوراً هاماً في هذه المسألة ، فمن ناحية كانت رؤوس الأموال الأجنبية وخاصة الأوروبية منها تبحث عن مجالات للاستثمارات ، ومن ناحية أخرى كان هناك اتجاه قوى بين كبار الملاك ورجال الأعمال المصريين لزيادة ملكياتهم من الأراضي ، وقد شجعت هذا الاتجاه التقاليد الاجتماعية التي كانت تربط بين الملكية والوضع الاجتماعي والنشاط السياسي ، فضلاً عن أن الأرض كانت مصدراً مضموناً ومأموناً وسريعاً للارباح وتكوين الثروات ، وخاصة في أوقات ارتفاع أثمان المحصولات وقيمة الإيجارات وقيمة الأرض نفسها ، ورغم التدهور الذي لحق بظروف الأرض بسبب الديون العقارية فإن كبار الملاك لم يفتقدوا أراضيهم بسبب تدخل الحكومة في الوقت المناسب (١) .

لقد كانت الديون العقارية — في جانب منها — مشكلة قومية وليست فئوية ، شددت الأذهان إليها طوال الفترة في محاولة لتسويتها بما يصون الأرض في أيدي المصريين ويمنع تسربها لأيدي الأجانب ، ومهما قيل من أن أسبابها كانت ترجع إلى ظروف عالمية وليست محلية ، فكثير من الدول تمرض لها ، وما صاحب هذه الظروف من انخفاض أسعار المحاصيل وانخفاض قيمة الأرض ، وهذا حقيقي ، إلا أن تفاقم المشكلة كان يرجع في جانب منه إلى ترف كبار الملاك وبذخهم وإسرافهم وصرف الأرباح الناتجة من الأرض في غير تسديد الديون مما جعل الحكومة تتدخل أكثر من مرة ودون جدوى ، هذا فضلاً عن أن المبالغ التي تحملتها خزانة الدولة في تموية مارس ١٩٣٣ وخصصت لحل مشكلة المدينين هي من أموال دافعي كل الضرائب من مختلف فئات السكان وليس من الملاك الزراعيين فقط ، وكان من الممكن اتفاقها على المشروعات العامة التي تفيد الجميع لافئة معينة . ومن هنا تقع مسؤولية كبار الملاك في تخلف المجتمع المصري إلى حد كبير حيث وجهوا نشاط الدولة إلى حل مشاكلهم الخاصة بدلاً من دراسة وحلول مشكلات أخرى عامة فضلاً

(1) G. Baer, op. Cit, p 111 — 112, Charles Issawi, Egypt : an Economic and social analysis. p 129.

عن الأضرار التي كانت تصيب صغار الفلاحين بسبب هذه الديون (١) .

إذا كانت علاقة كبار الملاك بالفلاحين هي علاقة بقوة العمل الإنتاجية تحكمها تقاليد وقوانين الإيجار ، وكانت علاقتهم بالبنوك العقارية تقوم على اقتناء الأرض وتحويلها ، فلقد كانت لهم علاقة بالحكومة باعتبارها سلطة الدولة المركزية المهيمنة على كل نواحي النشاط الاقتصادي والسياسي . وكانت هذه العلاقة تنحصر في الحصول على أكبر الضمانات التي تكفل حماية الملكية وبما يرتبط بها من مصالح بحيث جاءت سياسة الحكومة الزراعية في كثير من الأحوال استجابة لهذه المصالح .

ولقد رأينا — في الفصل السابق — كيف كان أصحاب المصالح الزراعية يطالبون الحكومة بالتدخل في سوق القطن شاربة في أوقات انخفاض أسعار المحصول ، وكانت وجهة نظرهم أن هذا التدخل سيؤدي إلى تثبيت مستوى الأسعار والقضاء على تقلبات السوق ويمكن للحكومة بعد ذلك أن تبني ما اشترته عندما تتحسن الأسعار أو تصفية مراكز المضاربين في البورصة إذا كان الانخفاض من فعلهم ، أما إذا كان الانخفاض يرجع إلى تراجع بعض التجار عن الشراء توقفاً لانخفاض الأسعار فإن التدخل الحكومي يحل محلهم يعيدون النظر في قراراتهم ، ولو كان الانخفاض راجعاً إلى أزمات اقتصادية بحثه فإن التدخل هنا سوف ينقل العبء من على أكتاف المنتجين إلى الحكومة (٢) .

وأمام إلحاح أصحاب المصالح الزراعية وضغطهم على الحكومة ، أقدمت ، أي

(١) أرسل أحد البنوك العقارية مذدوبه ليقوم بإجراءات نزع ملكية عزبة لأحد كبار الملاك في بلدة شبراخيس مركز كفر الزيات وكان عدد من صغار الفلاحين يملكون قطعاً في هذه العزبة فلم يستطيعوا إثبات أن أرضهم تنفصل عن العزبة ولا تدخل ضمن ملكيتها وقام المزدوب بإجراءات نزع ملكية العزبة كلها بما فيها أراضي صغار الفلاحين (هنري عيروط ، المصدر السابق ص ٣٣) .

(٢) جمال الدين محمد سعيد ، اقتصاديات مصر . ص ٧٧ .

الحكومة ، على التدخل في سوق القطن ابتداء من موسم ١٩٢٠ / ١٩٢١ —
فاشترت ١٧٤٠٠٠ قنطاراً بمبلغ ٩٥٠ ألف جنيهها . وفي موسم ١٩٢١ / ١٩٢٢
اشتريت ٢٢٥٨٦٤ قنطاراً بمبلغ ١٤٠٣١٨ جنيهها . وفي موسم ١٩٢٢ / ١٩٢٣
اشتريت ٣٩٥٧٦٦ قنطاراً بمبلغ ٢٧٢٥٤٩٥ جنيهها . وفي موسم ١٩٢٣ — ١٩٢٤
اشتريت ٩٤١٣ قنطاراً بمبلغ ٧٢٦٩٧ جنيهها .

وقد حققت الحكومة من هذا التدخل حوالي ٥٠٠ ألف جنيه أرباحاً فشيجمها
هذا على المضي في التدخل على نطاق واسع في موسم ١٩٢٥ حيث اشترت ٤٨٠
ألف قنطار بمبلغ ٣ مليون جنيه بقصد تثبيت السعر عند ٣٥ ريالاً للقنطار ، ولكن
الحظ لم يحالف الحكومة في هذه المرة فقد استمرت الأسعار في الانخفاض في سنق
١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، وبأت محاولاتها بالفشل ، ورغم هذا استمرت في سياسة التدخل ،
أمام إلحاح المزارعين — فاشتريت في نوفمبر ١٩٢٩ ثلاثة ملايين قنطار بمبلغ ١٤
مليون جنيه فأدى هذا إلى زيادة المخزون الحكومي من القطن الذي وصل إلى
ثلاثة ملايين قنطار ونصف وهو ما يقرب من نصف المخزون العالمي آنذاك بينما
كان المحصول الجديد على الأبواب (١) .

ونتيجة لتدخل الحكومة على ذلك النحو أصبح للقطن سعران ، سعر في
الاسكندرية وهو سعر شراء الحكومة وكان أعلى من السعر في بورصة ليفربول مع
أن العكس هو الذي كان سائداً حيث يرتفع السعر في ليفربول عن سعر الاسكندرية
بمقدار نفقات النقل والشحن . وقد أدى هذا السعر المتفعل إلى إعاقه بيع المحصول
كله كما كان يحدث في كل عام ، إذا كان الغزاليون يمتنعون عن الشراء لتوقع

(١) جمال الدين محمد سعيد ، اقتصاديات مصر . ص ٧٨ — ٧٩ ، محمد عبد
العزيز عجمية ، المصدر السابق ص ٢٠٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، خليل حسن خليل ،
المصدر السابق . ص ٣٦٥ ، باتريك أوبريان ، المصدر السابق . ص ٦٨ .
أنظر أيضاً .

A. E. Grouchley. The economic Development of Modern Egypt.
p, 191 — 194.

هبوط الأسعار وعدم الثقة في إمكان استمرار الحكومة المصرية في سياسة رفع الأسعار فهيبتت الصادرات بحوالى ٢٠ مليون جنيهها ، وبقيت الواردات كما هي فأدى هذا كله إلى ظهور عجز كبير في الميزان التجارى . يضاف إلى هذا أن التدخل عرض الخزون الحكومى (١٤ مليون جنيه قيمة ٣ مليون طنطار ونصف) للخطر فقد ظل مخزوننا ولم يستثمر فضلا عن تكاليف التخزين والتأمين التى بلغت ٢٥٠.٨٠.٩٠.٩٠ جنيهها بالأسعار السائدة وقتذاك بخلاف الخسارة التى نشأت عن فرق الأسعار عند إعادة التسويق . وعمرما فقد قدرت خسارة الحكومة نتيجة لهذا التدخل بحوالى ٧ مليون جنيه^(١) .

أى أن هذا التدخل أفاد كبار المتجعين وكبار التجار الذين حملوا خسائرهم لخزينة الدولة والأموال العامة .

ولما أخفقت سياسة التدخل هذه ، بعد أن وصلت ذروتها في موسم ١٩٢٩ / ١٩٣٠ حاولت الحكومة وضع سياسة قطنية مستديمة ، بالمدول عن سياسة التدخل وترك الأسعار حرة تحددها ظروف العرض والطلب والتوسع في إنتاج القطن إلى أقصى حد ممكن ورفع إنتاجيته مع خفض تكاليف الإنتاج وتكاليف التوزيع إلى أقل حد ممكن . وتنويع الإنتاج للاقلال من مخاطر الاعتماد على محصول واحد^(٢) .

وما أن انتهى أجل الاتفاقيات التجارية الدولية التى كانت تحول بين الحكومة

(١) جمال الدين محمد سعيد ، التطور الاقتصادى في مصر منذ الكساد العالمى ص ٢٠ — ٢١ ، واقتصاديات مصر . ص ٨١ . أنظر أيضاً . محمد عبد العزيز عجمية ، المصدر السابق ص ٢٢٥ — ٢٢٦ ، عبد النعم الطنامل ، المصدر السابق . ص ١٠٢

(٢) مذكرة بشأن إقرار الحكومة لسياسة قطنية مستديمة قدمها أحمد عبد الوهاب وكيل وزارة المالية في ١٢ / ١٠ / ١٩٣٠ (المقطم ، ١٧ / ١٠ / ١٩٣٠) .

وبين حماية الإنتاج حتى سارعت الحكومة إلى فرض التعريفة الجمركية سنة ١٩٣٠ والى اعتبارت نقطة تحول جديدة في التطور الاقتصادى فى مصر (١) .

وقد ارتبطت سياسة التدخل فى سوق القطن بسياسة أخرى هى تحديد المساحة المزروعة منه ، وكانت كما سبق القول ، مطاباً من مطالب أصحاب المصالح الزراعية على أساس أن تحديد المساحة يؤدى إلى قلة المعروض من القطن ويؤدى فى نفس الوقت إلى ارتفاع سعره . وفى ٢٢ سبتمبر ١٩١٤ أصدرت الحكومة أمراً عالياً يحرم زراعة أكثر من مليون فدان قطناً فى جميع الأراضى الزراعية عام ١٩١٥ الزراعى ، على أن لا يزرع كل مالك أكثر من ربع أرضه قطناً ، ثم تحددت المساحة بالثلث فى ٣٠ أكتوبر من نفس السنة ، وكان هذا بدء التقييد ، حيث تولى صدور قرارات تحديد زراعة القطن مع كل أزمة من الأزمات .

فى ٨ سبتمبر ١٩١٧ صدر مرسوم بهدم زراعة أكثر من ثلث الزمام قطناً فى عام ١٩١٨ ، وكذلك الحال فى ٧ ديسمبر ١٩٢٠ لموسم ١٩٢١ ، ٢٠ سبتمبر ١٩٢١ لموسم ١٩٢٢ - ١٩٢٣ ، وفى ١٦ ديسمبر ١٩٢٥ لموسم ١٩٢٦ غير أنه لم ينفذ لصدوره بعد إعداد الأرض للزراعة . ثم صدر فى ١٩٢٧ القانون رقم (١) لتحديد الزراعة بالثلث فى مواسم ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ . ثم صدر القانونان ١١٢ ، ١١٣ لسنة ١٩٣١ بإنقاص المساحة التى تزرع قطناً فى سنة ١٩٣١ - ١٩٣٢ الزراعية إلى ٣٠ ٪ من المنطقة الشمالية من الدلتا ، ٢٥ ٪ من باقى الوجه البحرى وأراضى المشروعات فى الوجه القبلى ، ٢٥ ٪ من الأراضى الممتدة زراعتها قطناً بأرض الحياض . ثم صدر القانونان رقم ٥٣ ، ٥٤ لسنة ١٩٣٢ بتقييد المساحة المزروعة إلى النصف فى سنة ١٩٣٢/١٩٣٣ الزراعية (٢) .

(١) جمال الدين محمد سعيد ، التطور الاقتصادى فى مصر منذ السكساد

العالمى . ص ٢٣ .

(٢) إعداد المجلة الزراعية المصرية من ١٩١٤ - ١٩٣٤ . أنظر أيضاً :

Hussein Kamel Selim, Twenty years of agricultural Development in Egypt 1919 - 1936. p 63 — 70.

وقد فشلت جهود الحكومة في هذا المجال كما سبقت الإشارة لأن الملكية الكبيرة لا يلائمها إلا الإنتاج الكبير لا تقييد المساحة .

وقد ارتبط بتدخل الحكومة في سوق القطن وتقييد زراعته بذلك الزمام كتعبير عن مطالب أصحاب المصالح الزراعية ، اهتمام الحكومة بالتسليف الزراعى كمطلب قديم أيضاً لأصحاب تلك المصالح في مواجهة أزمات انخفاض أسعار المحاصيل حيث أن التسليف يؤدي إلى تأجيل البيع انتظاراً لتحسن الأحوال .

في سنة ١٩٢٢ اتفقت الحكومة مع البنك الزراعى على أن يقوم الملاك الأراضى الزراعية المزروعة قطناً قروضاً بفائدة ٦ ٪ لمن يملك خمسين فداناً على ألا يزيد القرض على ثلاثة أمثال الضريبة وبلغ عدد المقرضين في هذا العام ٢٤٠٠ مالك اقترضوا ٧٢٩٦٢ جنيهها ، ومنذ عام ١٩٢٣ اتفقت الحكومة مع البنك الأهلى على أن يقرض الزراع على ما يودعون من أقطان في حلقات القطن أو شونة ، ثم أودعت بعض أموالها في بنك مصر ليقرض شركات التعاون الزراعية . وفي موسم ١٩٢٦ - ١٩٢٧ ائتمنت الحكومة مبلغ أربعة ملايين من الجنيهات للتسليف على القطن في حدود واسعة النطاق ، كما اتفقت مع البنوك الكبيرة لتعمل لحسابها في هذه المسألة ، بشرط ألا تقل كمية القطن التى يقرض عليها عن خمسة قناطير ولا تزيد عن ٢٠٠ قنطار (أى أن مالك مائة وخمسين فداناً يفيد من هذه القروض) وقد بلغ مجموع ما اقترضته الحكومة خلال ذلك العام ٢٠٣٥٩٦٩ ر.٣٥٠ جنيهها (١) .

واتخذت الحكومة نفس التدابير في السنوات التالية . فقد صدر مرسوم بقانون رقم ٥٣ لسنة ١٩٢٩ (٣ سبتمبر) بإنشاء احتياطى زراعى يستخدم ضمن ما يستخدم في منح سلف للمزارعين ، وكان هذا الاحتياطى يتكون من أربعة ملايين من الجنيهات مأخوذة من الاحتياطى العام والمبالغ الناتجة من بيع القطن

(٢) عبد الغنى غنام ، المصدر السابق . ص ٨٨ .

الذى كان في حيازة الحكومة ومن المتحصل من ضريبة القطن ابتداء من السنة المالية ١٩٣٠ - ١٩٣١ ، وقد بلغ مجموع القروض ٣٥٢٧٩٩ جنيهها مع زيادة الحد الأقصى لكميات القطن التي يرض عليها إلى ٥٠٠ قنطاراً (أى أن مالك ٣٠٠ فدان قد أفاد من هذه القروض) وفي عام ١٩٢٩ / ١٩٣٠ بلغ مجموع ما اقترضته الحكومة ٥٩٨٨٠٨ جنيهها (١) .

وفي ٣ سبتمبر ١٩٢٩ أيضاً صدر القانون ٥٤ لسنة ١٩٢٩ بشأن تسليف الزراعة لحاجات الزراعة ، ورغم أنه نص على ألا يجوز أن تعطى سلفة زراعية لأكثر من عشرة أفدنة وبشرط ألا تزيد مساحة المالك عن ثلاثين فداناً (مادة ٣) ، أعطى مجلس الوزراء جواز رفع العشرة أفدنة إلى ثلاثين فداناً وبشرط ألا تزيد مساحة المالك عن تسعين فداناً (٢) .

ثم بدأت الحكومة في فكرة إنشاء بنك للتسليف بدلا من سياسة الاقتراض من الاحتياطي العام أو الاحتياطي الزراعي فأشارت خطبة العرش (٣) في يناير ١٩٣٠ إلى أنه سيعرض على البرلمان مشروع إنشاء بنك زراعي تشترك فيه الحكومة ويكون من أول أغراضه أن يقوم بالتسليف الزراعي وتقديم المال اللازم لإصلاح الأراضي .

وفي نوفمبر ١٩٣٠ صدر القانون رقم (٥٠) بالترخيص بإنشاء بنك التسليف الزراعي ، وفي شهر يوليو ١٩٣١ تأسس البنك حيث اكتتبت الحكومة في ٥١٪ من رأسماله الذي كان مليون جنهماً وخصص الباقي للبنوك والمؤسسات المالية وضمت الحكومة للمساهمين فائدة قدرها ٥٪ سنوية (٤) .

(١) مجلس النواب ، ١٩٣٠ / ٥ / ٦ ، المجلة الزراعية المصرية ، أكتوبر ١٩٢٩ .

(٣) المجلة الزراعية المصرية ، أكتوبر ١٩٢٩ .

(٣) مجلس النواب ، ١٩٣٠ / ١ / ١١ .

(٤) نفسه ، ١٩٣٢ / ٦ / ١٥ .

ومع أن البنك قصر تعامله على من يملكون ٤٠ فداناً فأقل إلا أن كبار الملاك أفادوا منه ، فتحت ضغط إلحاحهم ، وتمالا بالظروف الاقتصادية العصبية ، فع الحد الأقصى إلى تسعين فداناً ثم إلى مائتي فدان في عام ١٩٣٧ ، فضلاً عن إفادتهم بطريق غير مباشر لأن البنك كان يبيع البذور والسماد لجميع العملاء بسعر موحد ودون تفرقة بين مالك صغير أو كبير أو من خلال الجمعيات التعاونية التي كانت تحصل على قروض من هذا البنك ، وكان كبار الملاك ينتظمون فيها إن لم تقع تحت سيطرتهم في جهات كثيرة (١) .

ولقد عبر « المقطم » عن إفادة كبار الملاك بقوله إنه إذا استطاع البنك الجديد أن يسد حاجة صغار الزراع ترتبت على ذلك نتيجتان لكبارهم ، الأولى أن الوسائل الأخرى المعدة للاقراض الآن تصبح وفقاً عليهم ، ثم أن هذا البنك سينشئ مستوى منخفضاً لسعر الفائدة فيفيد من ذلك كبار الملاك (٢) .

واستمرت الحكومة في تدعيم بنك التسليف الزراعي فأصدرت في ٧ يوليو ١٩٣٢ القانون رقم ٣١ لسنة ١٩٣٢ بتخصيص مبلغ ٢ مليون جنيه من الاحتياطي العام للقروض التي تقدمها الحكومة إلى البنك (٣) . وفي عام ١٩٤٨ زاد رأسماله من مليون جنيه إلى مليون ونصف ، واكتتبت الحكومة في نصف هذه الزيادة أيضاً ، واكتتبت الجمعيات التعاونية بالنصف الآخر حيث تغير اسمه إلى بنك التسليف التعاوني (٤) .

(١) جمال الدين محمد سعيد ، التطور الاقتصادي في مصر منذ الكساد العالمي الكبير . ص ٦٧ ، مجلس النواب ، ١٩٣٦/٧/٨ .

(٢) المقطم ، ١٩٣١/٨/١ (افتتاحية المقطم في التعليق على رسائل كبار الملاك التي وصلته عن مهمة البنك وقدرته على تغطية حاجة صغار المزارع وكبارهم)

(٣) المجلة الزراعية المصرية . أكتوبر ١٩٣٢ .

(٤) جمال الدين محمد سعيد ، التطور الاقتصادي في مصر منذ الكساد العالمي . ص ١٥٧ .

ولقد زاد نشاط هذا البنك زيادة ملحوظة فارتفعت القروض على الزرّاء وعلى
الحصاد من ٢٣ مليون جنيه عام ١٩٤٧ إلى ٥٩ مليون جنيه في سنة ١٩٥١ .
وزادت القروض برهن الحاصلات الزراعية من ٥٠ . من المليون إلى ١٠٩ من
المليون ، وقروض التقاوى من ٧٠ . من المليون إلى ٨٠ . من المليون . وقروض
الأسمدة من ١١ مليون إلى ٥٠ مليون . وزاد مجموع القروض بصفة عامة من
٧٢ مليون إلى ٢٢٦ مليوناً من عام ١٩٤٧ إلى ١٩٥١ (١) .

وبجانب التسليف الزراعي ، اهتمت الحكومة بالتسليف العقاري كطالب أيضاً
لأصحاب المصالح الزراعية بدلا من اللجوء إلى البنوك العقارية الأجنبية . ففي
سبتمبر ١٩٢٩ قدمت وزارة المالية مشروعاً بإنشاء بنك زراعي لمساعدة الملاك في
إصلاح الأراضي واستثمارها وقيام الحكومة بمشروعات الصرف وتمويل أراضي
الحياض إلى رى دائم . ولقد جاءت هذه الفكرة في أعقاب إعلان الحكومة
عزمها على استصلاح ما يقرب من ١٥٠.٠٠٠ فداناً منها ٣٥.٠٠٠ فداناً في
الوجه القبلي تحول إلى رى دائم ، ٤٠.٠٠٠ فدان بور في الوجه البحري تنشأ
لها مصارف وترع ، ٤٠.٠٠٠ فداناً أخرى لإصلاح نظام الري والصرف فيها .
وحق لا يضطر أصحاب هذه الأراضي إلى ترك الأرض كما هي دون الاستفادة من
مشروعات الحكومة لعدم إمكانهم الصرف عليها أو اللجوء للمرابين أو بيعها بأبخس
الاثمان إلى شركات الأراضي التي تقوم بإصلاحها وبيعها بأسعار تفوق الثمن الذي
اشترته به ، طلبت وزارة المالية الترخيص لها بإنشاء هذا البنك بالاشتراك مع بعض
البيوت المالية (٢) .

فلما تأسس بنك التسليف الزراعي انشئ به قسم للتسليف العقاري ، ورغم أنه
جعل معاملاته أساساً مع المالك الذي يدفع ضريبة لا تتعدى خمسين جنيهاً سنوياً

(١) نفسه .

(٢) مذكرة وزارة المالية إلى مجلس الوزراء بشأن إنشاء بنك زراعي

(السياسة ، ٨/٩/١٩٢٩) .

سواء أكانت المساحة كبيرة أم صغيرة ، إلا أن كبار الملاك أفادوا منه وخاصة الذين تقع أملاكهم في مناطق لا ترغب البنوك العقارية التسليف عليها ، ثم أصبح يقرض الملاك الذين يثبت لديه تخرج موكزهم المالى على ألا يزيد مقدار القرض عن عشرة آلاف جنيه^(١) .

ولقد ساهمت مشروعات الري والصرف التى قامت بها الحكومة خلال الفترة في زيادة حجم الملكية الزراعية لكبار الملاك إذ أن كثيراً من هؤلاء كانوا يملكون مساحات كبيرة من الأرض البور التى كانت في حاجة إلى مشروعات لإمدادها بوسائل الري والصرف الجيدة حتى تصبح صالحة للإنتاج ، وهذا ما كان يحدث ، فباتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت الحكومة في إقامة مشروع خزان سنار على النيل الأزرق الذى انتهى منه العمل في ١٩٣٥ فادى إلى توفير جانب من المياه للري الصيفي في مصر . كذلك إنشئت قناطر نجح حمادى لتحسين الري في جرجا وجنوبي مديرية أسيوط . كذلك بدأت الحكومة في عام ١٩٢٧ بناء ١٨ محطة من محطات الصرف في المديريات المختلفة ، وفي ١٩٣٣ أتمت الحكومة تغطية خزان أسوان للمرة الثانية حيث بلغ مستوى المياه أمامه ١٢٠ متراً . وفي عام ١٩٣٧ تم مشروع خزان جبل الأولياء ليساعد خزان أسوان في توفير المياه بعد الفيضان . كذلك بدأ العمل في إنشاء قناطر محمد على الجديدة وزاد الاهتمام بمشروعات الصرف بقصد خفض مستوى المياه الباطنية بالأرض حتى لا تضر خصوبة التربة^(٢) .

وتضمنت إتفاقية مياه النيل التى عقدها وزارة محمد محمود في مايو ١٩٢٩ ضمان وصول مياه النيل في مواعيدها كاملة وغير منقوصة وبالتالي المساهمة في

(١) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق ص ١٥٩ ، خليل حسن خليل ، المصدر السابق ، ٣٦٧ .

(٢) محمد عبد العزيز عجمية ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، ٢٣٢ — ٢٣٣ . جمال الدين محمد سعيد ، اقتصاديات مصر ، ص ٢٦ .

استقرار المصالح الزراعية ، فبمقتضى هذه الاتفاقية أصبح لرجال مصلحة الري المصرية بالسودان حرية التحقق من أن موازنات خزان سنار تجري طبقا لما خصص للسودان وألا تقام بغير اتفاق سابق مع الحكومة المصرية أعمال رى أو توليد قوة ، وإلا تتخذ إجراءات على النيل وفروعه أو على البحيرات التى ينبع منها ، سواء فى السودان أو فى البلاد الواقعة تحت الإدارة البريطانية يكون من شأنها انقاص مقدار الماء الذى يصل إلى مصر أو تعديل تاريخ وصوله أو تخفيض منسوبه على وجه يلحق الضرر بمصالح مصر (١) .

أى أن جانباً كبيراً من التقدم والاستقرار الزراعى جاء عن طريق الإنفاق من الميزانية العامة للدولة ، والمستفيد من هذا كان المالك الزراعى الذى رأى أرضه تزداد خصوبة وإنتاجا . ومع هذا فلم يكن يتحمل العبء إلا فى حدود ووفقا للضرائب العقارية التى اتسمت بثبات كامل خلال الفترة (٢) .

وعندما شرعت الحكومة فى وضع التعريفات الجمركية ابتداء من ١٧ فبراير ١٩٣٠ روعى فيها — كما جاء فى خطاب العرش — «أن تشد أزر الصناعة والزراعة عن طريق تخفيض الرسوم على مستلزماتها» (٣) . ومع مراعاة «زيادة موارد الدولة زيادة مشروعة معتدلة» . ولهذا خفضت الضريبة على الأسمدة إلى ٥٪ وعلى البذور ٤٪ وآلات الحرث والرى والطحن إلى ٦٪ ، كما زادت الضريبة على المنتجات التى تنافس مثيلاتها من صنع البلاد فزادت الضريبة على الأرز والخضر والفاكهة إلى ١٥٪ . كما ألغيت ضريبة الصادر على كل المنتجات المحلية ما عدا أربعة أصناف منها القطن وبذرتة لانهما يمثلان موردا رئيسيا من إيرادات الميزانية العامة (٤) .

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، تاريخ مصر السياسى . ص ١٩٣ .

(٢) عبد المنعم الطنامل ، المصدر السابق . ص ١١٣ .

(٣) مجلس النواب ، ١٩٣٠/١/١١ .

(٤) نفسه ، ١٩٣٠/٢/١٢ .

وعقب إنشاء وزارة الزراعة في عام ١٩١٣ شكل مجلس استشارى للزراعة دخله كبار الملاك بالإضافة إلى الفنيين ، وجاء في قرار تشكيل أول مجلس في ١٠ يونيو ١٩١٤ أنه يختص بفحص كافة المسائل التي يعرضها عليه ناظر الزراعة وخاصة مشروعات القوانين واللوائح المتعلقة بالزراعة (مادة ٣) وأن يفحص — بناء على طلب أعضائه — المسائل المتعلقة بالزراعة. (مادة ٤) (١) .

ومنذ شكل هذا المجلس كان يضم نخبة من كبار الملاك أمثال على شعراوي ، محمود أبو حسين ، بشرى حنا ، محمد أبو الفتوح ، محمد البدرأوى عاشور ، سراج الدين شاهين ، السيد خشبة ، عبد المجيد رضوان ، عيسوى زايد ، قليلى فهمى ، زكى ويصا ، اسماعيل صدقى ، محمد المغازى ، راغب حنا ، عبد العزيز الجمال ، مرسى بلبع . عثمان محرم ، أحمد حمدى سيف النصر ، محمد الحفنى الطرزي ، أحمد عبود ، محمد علوى الجزار ، وغيرهم كثير فضلا عن اشتراك أعضاء آخرين بحكم انتمائهم لهيئات أو مؤسسات لها صلة بطريقة أو بأخرى بالشئون الزراعية مثل النقابة الزراعية المصرية العامة ، الجمعية الزراعية السلطانية (الملكية فيما بعد) بنك مصر ، شركة السكر والتكرير المصرية ، الشركة المساهمة الزراعية المصرية ، شركة البحيرة المساهمة ، شركة وادى كوم أمبو ، البنك الزراعى المصرى ، شركة الاتحاد المقارى وغيرها (٢) .

ورغم هذا ، ورغم أن الزراعة تشكل المصدر الرئيسى لثروة البلاد ، فإن السياسة الزراعية لم تحقق مضاعفة الدخل القومى من الزراعة ، ولم توفر ما كان يصرف على استيراد منتجات زراعية من الخارج . وهذا ما قديعو للدهشة حقا ،

(١) المجلة الزراعية المصرية ، العدد الثانى ١٩١٤ .

(٢) المجلة الزراعية المصرية ، الإعداد ، ١٩١٤ ، يونيو ١٩٢٥ ، إبريل ١٩٢٩ ، يناير ١٩٣٠ ، سبتمبر ١٩٣٠ ، إبريل ١٩٣١ ، فبراير ١٩٣٢ ، يناير ١٩٣٣ ، إبريل ومايو ويونيو ١٩٤٠ — ١٩٤٣ .

وربما يرجع هذا إلى ضآلة الاعتمادات التي كانت تخصص لها بحيث لم تتجاوز خلال الفترة ٢٠٢٥ / من مجموع الميزانية العامة . حتى هذا القدر الضئيل لم يكن كله خالصاً للنشاط الزراعي البحث أو لمعالجة المشروعات الانشائية ، بل كان بعضه يوجه إلى أعمال تجارية كالدخول في سوق القطن مشترية ، وشراء السماد وتوزيعه على المزارعين ، أو تسويات الديون العقارية كما سبقت الإشارة (١) .

ثم أن هذه الوزارة لم تضع لها برنامجاً إنشائياً يحدد أهدافاً تتفق مع أهمية الزراعة وعندما وضعت لها أول برنامج في عام ١٩٢٦ في ست نقاط واحتاج إلى اعتمادات ضخمة ، نجد أن البرلمان يعتمد لها ميزانية عادية كما كانت قبل البرنامج المقترح ونجد أن وزير الزراعة لا يدافع عن ضآلة هذا الاعتماد الذي لا يتفق وأهداف البرنامج (٢) .

لهذا كانت سياسة الوزارة ماثار نقد النواب خلال الفترة متهمين إياها بالمقم وسوء التخطيط والتنسيق وعدم تشجيع زراعة الفاكهة والخضر بكثرة وتربية النحل ودودة القز وزراعة الغابات والدخان وتنويع الإنتاج بصفة عامة وخطورة الاعتماد على محصول رئيسي واحد (٣) .

ويبدو أن وزارة الزراعة كانت كنأى إدارة حكومية خلال الفترة اعتمادات على سلطة الأمر والنهي في حين أن السياسة الزراعية ، وهي سياسة إنشائية ، كانت تقتضى انتاج وسائل الإقناع والإرشاد والعون (٤) .

(١) محمد عبد الله العربي ، سياسة الانفاق الحكومي في مصر ١٨٨١/١٩٤٨ .

ص ٣٨٦ - ٣٨٧ .

(٢) مجلس النواب ، ٢٣/٨/١٩٢٦ .

(٣) أنظر على سبيل المثال جلسات مجلس النواب : ١٢/٤/١٩٢٧ ، ٢٣/٤/١٩٣٠ .

أيضاً محمد عبد الله العربي . المصدر السابق ، ص ٣٩١ - ٣٩٦ .

(٤) محمد عبد الله العربي ، المصدر السابق . ص ٣٩٨ .

على أن نظرة كبار الملاك إلى الحكومة كانت نظرة ليبرالية بحتة في نظام ليس ليبراليا تقوم على تحديد دورها وحصره في نطاق الحارس الأمين على مصالحهم فلا تتدخل إلا وقتما يشاءون وبحيث لا يتجاوز هذا التدخل سلطة حماية مصالحهم والدفاع عنها بالقدر وبالـكيفية التي كانوا يحدّدونها .

وفي ضوء هذه النظرة يمكن فهم علاقات أصحاب المصالح الزراعية بالحكومة كسلطة مركزية ، فهم يرون أن الحكومة أقل كفاءة في إدارة الأعمال التجارية من الأفراد لأن ذلك خارج عن طبيعة وظيفتها الأصلية (١) ، فعندما طلبت النقابة الزراعية العامة من الحكومة إنشاء محالج للقطن تحلج بالتكاليف فقط وبدون ربح ذكرت في معرض تبريرها لذلك « إذ ليس من المقصود اتجار الحكومة » (٢) .

وفي مناقشة جرت في مجلس النواب عن دور مصلحة الأملاك الأميرية قال مكرم عبيد « أن وجود مصلحة الأملاك الأميرية متعارض مع الفكرة الاقتصادية الصحيحة وهي أن الحكومة لا يصح أن تكون تاجرة ولا يمكنها أن تستغل الأملاك كالأفراد لأنها ليست ذات مصلحة شخصية تسعى لتحقيقها من وراء هذا الاستغلال ، الحكومة تعمل لمصلحة أمة ، والنظرية الاقتصادية الصحيحة توجب أن تعطى الأملاك للأفراد الذين لهم في استغلالها مصلحة مباشرة وعندئذ فكرة المنافسة . . . ولست أفهم معنى أن تكون الحكومة ذات ثروة ضخمة بأملاكها واحتياطياتها بل معنى الثروة أن يكون أفراد الأمة أغنياء » (٣) .

(١) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ٣٨٠ .

(٢) جلسة مجلس إدارة النقابة الزراعية في ٢٣ / ٣ / ١٩٢٥ (السياسة ،

١ / ٤ / ١٩٢٥) .

(٣) مجلس النواب ، ١٧ / ٧ / ١٩٢٦ وقد أيده في ذلك بدرخان على بك وغيره

عبد النور .

وفى ذلك المعنى ذكر آخر أن الحكومة « لم تفتن بعد إلى أنه ليس من وظيفة الدولة أن تستغل الأرض بنفسها لتضع إرادها فى الخزنة العامة » (١) .

وعندما فكرت الحكومة فى تأسيس بنك التسليف الزراعى ورغم أنه كان أحد مطالب أصحاب المصالح الزراعية — كما رأينا وجدنا اتحاد الزراع يبدى تخوفه من قيام هيئة حكومية بأكثر من عمل زراعى من تثبيت أسعار المحصولات إلى التسليف الزراعى إلى إصلاح الأراضى البور فضلا عن أن إياها كان مهمة تثبيت الأسعار إلى هيئة حكومية « تخالف فى روحها كل المبادئ الاقتصادية كل المخالفة وليس غير المنتجين وحدهم إذا ضموا مواردهم بعضها إلى البعض وعاونتهم الحكومة بقادر على ذلك » . واقترح الاتحاد أن يعهد إليه بمهمة تثبيت الأسعار وأن يمهّد إلى النقابة الزراعية العامة بإصلاح الأراضى البائرة وأن تقتصر مهمة البنك على التسليف على المحصول فقط قبل حصاده أو بعده (٢) .

* * *

لقد كانت علاقة كبار الملاك بالملاحين ، علاقة بقوة العمل الإنتاجى ، وهذه العلاقة كانت تحكمها أشكال الإيجار المختلفة التى كانت سائدة فى أنحاء البلاد خلال الفترة من تأجير نقدى إلى التأجير بالمزايدة والممارسة أو المزارعة ، وأن كان المالك الكبير قد فضل التأجير النقدى ، والتأجير بالمزايدة أو الممارسة لأن كلامها يضمن له أرباحه دون تخوف من الظروف الاقتصادية المتغيرة التى تطرأ على الزراعة وحركة السوق . وفى حالات استثنائية كان يلجأ إلى طريقة المزارعة حيث تكون الأرباح والخسارة مشتركة بينه وبين المستأجر سواء فى أوقات وفرة الإنتاج وارتفاع أسعاره أو العكس .

أى أن العلاقة كانت علاقة تعاقدية فى نهاية الأمر كفلت حمايتها التقاليد والعرف السائد وقوانين ولوائح العقود التجارية التى تضمنت نصوصها حماية مصالح المالك أكثر من مصالح المستأجر .

(١) مريت غالى ، المصدر السابق . ص ٢٢ .

(٢) نشرة اتحاد الزراع فى مصر ، مارس ١٩٣٠ .

وفي حالة زراعة المالك لأرضه بنفسه أى على الذمة ، فالعلاقة بينه وبين الفلاح كانت علاقة عمل كالعلاقة بين أصحاب الأعمال وعمالهم ، يحددها نظام الأجر اليومي الذي كان معمولاً به ، وهو يتراوح بين دفع الإيجار نقداً أو صنفاً ويختلف بين كل مديرية وأخرى على امتداد الأرض المصرية .

وقد حرص الملاك على ألا تتدخل الحكومة في تحديد العلاقة بينهم وبين المستأجرين بأى حال من الأحوال ، وفي المرات التي تدخلت فيها الحكومة لتخفيض الإيجارات الزراعية بسبب سوء أحوال الزراعة ، لم تتعرض لجوهر العلاقة بين الطرفين وإنما تركتها للنوايا الطيبة الحسنة لكبار الملاك .

وهذا الحرص يتفق مع نظرة الملاك إلى الحكومة كسلطة مركزية ، فقد نظروا إليها نظرة ليبرالية بمحتة تحدد دورها وتحصره في القيام بدور رجل الحارس الليلي يحمي مصالحها ويدافع عنها ، وإذا كانت الحكومة قد تجاوزت هذا الدور وتدخلت في سوق القطن مشترية وحددت الدورة الزراعية أو تدخلت في تسويات الديون العقارية . . . الخ فقد كان هذا بناء على طلب والحاح الملاك تمشياً مع مصالحهم في الحل الأول ، وهى المصالح التي كانت ما كان يعرف في افق المجتمع المصري بأصحاب المصالح الخاصة ، بحيث جاءت سياسة الحكومة في معظم الأحوال تعبيراً عن مصالحهم وإستجابة لها .

وكان هذا شيئاً طبيعياً فالحكومة التي تمثل السلطة التنفيذية كانت تعبر عن مصالح كبار الملاك باعتبار أنهم يملكون مصدر الوة الأساسى آنذاك وهو الأرض والإنتاج الزراعى فضلاً عن احتفاظ كبار الملاك في أجهزة الوزارات المختلفة بنسبة كبيرة كما رأينا وكانت في زيادة مستمرة تحت أى ظرف من الظروف وكان في هذا ضماناً كافية إلى حد كبير لأن تحول الحكومة . دون تنفيذ أى سياسات مضادة لمصالح هؤلاء الملاك .

ولم يكن يمنع الحكومة في الواقع عن حماية هذه المصالح حماية عريضة سوى قيود الامتيازات الأجنبية بأشكالها المختلفة . ولقد كان هذا أوضح ما يكون في

مشكلة الديون العقارية التي عجزت الحكومة عن حلها - لاجذريا لصالح الثروة القومية التي كانت مهددة بالضيق والتسرب لايدى الرأسمالية العالمية ، ذلك أن المحاولات ، من هذا النوع كانت تصطدم بصخرة الامتيازات الأجنبية التي جعلت السياسة المصرية تتحرك في إطار معين بحيث لا تتعرض لأى امتياز اجنبي بالانقضاء أو التحديد حتى تنتهى مدة الامتياز وحدها ولهذا فكل ما استطاعت الحكومة أن تفعله هو تسوية المشا كل المتعلقة بالمصالح الاجنبية بالتراضى والاختيار ، ويمكننا أن نتخيل حركة الحكومة في هذا الاطار وكيف أنها استمرت حتى عام ١٩٤٩ وهو العام الذى سجل انتهاء المحاكم المختلطة من الناحية العملية والتي كانت تعد أبرز صور حماية المصالح الأجنبية خلال الفترة .

الفصل الرابع

كبار الملاك في الحياة السياسية

لم يكن كبار ملاك الأراضي الزراعية أصحاب مصالح اقتصادية فقط يدافعون عنها بمختلف الطرق والوسائل — كما رأينا — بل أن ملكياتهم هذه جعلت لهم مكانة اجتماعية بين الناس وساعدتهم أيضاً على الارتباط بالحياة السياسية في أشكالها وسلطاتها المختلفة من تشريعية وتنفيذية بحيث جاء وجودهم في الهيئات السياسية من برلمانية وحزبية وحكومية تعبيراً عن مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية حتى لقد أطلق على كبار الملاك هؤلاء « أصحاب المصالح الحقيقية » باعتبار أن الأرض الزراعية كانت مصدر الثروة الأساسي ومصدر النسبة الكبيرة لإيرادات الدولة إلى فترة طويلة .

وسوف نحاول في هذا الفصل التعرف على نسبة وجود كبار الملاك في الهيئات التشريعية المختلفة ، من الجمعية التشريعية (١٩١٣) إلى الهيئات النيابية التي قامت على أساس دستور ١٩٢٣ ، ومجالس المديريات باعتبارها سلطات إقليمية تشريعية ،

تم التعرف على نسبتهم في الوزارات والهيئات الحكومية المختلفة التي تمثل السلطة التنفيذية . ننتقل بعدها إلى التعرف عليهم في التجمعات السياسية الحزبية التي شهدتها المجتمع المصري خلال الفترة حتى يصبح في إمكاننا تحديد الدور الذي لعبوه في الحياة السياسية .

أما فيما يختص بالجمعية التشريعية — وهي التي حلت محل مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية — فقد أسفرت انتخاباتها التي تمت في عام ١٩١٣ عن فوز ٤٩ من كبار الملاك بمضوية الجمعية من مجموع الأعضاء الذين بلغ عددهم ٦٥ عضواً أى بنسبة ٧٦ ٪ (١) .

وعند ما شكلت لجنة وضع دستور ١٩٢٣ ، كان عدد كبار الملاك في اللجنة وضع المبادئ العامة ١١ عضواً من مجموع أعضاء اللجنة وعددهم ١٨ عضواً ، أى بنسبة ٦١ ٪ . بينما كان عددهم في اللجنة العامة للدستور — التي ناقشت المبادئ العامة — ٢٠ عضواً من مجموعة أعضاء اللجنة وعددهم ٣٢ عضواً أى بنسبة ٦٢ ٪ .

ويذكر محمد حسين هيكل أن اختيار جماعة من كبار الأعيان في اللجنة العامة للدستور قد « أرض أصحاب المصالح الواسعة في البلاد » رغم أنهم غير مشتملين بالقانون وليست لهم صلة بالفقه الدستوري ، شأنهم في ذلك شأن بطريك الاقباط الذي كان يمثل الاقلية القبطية، والشيخ محمد نجيت ممثلاً لعلماء الدين المسلمين، وصالح اللوم ممثلاً لعرب البادية (٢) .

أما عدد كبار الملاك في الهيئات النيابية التي شكلت على أساس دستور ١٩٢٣ ، ونسبتهم إلى مجموع النواب فيوضحه الجدول التالي .

ويلاحظ من هذا الجدول أن أكبر نسبة لكبار الملاك في مجلس النواب كانت في الهيئة النيابية السابعة (١٢ / ٤ / ١٩٣٨ — ٧ / ٢ / ١٩٤٢) حيث بلغت ٥٣٩ ٪ ، وهي المدة التي حكمت فيها وزارة محمد محمود (الأحرار الدستوريون) وعلى ماهر وحسن صبرى وحسين سرى (وزارات الاقلية المؤتلفة مع أحزاب الاقلية)

(1) F. O, 371 — 1964 — 15259

(٢) محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية ج١ . ص ١٣١ — ١٣٢

جـ - جدول *

يوضح عدد كبار الملاك بالهيئات النيابية ونسبتهم إلى أجمالي النواب .

نسبتهم إلى المجموع	عدد كبار الملاك	مجموع الاعضاء	الهيئة النيابية وتاريخها
٤٣,٥ ٪	٩٣	٢١٤	الأولى ١٩٢٤/٣/١٥ - ١٩٢٤/١٢/٢٤
٤٤,٤٢ ٪	٩٥	٢١٤	الثانية ١٩٢٥/٣/٢٣ - ١٩٢٥/٣/٢٣
٤٩,٧ ٪	١٠٥	٢١٤	الثالثة ١٩٢٦/٦/١٠ - ١٩٢٨/٧/١٩
٤٦ ٪	١٠٨	٢٣٥	الرابعة ١٩٣٠/١/١١ - ١٩٣٠/٧/١٢
٣٨,٢ ٪	٥٨	١٥٠	الخامسة ١٩٣١/٦/٢٠ - ١٩٣٤/١١/٣٠
٤٨,٥ ٪	١١٢	٢٣٢	السادسة ١٩٣٦/٥/٢٣ - ١٩٣٨/٢/٢
٥٣,٩ ٪	١٣١	٢٦٤	السابعة ١٩٣٨/٤/١٢ - ١٩٤٢/٣/٧
٥٣ ٪	٩٣	٢٦٤	الثامنة ١٩٤٢/٣/٣٠ - ١٩٤٤/٨/٩
٤٣,٥ ٪	١٢٣	٢٨٥	التاسعة ١٩٤٥/١/١٨ - ١٩٤٩/١١/٧
٣٧ ٪	١١٩	٣١٧	العاشر ١٩٥٠/١/١٦ - ١٩٥٢/٧/٢٣

تليها الهيئة النيابية الثالثة (١٩٢٦/٦/١٠ - ١٩٢٨/٧/١٩) حيث بلغت ٤٩,٧ ٪ وهي المدة التي حكمت فيها وزارات عدلي يسكن وثروت والنحاس .

أما أقل نسبة لهم كانت في الهيئة النيابية الثامنة (١٩٤٢/٣/٣٠ - ١٩٤٤/٨/٩)

* تاريخ الهيئات النيابية والعدد الاجمالي للنواب مستخرج من : محمد خليل صبحي
تاريخ الحياه النيابية في مصر من عهد محمد علي ، الجزء الخامس السادس .
وكذلك جداول المنتخبين المثبتة بـضابط البرلمان أما تجديد كبار الملاك يستند إلى
ملفات الحاضرين لقوانين الإصلاح الزراعي ١٩٥٢/١٧٨ ، ١٩٦١/١٢٧ .

حيث بلغت ٣٥ ٪. وهى المدة التى حكم فيها الوفد برئاسة مصطفى النحاس خلال الحرب العالمية الثانية تليها الهيئة النيابية العاشرة (١٩٥٠/١/١٦ - ١٩٥٢/٢٣) حيث بلغت نسبتهم ٣٧ ٪. وهى المدة التى حكم فيها الوفد أيضاً برئاسة مصطفى النحاس ثم وزارات الاقلية بعد إقالة الوفد عقب حريق القاهرة واضطراب الموقف السياسى. ثم تليها الهيئة النيابية الخامسة (١٩٣١/٦/٢٠ - ١٩٣٤/١١/٣٠) حيث بلغت نسبتهم ٣٨ر٢ ٪. وهى المدة التى حكم فيها اسماعيل صدقى وعبد الفتاح يحيى استناداً إلى دستور ١٩٣٠ الذى كان صدقى قد أحله مكان دستور ١٩٢٣ .

وبصفة عامة لم يزد متوسط نسبتهم فى جميع الهيئات النيابية خلال الفترة عن ٤٤ر٤ ٪ .

أما عدد كبار الملاك فى مجلس الشيوخ ونسبتهم إلى مجموع الأعضاء فيوضحه الجدول التالى :

جدول *

يوضح عدد كبار الملاك بمجلس الشيوخ ونسبتهم إلى اجمالى الأعضاء .

مجلس الشيوخ وتاريخه	مجموع الأعضاء	عدد كبار الملاك	نسبتهم إلى المجموع
الهيئة الأولى ١٩٢٤ - ١٩٣٠	١٧٨	٨٨	٥٠ ٪
الهيئة الثانية ١٩٣١ - ١٩٣٤	١١١	٥٧	٥١ر٣٩ ٪
الهيئة الثالثة ١٩٣٦	٢٩٩	١٥١	٥٠ ٪

ويلاحظ من هذا الجدول أن أكبر نسبة لكبار الملاك فى مجلس الشيوخ

* محمد خليل صبحى ، المصدر السابق . فيما يتعلق بتاريخ مجالس الشيوخ وإجمالى الأعضاء ، ملفات الحاضرين لقانون الإصلاح الزراعى ١٩٥٢/١٧٨ ، ١٩٦١/١٢٧ فى تحديد نسبة كبار الملاك .

كانت في الهيئة الثانية (١٩٣١ - ١٩٣٤) حيث بلغت ٥١٣٩ ٪ ، وهو المجلس الذي تكون على أساس دستور ١٩٣٠ بينما كانت نسبتهم في مجلس النواب في خلال الفترة نفسها ٣٨٢٢ ٪ .

كما يلاحظ أن نسبة كبار الملاك في مجلس الشيوخ كانت أكبر من نسبتهم في مجالس النواب بصفة عامة ، وامل هذا يرجع إلى أن مجلس الشيوخ — طبقا لمبادئ الدستور — هو الذي يراجع مشروعات القوانين التي يناقشها مجلس النواب ويعمل فيها بما يترأى له بحيث لا تصدر في النهاية إلا بعد موافقته ، ومن ثم كان تفضيلهم — فيما يبدو — عضوية مجلس الشيوخ على عضوية مجلس النواب .

نتقل بعد ذلك إلى التعرف على نسبة وجود كبار الملاك في اللجان الداخلية بمجلس النواب في هيئاته المختلفة ، والجدول التالي يوضح نسبة كبار الملاك إلى مجموع أعضاء كل لجنة من هذه اللجان .

←

ويلاحظ من الجدول السابق أنه لم يكن لكبار الملاك لجنة معينة احتفظوا بأغلبية فيها في كل الهيئات النيابية حتى في اللجان المتصلة بشئونهم ومصالحهم الاقتصادية مباشرة ، ففي لجنة الزراعة مثلاً وصلت أعلى نسبة لهم فيها إلى ٦٦١٤٪ في الهيئة السادسة ، كما وصلت أيضاً إلى ٣٨٢٪ في الهيئة السابعة، وتراوحت بين ٤٥٥٪ ، ٥٧١٪ ، ٦١٪ في الهيئات الأخرى .

كذلك لجنة اللجنة المالية ، وصلت أعلى نسبة لهم فيها إلى ٨٠٪ في الهيئة السادسة كما وصلت إلى ٣٨٢٪ في الهيئة الرابعة وتراوحت بين ٦١٪ ، ٥٧٪ ، ٤٧٪ في الهيئات الأخرى .

وأيضاً لجنة الأشغال وصلت أعلى نسبة لهم فيها إلى ٥٢٨٪ ، في الهيئة الأولى ، كما وصلت إلى ٣٣١٪ في الهيئة الثالثة وتراوحت من ٤٦٪ ، ٤٠٪ ، ٣٧٪ في الهيئات الأخرى .

على أن أعلى متوسط نسبة لهم في مختلف اللجان في كل الهيئات النيابية كان في لجنة القطن والمحاصيل حيث بلغت نسبتهم ٨٠٣٩٪ / تليها اللجنة المالية بنسبة ٥٧٧٢٪ / ثم لجنة الخارجية ٥٧٥٩٪ / ثم لجنة المحاسبة ٥٢٧٪ .

أما أقل نسبة لهم في المتوسط كانت في اللجنة التشريعية حيث بلغت ١٩٧٣٪ / تليها لجنة العمال والشئون الاجتماعية ٢٤٨٠٪ / ثم لجنة الشئون البلدية والقروية ٣٣١٪ .

أما نسبة وجود كبار الملاك في اللجان الداخلية بمجلس الشيوخ في هيئاته المختلفة فكانت كما يلي :

متوسط النسبة %	الثالثة ١٩٣٦			الثانية ١٩٣١ - ١٩٣٤			الأولى ١٩٢٤ - ١٩٣٠			هيئات الشيوخ
	النسبة %	كبار الملاك	عدد اللجنة	النسبة %	كبار املاك	عدد اللجنة	النسبة %	كبار الملاك	عدد اللجنة	اللجنة
٦٦ر٢	٦٦ر٢	٦	٩	٦٦ر٢	٦	٩	٦٦ر٢	٦	٩	الداخلية
٤٤ر٤	٤٤ر٤	٤	٩	٤٤ر٤	٤	٩	٤٤ر٤	٤	٩	الحربية والبحرية والطيران
٥٥ر٥	٥٥ر٥	٥	٩	٥٥ر٥	٥	٩	٥٥ر٥	٥	٩	الخارجية
٣٧	٥٥ر٥	٥	٩	٥٥ر٤	٥	٩	—	—	٩	الأوقاف والمعاهد الدينية
٦٧ر١	٦٦ر٢	٨	١٢	٥٨ر١ ^(٢)	٧	١٢	٧٧ر٧ ^(١)	٧	٩	المالية والتجارية والصناعية والجارك
٤٤ر٤	٤٤ر٤	٤	٩	٤٤ر٤	٤	٩	٤٤ر٤	٤	٩	الحقانية
٤٨ر٣	٤٤ر٤	٤	٩	٥٥ر٥	٥	٩	٤٤ر٤	٤	٩	الصحة
٤٤ر١	٥٥ر٥	٥	٩	٤٤ر٤	٤	٩	٣٣ر١	٣	٩	المعارف
٦٧ر١	٦٦ر٢	٦	٩	٥٨ر١	٧	١٢	٧٧ر٧	٧	٩	الزراعة
٥٥ر٤	٤٤ر٤	٤	٩	٥٥ر٥	٥	٩	٦٦ر٢	٦	٩	الأشغال
٩ر٢	٥٥ر٥	٥	٩	٥٥ر٥	٥	٩	٦٦ر٢	٦	٩	المواصلات
٢٠	—	—	—	٢٠	١	٥	—	—	—	الحاسبة
٥٥ر٥	٥٥ر٥	٥	٩	٥٥ر٥	٥	٩	—	—	—	التجارة والصناعة
٩و٤	٤٤ر٤	٤	٩	٥٥ر٥	٥	٩	—	—	—	العمال والشؤون الاجتماعية
١٦ر٤	١٦ر٤	١	٦	—	—	—	—	—	—	الحسابات
٤٤ر٤	٥٥ر٥	٥	٩	٥٥ر٥	٥	٩	٢٢ر٢	٢	٩	الاقتراحات والعرائض

توضيح للجدول :

(١) أصبحت لجنة المالية فقط

(٢) أصبحت لجنة المالية والجارك فقط .

— لجان ألغيت أو استحدثت .

ويلاحظ أن نسبة كبار الملاك في اللجان الداخلية بمجلس الشيوخ تميزت بالثبات والاستقرار في الهيئات الثلاثة على عكس مجلس النواب ، كما رأينا ، وعموما فقد احتفظ كبار الملاك بنسبة كبيرة حققت لهم الأغلبية في الهيئات الثلاث للشيوخ في مختلف اللجان وخاصة اللجان التي لها صلة مباشرة بمصالحهم الاقتصادية مثل الزراعة ٦٧١٪ / والمالية والتجارية والصناعية والجمارك ٦٧١٪ / والداخلية ٦٦٢٪ / والمواصلات ٥٩٢٪ / بينما لم تكن لهم أغلبية في اللجان الأخرى التي ليست لها صلة مباشرة بمصالحهم فيما يبدو مثل الأوقاف والمعاهد الدينية ٣٧٪ / ، الحفانية والمعارف ٤٤١٪ / ، الأعمال والشئون الاجتماعية ٤٩٩٪ / (١) .

ولم يهتم كبار الملاك بعضوية مجلس النواب والشيوخ كسلطة تشريعية فقط بل اهتموا بمجالس المديرية كمؤسسات محلية تعبر عن المصالح القائمة وتحميها .

وإذا لم يكن في مقدورنا وضع نسبة تقديرية لهم في هذه المجالس خلال الفترة ، إلا أننا نرجح ، وأن لم يكن هذا مؤكدا ، أن أغلبية عضوية مجالس المديرية كانت لكبار الملاك ، ذلك أن قانون المجلس ، اشترط فيمن يتقدم للعضوية أن يكون ممن يدفعون ضريبة لا تقل عن ثلاثين جنيهها سنويا (أى ما يعادل ثلاثين فدانا) (٢) ، فإذا علمنا أن مجلس المديرية يتكون من أعضاء بعدد الدوائر الانتخابية لمجلس النواب (٣) ، وأن توزيع الملكيات جعل نواحى بأكملها (وهى

(١) أعضاء اللجان الداخلية بالهيئات النيابية وهيئات الشيوخ مستخرجة من مضابط البرلمان خلال الفترة . وتحديد كبار الملاك في هذه اللجان يستند إلى قانوني الإصلاح الزراعى ١٩٥٢/١٧٨ ، ١٩٦١/١٢٧ .

(٢) مجلس النواب ، ١٩٢٨/١/٤ .

(٣) نفسه .

دوائر الانتخاب) تكاد تكون مركزة في أيدي كبار الملاك ، ادركنا أن انتخاب أعضاء مجلس المديرية يسكاد يقتصر على فئة قليلة جداً . وإذا أضفنا إلى هذا اعتبار المصيبة الأسرية «العزوة» وهي عامل هام في المكانة الاجتماعية بالقرية، علمنا أن التمتع بعضوية مجالس المديريات كان لكبار الملاك حتى ولو وجد من يدفع ثلاثين جنيهًا ضريبة سنوية ، لأنه لن يستطيع منافسة المالك الكبير صاحب السكامة المسموعة ، وقد يستثنى من هذا الدوائر البعيدة عن الملكيات الكبيرة وهي قليلة إلى حد كبير .

ولقد عبر عن هذه الحقيقة خفري عبد النور ، حين ذكر في معرض مناقشة مشروع قانون انتخاب أعضاء مجالس المديريات ، أن شروط الانتخاب تكاد تكون محصورة في عدد قليل جداً يسكاد معها الانتخاب أن يكون تعييناً . . في الواقع لا يوجد في بعض الدوائر إلا اثنتان أو ثلاثة يدفعون ضريبة مقدارها ثلاثون جنيه^(١) .

كما أن المذكرة الإيضاحية لمشروع هذا القانون ، أشارت إلى أن عضو مجلس المديرية «يجب أن يكون من ذوى الشأن والمصلحة فيها ومرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً يعمل منه شخصاً صالحاً للنظر فيما يهمهم ، (أى أهل الدائرة) من شئون الري والصرف الزراعة والتعليم والصحة وغيرها ومدركاً لحالتهم من جهة تقرير الرسوم الإضافية على ما يدفعون من الضرائب ، قادر على تعرف مصالحهم بالدفاع عنها . . » (٢) .

هذا إلى أن وزارة الداخلية أصرت على شرط ضريبة الثلاثين جنيهًا كحد أدنى حين جرت محاولات من بعض النواب لتخفيضها إلى عشرة جنيهات وإعفاء المتعلمين منها ، وذكر مندوبها في معرض الدفاع عن ذلك بأن هذه الضريبة

(١) مجلس النواب ، ١٣/١/١٩٢٨ .

(٢) نفسه .

كانت في الماضي خمسة وثلاثين جنيتها وفي الماضي البعيد نوعا ، خمسين جنيتها^(١) .
كل هذا يؤكد الترجيح الذي ذهبنا إليه من أن عضوية مجالس المديريات كادت
تقتصر على كبار الملاك .

بعد أن أوضحنا نسبة كبار الملاك في مجالس النواب والشيوخ باعتبارها السلطة
التشريعية ، ووجودهم في مجالس المديريات باعتبارها سلطات عملية ، ننتقل إلى
التعريف على نسبة كبار الملاك في مختلف الوزارات التي شهدتها الفترة باعتبارها
سلطة تنفيذية .

والجدول السابق يوضح عدد الوزراء في كل وزارة ونسبة كبار الملاك في
كل منها :



ويلاحظ من هذا الجدول أن نسبة كبار الملاك في مختلف الوزارات كانت كبيرة بصفة عامة ، وكانت أعلى نسبة لهم في وزارة محمد سعيد (١٩١٩/٥/٢٠ — ١٩١٩/١١/١٥) حيث بلغت ١٠٠ ٪. وهى الوزارة التى عاصرت مراحل العنف في ثورة ١٩١٩ وبداية تصفيتها . بينما كانت أقل نسبة لهم في وزارتي على ماهر (١٩٣٦/١/٣٠ — ١٩٣٦/٥/٩) و (١٩٥٢/١/٢٧ — ١٩٥٢/٣/١) حيث بلغت ٢٢٢ ٪. ١٨٢ ٪. وهما الوزارتان الانتقالتان فالأولى كانت قبيل عقد معاهدة ١٩٣٦ والثانية عقب حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

كما يلاحظ أن أكبر نسبة لكبار الملاك بصفة عامة كانت في وزارات الاقلية غير الحزبية يليها بنسبة أقل وزارات الأحرار الدستوريين ثم وزارات الوفد ثم وزارات السعديين . أى أنهم تمتعوا بعضوية الوزارات في مختلف العهود وتحت لواء أى حزب من الأحزاب . ولا عجب في ذلك فقد كانوا منتشرين في كل الأحزاب والتجمعات السياسية التى شهدتها الفترة .

وبصفة عامة كان متوسط نسبتهم في كل وزارات الفترة وعددها خمسين وزارة ٥٨٣٠ ٪. أى أن الأغلبية كانت معهم دائماً .

أما نسبة كبار الملاك في كل وزارة نوعية على حده فيوضحها الجدول التالي :

الوزارة	عدد من تولاها	كبار الملاك	النسبة ٪	الوزارة	عدد من تولاها	كبار الملاك	النسبة ٪
الداخلية	٥٠	٣٢	٦٤	الحرية والبحرية والدفاع الوطنى	٥٠	٢٤	٤٨
الأشغال	٥٠	٣١	٦٢	المواصلات	٤٥	٢٥	٥٥ر٥
المعارف	٥٠	١٧	٣٤	التجارة والصناعة	٢٥	١١	٤٤
المالية ثم المالية والاقتصاد	٥٠	٣٣	٦٦	الصحة	٢٦	٩	٣٤ر١٦
الأوقاف	٥٠	٣١	٦٢	التموين	١٧	٦	٣٥ر٥
الخارجية	٤٣	٣١	٧٢ر٤	الشئون الاجتماعية	١٧	٧	٤١ر٣
الحقانيه ثم العدل	٥٠	٣٢	٦٤	الوقاية المدنية	٢	١	٥٠
الزراعة	٥٠	٣٤	٦٨	الشئون البلدية والقروية	٥	٢	٤٠

ويلاحظ من هذا الجدول أن كبار الملاك تركزوا أكثر في وزارات الخارجية (٧٢٤٪) والزراعة (٦٨٪) والمالية والاقتصاد (٦٦٪) والداخلية (٦٤٪) وهي وزارات لها صلة مباشرة بمصالحهم الاقتصادية. بينما نجد نسبتهم قليلة في وزارات الصحة (٣٤ و ١٦٪) والتموين (٣٥ و ٥٪) والشئون البلدية والقروية (٤٠٪) والشئون الاجتماعية (٤١ و ٣٪). وهذا يبين مدى اهتمام كبار الملاك بهذه المجالات الاجتماعية.

كما يلاحظ أن نسبة وجودهم في الوزارات المختلفة تتفق إلى حد كبير مع نسبة وجودهم في اللجان الداخلية بالهيئات البرلمانية حيث كانوا يتركزون في اللجان ذات الصلة المباشرة بمصالحهم كما سبقت الإشارة. يضاف إلى هذا أن اثني عشر فرداً من أسر كبار الملاك كانوا قاسماً مشتركاً عظمياً في الوزارات خلال الفترة وهي عائلات: سرى، محمود سليمان، أبو علي، خشبة، يكن، ثروت، حنا، عبيد، غالي، ذو الفقار، بركات، المطيعي.

كما يلاحظ أن عدداً لا بأس به من رؤساء الوزارات ممن كانوا من غير كبار الملاك، كان يرتبط بصلة قوية ببعض كبار الملاك مثل: مصطفى النحاس الذي كان يرتبط بأسرة الوكيل وعلى ماهر الذي كان يرتبط بأسرة المسكباتي فضلاً عن علاقته بالأسرة الملكية، وأحمد نجيب الهلالي الذي كانت له صلة بأسرة عمرو. الخ. وإذا تذكرنا أن المالك كان أكبر مالك زراعي وله سلطات دستورية، تشريعية وتنفيذية، أدركنا مدى النفوذ الواسع الذي كان لكبار الملاك في الحياة السياسية المصرية خلال الفترة (١).

على أن وزارة الزراعة — عكس الوزارات الأخرى — كانت نموذجاً لتجمع كبار الملاك، فضلاً عن أن نسبة من تولوها من كبار الملاك بلغت (٦٨٪) فقد كانوا ممثلين في المجلس الاستشاري الزراعي الذي تشكل أول مرة في ١٠ يونيو ١٩١٤

(1) G. Baer. op. Cit., P144

حيث نص قرار التشكيل على تمثيل كبار المزارعين بالإضافة إلى الأعضاء الفنيين في الوزارة ، والأعضاء الذين يختارون من الهيئات التي لها صلة بالنشاط الزراعي بأي صورة من الصور (١) .

وبجانب المجلس الاستشاري الزراعي كان هناك مجلس التجارة الزراعية وقد أنشأته وزارة الزراعة لدراسة المسائل المتعلقة بتسويق الحاصلات الزراعية نتيجة التغيرات التي لحقت بالسوق الدولية من جراء الحرب العالمية الأولى ، وكان يشترك فيه أيضاً أعضاء من كبار الملاك (٢) .

وعندما أنشئت وزارة الزراعة « الاتحاد الملكي لجمعيات رعاية الحيوان بالملكة المصرية » في ٢٨ أبريل ١٩٤٣ تمتع كبار الملاك أيضاً بعضوية هذا الاتحاد ، إذ جاء في الفقرة (د) من المادة (٧) من القانون النظامي للاتحاد وهي المادة الخاصة بتشكيل مجلس إدارته أنه يشكل من « ثمانية أعضاء يعينهم وزير الزراعة من بين الأعيان باعتبار عضوين عن كل من الوجه القبلي والوجه البحري ومحافظي مصر واسكندرية (٣) » .

وقد كان الأعضاء الثمانية في مجلس إدارة هذا الاتحاد لعام ١٩٤٧ ، ١٩٥٠ ، على سبيل المثال ، من كبار الملاك وهم : محمد زكي عبد الرازق ، وعبد الظاهر عبد العزيز الجمال ، وأحمد قرشى (عن الوجه القبلي) ، رياض أبو حسين ، السعدى الانزبى (عن الوجه البحري) ، فؤاد أباطة وصالح عنان (القاهرة) ، محمد فرغلى ، السيد الدليل ، محمد عبد المنعم الديب (عن الأسكندرية (٤)) .

(١) انظر ص ٢٠٤ من هذا البحث .

(٢) مذكرة بإنشاء مجلس التجارة الزراعية (المقطم ، ١١/٤/١٩١٦) .

(٣) المرسوم الملكي بتشكيل الاتحاد الملكي لجمعيات رعاية الحيوان بالملكة المصرية (المجلة الزراعية المصرية — يوليو ١٩٤٣) .

(٤) المجلة الزراعية المصرية ، أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ١٩٤٧ ، ١٩٥٠ .

كما طالب بعض كبار الملاك بإعادة النظر في تشكيل مجلس تنظيم القاهرة ،
فبدلاً من أن يتكون من أربعة عشر موظفاً ، وأربعة من الأعيان يجب أن يلاحظ
في تشكيله د تغليب عدد الأعيان على عدد من تعيينهم الحكومة من الموظفين
أو جعله مساوياً على الأقل (١) .

هذا بالإضافة إلى وجود كبار الملاك في مجلس إدارة النقابة الزراعية المصرية
العامة منذ تشكلت في ١٩٢١ ثم في أعوام ١٩٢٤ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٥ وهذا المجلس
الآخر الذي استمر حتى نهاية الفترة ، وهذا شيء طبيعي إذ أن النقابة تمثل أصحاب
المصالح الزراعية (٢) . بالإضافة أيضاً إلى وجودهم بمجالس إدارة بنك مصر ومجالس
إدارات الشركات المختلفة (٣) .

نتقل بعد هذا إلى التعرف على انتهاءات كبار الملاك للأحزاب السياسية التي
شهدها المجتمع المصري خلال هذه الفترة وخاصة في أعقاب انتهاء الحرب العالمية
الأولى . . .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن كبار الملاك قد اشتركوا في كل الأحزاب السياسية
التي شهدتها هذه الفترة بدرجة أو بأخرى ، بحيث يصعب القول أن هناك حزباً معيناً
اشترك فيه كبار الملاك وحزب آخر لم يشتركوا فيه ، وكل ما هنالك هو التفاوت
في نسبة كبار الملاك بين حزب وآخر .

فالوفد المصري الذي تشكل منذ نوفمبر ١٩١٨ المطالبة بالاستقلال ، ضم كبار
الملاك ، بل أن اللجنة المركزية التي شكلت لقيادة الثورة من ثلاثة وأربعين

(١) مجلس النواب ، ١٩٣٢/٦/٩ .

(٢) يوسف نحاس ، المصدر السابق . ملحق الكتاب .

(٣) انظر ص (٩٦) ، (٩٧) من هذا البحث .

عضواً (١) ، كان عدد كبار الملاك المشتركين فيها ستة وثلاثين عضواً أى بنسبة ٨٣٣١٪ .

ولما خرجت من الوفد المجموعة التى كونت حزب الأحرار الدستوريين فى أكتوبر ١٩٢٢ لم يكن ذلك يعنى خروج جميع كبار الملاك من التجمع الوفدى الكبير ، لأن الغالبية العظمى من الوفد كانت من كبار الملاك ، بل أن المسألة لم تسكن أكثر من خروج مجموعة من كبار الملاك ، وإن كانت كبيرة ، وبقاء مجموعة أخرى مثل فتح الله بركات ، واصف بطرس غالى ، ومرقص حنا ، أحمد مظلوم .

ولهذا نجد أن الهيئة الوفدية فى مجلس شيوخ ١٩٢٤ تتسكون من اثني عشر عضواً كلهم دون استثناء من كبار الملاك .

وفى ٢ ديسمبر ١٩٣٢ ضم الوفد اثني عشر عضواً جديداً (٢) ، كان منهم ثمانية أعضاء من كبار الملاك أى بنسبة ٦٦٢٪ .

ومنذ عام ١٩٣٦ وبعد عقد المعاهدة ، نجد أن الوفد يضم عدداً من كبار الملاك مثل فؤاد سراج الدين الذى تولى سكرتارية الوفد فيما بعد ، ومحمد سليمان الوكيل ، محمد المفازى عبد ربه ، بشرى حنا ، محمد الحفنى الطرزي ، أحمد مصطفى عمرو ، فهمى ويصا ، محمد صبرى أبو علم ، كمال علما ، سيد بهنس ، محمد محمود خليل (٣) ، وكلهم من كبار الملاك ، بل أن واحد مثل أحمد عبود احتفظ بروابط قوية مع الوفد (٤) . وسواء فسر ضم أعضاء جدد إلى الوفد من كبار الملاك على أنه محاولة من الوفد للحصول على مصادر مالية لتمويل النشاط

(١) الأهمالي ، ١٦/٤/١٩١٩ .

(٢) المقطم ، ٣/١٢/١٩٣٢ .

(٣) محمد ذكى عبد القادر ، إقدام على الطريق . ص ٣٤٧ .

(4) G. Baer, op. Cit., P 146

السياسى للحزب ، أو أنه جاء لأسباب شخصية لا دخل لها بالمبدأ ^(١) ، فإيهما من هذا أن الوفد لم يكن بعيداً منذ تكوينه وحتى نهاية الفترة عن كبار الملاك ، ولم يكن كبار الملاك بدورهم بعيدين عنه .

أما حزب الأحرار الدستوريين ، فقد اشتهر بأنه يمثل الملاك الزراعين ، وهذه حقيقة ، ثابتة إلى حد كبير ، وأن لم تكن تعنى أن الحزب اقتصر فقط على كبار الملاك هؤلاء دون أحد من قوى المجتمع الأخرى وكل ما يمكن قوله أن النسبة الغالبة فى الحزب كانت لكبار الملاك .

فى أبريل ١٩٢١ خرجت مجموعة من الوفد المصرى مكونة من على شعراوى ومحمد محمود وحمد الباسل وعبد اللطيف المكباتى وأحمد لطفى السيد ومحمد على علوبه وجورج خياط ، وكانت استقالاتهم متضامنة فيما عدا على شعراوى وجورج خياط اللذان قدم كل منهما استقالته منفردة من الوفد ^(٢) وكلهم من كبار الملاك .

وبعد هذه الاستقالات التى شارك فيها عدد آخر من كبار الملاك بمام واحد ، أى فى أكتوبر ١٩٢٢ شكل حزب الأحرار الدستوريين الذى ضم مجموعة من المستقيين من الوفد ومن صفوة كبار الملاك فى مصر وفى مقدمتهم محمد محمود ، محمد على علوبه ، صالح الموم ، توفيق دوس ، إبراهيم الهلباوى وآخرون من أعضاء اللجنة العامة للدستور التى بلغت نسبة كبار الملاك ٦٢.١٪ ^(٣) ومن هنا كانت تسمية الحزب بالأحرار الدستوريين للدفاع عن الدستور والعمل على سرعة إصداره ^(٤) .

(١) محمد زكى عبد القادر . المصدر السابق . ص ٣٤٧ .

(٢) المقطم ، ٣٠/٤/١٩٢١ .

(٣) أنظر ص ٢١١ من هذا البحث .

(٤) محمد حسين هيكل ، المصدر السابق . ص ١٤٤ .

غير أن أسناد رئاسة هذا الحزب إلى عدلى يسكن عضو الأسرة الملكية ومن كبار الملوك الذى وقع بينه وبين سعد زغلول خلاف حول مسار الثورة ، يعكس حقيقة هامة وهى أن كبار الملوك الذين التفوا حول عدلى ، إن لم يكونوا قد رغبوا فى تأليف حزب يمثل مصالحهم ، فهم على الأقل رغبوا فى تكوين حزبا مضادا للكتلة الباقية فى الوفد المصرى .

والحقيقة أن التكييف الاجتماعى لحزب الأحرار الدستوريين من الأمور المحيرة والصعبة فى نفس الوقت ، فالبعض يرفض الموافقة على فكرة أن خروج الأحرار الدستوريين يمثل خلافا فى المصالح الاجتماعية لكبار الملوك داخل الوفد وعدم رضائهم عن خطط سعد زغلول فى العنف الثورى ، ويرون فيه خلافا عقائديا بحتا ، فهؤلاء الذين خرجوا (فى أبريل ١٩٢١) كانوا يمثلون مجموعة المثقفين الليبراليين الذين اشتهروا بالكلام فى الصالونات الأدبية وفى الصحافة قبيل الحرب العالمية الأولى حول الحرية والديموقراطية . . . الخ ، ومن ثم لم يوافقوا على انفراد سعد زغلول بأرائه واصراره عليها ، ولهذا اعتبر هؤلاء ، أن الأحرار الدستوريين يمثلون تجمعا عقائديا بينما ظل الوفد حزب يمثل كل العناصر الاجتماعية الأخرى بما فيها كبار الملوك (١) .

ويضعف من هذا التكييف — فى رأينا — أنه اعتبر اشخاصا مثل عبداللطيف المكيانى ، وأحمد لطفى السيد ، ومحمد على علوبة محامين أو مهنيين بصفة عامة ، وأعفل كونهم من كبار الملوك قبل أن يكونوا مهنيين ، هذا إلى أنه جعل المثقفين حزبا واحدا قائما بذاته مع أن المثقفين قطاع ألقى منتشر فى أى مجتمع من المجتمعات يضم عناصر وفئات وطبقات مختلفة .

ورأى البعض أن هذا الحزب يعضده بعض أثرياء كبار الملوك وعدد من

(1) L. J. Cantori, The Organizational Basis of an elite Political party : The Egyptian. Wafd' P 319 — 320 .

الارستقراطية التركية ، وأأنه حزب كبار الملاك الأكثر تقدما ومعهم البورجوازية الكبيرة أوأنه فى بساطة حزب يعتمد على قطاع من البورجوازية الكبيرة المعتدلة (١) .

ونحن نتفق مع الرأى القائل بأن قطاعا هائلا من كبار الملاك أظهر ميلا خلال العشرينات — على الأقل — لإنشاء وسيلة تنظيمية مضادة لحركة الوفد الجماهيرية ، ومن ثم كان حزب الأحرار الدستوريين انمكاسا واضحا لهذا الميل (٢) .

ولايفوتنا هنا أن نؤكد أن كبار الملاك كانوا يتمتعون بأغلبية كبيرة فى مجالس إدارة الحزب ، ففى مجلس إدارة الحزب عام ١٩٢٥ (٣) كانت نسبتهم ٦٦.٢ ٪ . وفى مجلس إدارة عام ١٩٢٩ (٤) كانت نسبتهم ٧٣.١٣ ٪ . وفى مجلس إدارة عام ١٩٣٠ (٥) كانت نسبتهم ٧١.٣ ٪ .

أما حزب الاتحاد الذى تكون فى يناير ١٩٢٥ فقد ضم أيضاً عدداً من كبار الملاك ، فاللجنة التحضيرية التى اجتمعت لتأسيس الحزب كانت من تسعة وعشرين عضواً (٦) ، منهم أحد عشر عضواً من كبار الملاك أى بنسبة ٣٧.٢٧ ٪ . وكان أول مجلس إدارة له من ثمانية وعشرين عضواً (٧) ، منهم خمسة عشر عضواً من كبار الملاك أى بنسبة ٥٣.٨ ٪ ، وهى نسبة قليلة إلى حد ما رغم محاولة الملك

(١) G. Baer, op. Cit., P 145

(٢) Ibid.

(٣) السياسة ، ١٠/٤/١٩٢٥ .

(٤) نفسه ، ٢/٢٥/١٩٢٩ .

(٥) نفسه ، ٦/٢٣/١٩٣٠ .

(٦) نفسه ، ١/١١/١٩٢٥ .

(٧) المقطم ، ١/٤/١٩٢٥ .

فؤاد أن يضم إلى هذا الحزب ، الأعيان الذين لم يستقروا على اتجاه ولوازنة النفوذ القوى الذى كان يتمتع به الوفد^(١) .

أما حزب الشعب الذى كونه اسماعيل صدقى فى نوفمبر ١٩٣٠ فقد ضم أيضاً عدداً من كبار الملاك فالجمعية التأسيسية للحزب كانت من أربعة وثمانين عضواً^(٢) ، منهم سبعة وعشرون من كبار الملاك أى بنسبة ٤٣.٣٪ . وكذلك الحال فى الهيئة السعدية التى كونها أحمد ماهر والنقراشى فى عام ١٩٣٧ بعد خروجهما من الوفد ، قد نالت تأييداً من بعض كبار الملاك رغم ما قيل من أن خروج أحمد ماهر والنقراشى كان احتجاجاً على انضمام بعض كبار الملاك إلى الوفد فى ذلك العام (١٩٣٧) ، بل أن سكرتير الهيئة وهو ممدوح رياض كان من كبار الملاك .

وكان من بين كبار الملاك الذين أيدوا الهيئة السعدية محمد الشعراوى وأحمد حلى محمود ، وأفراد من عائلة الأترى^(٣) .

كذلك كان الحزب الوطنى على علاقة بكبار الملاك منذ بدء تأسيسه على يد مصطفى كامل ، فعمر سلطان عضو اللجنة المركزية ومموله كان من كبار الملاك بالإضافة إلى أفراد آخرين أيدوه مثل عمر لطفى ومرقص حنا وسيف الله يسرى ومحمد أحمد الشريف ، ومحمد على علوبة أيضاً وآخرون^(٤) . فضلاً عن أن محمد فريد ومحمد حافظ رمضان رئيس الحزب فيما بعد كانا من كبار الملاك^(٥) .

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق . ص ١٥٠ .

(٢) المقطع ، ١٩/١١/١٩٣٠ .

(3) G. Baer, Op. Cit.; P 146

(4) Ibid, P 1'4

(٥) مكلفة نواحى مركز الفيوم المدة من ١٩٠٧ - ١٩٣٠ (دار المحفوظات المصرية) .

أما حزب الكتلة الذى تكون فى عام ١٩٤٣ كرد فعل للخلافات الشخصية بين
مكرم عبيد وزعماء الوفد فيكشف أن رئيسه كان من كبار الملاك فى الوجه القبلى (١) .

وبصفة عامة فقد كان كبار الملاك الزراعيين على علاقة بكل الأحزاب السياسية
البرلمانية التى شهدتها المجتمع المصرى خلال الفترة سواء كانوا أعضاء فى مجالس إدارة
هذه الأحزاب ، أو أعضاء فى لجان وقواعد الاقاليم أو مؤيدين متعاطفين ، وتسئفى
من هذا جماعة إخوان المسلمين ، ومصر الفتاة ، والتجمعات الشيوعية الأخرى ، فلم تحظ
أى منها بعضوية أو تعاطف كبار الملاك فهى تجمعات متطرفة بالقياس ليقول كبار
الملاك وتكويناتهم النفاقية كما سنوضح فى الفصل التالى .

على أن عضوية أى من كبار الملاك فى أى حزب من هذه الأحزاب لم تكن
عضوية دائمة أو ثابتة بل كثيراً ما كان ينتقل من حزب إلى آخر بين كل دورة انتخابية
وأخرى . والجدول التالى محاولة لتتبع الانتقالات بين الأحزاب المختلفة بين عينة
محددة من كبار الملاك :

(١) مكلفة مراكز سوهاج وقتنا المدة من ١٩١٤ - ١٩٤٨ (دار المحفوظات

المصرية) .

ويتضح من هذا الجدول مدى تعدد الانتماءات الحزبية لكبار الملاك وتغيرها المستمر بين كل دورة انتخابية وأخرى ، ولا قاعدة في هذا ، فالذى بدأ وفديا أصبح اتحاديا أو سعديا أو شعبيا أو دستوريا أو مستقلا ، وهذا أضعف الإيمان .
والذى بدأ دستوريا تنقل بين أحزاب الاتحاد والشعب والوفد ، وكذلك الحال بالنسبة لمن بدأ اتحاديا أو شعبيا أو وطنيا أو سعديا .

ومن الصعب أن يفسر هذا الانتقال من حزب إلى آخر على أساس وجود اختلافات عفائية بين الأحزاب بحيث يكون الانتقال بحثا عن ضالة منشودة مثلا .
ومن الصعب أيضاً أن يفسر على أساس وجود اختلافات جذرية بين برامج هذه الأحزاب، إذا كان لبعضها برامج أصلا ، وعقدنا أن هذا الانتقال كان يحدث إمالة مصيبة أسرية أو ليل مع ميزان القوى ولأى حزب يتجه بحيث يسكون هناك ضمان مستمر للمصالح الخاصة .

وقد يؤكّد هذا عدم وجود خلاف دقيق بين هذه الأحزاب حول ضرورة استقلال مصر ، وإنهاء السيادة الإنجليزية ، ولا خلاف بينها في المحافظة على سلطة الأمة وحقوق العرش . كما أن جميعها يهتم بالمصالح الاقتصادية من حيث تخفيف الأعباء عن كاهل المزارعين بتخفيض الضرائب وتوزيعها توزيعا عادلا وحماية الإنتاج الداخلى وإنشاء النقابات الزراعية واستصلاح الأراضي وتنظيم العلاقات بين أصحاب الأعمال والأعمال (١) .

ولعلّ وحدة هذه البرامج واختفاء الفوارق الدقيقة بينها ساهمت من ناحية أخرى في عدم وجود حزب خاص بكبار الملاك أو أصحاب المصالح الزراعية ، فضلا عن أن عدداً غير قليل من هؤلاء كان يعيش في المدن بعيداً عن الريف وله استثماراته

(١) أنظر برامج حزب الأحرار الدستوريين (السياسة ، ٣٠ / ١٠ / ١٩٢٢)
وحزب الاتحاد (السياسة ، ١١ / ١ / ١٩٢٥) وحزب الشعب (المقطم ، ٢٠ / ١١ / ١٩٣٠) .

في مجالات التجارة والصناعة ، كما تقدم ، بحيث كان من الصعب عليه اختيار أى المصالح المباشرة للدفاع عنها ، الزراعة أم التجارة أم الصناعة .

كل هذه الاعتبارات جعلت من الانتماء السياسى لسكبار الملاك نوعاً من الرفاهية السياسية وقدراً من السلطة فى نفس الوقت .

ورغم هذا فقد كانت هناك محاولة من جانب كبار الملاك لإنشاء إطار تنظيمى يجمعهم تحت اسم « نادى الأعيان » وترجع فكرة هذا النادى إلى عام ١٩١٣ ، غير أن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون اكمال إجراءات انشائه ، فلما انتهت الحرب أعيد التفكير فيه مرة أخرى فى أواخر عام ١٩١٨ (١) .

ولقد كانت فكرة النادى تقوم — فى اذهان دعاة — على جمع كبار الملاك فى انحاء القطر ، وتجديد روابط الألفة التى كانت بين العائلات قديماً ، والتوفيق بين مصالحها وإزالة أسباب الضغائن والاحقاد التى تنشأ بين الأسر بعضها وبعض ، والقيام ببعض المشروعات الاقتصادية والاجتماعية ، كانشاء الشركات الزراعية والتجارية وإقامة المستشفيات والملاجئ (٢) .

ولقد كانت للنادى أيضاً أغراض سياسية وهى مناقشة القضايا السياسية المعاصرة وغيرها من القضايا التى يمين لأعضائه الحديث فيها . ولقد أدى هذا الهدف إلى إشاعة جو من عدم الثقة وسوء الظن حول فكرة النادى . فقد طلب بعض الأعضاء النص فى لائحة نظامه على عدم التكلم فى الشؤون السياسية ،

(١) محمد الشربعى ، بيان حقيقة حول نادى الأعيان (الأهالى ،

١٩١٩/٩/٢٩) .

(٢) محمد إبراهيم هلال ، نادى الأعيان ، هذا بلاغ للناس (المقطم ،

١٩١٩/٨/١٨) .

واعترض البعض الآخر على ذلك اعتبار أن غرضه الأساسى هو التكلم فى السياسة (١) .

ومع تطور حوادث ثورة ١٩١٩ وقرب مجيء بعثة ملتر زادت الشبهات حول النادى وربط الناس بين توقيت إنشائه وبين قدوم بعثة ملتر ، ومن ثم اعتقدوا أن النادى لم ينشأ إلا توطئة لاستضافة هذه البعثة والتفاوض معها (٢) .

ومنذ بداية التفكير فى هذا المشروع كان هدفا لنقد الناقدين حيث اعترضوا على تأليف « طبقة أرستقراطية » فى مصر عمائل طبقة النبلاء التى كانت فى إنجلترا وألمانيا والنمسا وروسيا فى الماضى القريب ، كما تساءلوا عن نوعية الأعيان الذين سيضمهم هذا النادى وهل هم كبار التجار أم أصحاب المناصب فى الحكومة (٣) .

وقد ذكر بعض الناقدين أيضاً أن النادى إذا كان سيؤسس على أساس الجمع بين مصالح البلادجيت تمثل فيه طبقاتها فى أشخاص الأعيان تمثيلاً صحيحاً وواقعياً فليؤسس باسم الأمة كلها لا باسم أصحاب المصالح الحقيقية (٤) .

وفى نفس الوقت وقف المدافعون عن فكرة النادى يبينون أغراضه النبيلة وأهدافه السامية عن كل مطلب خاص وكيف أن فكرة النوادى ليست غريبة

(١) إسماعيل أباطة ، بيان لا بد منه للأمة المصرية حول نادى الأعيان (المقطم ١٩١٩/٨/٥) .

(٢) الأهالى ، ١٩١٩/٩/٢٩ .

(٣) نفسه ، ١٩١٩/٨/١٢ .

(٤) المقطم ، ١٩١٩/٨/١٥ (أين نحن الآن — فكرة النادى يقلم السيد التفتازانى بالإسكندرية) .

فهى منتشرة فى أنحاء العالم كما أنها وجدت للأغراض الاجتماعية التى يسعون لتحقيقها (١) .

وابتعاداً بالنادى عن الشبهات رأى البعض إستخدامه لتأسيس نقابات فرعية فى الأقاليم كأنها فروع لهذا النادى الذى يجب أن يقصر اهتماماته على الشؤون الزراعية والاقتصادية (٢) .

على أية حال فشلت فكرة هذا النادى وانقرط عقد دعاته نظراً للشبهات التى حامت حوله وعدم استيعاب رأى العام فى مصر فكرة إقامة ناد لطبقة أوفئة معينة من الأمة فى عصر الديمقراطية وامتزاج عناصر الأمة فى العمل الوطنى كما تصور معارضو الفكرة . ويبدو أن إقامة النقابة الزراعية العامة فى يناير ١٩٢١ — كما سبقت الإشارة — تعد أحياء لفكرة هذا النادى بصورة أو بأخرى حيث أقبل كبار الملاك على الانضمام إليها .

* * *

بعد أن تناولنا الوجود السياسى لكبار الملاك فى السلطات التشريعية والتنفيذية، ورأينا أنهم كانوا يحتفظون بنسبة عالية فى كل منها ، يجدر بنا أن نتناول مسألة هامة تتعلق بهذا الوجود السياسى وهى إلى أى حد حاول كبار الملاك التعبير عن أنفسهم من خلال هاتين السلطتين . .

فى مناقشات لجنة وضع المبادئ العامة ومناقشات اللجنة العامة للدستور ١٩٢٣ — وهو مصدر السلطة التشريعية — حاول كبار الملاك التعبير عن

-
- (١) المقطم ، ١٩١٩/٨/٢٣ (نادى الأعيان بقلم محمد توفيق شهاب الدين) ،
١٩١٩/٩/٣ (نادى الأعيان بقلم على الشعاعى) .
- (٢) نفسه ، ١٩١٩/٧/٢٦ (نادى الأعيان بقلم قلىف فهمى) ١٩١٩/٧/٢٨
(نادى الأعيان بقلم محمد إبراهيم هلال) .

أنفسهم في أكثر من مناسبة . وقد لا تتجاوز الحقيقة إذا قلنا انهم عملوا جاهدين من خلال شروط العضوية لمجلس النواب ومجلس الشيوخ على أن تتمثل السلطة التشريعية في مجموعة محددة بعينها وهي كبار الملاك أصحاب المصالح الزراعية .

فقد اقترحت لجنة وضع المبادئ العامة في جالستها الأولى أن يشترط في عضو مجلس النواب أن يكون ممن يدفعون مالا عن عقاراً أو غيره مع إعفاء الحاصلين على شهادة عالية مضت عليها خمس سنين من هذا الشرط^(١) .

ولما كان هذا الشرط يقصر العضوية على أصحاب الملكيات العقارية، لأن الضرائب كانت تفرض آنذاك على العقارات دون الأموال المنقولة ، فقد طلب رئيس اللجنة، في الجلسة الحادية عشرة ، إعادة المناقشة في هذا الشرط، واقترح أن تكون العضوية لكل من له ريع معين أو يدفع إيجاراً معيناً ، وبشرط أن يكون هذا الإيجار عن ثلاث سنوات سابقة على الانتخاب « حتى لا نكون قد ساعدنا على وجود حزب عمال في المجلس »^(٢) .

ودارت مناقشات كثيرة بين أعضاء اللجنة تعكس تخوفاً من دقة شرط الضريبة، لا رفضاً لها من حيث المبدأ ، وإنما خشية أن يؤدي ذلك إلى عدم التحري بدقة كاملة عن أصحاب العقارات والتجار وأرباب المعاشات فهم ، أى أعضاء اللجنة ، تمنوا فرض ضريبة مالية لولا التخوف من عدم ضبطها بسبب عجز وعدم كفاية الجهاز الإداري . وهنا عاد رئيس اللجنة وعدل اقتراحه بأن يشترط فيمن ينتخب « أن يدفع ضريبة معينة على أطيان أو عقارات أو يكون له إيراد معين أو يدفع إيجاراً سنوياً معيناً » .

ولما قال عبد العزيز فهمي — وأيده في ذلك توفيق دوس — أنه يكفي اشتراط

(١) لجنة وضع المبادئ العامة ، جلسة (١) في ١٩/٤/١٩٢٢ .

(٢) نفسه ، جلسة (١١) ، ٥/٥/١٩٢٢ .

إجادة القراءة والكتابة ، وعلى الأهالي اختيار من يرون فيه الكفاية حتى ولو لم يكن من أرباب الأموال ، خشي حسين رشدي رئيس اللجنة من تأييد هذا الرأي الذي يلقى شرط المال فقال « أن الأصل أن يكون المنتخب له مصلحة في البلد ، أما مسألة المعرفة فاستثناء لهذه القاعدة ، ومن هذه الوجهة يكون اعتراض عبد العزيز بك فهمي في غير محله » .

ويبدو أن رأي عبد العزيز فهمي كان له تأثير ، فقد وافق عبد اللطيف المكباتي على إلغاء شرط المال وقال « أنه إذا كان لابد منه فيكون في الندوب الناجب لأن الموكل يجب أن يكون صاحب مصلحة في البلد » . وأثارت هذه الآراء زكريا نامق الذي قال « يجب أن لا تساعد على إيجاد المفلسين والمتشردين في المجلس فلا نسمح للأكثرية الغير متعلمة أن تنتخب شخصا لا يدفع ضريبة أطيان ولا عوائد أملاك ولا إيجار بيت يسكن فيه ومن لا إيراد له لا من وقف ولا معاش ولا غيره » .

وبعد مناقشات طويلة تقرر بأغلبية الأصوات اشتراط المال ورفض اقتراح عبد الحميد بدوي بإلغاء الإمتياز الخاص بإعفاء حملة الشهادات العالية من شرط المال .

ثم انتقلت المناقشة بعد ذلك إلى القدر المالي للضريبة المقترحة فاقترح رئيس اللجنة « أن تكون الضريبة التي يدفعها المنتخب ٢٥ أو ٣٠ جنيها في السنة وأن يكون الإيجار الذي يدفعه مائة جنيه في السنة ، وغرضي من رفع الإيجار لهذا الحد منع الطبقة التي لا تملك شيئا مطلقاً وتدفع إيجاراً مناسباً . . . » .

ثم أخذت الأصوات على هذا الاقتراح فتقرر أن تكون ضريبة الأطيان ٣٠ جنيها في السنة وعوائد الأملاك ١٢ جنيها في السنة وإيجار السكن ١٢٠ جنيها في السنة أما أصحاب الإيراد فلا يقل إيرادهم السنوي عن ٥٠٠ جنيها وبشرط أن يكون هذا الإيراد ثابتاً من سنتين سابقتين على الانتخاب .

ولقد كانت هذه الشروط كفيلة بأن تقصر عضوية مجالس النواب على

الأغنياء بصفه عامة لأن شرط ١٢٠ جنيه إيجاراً في السنة معناه أن يكون هناك شخص يستطيع دفع إيجار شهرى لسكنه قدره ١٢ جنيه في عام ١٩٢٢ . وأما شرط الثلاثين جنيهها ضريبة أطيان فمعناه أن يكون النائب يملك على الأقل خمسين أوستين فدانا .

حقيقة أنه عدل أخيراً عن شرط المال لعضوية مجلس النواب حتى بعد أن حاول حسين رشدى انتزاع موافقة بتقريره مدة الخمس سنوات الأولى على الأقل ، إلا أن المناقشة التي دارت حوله تثبت اتجاهات كبار الملاك حول هذا الحق الدستوري خاصة وأن هذا العدول لم يكن رفضاً لفكرة شرط المال بقدر ما كان ابتعاداً عن صعوبة التحرى بدقة عن الوضع المالى للمنتخب .

أما عضوية مجلس الشيوخ فقد قررت لجنة وضع المبادئ العامة أن تكون الضريبة التي يؤديها النائب ٣٠٠ جنيه سنوياً أو أن يكون إيراده في العام ١٠٠٠ جنيه^(١) . غير أن حسن عبد الرازق قال أن النسبة بين الضريبة والإيراد غير متوازنة لأن ضريبة ٣٠٠ جنيه سنوياً توازي إيراد ألفي جنيه لا ألف ومن ثم طالب بتخفيض الضريبة إلى مائة وخمسين جنيه فتقرر بالإجماع الموافقة على ذلك^(٢) . وهذا الشرط معناه قصر عضوية مجلس الشيوخ على من يملك مائة وخمسين فدانا كحد أدنى .

على أن إلغاء شرط المال من عضوية مجلس النواب وفرضه في عضوية مجلس الشيوخ ضمن — كما جاء في تقرير اللجنة العامة — تمثيل دافعي الضرائب والممولين تمثيلاً كافياً في مجلس الشيوخ فضلاً عن ضمان تمثيلهم بمجلس النواب لأنهم

(١) لجنة وضع المبادئ العامة ، الجلسة الثانية والثالثة في ٢٠ / ٤ ، ١٩٢٢/٤/٢١ .

(٢) نفسه ، جلسة (١٦) في ١٣ / ٥ / ١٩٢٢ .

« بطبيعة مركزهم ومالهم من النفوذ والجاه لابد أن يمثلوا الثقل الكافي في مجلس النواب » (١) .

ومع هذا فقد اشترط دفع مبلغ مائة وخمسين جنيها لمن يرشح نفسه لعضوية مجلس النواب . وعند مناقشة هذا الشرط اقترح بعض كبار الملاك تعديله ، فقد كان النص أن يدفع المرشح مائة جنية وخمسين جنيها لا ترد إلا إذا حصل المرشح على عشر أصوات الناخبين ، فاقترح أبو الفتوح سالم الفقى أن يكون المبلغ ثلثمائة جنيها وأن تكون الأصوات المطلوبة الخمس ($\frac{1}{3}$) فقط . كما اقترح عبد الستار الباسل وأحمد الاتربى أن يكون المبلغ مائتي جنيها ، ٢٠٪ من الأصوات . واقترح عبد العزيز العجيزى إعفاء حامل الشهادة العالية من دفع هذا المبلغ ، ولم توافق الأقلية على هذه الاقتراحات وانتصر رأى اللجنة وهو دفع المائة وخمسين جنيها (٢) .

وكان في هذا تحديد لعضوية مجلس النواب من طريق آخر فبلغ مائة وخمسين جنيها للترشيح فقط لم يكن يتوفر إلا في قدر محدود من الناس على أية حال .

وبعد أن انتهت اللجنة العامة للدستور من تحديد الشروط التي يجب أن تتوفر في عضو البرلمان ، وكانت في جانب أصحاب المصالح الزراعية ، كما رأينا ، انتقلت إلى مناقشة تحديد الدوائر الانتخابية ، وقد اقترحت لجنة وضع المبادئ العامة أن يكون الانتخاب فرديا بأن ينتخب عن كل دائرة انتخاب نائب واحد وتحدد الدائرة الانتخابية عن كل ٧٥٠٠٠ من السكان (٣) .

(١) اللجنة العامة ، ملحق رقم (١) .

(٢) مجلس النواب ، ١٩٢٤/٧/٢ .

(٣) لجنة وضع المبادئ العامة ، جلسة (٨) في ١٩٢٢/٤/٣٠ .

وفي مناقشة هذا التحديد طالب البعض بأن يكون الانتخاب بالقائمة لأن هذا يعطى فرصة أكثر للمعلمين والشخصيات العامة للفوز بعضوية البرلمان ، بينما أصرت الغالبية على أن يكون الانتخاب فردياً بواقع نائب واحد عن كل دائرة (٧٥٠٠٠ نسمة) . وقد رفض اقتراح بحمل النسبة لكل ٥٠ ألفاً مع أنه يعطى فرصه أكبر لتمثيل عدد كبير . فبينما نسبة الخمسة وسبعين ألفاً تعطى ١٨٠ نائباً فإن نسبة الخمسين ألفاً تعطى ٣٠٠ نائب عن أساس تعداد القطر آنذاك وهو حوالى خمسة عشر مليوناً^(١) .

ونعتقد أن قاعدة الانتخاب الفردى ونسبة الخمسة وسبعين ألفاً لكل دائرة مسؤولة إلى حد كبير عن هبوط مستوى مناقشات النواب وحصرها في حدود احتياجات الدائرة الضيقة من إصلاح طريق أو جسر أو شق مصرف مائى أو إصلاح « مية » جامع . . . إلخ . أما قاعدة انتخاب القائمة فكانت توفر ولا شك شخصيات عامة لا بد وأن تناقش موضوعات أشمل تاركة التفاصيل لمجالس المديريات ، ولقد انتصرت قاعدة الانتخاب الفردى حتى يكون للملاك (كل في بلده) وهو دائرته الانتخابية (فرصة عضوية المجلس ، وهكذا كان هذا النص في جانب أصحاب المصالح الزراعية .

ثم انتقلت اللجنة العامة للدستور لمناقشة مبدأ عدم جواز الترشيح إلا في المديرية أو المحافظة التي يكون اسم المرشح مقيداً فيها . ولقد أظهرت مناقشة هذا المبدأ تناقضاً بسيطاً بين أصحاب المصالح الزراعية ممن يقيمون في المدن وبين من يقيمون في الريف . فقد اقترح عبد اللطيف المكباتى — وهو مالك متغيب — وأيده البعض ، أن يكون الترشيح في أية دائرة من دوائر القطر « لأن الأكتفاء موجودن في المدن » ، إلا أن قلبنى فهمى — وهو مالك مقيم — وصف هذا الاقتراح بأنه « اعتماد على حق الغير » والغير هنا هم المقيمون في أقاليمهم أى الدوائر الانتخابية

(١) اللجنة العامة للدستور ، جلسة (٦) في ٦/٦/١٩٢٢ .

وقال : إن المتعلم يجب أن تكون له مصلحة في الجهة التي هو فيها والتي ينوب عنها
ليعرف احتياجات ورغبات أهلها (١) .

وواضح من هذه المناقشة أن المالك المقيم في المدينة والتنقيب عن قريته كان
لا يريد أن تضع عليه فرصة الترشيح في قريته وهو بعيد عنها ، وأخيراً تقرر بقاء
النص كما هو .

وكما رغب أصحاب المصالح الزراعية ألا تفوت عليهم فرصة الترشيح في دوائرهم
الاختيارية وهم بعيدين عنها ، فقد حاولوا أن تكون لهم أكثر من فرصة للفوز
بعضوية البرلمان . فقد وضعت لجنة المبادئ العامة نصاً بالألا يجوز للمرشح أن يرشح
للاختيار في أكثر من دائرة انتخابية ، إلا أن عبد اللطيف المكباتي وعلى
المنزلاوى ومحمد على علوبة طالبوا بأن لا يقصر الترشيح في دائرة واحدة وحببتهم
في هذا أن الشخص لا يعرف في أى دائرة تواتيه فرصة النجاح (٢) .

وإذا كان أصحاب المصالح الزراعية قد ضمنوا تمثيل مصالحهم في البرلمان من
خلال شروط الترشيح وشروط العضوية ، فقد أرادوا أيضاً أن تكون مجالس
المديريات تعبيراً عن مصالحهم ، ففي مناقشة مشروع قانون إنتخاب أعضاء مجالس
المديريات اقترح أحد كبار الملاك أن يكون عضو المجالس ممن يدفعون ضرائب
عقارية من ثلاث سنوات سابقة على الترشيح لا تقل عن ثلاثين جنيهاً أو مستحقاً
في وقف لا يقل ريع استحقاقه السنوى عن ٣٠٠ جنيهاً ، أو يملك محلاً تجارياً في
الدائرة التي يرشح نفسه فيها لا يقل رأسماله عن ٥٠٠٠ جنيه أو يتناول معاشاً سنوياً من
الحزنة العامة لا يقل عن ٣٠٠ جنيهاً مصرياً . كما اقترح أن يعفى من شرط النصاب
المالى أو الضريبة العقارية حملة الشهادات العليا الذين يمارسون أعمالاً حرة في

(١) اللجنة العامة للمشتور ، جلسة (٧) في ١٩٢٢/٦/٨ .

(٢) نفسه .

المديرية من ثلاث سنوات أيضاً قبل الانتخاب « حتى ينتخب المالكون الحقيقيون
لا من يصلون بواسطة عقود صورية (١) » .

وواضح من هذا مدى محاولة قصر عضوية المجلس على أصحاب المصالح
الاقتصادية بصفة عامة أو « عليّة القوم » لأنه حينما أعفى حملة الشهادات العالية من
شرط النصاب المالى اشترط أن يكونوا من أصحاب الأعمال الاقتصادية الحرة . وفي
ذلك قل مالك كبير أن إعفاء المتعلمين من النصاب المالى يمكن « حملة الشهادات
الارستقراطية من ترشيح أنفسهم لجميع دوائر المديرية وهم لا تهمهم مصالح الاراضى
أو الأملاك » ، ثم يقول أنه يجب « ونحن في بلد ديمقراطى ليس باشتراكي أو شيوعى
أن يكون عضو مجلس المديرية ، الذى يشرع لأهاليها ، من أصحاب الأملاك ومن
يدفعون الضرائب (٢) » .

وعندما عرض الأمر للتصويت وافق على إعفاء حملة الشهادات العليا من شرط
النصاب المالى المقرر لعضوية مجلس المديرية ٩٣ عضواً (٣) منهم ٢٢ مالكا كبيراً
أى بنسبة ٣٤ر٥٨٪ .

وعند مناقشة مشروع قانون آخر بترتيب مجالس المديريات وتحديد اختصاصاتها .
وضح حرص أصحاب المصالح الزراعية على إبراز شخصية مجالس المديرية كممثل ومعبّر
عن المصالح الاقتصادية للمديرية ولهم بالتالى . فمثلاً ذكرت المادة (٤٠) من هذا
المشروع أنه « بعد صدور المرسوم بالرسوم الإضافية من أى نوع كانت لا يكون
قرار مجلس المديرية نافذ المفعول فى تحفيضا أو تقصير أجل سريانها أو إلغائها
إلا بعد مصادقة مجلس الوزراء وصدور مرسوم آخر » .

ولقد فهم أصحاب المصالح أن فى هذا تحديداً لدور مجالس المديرية فقال على

(١) مجلس النواب ، ١٩٢٨/١/٤٠ ، أنظر أيضاً ص ٢١٧ من هذا البحث .

(٢) نفسه .

(٣) مجلس النواب ، ١٩٢٨/١/٩ .

المنزلاوى أن من حق أعضاء مجلس المديرية « بصفة كونهم نواباً عن الأمة في دائرة مديريتهم إلغاء أو تخفيض أى ضريبة دون الرجوع إلى مجلس الوزراء »^(١) .

والحقيقة أن الحكومة كسلطة مركزية احتفظت لنفسها بحق النظر في تقرير الأمور المالية لموازنة أمور الميزانية العامة للدولة ، فعلى حين تسمح لمجلس المديرية بأن يفرض ضرائب أيّاً كانت وتبرر هذا بالرغبة في توسيع سلطات مجالس المديرية . إذ بها تقيد هذه المجالس في إلغاء ضريبة فرضتها وبما يؤكد ذلك أن المادة (٣٧) من مشروع القانون أعطت لمجلس المديرية حق تقرير « رسوم إضافية لمدة معينة على ضرائب الأتبان للصرف منها على مشروعاته وقراره . في ذلك يكون قاطعاً ويصدر به مرسوماً مادام لا يتجاوز ١٠٪ من مجموع ضرائب الأتبان في المديرية . على أنه يجوز له زيادة الرسوم التي يقررها إلى ١٣٪ بشرط أن يصادق على الزيادة مجلس الوزراء ويصدر بها مرسوم » .

كما نصت المادة (٣٨) أيضاً على أن « للمجلس أن يقرر رسوم إضافية لمدة معينة أيضاً على كل ضريبة عامة أخرى مقررة في المديرية »^(٢) ،

وحين عرض مشروع على مجلس النواب بإلزام الحكومة بالطلبات التي يقدمها النواب أو عدم إلزامها وجدنا أن ١٢٥ نائباً وافقوا على عدم إلزام الحكومة بالطلبات التي يبدونها النواب وكان منهم ٤٩ نائباً من كبار الملاك أى بنسبة ٣٩٫٢٥٪ بينما رأى ٢١ نائباً أن الطلبات ملزمة للحكومة وكان منهم ١٣ نائباً من كبار الملاك أى بنسبة ٦١٫١٩٪^(٣) .

هكذا عمل أصحاب المصالح الزراعية على أن تكون السلطة التشريعية ممثلة

(١) نفسه ، ١١/١/١٩٣٣ .

(٢) مجلس النواب ، ١١/١/١٩٣٣ .

(٣) نفسه ، ١٧/٥/١٩٢٤ .

لمصالحهم بقدر الإمكان وكانت اهتماماتهم — وهذا شيء طبيعي — منصبة بالدرجة الأولى على حماية مصالحهم الاقتصادية والدفاع عنها كما سبقت الإشارة . بل إن بعض القضايا السياسية كانت تناقش من زاوية المصالح الخاصة ومدى تأثيرها وتأثيرها فيها فعلى سبيل المثال لا الحصر لم يكن يهمهم في تصريح فبراير ١٩٢٢ من يحكم السودان بقدر ما كان يهمهم تأمين مصادر مياه النيل (١) .

وعندما بدأت مفاوضات في يوليو ١٩٢٦ بين إنجلترا وإيطاليا بشأن الحبشة وقيل وقتذاك أن إنجلترا تنوى إقامة خزان على بحيرة تسانا ، أثير سؤال في مجلس النواب عما فعلته الحكومة إزاء تهديد أعلى النيل (٢) .

وحق عندما دعت الحكومة المصرية للاشتراك في المفاوضات الخاصة بإنشاء خزان تسانا أبدى بعض النواب تخوفاً من هذا المشروع على الاقتصاد المصرى من حيث تحميل الخزينة أعباء مالية جديدة فضلاً عن « أن المجازفة بالأموال المصرية في هذا المشروع سوف يترتب عليها ، لا محالة ، مزاحمة القطن السودانى للقطن المصرى والقضاء عليه في أسواق لا نكشير (٣) » .

وفي أزمة انخفاض أسعار القطن المصرى التى كان يتعرض لها المنتج أثيراً أكثر من مرة فتح أسواق روسيا كبديل لتحكم أسواق غرب أوربا « وعدم الاهتمام بالدعايات التى تقول بأن روسيا تجعل من التجارة ستاراً لنشر الشيوعية » (٤) ، هذا في وقت كأن النظام السياسى يحارب أى محاولات للاتصال بروسيا .

* * *

وإذا كان أصحاب المصالح الزراعيه قد حاولوا جاهدين أن تعبر السلطة التشريعية عن مصالحهم وأن تكون السلطة التنفيذية أدواتهم في حماية هذه المصالح ،

(1) V. Wavell, Allondy in Egypt. P 86

(٢) مجلس النواب ، ١٩٢٦/٧/٦ .

(٣) نفسه ١٩٣٣/١/١٨ .

(٤) نفسه ، ١٩٣٠/٤/٣ .

فلقد عملوا أيضاً على ألا يحتفظ الملك بسلطات مطلقة يكون من شأنها تقييد حريتهم فيما يهدفوا إليه من تقرير أمور في صالحهم قد تتعارض مع رغبات الملك بطريقة أو بأخرى .

وتبدو رغبتهم في تحديد سلطة الملك وتحديد علاقته بالسلطة التشريعية والتنفيذية من خلال مناقشة المبادئ العامة للدستور المتعلقة بمبدأ سيادة الأمة وسلطة الملك أو ما كان يسمى بحقوق العرش .

فعندما اقترح في لجنة وضع المبادئ العامة أن يكون شكل الحكومة « ملكية دستورية وراثية في أسرة محمد علي » أثار المكباتي مسألة أن السيادة كلها لا بد وأن تكون للأمة ولما سأله رئيس اللجنة عن النتائج التطبيقية لذلك « لأننا متفقون على مبدأ سيادة الأمة » قال المكباتي « أن يكون للهيئة النيابية عن الأمة حق النظر في كل شيء ما خلا مرسومي العرش والوراثية » . وأيده في ذلك عبد العزيز فهمي وأضاف « أن حصر الوراثة في أسرة محمد علي وبقاء الحكومة ملكية لها أمران لا يكون للأمة أن تغير شيئاً منها^(١) » . ثم أوضح المكباتي وجهة نظره مرة أخرى في مناقشات اللجنة العامة حول هذا المبدأ حيث تبين أن إصراره على مبدأ سيادة الأمة مبنى على اعتبار ألا يصبح الدستور منحه من الملك بل مستمداً من الأمة التي لها الحق في أن تضع دستورها وتقرر مصيرها بنفسها^(٢) .

وعندما اقترحت لجنة وضع المبادئ العامة أن الملك يحكم مع وزرائه وبواسطتهم عارض عبد العزيز فهمي وأيده آخرون وقال أن هذا النص يبطل قيمة الدستور ويجعل الوزراء آلة في يد الملك وأن الأفضل أن يظل الملك بعيداً عن مباشرة أعمال الحكومة وأن يكون فوق الأحزاب يملك ولا يحكم . ولهذا اقترح حذف كلمة « مع » وقد وافقه رئيس اللجنة على ذلك لكنه قال أن ليس هناك ما يمنع حضور

(١) لجنة وضع المبادئ العامة ، جلسة (١) في ١٩/٤/١٩٢٢ .

(٢) اللجنة العامة ، جلسة (٥) في ٤/٦/١٩٢٢ .

الملك إذا تراسى له ، جلسات مجلس الوزراء وخاصة في المسائل الهامة ، إلا أن المسكياتى اعترض على ذلك وقال أن وجود الملك في مجلس الوزراء له تأثيره في كل الأحوال ومن ثم طالب ألا يحضر المجلس أصلاً . ومع هذا انتهت المناقشة بالتمسك بالقرار السابق بعد تعديله إلى أن الملك يحكم بواسطة وزرائه^(١) .

وكما اعترض على أن الملك يحكم مع وزرائه وبواسطتهم اعترض أيضاً على النص « بأن السلطة التشريعية يشترك فيها الملك والبرلمان فلا يصدر قانون إلا إذا أقره البرلمان وصدق عليه الملك ، وقال المسكياتى أن إعطاء هذا الحق للملك يعنى إعطاءه حق تعطيل القانون سنة مثلاً وحق حل المجلس إذا أصر على القانون . ومن ثم طالب بأن تحصر السلطة التشريعية في البرلمان فقط ويكون للملك حق التوقيع على القوانين وأضاف على ما هو إلى ذلك ، أن الملك يلزم بالتصديق على ما يقرره البرلمان . ثم أوضح عبد العزيز فهمى خشيته من نتائج هذه القاعدة وما يمكن أن تؤدي إليه من جواز عدم التصديق وما يترتب على امتناع الملك عن التصديق . ومع هذا تقرر بالأغلبية بقاء النص كما هو^(٢) .

ولعل أبرز المناقشات التي دارت حول سيادة الأمة وسلطة الملك كانت حول مشروع القرار رقم (٥١) الذي كان ينص على أن « كل مشروع قانون رفضه البرلمان نهائياً أو لم يصدق عليه الملك ولم يردده للبرلمان لإعادة النظر فيه فلا يجوز أن ينظره مرة ثانية في دور الانعقاد نفسه فإذا تجدد القانون الذي لم يصدق عليه الملك في دور انعقاد آخر ، فأما أن يصدق الملك على القانون أو يحل المجلس . . . »

(١) لجنة وضع المبادئ العامة ، جلسة (١١) في ١٩٢٢/٥/٥ ، جلسة (١٣) في ١٩٢٢/٥/٧ .

(٢) اللجنة العامة للدستور ، حاسة (٥) في ١٩٢٢/٦/٤ .

وقد استغرقت مناقشة مشروع هذا القرار أربع جلسات متتالية^(١) ، دارت كلها حول تحديد سلطة الملك في هذا المجال . فقد اقترح المكباتى حذف عبارة « أو لم يصدق عليه الملك » وأن يكون حق الملك مقصوراً على أن يقبل أو يرفض ، فإن رفض يحل المجلس ويترك للمجلس الجديد إبداء الرأى فيما اختلف حوله . وقال على ماهر أن هذا القرار وسيلة لهدم مبدأ سلطة الأمة وتنظيم للاستبداد . وأيده محمد على علوبة بقوله أن أغلب الدساتير تقدر رأى الهيئة النيابية وللتقليل من حدة سلطانها وضمت بجانبها مجلساً من الشيوخ ، ولكن لا يجوز أن يبالغ في هذا لدرجة أن يرفض الملك رأى أتفق عليه المجلسان . وحينما قال أنصار المشروع أن ما يريد تقريره المعارضون هو من قواعد النظام الجمهورى أجاب المكباتى أن المحافظة على سلطة الأمة لا تعنى المطالبة بالنظام الجمهورى . . وإذا كانت التطورات الحديثة أصبحت في صالح النظام الجمهورى إلا أنه يجب المحافظة على النظام الملكى « لأنه الوحيد الذى يلائم طباعنا وعوائدنا » .

وبعد مناقشات طويلة اشترك فيها أغلب الأعضاء اتفق على المشروع الذى قدمه توفيق دوس وينص على أن « كل مشروع قانون أقره البرلمان ولم يصدق عليه الملك يرد للبرلمان فى بحر شهر مشفوعاً بالأسباب التى أدت إلى عدم التصديق . فإذا أقره البرلمان ثانية بموافقة ثلثى أعضاء كل من المجلسين وجب إنفاذه ، وإذا لم يرد للبرلمان فى بحر شهر اعتبر هذا مصادقة من الملك عليه ووجب إنفاذه . أما إذا رد إلى البرلمان وحاز أغلبية عادية ولكنها أقل من الثلثين تأجل نظر القانون إلى دور انعقاد آخر ، فإذا أقره البرلمان بأغلبية عادية نفذ القانون » . ولا شك أن فى هذا تخفيف من سلطة الملك التى كانت له فى المشرع الأسمى وإعطاء فرصة أكثر لأصحاب المصالح .

(١) نفسه ، الجلسات (١٠) ، (١١) ، (١٢) ، (١٣) فى ٦/١٥ ،

٦/١٩ ، ٦/٢٠ ، ٦/٢١ ، ١٩٢٢ .

واستمراراً في محاولة تحديد سلطة القصر ، أعترض على أن يكون د الأمراء ، من بين العناصر التي يختار منها أعضاء مجلس الشيوخ وقال المكباتي أننا في بلاد شرقية يتأثر فيها الناس بالألقاب ووجود الأمراء في مجلس الشيوخ وفي غيره له تأثير على النفوس ، وعندما قال رئيس اللجنة « أن الأمراء ملتزمون ديموقراطية » وقال آخر أن حرمانهم من دخول المجلس بدعوى أنهم أمراء لا يمنع دخولهم بوصفهم كبار ملاك ، قال المكباتي أنه يرفض دخولهم لمجلس الشيوخ من أى طريق لاتصالهم بالعرش وأن الأسباب التي تمنع دخولهم الوزارة تقضى أيضاً بمنعهم من عضوية المجالس التشريعية (١) .

وقد أثار المكباتي وجهة نظره مرة أخرى في خطورة تمثيل الأمراء في مجلس الشيوخ وذلك عند إعادة مناقشة الموضوع في اللجنة العامة . وقد أيدته في ذلك قليني فهمي وآخرون وانتهى الأمر ببقاء النص على أصله متضمناً الأمراء (٢) .

ويبدو أن عبد اللطيف المكباتي كان خير معبر عن أصحاب الصالح الجدد ومحاولة إبراز شخصيتهم وكيانهم عن طريق معارضة أى نص يعطى ، بطريقة أو بأخرى ، سلطة للملك فوق سلطة البرلمان . فقياً يتعلق بتعيين رئيس مجلس الشيوخ نص مشروع القرار على أن « يرشح مجلس الشيوخ ثلاثة من أعضائه تعرض أسماؤهم على الملك لينتخب منهم رئيساً لمجلس ويعين لهذا المجلس وكيلان بطريقة الانتخاب » ، اعترض المكباتي وقال أف انتخاب رئيس المجلس يجب أن يتم بمعرفة الأعضاء لأن اختيار واحد من ثلاثة مرشحين لا يخرج عن كونه تعييناً . ورغم هذه الملاحظة الدقيقة والهامية التي أبداهها المكباتي والتي

(١) لجنة وضع المبادئ العامة ، جلسة (٢) في ١٩٢٢/٤/٢٠ ، جلسة (٣) في ١٩٢٢/٤/٢١ .

(٢) اللجنة العامة للدستور ، جلسة (٨) في ١٩٢٢/٦/١٢ .

تعرض لفكرة الولاء في أخص خصائصها ، فقد تقرر بالأغلبية الموافقة على النص الأصلي (١) .

وعشيا مع تلك الفكرة اعترض المكباتى على الاقتراح الذى قدمه رئيس اللجنة بألا يجوز للبرلمان التدخل أو التمرض لمخصصات الملك والبيت المالك ، وطالب بأن ينظر البرلمان فى كل شىء وفى تقرير المبالغ المقررة للبيت المالك فيما عدا الديون العمومية وما كان نتيجة لاتفاقات دولية . ثم اتفق أخيراً بالأغلبية على أن يوضع نص يحدد مخصصات الملك والبيت المالك مع جواز زيادتها بقرار من البرلمان (٢) .

وكذلك اعترض المكباتى مع محمد على علوبة على إعطاء الملك حق حل مجلس النواب إلا بعد أخذ رأى مجلس الشيوخ ، وكان مشروع القرار ينص على أن للملك حق حل مجلس النواب وتأجيل انعقاد البرلمان . وقد اعترض حسين رشدى بقوة على تقييد حق الملك فى هذا الأمر وانتهت المناقشة باقرار المسد كما هو (٣) .

ولقد وضع من مناقشات لجنة المبادئ العامة واللجنة العامة للدستور حول تكليف سلطة الملك وسيادة الأمة وجود فريقين — كلاهما من كبار الملاك — فريق يؤيد ويدافع عماسمى بحقوق العرش يتمثل فى رئيس اللجنة حسين رشدى وتفرق ليل مثل عبد الحميد بدوى وعبد الحميد مصطفى . وفريق آخر يدافع عن سلطة الأمة وسيادتها وتمثل فى عبد اللطيف المكباتى ومحمد على علوبة وعلى المنزلاوى وعبد العزيز فهمى وتوفيق دوس وعلى ماهر .

ولقد برر محمد حسين هيكل موقف رشدى هذا بأن ما تضعه اللجنة لاي زيد

(١) اللجنة العامة للدستور ، جلسة (٩) فى ١٣/٦/١٩٢٢ .

(٢) لجنة وضع المبادئ العامة ، جلسة (٧) فى ٢٨/٤/١٩٢٢ .

(٣) اللجنة العامة للدستور ، جلسة (١٥) فى ١٠/٨/١٩٢٢ .

عن كونه مشروعا للدستور يجب أن يوقعه الملك لإمكان تنفيذه . فإذا سلب هذا المشروع من الملك كل سلطة تعرض المشروع برمته للتعديل من أساسه مرة أخرى، أما إذا روعيت بعض الاعتبارات التي ترضى الملك وتقرر في الوقت نفسه الحقوق الأساسية للأفراد ولمثلئ الأمة فأغلب الظن إلا تقوم في سبيل أجازة المشروع عقبة من العقبات^(١) .

وما ساقه هيكل مجرد تبرير من وجهة نظره ، وعند مناقشة هذا الموقف يجب أن تتم في ضوء الظروف الموضوعية القائمة آنذاك من حيث وجود العناصر التركية في الحياة السياسية المصرية ، وعلبية النظام الملكي القائم على الحكم المطلق . فحين رشدى طبوزاد ، من العناصر التركية التي دافعت عن مبدأ دخول الأمراء ، وهم اترك لمجالس الشيوخ وعرف الوزير بأنه مصرى حتى يتمتع الاتراك بعضوية مجالس الوزراء في حين أن المكباتى اعترض على ذلك وطالب بالنص على أن الوزير « ينبغي أن يكون مولودا مصرياً »^(٢) .

هذا إلى أن الملك فؤاد الذى نشأ وسط تقاليد الاستبداد والذى كان يحتفظ بكتاب « الأمير » لمكيا فيلى كانت كل فكرة أن يمنح الدستور للمصريين ومحكم الملك من خلال وزراء تابعين يختارهم بنفسه ولهذا أبدى تخوفه من مناقشات اللجنة العامة للدستور التي تحاول تقييد سلطاته وقال لأحد خلصائه عن قلقه بشأن نصوص الدستور ، أنه إذا أريد أن يكون هذا الدستور دستور بلشفياء فسوف أطلب كل السلطات والميزات التي يستمتع بها لينين ، وحينما إجابة محدثه بأنه دستور ديمقراطى وليس بلشفياء ، قال إذن سأطلب كل سلطات وميزات رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وحينما قيل له أن رئيس الولايات المتحدة ينتخب جماهيريا ولمدة معينة

(١) محمد حسين هيكل ، المصدر السابق . ص ١٣٧ .

(٢) لجنة وضع المبادئ العامة ، جلسة (٨) في ٢٩/٤/١٩٢٢ ، اللجنة العامة للدستور، جلسة (١٥) في ١٠/٨/١٩٢٢ .

رفض الأصناء لهذه الملاحظة (١) .

لهذه الاعتبارات وضعت الدستور لجنة معينة وليست جمعية وطنية منتخبة كما طالب سعد زغلول ، وبرر عبد الحالق ثروت هذا بأن إيطاليا واليابان والنمسا والبرتغال لم تضع دساتيرها جمعيات وطنية وإنما صدرت من ملوكها ، وأما البلاد التي وضعت دساتيرها جمعيات وطنية فكانت بسبب ظروفها الاستثنائية الخاصة كالثورة وزوال السلطة الشرعية فيها وهذا ما لم يحدث في مصر بل على العكس من ذلك فقد جرى الأمر في مصر على أن تصدر القوانين من ولي الأمر وحده سواء أكان ذلك في إنشاء مجلس الوزراء وهو أول لبنه في النظام الديموقراطي أو فيما تلا ذلك من نظم نيابية (٢) حتى بذلك أن توصف لجنة الدستور بلجنة الأشقياء .

الحقيقة أن كبار الملاك أو أصحاب المصالح الزراعية لم يكونوا سواء في علاقتهم بالقصر فالبعض كان يمتنع تحديد دوره كما رأينا والبعض كان القصر يعتبره ركائزه في الدفاع عن مصالحه . فالسلطان حسين كامل مثلاً كان يكثر من منح رتب الباشوية والبيكوية للأعيان كوسيلة لضمان إخلاصهم وولائهم للنظام القائم (٣) .

كما كان للقصر من البداية أعوان دفع بهم إلى انتخابات الجمعية التشريعية مثل عبد الله سيد أباطة ، وعبد اللطيف الصوفاني وعبد السلام العلايلي ، وأحمد باشا أبو الفتوح ، محمود باشا الاتربي ، محمد السيد أبو علي ، محمد عثمان باشا ، محمد باشا يكن (٤) .

(1) V. Wavell. op. Cit, P 92 — 93.

(٢) عبد العزيز فهمي ، هذه جيتاني . ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(٣) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ج ١ ص ٣٠ .

(4) F. O, 371 — 1964 — 15252

ولما أصبح واضحاً أن سعد زغلول سيشكل الوزارة بعد انتخابات ١٩٢٤، احتاج الملك فؤاد إلى معارضة قوية يستند إليها ولهذا فكر في أن تتكون هذه المعارضة من عناصر كبار الملاك الذين يكونون نواة لحزب سياسى يسمى حزب الملك (١) وهذا ما وضع فيما بعد في تشكيل حزب الاتحاد في مطلع عام ١٩٢٥ .

أن محاولة أصحاب المصالح الزراعية المحافظة على سيادة الأمة بتحديد دور القصر وتقييد سلطاته وتحديد علاقته بالسلطة التشريعية والتنفيذية هو محاولة لحماية مصالحهم في الوقت نفسه ، فالأمة التي يحافظون عليها هنا مفهوم لبيرالى برجوازي يمر عن أصحاب المصالح أى أصحاب وسائل الإنتاج زراعية كانت أو صناعية أو تجارية . وهذا اعتقاد يتفق والتطور الذى شهده المجتمع المصرى ، فحق الملكية الفردية للأرض الزراعية الذى كان قد أستقر في أخريات القرن التاسع عشر لم يكن يكتمل إلا بحمايته الحماية الدستورية والقانونية اللازمة هو ومن يتمتع به بطبيعة الحال وما يترتب عليه من نتائج مختلفة ، ومن هنا كانت محاولتهم وضع الدستور (١٩٢٣) مع المحافظة في نفس الوقت على النظام الملكى لأن الأسرة المالكة من أكبر ملاك الاراضى الزراعية ، ومن ناحية أخرى فإن النظام الملكى أقرب من النظام الجمهورى ومن غيره إلى المحافظة على الملكيات الفردية . ولهذا فمن الصعب ، أن لم يكن من الخطأ ، مناقشة معارك الرأى في دستور ١٩٢٣ على أنها مجرد تيارات فكرية متصارعة فقط دون ربطها بهذا الموضع الاقتصادى الجديد الذى أفرز مجموعة من كبار الملاك المحليين الذين أرادوا أن يثبتوا أقدامهم في الحياة الاجتماعية بتأييد وحماية المؤسسات الدستورية .

* * *

أما علاقة كبار الملاك بالإنجليز وهم القوة السياسية الأخرى بعد القصر ،

(1) V. Wavell, op. Cit, P 102.

فقد كانت علاقة مزدوجة ، فمن ناحية كانوا يميلون أكثر من غيرهم إلى تأييد الاحتلال البريطاني الذي اعتبرهم عمدا الحياة في الأقاليم ، فقد كانت خطة كرومر استمالة الأسرة الكبيرة وتعيين أفرادها في الإدارات الحكومية العامة (١) ، ومن ناحية أخرى كانوا يودون استعادة سلطتهم في الأقاليم الذي قيده الإدارة البريطانية إلى حد كبير ، ومن ثم كانوا في طليعة الحركة الوطنية ضد الإنجليز رغم ارتباطهم بهم اقتصاديا وسياسيا (٢) .

فمن الناحية الاقتصادية كانت السوق البريطانية مصدراً رئيسياً لتصريف محصول القطن ، وكما رأينا ، كان تصريف القطن مشكلة حيوية أرقت بالمنتجين ، حتى لقد كان البعض ينادى في أوقات استحكام الالتزامات بتأليف الوفود ومقابلة المعتمد البريطاني (٣) .

هذا بالإضافة إلى ارتباط كبار الملاك بالرأسمالية الأجنبية العالمية والاحتلال الإنجليزي جزء منها — فيما يتعلق بالاعتماد على البنوك العقارية الأجنبية في الحصول على القروض اللازمة لتمويل الزراعة أو شراء الأرض كما سبقت الإشارة فضلا عن أن بعضاً منهم درج على إيداع جزء من فائض أموالهم في هذه البنوك الأجنبية .

والواقع أنه لا يمكن القول بأن كبار الملاك كانوا جميعاً وبدرجة واحدة أكثر ميلاً للإنجليز من غيرهم ولكن من الثابت أن بعضاً منهم كان يشعر بأهمية الوجود الإنجليزي في حماية مصالحهم . كما كان الإنجليز من ناحية أخرى يعتمدون على البعض في دعم سياساتهم . . . فقد كان لهم أنصار ومؤيدون في إنتخابات الجمعية التشريعية أمثال عيد الخالق المذكور الذي كان صديقاً للخديوي عباس وللإنجليز في نفس

(١) السياسة الأسبوعية ، ٢٦/٣/١٩٢٧ . (سلسلة مقالات بعنوان في المرأة

بدون توقيع) .

(2) Charless Issawi, op. Cit., P 34.

(٣) المقطم ، ١/٦/١٩٢١ .

الوقت، والشيخ عبد الرحيم الدمرداش ، وأحمد باشا محمود ، الذى كان معارضاً شديداً للقصر ومحمد شريمى باشا^(١) .

كما كان قلىفى فهمى داعية كبيراً لتمجيد ساسة الاحتلال الانجليز ، فقد قال عن كرومر « مصلح مصر العظيم والعالم الشهير والمفكر الكبير ، الذى نشر لواء العدل والحرية والمساواة فى البلاد ، والذى قضى على عهد الظلم والاستبداد القديم ووضع أساس الحرية الشخصية فى البلاد المصرية »^(٢) . كما قال عن جورست أنه اراد أن يتوسع أكثر من سلفه فى اطلاق الحرية الفردية فكانت له حسنات طيبات وأعمال مجيدة ومساعى عظيمة فى خدمة البلاد وبث روح التنأزر بين العناصر المصرية^(٣) . كما أنه طالب بتخليد ذكرى اللورد كتشز واستخدام الأموال التى جمعت لذلك الغرض وهى ٢٥٠ ألف جنيهه — كما يذكر — فى إنشاء بنك يسمى « بنك كتشز للنقابات الزراعية »^(٤) .

هذا إلى أن بعضاً من كبار الملاك هؤلاء كانوا يسكترون من دعوة رجال السياسة الانجليز إلى إقالجهم وإقامة حفلات التكريم لهم كما حدث فى استضافة أعيان النيا — وعلى رأسهم قلىفى فهمى — للمندوب السامى فى مايو ١٩٢٧ ، وكانوا يبررون هذا بأنهم إنما ينفذون ما جاء فى خطاب العرش فى نوفمبر ١٩٢٦ والذى كان قد أشار إلى أن حسن التفاهم بين الأمة المصرية والأمة الانجليزية هو من مصلحة البلاد^(٥) .

ومنها أيضاً حفل التكريم الذى أقامة محمد الشريمى باشا وصالح الموم للسير

(1) F. o, 371 — 1964 — 15252.

(٢) المقطم ، ٢٧/٦/١٩١٦ .

(٣) نفسه .

(٤) المقطم ، ١٣/١٢/١٩١٦ .

(٥) نفسه ، ٢٩/٥/١٩٢٧ .

جورج لويد بفندق السكوتنتال (١) .

ويندكر محمد زكى عبد القادر أن صالح الموم اتصل به تليفونياً من مغارة وسأله وهو مضطرب عما إذا كان جورج لويد المندوب السامى سينخلع من منصبه فلما أجابه بأنه — أى المندوب السامى — باق أظهر الموم ارتياحه وقال له : الله يسترك . . أهو الرجل ساندنا ، (٢) .

تلك هى علاقة كبار الملاك بالإنجليز ، وهى علاقة كما لا حظنا مزدوجة وفى نفس الوقت لم تكن تعبر عن جميع كبار الملاك ، وكما كانت نظرهم إلى القصر متفاوتة وليست على درجة واحدة كانت أيضاً نظرهم إلى الإنجليز بحيث يصعب فى النهاية العثور على موقف واحد محدد يجمع كبار الملاك تجاه القصر أو الإنجليز .

* * *

بعد أن تناولنا الوجود السياسى لكبار الملاك فى السلطين التشرىعية والتنفيذية بمختلف صورهما وأشكالهما ، وعلاقاتهم بالقوى السياسية القائمة من الإنجليز إلى القصر إلى الاحزاب والتجمعات السياسية الأخرى ، ننتقل إلى التعرف على دور كبار الملاك فى الحركة الوطنية المصرية خلال الفترة .

على أننا قبل أن نتلمس دور كبار الملاك فى الحركة الوطنية ينبغى أن نتعرف فى إيجاز على الظروف الموضوعية التى جمعت كبار الملاك يتصدون لقيادة الحركة الوطنية فى ١٩١٩ . .

لقد انتهى التطور الاقتصادى الذى مر به المجتمع المصرى إلى نمو الملاكيات

(١) محمد حسين هيكل ، المصدر السابق . ص ٢٤٦ .

(٢) محمد زكى عبد القادر ، المصدر السابق . ص ٢٣٧ .

الزراعية الكبيرة اتقأ ألف أصحابها مجموعة أصحاب المصالح الزراعية اقتصاديا وسياسيا بطبيعة الحال . وفي نفس الوقت تنضال حجم الطوائف الحرفية المختلفة ولقي كان من الممكن أن تتطور رأسماليا تاركة هذا المجال للرأسمالية الأجنبية العالمية التي حولت جانباً من استثماراتها إلى مصر . يضاف إلى هذا اعتماد الاقتصاد المصري على الزراعة وبصفة خاصة على القطن وتشجيع السياسة الانجليزية لأصحاب المصالح الزراعية منذ البداية ، فهم أصدقاء أصحاب الجلايب الزرقاء ، وهم الذين رأوا في كبار الملاك عمدة الحياة الريفية فمنهم كان يتشكل مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ثم الجمعية التشريعية ومجالس المديريات . وهم الذين كان كرومر قد أطلق عليهم « الجيرونديين » نسبة إلى المعتدلين في الثورة الفرنسية (١) .

ومع أن الرأسمالية المصرية التجارية الصناعية الناشئة صادفت بعض الانتعاش بسبب وظروف الحرب حتى لقد تألفت لجنة التجارة والصناعة في عام ١٩١٦ لتوجيه الاستثمارات والإشراف عليها وحمايتها ، إلا أنها كانت أضعف من أن تنفرد بقيادة الحركة الوطنية بسبب سيطرة الأجانب على الجزء الأكبر من النشاط الاقتصادي مما أتاح الفرصة أخيراً لكبار الملاك الزراعيين للانفراد بقيادة الثورة (٢) .

وقد يبدو وغريباً أن كبار الملاك الزراعيين الذين ساندتهم الاحتلال يشيرون على الإنجليز بل يتصدرون قيادة الثورة ضدهم ، ولا بد أن هناك اعتبارات موضوعية دفعتهم إلى ذلك ، فلقد انتهت الحرب العالمية الأولى بظهور مجموعة من الأغنياء الجدد الذين عملوا بالاشتراك مع مجموعات المهنيين الأغنياء على كسر

(١) محمد أنيس ، السيد رجب حراز ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصولها التاريخية . ص ١١٣ .

(٢) نقس ، ص ١١٦ .

يسكن ، زايد جلال ، عثمان سقيت^(١) وأسرة المصرى السعدى ، وحمد الباسل ،
ونجيب ويوسف وواصف غالى ، الفريد شماس ، مصطفى وإبراهيم إسماعيل أبو
رحاب ، يوسف نحاس ، وحسين رشدى ، على شعراوى ، وقلبي فهمى ، مصطفى
عمرو ، حيث يلاحظ أن الجزء الأكبر من الديون كان فى سنوات ١٩١٤، ١٩١٥،
١٩١٦، ١٩١٧^(١) .

يضاف إلى هذا أن أصحاب المصالح الزراعية ضاقوا كثيراً بتحديد الحكومة
لمساحة القطن بثلاث الزمام المزروع خلال الحرب ومنع زراعته بالوجه القبلى وهو
التحديد الذى فرضته الحكومة لىكى توفر مساحات لزراعة الجبوب التى كان
استيرادها قد توقف بسبب ظروف الحرب ، وكانت وجهة نظر المزارعين فى هذا
التحديد أن فرصة الربح من زراعة القطن أعلى من زراعة الجبوب خاصة
وأن أسعار الجبوب تخضع لتعريف محددة فضلا عن أنه لا يستطيع تصديرها
إلا بعد تغطية السوق المحلية وهذا أمر مستبعد ، ومن هنا تصبح المقارنة فى
نظرة عقيمة بين الربح الناتج من زراعة القطن والقرامة الناتجة من مخالفة تحديد
المساحة^(٢) .

هذا إلى جانب شعور المزارعين بأن السياسة الانجليزية حالت بينهم وبين
الحصول على فوائد عالية من محصول القطن خلال الحرب ، فعندما اشتتات نيران

(1) F. o, 371 — 1964 — 15252

(٢) مكلفات أطيان مركز معاغة بالمنيا (المدة من ١٩١٢ — ١٩٢٦) ،
مركز الفيوم المدة من ١٩٠٧ — ١٩٢٠ ، ومركز الجيزة المدة من ١٩٠٦ —
١٩١٩ ، مركز بنى سويف المدة من ١٩١٢ — ١٩٢١ . مركز أسيوط المدة من
١٩١١ — ١٩٢٣ . مركز فاقوس المدة من ١٩٠٩ — ١٩٢٤ .
(دار المحفوظات المصرية) .

(3) Lord Lloyd, Egypt since Cromer, Vol. I. P 244. Charless
issawi, op. Cit., 38

الحاجز الاجتماعى الذى تقف خلفه الارستقراطية التركية بهدف توسيع قاعدة النمو والانطلاق لكبار الملاك ومن على شا كلتهم تحت راية الوطنية ومن هنا نشأت جبهة وطنية سياسية من كبار الملاك والمهنيين ورجال الاعمال « الوجهاء » الذين اتفقوا على المطالبة بالإستقلال برغم ما بينهم من تناقضات ثانوية نشأت من عوامل المنافسة الطبيعية بينهم على الثروة والجاه وفى الوقت نفسه نشأت جبهة اقتصادية واحدة من نفس هذه الأطراف هدفها المحافظة على حجم الثروة القومية فى أيديهم رغم التفاوت الواضح فى توزيع الثروة بينهم وبين سائر فئات الشعب الأخرى (١) .

وتمت عوامل اقتصادية ساهمت فى اشتراك أصحاب المصالح الزراعية فى ثورة ١٩١٩ تأتى فى مقدمتها الديون العقارية التى عرضت أراضيهم أكثر من مرة لخطر البيع الجبرى فى المزادات ، وتشير الاحصائيات إلى أن ثمن العقارات التى رست بالمزاد على البنوك العقارية فى نهاية عام ١٩١٦ كانت كما يلى :

٢٥١.١٣٤ جنية ثمن ٤٢ عمارة ، ١١٤٥٧ فدان رسا مزادها على البنك العقارى المصرى .

٦٨.٢٠٧ جنية ثمن عمارتان ، ٣٨١٦ فدان رسا مزادها على البنك الأراضى المصرى .

١٥٩.١٦٩ جنية ثمن أراضى وعمارات لشركة الرهن العقارى (٢) .

وهذه البنوك الثلاثة هى أشهر البنوك العقارية ولم تكن وحدها فى الميدان كما سميت الإشارة . ويلاحظ أن المدينين لم يكونوا من صغار الملاك فقط بل كانوا أيضاً من كبار الملاك نذكر منهم على سبيل المثال : عدلى يكن ، عبد اللطيف الصوفانى ، عبد المجيد سلطان ، على المنزلاوى ، محمد شريعى ، محمد

(1) John Marlowe, Anglo — Egyptian Releations 1800 — 1953, p 258.

(٢) خليل حسن خليل ، المصدر السابق . ص ٣٦٥ .

الحرب كان محصول القطن قد تم جنيه وبدأ عرضه للبيع ، غير أن الأسعار هبطت هبوطا ملحوظا حتى وصل سعر القنطار إلى عشرة ريالات وامتنعت البنوك عن التسليف وصار مركز المزارع دقيقا للغاية . وخشية استمرار هبوط الأسعار قررت لجنة بورصة البضائع في الإسكندرية في ١٦ أغسطس ١٩١٤ تصفية عقود القطن بسعر $\frac{3}{8}$ ١٥ ريالا ، غير أن المستشار المالي الإنجليزي — وكان خارج مصر — ألغى بعد عودته هذا القرار في ٣ ديسمبر ١٩١٤ لأن تجار الصادرات — من وجهة نظره — قد يتعرضون لخسائر كبيرة لأرتباط معظمهم بتمهيدات لتجار بورصة ليفربول بسبب هذه التصفية الإجبارية ، واقترح وقفها أن تقوم الحكومة بشراء مليوني قنطار بسعر ١٥ ريال وتحتفظ بهما إلى أن تتحسن الأسعار ، على أن تصدر الحكومة سندات مالية بواسطة البنك الأهلي ليكون تداولها إجباريا بين الأهالي لضمان تمويل هذه المسألة الا أن المستشار عاد مرة أخرى وعارض في هذا بعد أن كان مجلس الوزراء قد وافق على شراء المليونين من القناطير بحجة أن هذا التدبير لا يروق لانكشير (١) .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أن السياسة الإنجليزية وضعت القيود أمام المنتجين لتصدير أقطانهم لا إلى بلدان « الأعداء » بل إلى بلدان الحلفاء أنفسهم ثم قيام الحكومة البريطانية بشراء جميع محصول بذرة عام ١٩١٧ بسعر أقل من قيمته وإلغاء رخص التصدير كلها وحصرها في عدد قليل من بيوت التصدير ، بالإضافة إلى أن الحكومة الإنجليزية أعلنت في ١٢ مارس ١٩١٨ أنها سوف تشتري محصول القطن كله (عام ١٩١٧) بسعر ٤٢ ريالا للقنطار الفولى جود فير سكلاريدس بينما ثمنه الحقيقي إذ ذاك يتراوح بين ٥٠ ، ٦٠ ريالا . وكان في إذاعة نبأ الشراء في ١٢ مارس ١٩١٨ مع أنه لم يكن ليتم إلا في أغسطس التالى أثر كبير في الاخلال بموازنة السوق وشل حركة الأعمال وهبوط أسعار العقود في الإسكندرية إلى ما دون ٤٢ ريالا بينما كانت في ليفربول ٦٠ ريالا (٢) .

(١) يوسف نجاس ، المصدر السابق . ص ٦ .

(٢) يوسف نجاس ، المصدر السابق . ص ١٠ .

ولقد كان في تحديد هذا السعر إجحاف شديد بالتعجين لم يراع فيه نقص المساحة المزروعة ($\frac{1}{4}$) ولا ارتفاع أثمان الآلات الزراعية والوقود أو انتشار الحشرات الطفيلية ولا قلة المواشى وغلاؤها حتى لقد أحتج سمد زغلول على هذا القرار لدى ريحنا لد ونجت فور صدوره (١) .

وبالإضافة إلى ذلك فلقد تعرض المزارعين كبارهم وصغارهم على السواء لبعض مضايقات من السلطات الإنجليزية خلال الحرب إذ كانت قد فرضت عليهم تقديم كميات معينة من الحبوب والتبن والمواشى ، فأذعن البعض واحتج البعض وسوف البعض الآخر (٢) .

كما أن السلطات الإنجليزية كانت تقوم بجمع « الأنفار » للخدمة العسكرية تحت شعار التطوع ، وهى مسألة أثارت ضيق المزارعين صغارهم وكبارهم أيضاً ، فبالنسبة لصغارهم كانت هذه المسألة تهدد الأسر الصغيرة بفقدان أحد أفرادها أو أكثر ممن يمثلون مصدر رزقها . وبالنسبة لكبار الملاك كان هذا « التطوع » يخرج من ميدان العمل عدداً لا بأس به من عمال الزراعة وكان استمراره يؤدي إلى ارتفاع أجور العمال الباقين طبقاً لنظرية العرض والطلب خاصة وأن هذا « التطوع » استمر حتى قبيل توقيع الهدنة يومين اثنين فقط (٣) .

(1) Miliner Papers, Wingate to Graham, Maroh 24, 1918
« Private Letters, Box 2 »

(٢) تقرير مدير البحيرة عن أسباب المظاهرات كما تلقاها من المركز في ١٩١٩/٦/١٢ . أيضاً : ملف مأمور مركز دمنهور خلال ثورة ١٩١٩ ، وملف مأمور مركز أطسا الذى يذكر أنه كان قد فرض على حمد الباسل باشا تقديم ٢٧٠ أردب ذرة فطلب تخفيضها إلى ١٥٠ أردب فوافق على ذلك وأخذ تقوداً بقيمة الباقى (دار المحفوظات المصرية) .

(٣) ملفات مأمور مركز دمنهور ، ومأمور مركز جرجا ، ومأمور مركز سرهاج ، ومأمور مركز طهطا خلال ثورة ١٩١٩ (دار المحفوظات المصرية) .

كما يجب إلا ننقل بعض العوامل الأخرى التي لابد وأنها أثارت كبار الملاك كما أثارت غيرهم بطبيعة الحال مثل تعطيل الجمعية التشريعية وأعلان الأحكام العرفية واعتقال كثير من المصريين والقائمين في السجون كجلاء وقائي من وجهة النظر البريطانية^(١) .

ولقد جدد عامل آخر في أفق الحياة السياسية أثار خاطر أصحاب المصالح الزراعية وأشعرهم بأن السياسة الإنجليزية تحول بينهم وبين ممارسة حقوقهم السياسية ، فقد قدم برونيت في أواسط نوفمبر ١٩١٨ مذكرة بشأن الإصلاح الدستوري إلى لجنة الامتيازات الأجنبية وانتهى فيها إلى أن التطور في مصر لم يتمش مع التطور الاقتصادي الذي كان سريماً ، وأن الوضع يتطلب المحافظة على مستوى عال من الكفاءة الإدارية الأمر الذي توفره النظم الحرة . وأن محاولة تدريب المصريين التدريب الكافي لتولى الأجهزة الإدارية تحتاج لبعض الوقت وظروف مناسبة ثم اقترح للإصلاح الدستوري إنشاء هيئة تشريعية تتألف من مجلسين : مجلس للأعيان وآخر للنواب . أما مجلس الأعيان فيضم الوزراء والمستشارين الإنجليز إلى جانب بعض كبار الموظفين الإنجليز وخمسة عشر أجنبياً ينتخبهم الأجانب وثلاثين مصرياً يجري انتخابهم على أسس محدودة كثيرة القيود ولا تعطى لهم كثرة في المجالس في أى الأحوال ، وتبرير ذلك أن جزءاً كبيراً من النشاط الاقتصادي في أيدي الأجانب وأن نشاط المصريين فيه ضئيل لا يسوغ انفرادهم بشئون التشريع التي تقرر أن يكون لمجلس الأعيان رأى حاسم فيها . أما مجلس النواب فلم يعط رأياً قاطعاً في شيء من مصالح البلاد ، إذ أجاز تخطيطه من جانب الحكومة بارسال مشروعات القوانين مباشرة إلى مجلس الأعيان ، كما نص على ألا تعتمد القوانين التي تصدر من أى المجلسين إلا بعد إقرارها في وزارة الخارجية البريطانية^(٢) .

(١) قامت السلطات الإنجليزية بإعتقال ٥١٨ شخصاً فور إعلان الحرب .

F. O, 141 — 469 — 1616

أنظر :

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ٩٧ — ٩٨ .

ولا يبعد أن هذه الاعتبارات المادية والمعنوية كانت في اذهان كبار الملوك حين بدت في الافق السياسى بوادر القيام بثورة ضد الانجليز للمطالبة بالإستقلال، ومن ثم اشتركوا في حركة التوكيلات التى قررها الوفد المصرى ، بل أن المجموعة التأسيسية للوفد قد تألفت منهم ، وأن كان بعض كبار الملوك قد تراجع في موقفه من التوكيلات وتأييد الثورة تحت ضغط الانجليز ومعارضتهم للتوكيلات مؤثرين السلامة ومتظاهرين بتأييد الثورة (١) .

ولقد عبر عن ذلك عبد الرحمن الرافعى حين ذكر أن أعيان البلاد كانوا لا يميلون إلى معارضة سيطرة الحكومة إلا فيما ندر بينما كانوا يهتمون في الحل الأول بتوطيد علاقتهم بالحكومة والحكام والتودد إليهم حرصا على مصالحهم « ثم جرفهم التيار فانضموا إلى الحركة في سنة ١٩١٩ » (٢) .

والملاحظ بصفه عامة أن التأييد الذى حصل عليه الوفد في الأقاليم كان من صفار

(1) R. M. Graves to Keowyn Boyd, December I, 1918
(Wingate Papers Box 170)

ويندكر جرافز وهو أحد مفتشى البوليس الإنجليز في تقريره هذا أن سلطان بهنس سحب توقيعه من التوكيل لما علم بمعارضة الانجليز لذلك ، وكذلك الحال بالنسبة لحسن بك الشرى عمدة الفيوم الذى أزال ختمه بأصبعه من التوكيل . أنظر أيضاً : تقرير مستر باترسون الذى أشار فيه إلى أن أبناء الاسر الكبيرة استقبلت التوكيلات بطرق متباينة ورفض كثير منهم التوقيع عليها بل واحتقروها قائلين أنه إذا كانت البلاد ستحكم بمثل هؤلاء الناس فاتهم سيهاجرون منها ، ومن هؤلاء أبناء علوى باشا (وثائق الأهرام » ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ») .

F. O. 407 — 184. Memo. by patterson, Director of State accounts

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، ثورة ١٩١٩ جزء ١ . ص ٩٠

الفلاحين المقيمين بينما كان كبار الملاك يعيشون بالمدن ومن ثم فهم يحسبون على المدن أكثر مما يحسبون على الريف (١). وكان مظهر تأييدهم الواضح هو المساهمة في التبرع بالأموال الضخمة لمساعدة الوفد في مهامه (٢).

لقد ساعدت الظروف الموضوعية ، كما سبقت الإشارة ، كبار الملاك الزراعيين على التصدى لقيادة الحركة الوطنية عقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى ، فقد كان زعماء الحزب الوطنى آنذاك منفيين أو معتقلين ، وكانوا مشهورين بعدائهم الشديد للسياسة الانجليزية فتصدت الموقف العناصر الأقل عداء أو المعتدلون وكان معظمهم من رجال حزب الأمة وأعضاء الجمعية التشريعية الذين كان أغلبهم من كبار الملاك بحيث يمكن القول — دون تحفظ — أن تشكيل الوفد كان من كبار الملاك هؤلاء (٣).

تكون الوفد إذن ، من كبار الملاك الزراعيين ، وهذا يفسر البداية الهادئة التي بدأها في مقابلة ١٣ نوفمبر ١٩١٨ المشهورة حيث ذهب سعد زغلول وعلى شعراوي وعبد العزيز فهمى وقالوا للمندوب السامى ريجنالد ونجت أنهم بصفتهم نواب الأمة يطلبون إلى إنجلترا أن تعترف باستقلال مصر وأنهم مستعدون في مقابل هذا ، أى مقابل الاعتراف بالاستقلال أن ترتبط مصر بإنجلترا بماهدة صداقة تكونان فيها ندين متساويين وتعاونان في مواجهة الظروف الدولية على أن تحافظ مصر على مصالح إنجلترا وتمكنها من احتلال قناة السويس إذا

(1) L. J. Cantori, op. Cit., P 44

(٢) الأدهالى ، ٢٣/٤/١٩١٩ حيث يذكر على سبيل المثال أن اجتماعا عقد في سراى يحيى باشا بالإسكندرية حضره أكثر من خمسمائة من كبار الأعيان للاكتتاب لمساعدة الوفد المصرى .

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق . ص ٩٩ ، ١٠٢ ، أيضاً أنيس وحراز ، المصدر السابق ص ١١٤ — ١١٥ .

احتاج الأمر (١) .

وهو يفسر أيضاً التآني والحرس الذي سيطر على عبارات التوكيل الذي وضعه الوفد والذي بمقتضاه فرض أعضائه « في أن يسعوا بالطرق السلمية والمشروعة حينما وجدوا للسعى سبيلا في استقلال مصر . . » (٢).

على هذا الأساس يمكن قياس حركة قيادة الوفد من البداية والتعرف على إمكانية العطاء. والبذل الذي يمكن أن تقدمه من أجل هدف الاستقلال . فلم يكن من المتصور ، والحال هذه ، أن تتجاوز حركته بأية حال حدود المصالح الاقتصادية التي كان يمثلها أعضائه . لأنه من البداية حدد مسار الحركة في أنها سلمية أولاً ومشروعة ثانياً وفي حدود المستطاع ثالثاً . وهذا معناه من ناحية أخرى أنها لا بد وأن تكون ضد العنف بمختلف مظاهره وصوره .

في ضوء هذا يمكن تتبع موقف كبار الملاك في ثورة ١٩١٩ ، فلقد رفضوا العنف من البداية حتى لا يثيروا غضب الانجليز وتتطور الأمور تطوراً لا تحمد عواقبه ، فبعد اعتقال سعد زغلول وزملائه ذهب الطلبة إلى بيت الأمة وسألوا عبد العزيز فهمي رأيه في عزيمتهم على الخروج من المدارس فقال لهم « إنكم تلعبون بالنار ، دعونا نعمل في هدوء ولا تزيدوا غضب الانجليز » (٣).

وهندما وصل نبأ اعتقال سعد زغلول وزملائه إلى الأقاليم في منتصف مارس ١٩١٩ تقريباً بدأت نيران الثورة تندلع وتأخذ شكلاً عنيفاً ودموياً ، ولا يهنا هنا تتبع مظاهر العنف ورصدها ولكن يكفي القول أن هذا العنف اتجه إلى الانجليز وإلى كبار الملاك وإلى تخريب المنشآت الحكومية حيث تشير دفاتر حوادث

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق . ص ١٠٧ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ج ١ ص ١٠٢ .

(٣) أحمد بهاء الدين ، أيام لها تاريخ . ص ١٢٠ ، عباس محمود العقاد ،

سعد زغلول سيرة وتحية . ص ٢٢٩ .

مراكز البوليس في الأقاليم إلى هذه المظاهر^(١).

ولم يكن العنف قاصراً على صفار الفلاحين وعامة الناس بل أن بعض الأعيان من أفراد الطبقة الوسطى في الأقاليم شاركوا فيه^(٢).

غير أن السمة السامة في حوادث الثورة كانت رفض العنف بل ومواجهته بإجراءات القمع المشددة ، فقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لحصر مظاهر الثورة والاحتجاج في أضيق نطاق فزودت مراكز البوليس في الأقاليم بتعليمات تفصيلية فيما يجب القيام به لمواجهة المظاهرات من ذلك تغفل رجال الأمن بين المتظاهرين واختيار بعض رجال الأمن والباسم ملابس مدنية للقيام بدور المخابرات ونقل أخبار التجمعات أولاً بأول^(٣).

كما طالب من مأموري المراكز عقد الاجتماعات مع الوجهاء والأعيان وإفهامهم خطورة أعمال التخريب ، وحض الأهالي على الأخلاق إلى السكينة وتقديم

(١) ملفات مأموري مراكز : فارسكور ، ديروط ، دمنهور ، اطمسا ، بني مزار حيث قام الفلاحون بالهجوم على مزرعة يوسف بك ثابت وفي ساحل سليم قام الفلاحون أيضاً بالهجوم على قصر محمود سليمان (دار المحفوظات المصرية) .
أنظر أيضاً : مذكرة رونالد جراهام الذي أشار إلى قيام الفلاحين بالثورة ضد ملاك الأراضي ونهبوا المزارع الكبيرة (وثائق الأهرام) F.O, 407 - 184 ,
Memo by Sir R. Graham on the Unrest in Egypt.

أنظر أيضاً :

Valentine Chirol, The Egyptian Problem. P 185

(٢) ملفات مأموري المراكز السابقة حيث تشير التحقيقات التي أجريت مع مأموري المراكز التي تزعم بعض الأفراد من الأعيان حوادث العنف مثل ماحدث في مركز بني مزار ودمنهور واطمسا حيث قام بعض عمد النواحي بتقديم استقالاتهم احتجاجاً على اعتقال الوفد . انظر أيضاً تقرير أحد رجال المخابرات الانجليز في المنصورة حيث يشير إلى تشجيع محمود بك نصير لمظاهر العنف (F.O, 141-747-3730)
(٣) ملف مأمور مركز بني مزار (دار المحفوظات المصرية) .

طلبتهم بواسطة عناصر ينتخبونها أو يختارونها بمقرتهم (١).

وكانت هذه بداية تكوين « لجان تهدة الخواطر » في الأقاليم من الوجهاء وكبار الملاك حيث كرست جهودها في سلب ثورية وعنف الجماهير وتثبيط همهم ، فقد تصدى حسين بك عبد الرازق رئيس لجنة تهدة الخواطر بالمنيا لمظاهرة كانت تهتف بسقوط مأمور مركز بني مزار لعدم أخبارهم أى المتظاهرين بنياً مرور قطار سكة حديد يوم ١٩ مارس ١٩١٩ يحمل انجليز حتى يقتلهم ، وأنهم أن هذا لو حدث لكانت نتائجهم سيئة للغاية عليهم وعلى بلاد المركز ونصحهم بالتزام السكنية (٢).

وعندما اقترح ملاحظ بوليس نقطة مطاى (سيد افندى ابراهيم) على أعيان مركز بني مزار إقامة سد بالحجارة في وسط مجرى نهر النيل بذاحية الشيخ حسن لتعطيل سير البواخر الانجليزية التي كان هدفها قمع المظاهرات بعد أن خامت قضبان السكك الحديدية ، وبجته هؤلاء الأعيان ولاموه ، وحين فكر أحد عربان الجوازى من سمالوط جمع فرق لمهاجمة القوة البريطانية الموجودة بالمنيا وبجته على بك المصرى وهو من عربان الجوازى وأخذ يهدى خواطرهم وطالهم بالتزام السكنية (٣).

وفى أسيوط تكونت لجنة تهدة الخواطر وكانت مهمتها المطالبة بالاستقلال وتأكيد وحدة عناصر الأمة ، وتوثيق عرى الصداقة مع الأجانب وإشاعة الثقة بينهم وإفهامهم مضمون الحركة الوطنية والقيام بحماية ممتلكاتهم بالإضافة إلى الحيلولة بين الأهالى وبين القيام بأى مظهر من مظاهر العنف (٤).

(١) ملف مأمور مركز بني مزار (دار المحفوظات المصرية) .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه . أنظر أيضاً : Murray Harris, Op. Cit., P 154

حيث يذكر أن شاهين باشا من أعيان المنيا بذل جهد ما استطاع لحماية أرواح الانجليز وثرواتهم فتعرض لسطخ الوطنيين المتطرفين كما أسماهم .

(٤) F.O. 141-780-8915. 24 April 1919.

وكذلك كانت لجنة تهدئة الحواطر بالشرقية تضم من كبار الملاك سليمان أحمد أباطة وعبد الله أباطة وعلى أباطة وحسين عمر حجازى ، وعبد الهادى رسلان وغيرهم . وكان نشاطها ينحصر فى رفض العنف ومعارضته ، بالإضافة إلى جمع التبرعات للافد المصرى لماوته فى مهمته السلمية (١) .

كما أن أعيان الزقازيق اجتمعوا بالقنصل اليونانى وافهموه أنهم سيعرضون أفراد الجالية اليونانية عما أصابهم من حوادث العنف « والشغب » كذلك ضمن عمدة إيتاى البارود بالبحيرة للأجانب المقيمين فى تلك الجهة سلامتهم وسلامة أملاكهم ، وكذلك الحال بمراكز مديرية البحيرة وسمنود والمنصورة وجهات أخرى عديدة (٢) .

فى سمالوط بأسىوط إذاع محمد شريمى باشا منشوراً يستحلف فيه الأهالى على التزام السكينة والهدوء « لأن تسرب روح الفوضى والاعتداء أو الاخلال بالأمن بين المصريين أنفسهم أو على الأجانب فى داخل البلاد يعاكس طلبات الوطنيين . . ويضر بالقضية الوطنية المصرية » (٣) ،

وكثيراً ما حال الأعيان دون قيام المتظاهرين بكثير من أعمال العنف حتى لقد

(1) F, O, 848 I V. Report on the political situation at — June 1919

(٢) الاهالى ، ٣١/٣/١٩١٩ (برهان الواقع . مقالة بدون توقيع يستحسن فيها كاتبها وقوف الأعيان بجانب الأجانب وحمايتهم من هجمات « النوغاء » عليهم ويرى أن تكرار هذه المواقف فى مختلف الأقاليم يعد « برهاناً واقعاً » على أن عقلاء الأمة فى المدن والأقاليم استهجنوا عمل النوغاء ودافعوا عنه « بالقول والفعل والتضحية » .

(٣) الاخبار ، ١٨/٤/١٩١٩ .

كانوا يحرسون بأنفسهم مركز البوليس حتى يمنعوا المظاهرين من الحصول على الاساحة الموجودة^(١) .

يضاف إلى هذا قيام بعض كبار الملاك بطرد شيوخ العزب التابعين لهم عقابا لهم على اشتراكهم في المظاهرات^(٢) .

وبصفة عامة فقد بدأ أصحاب المصالح الزراعية يدركون أنهم أكثر الناس تعرضاً للخسارة بسبب توقف المواصلات الناشئة من حوادث العنف والمظاهرات من ثم بدأ شعور عدم الثقة بالمحامين والأفندية في المدن يتزايد بينهم كما تشير تشير الوثائق الانجليزية^(٣) .

وإذا كانت تلك هي جهود الاعيان أو كبار الملاك في الأقاليم من أجل معارضة العنف الثورى ومظاهره ، فلقد خطا السياسيون منهم في القاهرة خطوات إيجابية لأبطال العنف وتجريمه ، إذ تقابل عبد العزيز فهمى ومحمد على علوبه وأحمد لطفى السيد مع الجنرال كلايتون في ١٦ مارس ١٩١٩ وأعربوا عن فزعهم من الأسلوب الذى تجرى به الامور واقترح لطفى السيد أن تتألف وزارة وتدخل في مفاوضات مباشرة مع الانجليز على أن يكون مسموحا لها بتقديم بعض التنازلات حتى تهدأ

(١) ملفات مأمورى مرا كز بنى مزار ودمهور وأطسا وفارسكور وديروط (دار المحفوظات المصرية) .

(٢) دفاتر قيد عمد ومشايخ مركز بنى مزار وأطسا وديروط (دارالمحفوظات المصرية) أنظر أيضاً : حول طرد عمدة شبرا الخيمة لدعوته عمد النواحي المجاورة للاحتجاج على الأوضاع القائمة .
F. O, 141 — 743 — 8974

(٣) (وثائق الأهرام)
F. O, 287. Allendy to Curzon,
April 20, 1919

الأمور وتكون بذلك في مركز قوى في المفاوضة (١) .

وعندما علم أن الجنرال اللنبي سيصل إلى مصر وأنه مفوض بسلطات لقمع الاضطرابات والمظاهرات خطا هؤلاء السياسيون خطوة أخرى نحو معارضة العنف ، فقد تمت مقابلة مبدئية بين مجموعة من كبار الملاك « النبلاء » بينهم أحمد مظلوم رئيس الجمعية التشريعية وعدلى يكن وهيداخالق ثروت مع الجنرال بلفن (Bulfin) في محاولة للوصول إلى حل ، ولكن انتهت المقابلة بالفشل لاصرار هذا الوفد على تأكيد الاستقلال في المنشور الذي كان قد اتفق على إذاعته للناس يحضهم فيه على النظام والبعد عن العنف (٢) .

على أن أبرز جهود هؤلاء السياسيين من كبار الملاك — الذين تصفهم الوثائق الانجليزية بالنبلاء — في الوقوف ضد العنف كان في المقابلة التي تمت بينهم وبين الجنرال اللنبي في ٢٦ مارس ١٩١٩ عقب وصوله للقاهرة ، ففي ذلك اليوم دعا اللنبي جمعا من الشخصيات البارزة بالبلاد وجميعهم من كبار الملاك وكذلك رؤساء الطوائف الدينية وقال لهم أن ملك بريطانيا عينه مبعوثا فوق العادة وأن واجبه ورغبته نشر الهدوء والرضى في أنحاء البلاد وأن غرضه

هو :

« أولا — إنهاء الاضطرابات الحاضرة ، وثانياً البحث عن جميع المسائل التي سببت الاستياء في البلاد ، وثالثاً إزالة أسباب الاستياء إذا ما ظهر أنها حقيقية » ثم قال بعد ذلك « أتم الذين يمكنكم قيادة أهل مصر وواجبكم يقضى عليكم بأن

(1) Rough Notes taken at the Meeting of the National — ist Delegation with General watson and a Subsequent interview with General Clayton, March 16, 1919.

(Clayton Papers, Box 470)

(2) L. J. Cantori, op. Cit., p 204

تعملوا لخير بلادكم . ولا يمكننى أن أصدق أن واحداً منكم يقصر فى مساعدتى بكل وسيلة ، وأنا مستعد للاعتماد عليكم للبدء حالا بالعمل على تهدئة العواطف الجامعة الآن . وبعد استتباب الأمن أعتقد أنكم تعتمدون على فى البحث بلا تحيز فى جميع أسباب الاستياء واختيار الوسائل المناسبة لإعادة الاطمئنان والرفاهية لشعب مصر» (١).

وواضح من هذا مدى اعتماد السياسة الانجليزية فى تنفيذ خططها على كبار الملاك أو النبلاء أو الأعيان أيا كانت التسمية . ولقد أثمرت هذه المقابلة بالفعل حيث نشرت الصحف نداء (٢) موقعاً عليه من خمسة وخمسين شخصية ممن حضروا

(1) V. wavell, Op. Cit., P. 38, Valentine Chirol, Op. Cit., P 193.

أما الشخصيات البارزة التى حضرت هذا الاجتماع فكانت : أحمد مظلوم ، عدلى يكن ، اسماعيل سرى ، يوسف وهبه ، أحمد حلمى ، أحمد زيور ، نجيب غالى ، على شعراوى ، قايى فهمى ، محمود سليمان ، أحمد عفيفى ، محمود خليل ، يوسف أصلان قطاوى ، محمد على علوبه ، الياس عوض ، محمود أبو النصر ، ميشيل لطف الله ، سينوت حنا ، عبد الرحمن محمود سليمان ، عبد الله أباطة ، للموم السعدى ، على المصرى ، عبد الستار الباسل ، وبعض أعضاء الجمعية التشريعية الموجودين بالقاهرة ، وشيخ الجامع الأزهر (أبو الفضل الجيزاوى) ومفتى الديار (محمد بنيت) وتقيب الإشراف (عبد الحميد البكرى) وبطريك الاقباط الارثوذكس (الانبا كيرلس) ورئيس المجلس الملى العام (القس بطرس عبد الملك) (الاهالى ١٩١٩/٣/٣٠).

(٢) الاهالى ، ١٩١٩/٣/٢٨ . وقد وقع على هذا النداء الشخصيات التى حضرت اجتماع ٢٦ مارس مع الانبى ونشر أسمها فيما عدا ميشيل لطف الله ، ويوسف قطاوى ، عبد الله أباطة ، بطرس عبد الملك ، كما وقع عليه أيضاً كل من : محمد

اجتماع ٢٦ مارس مع النبي ومن انضم إليهم يناشدون فيه « الشعب المصرى باسم مصلحة الوطن أن يجتنب كل اعتداء وأن لا يخرج أحد في أعماله عن حدود القوانين حتى لا يسد الطريق في وجه كل الذين يخدمون الوطن بالطرق المشروعة » ، كما طالبوا « أعيان البلاد وأرباب النفوذ فيها أن يقوموا بالواجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتخاذ جميع ما لديهم من الوسائل لمنع وقوع كل ما ينجم عنه ضرر للبلاد » ، وكان النداء قد صدر ببارة تأثيرية تقول « إن الاعتداء سواء كان على الأنفس أو على الأملاك محرم بالشرائع الإلهية والقوانين الوضعية » .

يضاف إلى هذا أن كيرزون اقترح على شيتهم (Gheetham) — الذى كان قائماً بأعمال النبي أثناء غيبته عن مصر — أن يجمع حوله « نبلاء » الأقاليم المعروفين بصداقتهم للإنجليز ليعتد بهم عليهم في تنفيذ السياسة الانجليزية ، وكان شيتهم قد أرسل إلى كيرزون بضرورة الإفراج عن سعد زغلول لأنه يصعب تشكيل أى وزارة وسعد معتقل حيث أن جميع الأطراف في مصر متفقة على هذا حتى أحمد لطفي الحامى عضو الحزب الوطنى وهو ليس صديقاً شخصياً لسعد زغلول (١) .

= فلجى (رئيس المحكمة الشرعية العليا) عمر مكرم (نقيب الأشراف) حسين رشدى ، اسماعيل أباطة ، عبد الخالق ثروت ، يوسف سابا ، محمود صدقى ، مصطفى النحاس ، حافظ المنشاوى ، محمد السباعى المصرى ، سيد محمد خشبة ، أحمد خيرى ، أحمد عفيفى ، عبد الله عبد السمیع ، على رفاعى ، عبد العزيز فهمى ، جورج خياط ، حافظ عفيفى ، محمد نافع ، إبراهيم نبيه ، محمد عز العرب ، عمر عبد الآخر ، محمد عبد الخالق مذكور ، كامل جلال ، أحمد رشوان ، أحمد لطفي السيد ، عبد اللطيف المسكباني ، حسين واصف ، محمد السيد أبو على ، إبراهيم مراد ، على المنزلاوى ، أحمد حشمت .

(1) L. J. Cantori, op. Cit., p 205 — 206

هذا إلى أن اللورد كيرزون كان قد خطب في مجلس اللوردات (٢٤ مارس ١٩١٩) وأثنى على « عقلاء الأمة » الذين لم يشتركوا في الثورة ، والأعيان الذين برهنوا على صداقتهم للإنجليز وأشار إلى جهودهم القيمة التي يبذلونها لتمهيد الاضطرابات (١) .

وتعددت الاجتماعات واللقاءات في المديرية بين المديرين والأعيان لاقناع العامة بالكف عن المظاهرات ، ففي ٦ نوفمبر ١٩١٩ مثلاً عقد اجتماع مع محافظ القاهرة خرج بعده الأعيان إلى مناطقهم لألقاء كلمات النصيح والتحذير والبعد عن العنف ووجوب الأمتثال للوزارة القائمة والتي لا تريد غير خدمة البلاد « بالطرق المعقولة اللينة » (٢) .

وهكذا كان عقلاء الأمة هم الأعيان أو النبلاء أو أصحاب المصالح الزراعية الذين عارضوا العنف في استخلاص استقلال البلاد من الإنجليز وأثبتوا أنهم يكونون جناح المعتدلين في الحركة الوطنية .

ولقد قوى من هذا الجناح العناصر التركية — بما فيها الأسرة الملكية — التي كانت آنذاك ما تزال محتفظة بامتيازاتها ونظرتها الارستقراطية تجاه العناصر المصرية الصميمة ، وكانت تسيطر على نسبة كبيرة من الوظائف الكبيرة في الدولة وخاصة الوزارات والتي كانت تعد أيضاً من كبار ملاك الأراضي الزراعية ، فكانوا بهذا يشكلون قمة العناصر المحافظة في المجتمع المصري . فلما ولجوا باب الحركة الوطنية كانوا يشكلون الجناح المعتدل فيها .

ومهما قيل عن وطنيتهم وحماستهم فقد كانوا يفضلون التعامل مع الإنجليز على أن يصبحوا اتباعاً للمصريين الذين اعتادوا ، أى الاتراك ، حكمهم واخضاعهم

(١) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ج ١ ص ٢٥٢ .

(٢) المقطم ، ١٩١٩/١١/٧ .

لسيطرتهم ، وفي كل الأحوال كانوا يدركون تماما أن الحكم الذاتي للمصريين لا يعنى طريقاً مفروشا بالورود والرياحين لهم^(١) .

في ضوء هذا يمكن فهم المرسوم السلطاني رقم (٨) الذي صدر في ١٠ يونيو ١٩١٩ بتشكيل محاكم فورية لمحاكمة المشتركين في ثورة ١٩١٩ من رجال الأمن^(٢) ، وصدر هذا المرسوم يعد — في تقديرنا — قمة نشاط الجناح المعتدل في ثورة ١٩١٩ وبرهانا قويا على الوقوف ضد العنف الثوري .

فقد صدر هذا المرسوم والثورة مشتعلة في الأفق فكأنه كان ايذانا بتصفية الثورة ، والمطلع على حشيات الأحكام التي صدرت بادانة رجال الأمن من مأموري المراكز أو معاونين يجدها تدور حول محور واحد وهو التساهل مع المتظاهرين والسماح لهم باقتحام مخازن السلاح بالمراكز والاستيلاء عليه ، وعدم اتخاذ تدابير من شأنها منع اجتماعات « الرعاع » و « الفوغاء » وهى الصفات التي أطلقتها هيئات المحاكم على المتظاهرين المصريين مما أدى في نظر المحكمة إلى الخط من هيئة الحكومة والمساس بكرامتها^(٣) .

واللاحظ أن المحاكم لم تعقد لمحاكمة رجال الأمن فقط بل حاکت المدنيين^(٤) الذين أمكن اعتقالهم وكانوا من القيادات الجماهيرية التي برزت من خلال الأحداث

(1) Valentine Chirol, op. Cit., p 158 — 160

(٢) ملف مأمور مركز فارسكور خلال ثورة ١٩١٩ (دار المحفوظات المصرية) .

(٣) ملفات مأموري مراكز : بنى مزار ، فارسكور ، اطسا ، دمنهور ، ديروط ، وملفات معاوني مراكز ديروط ومركز اطسا ، وملفات ملاحظ بوليس ديروط وملاحظ نقطة دير مواس خلال ثورة ١٩١٩ (دار المحفوظات المصرية) .

(٤) عبد الرحمن الرافعي ، ثورة ١٩١٩ ج ٢ ص ٥٦ — ٦٩ .

بحيث لم يكن من المتوقع أن تشمل هذه المحاكمات الأعيان الذين حرصوا على المحافظة على مصالحهم فلا يتجاوزها بأي حال من الأحوال .

وفي ضوء عنف الجماهير ومعارضة الأعيان له ، يمكن تفسير قيام ما كان يسمى بالجمهوريات أو السوفيات في بعض الأقاليم والتي أقيمت لحماية ممتلكات أصحاب المصالح الزراعية الذين أقلعهم مظاهر العنف في الثورة ، مثلما حدث في المنيا^(١) وزفتى^(٢) وقليوب^(٣) حيث قام صلاح الدين الشواربي بإعلان استقلال قليوب وأعلن نفسه حاكماً على كل المنطقة .

وإذا كان المؤرخون الانجليز هم الذين وصفوا هذه الجمهوريات بالسوفيات ، فلم يكن هذا الوصف دقيقاً بحيث يتطابق تماماً مع المعنى العلمي للسوفيات ، إذ أنها في مصر تكونت لحماية الأملاك من احتمال هجمات الثائرين عليها ولم تتكون للاستيلاء على ملكيات الاقطاع كما حدث في روسيا .

لقد أدى رفض العنف الثوري والتمسك بالوسائل السلمية المشروعة والممكنة إلى عدم استثمار ثورة الجماهير الحقيقية وتوجيهها لصالح قضية الاستقلال ، كما أدى بالتالي إلى انتصار فكرة المفاوضات مع الانجليز وهي الفكرة التي فرضت نفسها على الموقف السياسي آنذاك . على أن القبول بمبدأ المفاوضات يعني القبول بمبدأ المساومة ويعد في نفس الوقت بداية للتنازلات وهذا ما حدث بالفعل . .

وجاءت بداية التحول في الموقف وتصعد الجبهة الوطنية وبرز جناح المعتدلين ، مع قدوم بعثة ملنر إلى مصر في ٧ ديسمبر ١٩١٩ لاستطلاع الرأي

(١) أنيس وحراز ، المصدر السابق . ص ١١٨ وأيضاً :

Valentine Chirol, op. Cit., p 163

(٢) أحمد بهاء الدين ، المصدر السابق . ص ١٢٧ .

(3) F. o, 141 — 780 — 8915. Report, March, 31, 1919.

العام ، ورغم أنه تقرر وقفها مقاطعة هذه اللجنة والاحتجاج على قدومها إلا أن اللجنة سمّت إلى مقابلة بعض كبار الملاك ، كما سمى بعضهم إليها بدورهم ، فقد وجه كبار الملاك في البلينا وفاو بأسىوط الدعوة إلى البعثة لزيارتهم إلا أن البعثة ترددت في قبول الدعوة فقبل لها وقتذاك أن الداعين سيشعرون بخيبة أمل كبيرة لرفض هذه الدعوة خاصة وأنهم اعدوا الترتيبات المناسبة لأعام هذه الزيارة بنجاح وبحيث لا يشعر أحد من أفراد البعثة بالخوف من زيارة المنطقة التي حال أعيانها دون تحطيم قضبان السكك الحديدية بها على نحو ما حدث في مناطق أخرى^(١) .

كما قام عمد ومشايخ بعض نواحي مركز الفشن بيفي سوف ومطاي بالنيا بارسال مندوبين عنهم لمقابلة بعثة ملتر بتقارير اعلنوا فيها أنهم يطالبون « وضع الحماية الانجليزية على مصر لأنها بلادنا ومن مصاحبتنا أن تكون تابعين للحكومة الانجليزية ونطلب من جنابكم الاستقلال الذاتي تحت العدل البريطاني كباقي المستعمرات التابعة لدولة بريطانيا العظمى »^(٢) .

ولقد التقى ملتر بالفعل مع عبد الظاهر بك خايل عمدة متانيا في ٧ فبراير ١٩٢٠ حيث أخبره بالجهود التي بذلها لمنع جمع التبرعات للوفد المصري ياريس وكيف أنه حال دون قيام المظاهرات في منطقته بزعماء طامبه ازهرين كانوا قد قدموا من القاهرة لهذا العمل^(٣) .

وأعرب البعض عن أسفه لعدم استطاعته مقابلة ملتر وبعثته وبث شكواه إليه من تصرفات لجان الثورة وخاصة داخل الأزهر^(٤) .

(1) F. o, 848 — 12. Special ltr. to clayton.
Februrary 6, 1920

(2) F. o, 848—21—3967

(3) F. o. 848—5—404

(4) F. o, 848 — 8 —3953

ورغم هذا فقد كان هناك وعى تام بخطورة قدوم هذه البعثة إلى مصر في تلك الآونة بالذات فاحتجت السيدات المصريات عليها ورأين أن مهمتها هي أن « يتصيدوا من المصريين نفرا من الخونة يقرونهم على الحماية عساهم يصلون إلى أكسابها غشاء شرعيا مهما كان شفافا » (١) .

ثم جاءت مفاوضات سعد ملتر في لندن نقطة تحول حاسمة أخرى في الحركة الوطنية فقد بدأت هذه المفاوضات في يونيو ١٩٢٠ وانتهت بإعلان مشروع ينص على عقد معاهدة بين مصر وإنجلترا تعترف فيها مصر بحاجة إنجلترا إلى حماية مصالحها الخاصة ومسئولياتها بخصوص ضمان مصالح الجاليات الأجنبية وذلك في مقابل مساعدة إنجلترا لمصر في حماية نفسها على أن تقدم لها مصر كل المساعدات في داخل حدودها حتى في الحالات التي لا تتأثر فيها سلامة مصر ، كما نص المشروع على تعديل الامتيازات الأجنبية وجعلها أقل أضرارا بمصالح البلاد على أن تنتقل إلى الحكومة الانجليزية الحقوق التي كانت للحكومات الأجنبية بمقتضى نظام الامتيازات ، وعدم اعتبار وجود القوات البريطانية في مصر احتلالا عسكريا ، وأن يعهد إلى جمعية تأسيسية بوضع مشروع دستور لمصر يقضى بجعل الوزراء مسئولين أمام هيئة تشريعية . وبقي السودان خارج دائرة الاتفاق حيث كانت إنجلترا قد أعدت ترتيبات ضمه إلى امبراطوريتها الأفريقية منذ اتفاقيتي ١٨٩٩ ونص فقط على أن تضمن إنجلترا لمصر مصالحها في مياه النيل (٢) .

وأرسل سعد زغلول مشروع الاتفاق إلى مصر . كما أرسل بياناً ذكر فيه أنه مع اعتقاده أن المشروع غير واف بالمطالب المصرية إلا أنه يشتمل على مزايا لا يستهان بها ، وأن زملاءه في المفاوضات لم يشاءوا رفضه على اعتبار أن الظروف الدولية قد تغيرت وأن مصر لم يعد لها سند دولي وأن إنجلترا قد اندردت بالقوة ، وأن الأمة

(١) منشور وقعت عليه ١٩٤ سيدة وآنسة 3967 — 12 — F. o, 848

(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق . ص ١٢٣ — ١٢٤ .

لا تستطيع الاستمرار في المعارضة والمقاومة ومن ثم اقترح هو وزملاؤه أن يعرض المشروع على الأمة بدلا من رفضه من البداية^(١) .

وقد عهد الوفد لأربعة من أعضائه وهم : محمد محمود ، وعبد اللطيف المسكباتي ، وأحمد لطفي السيد ، وعلى ماهر بالسفر إلى مصر ليعرضوا مشروع الاتفاق مع ملتر على « الأمة » على أن ينضم إليهم ثلاثة من الوفد في مصر وهم : مصطفى النحاس وحافظ عفيفي ، ووبصا واصف^(٢) . وكان حسين رشدي قد صرح وهو يقضي الصيف في فيثي أن الوفد متفق على استشارة أعيان الأمة وأصحاب العقول الراجعة فيها حول المشروع^(٣) .

لقد كان هذا الوفد الجزئي الذي قدم لمصر يمثل بحق الجناح المعتدل في الحركة الوطنية ، الذي كان يود الوصول مسرعا إلى اتفاق مع الإنجليز وإنهاء الثورة خاصة وإن ملتر كان قد بعث بخطاب في ١١ أغسطس ١٩٢٠ إلى سعد زغلول ليطلب من الوفد الذهاب إلى مصر للدفاع عن المشروع أمام الرأي العام المصري واستخدام نفوذهم في الحصول على موافقة الجمعية الوطنية المصرية المزمع تشكيلها^(٤) .

ولهذا لم يذكر هذا الوفد في مناقشة المشروع في مصر إلا بميزاته وكيف أنه يعطي الاستقلال التام لمصر ، كما أن أعضائه تبرعوا من عندياتهم بإجابات وكأنها على لسان المسؤولين الإنجليز إرضاء للسائمين ، فضلا عن أنهم أسرعوا في أخذ الآراء بطريقة لم تكن كافية لمناقشة تفاصيل المشروع وتتهم جوانبه المختلفة إذ كان

(١) نفسه ، ص ١٢٤ .

(٢) الأهرام ، ٩/٦/١٩٢٠ .

(٣) الأهالي ، ٩/١/١٩٢٠ .

(٤) نفسه ، ١٠/٢٢/١٩٢٠ .

يتم أخذ هذه الآراء خلال حفلات الاستقبال والتكريم والتوديع ، كما أنهم لجأوا إلى طريقة أخرى للافتناع بالمشروع وهى أنهم حملوا جريدة الأخبار التى يعرف المصريون أنها جريدة الوفد على تأييد المشروع وعدم نشر غير أقوال مؤيديه ومحبذيه حتى يدخل فى ذهن الناس أن الوفد فى لندن يؤيد المشروع تمام التأييد (١) .

ولقد حصل هذا الوفد الجزئى على موافقة أعضاء الجمعية التشريعية على هذا المشروع حيث اجتمعت الجمعية فى ١٦ سبتمبر ١٩٢٠ وقررت صلاحية الاسس والعروض لاستمرار المفاوضات لعقد معاهدة وعرضها على الجمعية الوطنية التى تكون صاحبة الحق فى قبولها أو رفضها . ونظراً لأن عدد الأعضاء الذين حضروا الاجتماع كان ٤٩ عضواً من ٦٥ عضواً وهو عدد جميع الأعضاء ، فقد تحفظ المجتمعون واعتبروه اجتماعاً يمثل أفراداً ولا يمثل الجمعية كسكل . واقتدوا فى المجتمعون ٤٩ على المشروع فيما عدا ثلاثة رفضوه وهم : منصور يوسف باشا ، عبداللطيف الصوفانى ، عمر مراد ، وامتنع أثنان عن ابداء رأيهما وهما الشيخ محمد شاكر وعلى المنزلاوى وأرسل ثلاثة أعضاء بقرقيات بتأييد المشروع (٢) . فلو افترضنا جدلاً أن عدد الأعضاء الذين لم يحضروا الاجتماع كانوا غير موافقين على المشروع فيما عدا الثلاثة الذين أرسلوا بقرقيات التأييد فتكون الجمعية قد وافقت على المشروع بنسبة ٧٢ ٪ ، ولا يجب أن ننسى هنا أن نسبة كبار الملاك فى هذه الجمعية تبلغ ٧٦ ٪ .

ولقد انتهت جريدة الأهالى إلى هذه المسألة وعمت على إثارة الرأى العام ضد هذا المشروع وضد الطريقة التى تمت بها مناقشته بين الناس وذلك على اعتبار أن سعد زعلول نفسه لم يعتبره وافياً بالمطالب وقالت أن هذه الأمة نكبت

(١) نفسه :

(٢) الأخبار ، ١٨/٩/١٩٢٠ .

يفريق من الناس ارتدوا رداء الوطنية وأخذوا يروجون بين الشعب أن خير ما ينفع الأمة ويفيدها هو مسaire القوى وملايئته وأخذ ما يستطيع أخذه منه ثم ذكرت الجريدة أن هذا القول قديم وأن الفرق الوحيد أن من كانوا يقولونه بالأمس كانوا يسمون حزب الأمة واليوم يسمون بأنصار الاتفاق^(١).

وبعد ذلك بحوالى شهرين أى فى ديسمبر ١٩٢٠ أشيع أن عدلى يسكن شرع فى تأليف حزب عقب عودته إلى مصر يسمى بالحزب المعتدل^(٢) والتف حوله مجموعة ممن كانوا يرون فى مشروع ملتر أقصى ما يمكن الحصول عليه من الإنجليز^(٣).

وهكذا تصدع التماسك الوطنى الذى كان سمة الحركة الوطنية فى بدايتها ، فقد شعر كبار الملاك ، النبلاء ، بخطورة العنف الثورى وخطورة مناضحة الإنجليز فجعلهم هذا يسرعون بالإتفاق مع إنجلترا^(٤) . ومن هنا علقنا أهمية على عدلى يسكن ورشحته لىكون السياسى المصرى الذى يقبل التسوية فى جوهرها بعد الوساطة التى قام بها بين لجنة ملتر والوفد وما بذله من جهد أثناء المفاوضات لتوفيق بين الطرفين حتى لقد قيل أن عدلى يسكن كان مبعوث ملتر غير الرسمى للاتصال بسعد زغلول^(٥).

(١) الأهالى ، ٢٢/١٠/١٩٢٠

(٢) نفسه ، ٢٠/١٢/١٩٢٠

(3) Amine Youssuf Bey, Independent Egypt. p 136

أنظر أيضاً تقارير الخارجية البريطانية فى ٣ ، ٨ مايو ١٩٢١ عن تحول بعض الشخصيات لتأييد عدلى يكن مثل محفوظ باشا رشوان وسيد خشبه وجورج خياط

F. O, 141 — 514 — 12487

(4) Charles Issawi, op, Cit., p 40

(٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق . ص ١٢٢ ، ١٢٦

وفي ٢٦ فبراير ١٩٢١ أبلغت إنجلترا للسلطان فؤاد رغبتها في تبادل الآراء حول اقتراحات ملتر مع وفد يعينه السلطان للوصول إلى استبدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخاصة لإنجلترا وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الأجنبية وتطابق الأمانى المشروعة لمصر والشعب المصرى . وفي أواسط مارس عرضت الوزارة على عدلى يكن قبلها على أساس استئناف المفاوضات (١) .

ورأت إنجلترا أن تضع حدا للموقف من جانبها هى سواء بعقد مهادنة أو بإصدار تصريح من طرف واحد ، ولما كان سعد قد حال دون توقيع المعاهدة وكان يبدو أنه سيقف في وجه أية محاولة من جانب أنصار عدلى لعقد المعاهدة كان إبعاده أمراً لازماً للإنجليز إذا ما أريد للمعتدلين أن تتاح لهم الفرصة ليتصدروا الموقف قبل إصدار تصريح من طرف واحد ، وكان عدلى لا يمانع في إصدار التصريح ولكنه كان يمانع في نفى سعد حتى لا يتهم بأنه هو الذى دبره ، وحين تبين أثناء مفاوضاته مع كيرزون أنه لن يصل إلى نتيجة إيجابية ذكر لمفاوضه أن إنجلترا قد أعلنت رسمياً أن الحماية علاقة غير مرضية بين البلدين ، وأنها لما كانت مستعدة للتسليم بجانب من مطالب مصر لا يرضى المصريين ولا يصلح أساساً للمعاهدة كان عليها أن تسلم لمصر بهذه الحقوق التى أبدى كيرزون استعداد دولته للتسليم بها ، وأن تعلق ما بقى قائماً من الخلاف بين الدولتين إلى مفاوضات مقبلة لعل ذلك يصفى الجو بعض الشيء بين الدولتين ويمهد الطريق لتفاهم أوسع نطاقاً (٢) .

ودارت المحادثات بين اسماعيل صدق وعبد الخالق ثروت (وكانا عضوين في وزارة عدلى) من جهة وبين اللورد اللنبي من جهة أخرى وتم وضع مشروع

(١) نفسه ، ص ١٢٦ . انظر أيضاً :

(٢) Amine Youssef Bey, op. Cit., 86

(٢) نفسه ، ص ١٣٢ .

التصريح الإنجليزى كما تم الاتفاق مع اللبى على أن يقدمه لحكومته وأن تصرح به ، على أن يكون من جانب إنجلترا وحدها فإذا تم تفاهم بعد ذلك على أوضاع جديدة تحقق أهداف مصر داخل عليها المفاوضون المصريون أحراراً غير مقيدين^(١) .

واستقال عدلى يكن عقب عودته من لندن حين تبين أن السلطات الإنجليزية مصممة على نفى سعد قبل إصدار التصريح ، وقد تم نفى سعد إلى عدن ومنها إلى سيشل وفي ٢٨ فبراير ١٩٢٢ صدر التصريح المشهور^(٢) .

لقد أحدث استخدام العنف الثورى رد فعل كبير لدى كبار الملاك أو أصحاب المصالح الزراعية ممن تصدوا لقيادة الثورة والذين خشوا أن تتجه الثورة إلى امتيازاتهم الاجتماعية ومن ثم عارضوا العنف وجرموه ورأوا أن الطريق الوحيد لضمان مصالحهم هو الإسراع بالاتفاق مع الإنجليز وتسوية الأمور معهم ومن ثم رأوا فى مشروع ملر أفضل ما يمكن الوصول إليه فأخذوا يروجون له بين المصريين ، ولما تبينوا أن سعد زغلول يرى أن المشروع دون مطالب الثورة المصرية ولا يحقق الاستقلال التام خرجوا من الوفد وتحلقوا حول عدلى يسكن الذى شرع فى تأليف حزب يضمهم ويمنح إلى الاعتدال فى المطالب الوطنية ويكون أقل عداء للإنجليز .

ومن هنا نستطيع أن نحمل كبار الملاك الزراعيين مسئولية تصفية الثورة وانطفائها بسرعة ، فعارضتهم للعنف وقيامهم بتهذية الحواطر ودعوتهم إلى التعقل والتصدى للجماهير الثائرة بل ومحاكمة رجال الأمن فى الأقاليم ممن ساعدوا الثوار عن إيمان أو عن ضعف .. كل ذلك كان له تأثيره القوى على الثورة وحرّم الثوار من الوقود

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق . ص ١٣٢

(٢) نفسه ، أنظر أيضاً :

V. Wavell, op. Cit., p 68.

اللازم لاستمرار السلطة ، فليس من المفهوم أن تقوم ثورة تحريرية تطالب بالاستقلال دون أن يكون العنف شكلاً رئيسياً من أشكال نضالها .

ونستطيع أيضاً أن نقول أن كبار الملاك الزراعيين كانوا يرون في الثورة وسيلة للحصول على قدر من المشاركة في السلطة خاصة وأن الجمعية التشريعية كانت قد عطلت عند بداية الحرب ولم يكن هناك أى شكل شرعى يمارسون من خلاله السلطة السياسية لتدعيم الامتيازات والحقوق الاقتصادية والتي كانت قد تأكدت بعد استقرار الملكية الفردية للأرض الزراعية في ١٨٩٤ ومن ثم رأوا أن تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ يعطى لهم هذه المشاركة من حيث تأسيس جمعية وطنية تضع الدستور وتقر مشروع الاتفاق .

حقيقة أن سعد زغلول الذى بدأ معتدلاً ، تطور كثيراً بعد اندلاع الثورة في مارس وشعر أن وراءه قوة شعبية يمكن الاستناد إليها ، الأمر الذى دفعه إلى مزيد من التشدد في موقفه فربط نفسه بهذه القوى الجماهيرية استناداً إلى التوكيل أكثر مما ربط نفسه بالجنح المعتدل في الوفد ولعل هذا يفسر رفضه لمشروع منبر الذى رأى أنه لا يحقق الاستقلال التام كما سبقت الإشارة . ويفسر أيضاً وجود جهاز سرى للثورة تابع له مباشرة دون أن يعلم به بقية أعضاء الوفد أو أعضاء لجنة المركزية في القاهرة باستثناء عبد الرحمن فهمى سكرتير اللجنة المركزية والمسؤول عن الجهاز^(١) .

ومع هذا فلم يكن في استطاعة سعد زغلول ، في تقديرنا ، أن يفعل شيئاً كثيراً لاستثمار الثورة ، فقد بقى وحده ومعه نفر قليل بعد أن سعى كبار الملاك بعضهم إلى بعض وقدموا استقالاتهم من الوفد ، وكل ما فعله ، وهذا له أهميته الكبرى أنه حدد قوى الثورة الحقيقية في جماهير الشعب المصرى التى وصفت بالرعاى والفوغاء ، وحدد القوى المضادة للثورة في كبار الملاك وأصحاب المصالح الخاصة الذين إذا قالوا : يحيا الوطن فأنما يقولون تحيا مصالحى وذلك على حد تعبيره ، ومن هنا كانت قولته المشهورة في ٢١ يناير ١٩٢١ بعد عودته من لندن

(١) أنيس وحراز ، المصدر السابق . ص ١١٦ ، ١١٨ .

« لقد رأيناهم (أى المعتدلين) يقابلون بوجوه هشة باسمه كل خبر يدل على ضعف النهضة الوطنية وفتور الهمم وأنحلال القوى ويعبسون للاخبار التى تدل على قوة روحها ، أن حزب الأمة عاد إلى بدايته وانتهى إلى غايته » (١) .

وإذا كان أحد قد أفاد من ثورة الجماهير فى ١٩١٩ فهم كبار الملاك الزراعيين بالدرجة الأولى ، الذين جاءت مكاسبهم على مرحلتين : الأولى تصريح فبراير ١٩٢٢ الذى أتاح لهم قدراً من المشاركة السياسية فى الحكم مع الإنجليز وبرغم التحفظات الأربعة ، وقيامهم بوضع دستور يعبر عن مصالحهم فى مختلف دقائقه وتفصيله كما سبقت الإشارة .

أما المكسب الثانى فقد كان معاهدة ١٩٣٦ التى كان من أهم نتائجها بالنسبة لهم إلغاء الامتيازات الأجنبية فأتاح لهم بذلك متنفساً اقتصادياً رحباً وفرصاً واسعة للاستثمار بعيداً عن القيود الثقيلة التى كانت تفرضها تلك الامتيازات ، والتى كانت تحول بينهم وبين حماية استثماراتهم كما سبقت الإشارة .

ويذكر محمد حسين هيكل أن محمد محمود ترك مفاوضات معاهدة ١٩٣٦ بالإسكندرية وذهب إلى القاهرة وذكر لعبد العزيز فهمى وعبد الرزاق ما تنطوى عليه نظرية خطر الحرب الدائم التى تريد بريطانيا استناداً إليها فرض نصوص معينة بالمعاهدة وأن رأيه هو الإنسحاب من المفاوضات وهو رأى لم يشاركه فيه المفاوضون الآخرون . فأشار عليه عبد العزيز فهمى وأيده المجتمعون ببيت عبد الرزاق بأن يتمسك بإلغاء الامتيازات إلغاء تاماً والنص على ذلك فى صلب المعاهدة فإذا حصل محمد محمود على هذه الترضية كانت كسباً يعوض التسليم بالمعاونة فى حالة الخطر الداهم (٢) .

وهكذا انتهت ثورة الجماهير فى ١٩١٩ إلى اطمئنان أصحاب المصالح الخاصة

(١) أنيس وحراز ، المصدر السابق . ص ١١٩

(٢) محمد حسين هيكل ، المصدر السابق . ص ٤١٤ .

على مصالحهم وتدعيمها وحمايتها بالسلطات التشريعية والتنفيذية التي اكتسبوها بعد أن تسلموا الحركة الوطنية وتولوا قيادتها ووجهوها إلى حيث شاءوا فأصبح من المتوقع دائماً أن يقاوموا أى حركة تحاول التعرض لامتيازاتهم والقيام بقمعها بشدة كما حدث بالنسبة لمظاهرات وأحداث فبراير ١٩٤٦ التي تزعمتها اللجنة الطلابية والعمال .

فقد دعت هذه اللجنة في بياناتها إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية « لأن الحكومة تزيد الأغنياء غنى والفقراء فقراً ، وأن الباشوات الرأسماليين يشتركون في مجالس إدارة عدة شركات بلغ استغلالها للشعب حداً كبيراً ، ولا هدف لها غير توفير الأرباح الفاحشة لحفنة من كبار الرأسماليين ، وأن سوء توزيع الثروة القومية يتطلب إعادة توزيع الأرض ومنحها للفلاحين في شكل ملكيات صغيرة وإنشاء نظام تعاوني » (١) .

وكان طبعي أن تصدى الحكومة المثلثة لكبار ملاك الأراضي وهـ مصالح رجال الصناعة — كما وصفها جريدة المانشستر البريطانية — لمظاهرات ٢١ فبراير ١٩٤٦ التي حركتها لجنة العمال والطلبة (٢) .

ولم يتوقف الأمر على هذا بل أن اسماعيل صدقي دافع عن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة أمام مجلس الشيوخ في ١٥ يوليو ١٩٤٦ كما تحدث في هذه الجلسة عن الدعوة للاشتراكية التي كانت تنتشر في هذه الأيام وعن حركات العمال ولجنة العمال للتحرر القومي ولجنة الطلبة التنفيذية ثم اللجنة الوطنية للعمال والطلبة التي يؤدي نشاطها إلى هدم النظام القائم ، وفي محاولة اكتساب كبار الملاك من أعضاء المجلس إلى جانبه والحصول على تأييدهم لسياسته قال لهم « إن الطلبة هناك سيعملون لإفساد العلاقات في القرى بين الملاك والمزارعين وهذا أشد ما يكون

(١) أنيس وحراز ، المصدر السابق . ص ١٢٥

(٢) المقطم ، ١٩٤٦/٨/٧ ، نقلاً عن جريدة المانشستر جارديان البريطانية .



لقد تواجد كبار الملاك الزراعيين فى السلطة التشريعية بأشكالها المختلفة التى شهدتها الفترة من الجمعية التشريعية ومجالس النواب والشيوخ ومجالس المديريات بنسب ضمنت لهم التفوق وحماية مصالحهم ، كما تواجدوا فى السلطة التنفيذية أى فى الوزارات التى حكمت خلال الفترة كما انتشروا فى كل الأحزاب السياسية التى ظهرت على مسرح الحياة السياسية بعد التجمع الوفدى الكبير فى ثورة ١٩١٩ وبنسب متفاوتة أكثرها فى الواقع كان فى حزب الأحرار الدستوريين ، وأقلها كان فى الوفد ، مما يدل على أن تمدد الانتماء الحزبى لكبار الملاك نوع من الرفاهية السياسية ومحاولة للتمتع بقدر من السلطة ، حتى لقد كان أبناء الأسر الكبيرة يوزعون أنفسهم فى أكثر من حزب ضمانا للسلطة مع أى حزب يكون فى الحكم ، فضلا عن سهولة الانتقال من حزب إلى حزب آخر بين دورة الانتخابات المختلفة .

يضاف إلى هذا أن فقد الأحزاب لبعضها وهى خارج الحكم كان يتناول فقط العلاقات مع إنجلترا بأبعادها المختلفة أو التشهير بمثالب كل حزب ومخالفاته، ولكن لم يحدث اختلاف بينها على السياسة الاقتصادية والاجتماعية العامة ، ولا عجب فى هذا فأغلبهم أن لم يكونوا جميعاً أبناء تركيب اجتماعى واحد .

وإذا كان هناك خلاف بين هذه الأحزاب فقد كان فى الوسائل لا الأهداف وأوضح دليل على ذلك أن سعد زغلول ومن بقى من الوفد حينما عاد إلى مصر بعد النفى الثانى دخل أول انتخابات عقدت على أساس دستور ١٩٢٣ الذى لم يشترك فى وضعه بل كان قد وصف اللجنة التى وضعته بلجنة الأشقياء .

ولما اندلعت ثورة الجماهير فى مارس ١٩١٩ ضد الإنجليز مطالبة بالإستقلال الوطنى التام حرص كبار الملاك الذين تصدوا لقيادتها على ألا تتجاوز الحركة حدود

مصالحهم خاصة بعد أن سيطر العنف على مشاعر الجماهير وأخذوا يدمرون كل ما يرمز للسيطرة والاحتلال ، ومن هنا كان أسراهم بالإتفاق مع الانجليز وقبولهم مشروع ملتر الذى كان دون مطلب الحركة الوطنية ولا يحقق الاستقلال التام .

ولقد كان كبار الملاك فى حركتهم السياسية يحرصون على مصالحهم الاقتصادية ويميزاتهم الاجتماعية ، وهذا وضع طبيعى فالإنسان لا يتحرك ضد مصالحه ولكنه يتحرك مع مصالحه وضد مصالح الآخرين إذا اقتضى الأمر ذلك ، وليس من المتصور أن يرتفع الإنسان عن حدود مصالحه الخاصة إلا إذا كان فوق مستوى البشر .

وفى ضوء هذا الاعتبار يمكن إدراك فلسفة حكم كبار الملاك الزراعيين ومن شاركهم من أصحاب المصالح الصناعية والتجارية للمجتمع المصرى خلال الفترة .



الفصل الخامس

كبار الملاك والمسألة الاجتماعية

لقد ترتب على تركيز الملكية الزراعية في مصر ونظام الإستغلال الزراعى الذى اتبعه كبار الملاك فى أراضيهم ، نتائج هامة فيما يتعلق بتوزيع الدخل الزراعى بين السكان وهبوط مستوى الأجور بين عمال الزراعة وخلق فئة من مستأجرى الأرض الزراعية كانت تزداد يوماً بعد يوم .

فقد كان دخل صغار المستأجرين وعمال الزراعة لايزيد عن الحد الأدنى للكفاف حتى لقد كان من الممكن القول بانطباق « قانون الأجر الحديدى » عليهم وذلك نظراً لكثرة عروض العمل المتزايد فى قطاع الزراعة مع عدم تزايد فرص العمل ، وتمكن المالك من التحكم فى قيمة الأجور استناداً إلى الساطة وإلى العرف والتقاليد والقانون ، وساعده على ذلك أيضاً اضطراب عمال الزراعة والمستأجرين للقبول بأى شروط يفرضها نظراً لقلة وجود المهن البديلة للعمل

في الريف^(١) .

ولقد بلغت ضالة أجور العمل الزراعي حداً استحالت معه انتقال عمال الزراعة إلى مصاف الملاك إذ كانت قيمة الفدان في عام ١٩٤٥ مثلاً تعادل عمل ٣٣٣٣ يوماً أي عمل عشر سنوات متصلة بفرض أن العامل يعمل طوال السنة ويدخر كل أجره ولا ينفق منه شيئاً^(٢) .

أما المستأجر الصغير فقد كان عليه أن يدخر حوالي ٢٣٥٠ جنيهها إذا أراد أن يمتلك خمسة أفدنة ، باعتبار أن ثمن الفدان الواحد ٤٧٠ جنيهها (في عام ١٩٤٧) وكان هذا في حكم المستحيل لإرتفاع قيمة إيجارات الأرض التي كان يستأجرها من ناحية ، وثقل الديون العقارية من ناحية أخرى^(٣) .

وقد ترتب على ضالة دخل المستأجر الصغير انحطاط مستوى معيشته فبدأ مهمناً وانصرف عن العناية بأمر نفسه وأصبح نهياً للأمراض الطفيلية والوبائية مما قتل قتل فيه الجراءة والقدرة على التفكير وكادت شخصية بعضهم تنعدم حتى لقد أصبح لا يعتمد على كثير منهم في الانفراد بخدمة الأرض المؤجرة إليهم وقلم المالك أو من ينوب عنه بالإشراف عليه في شئون زراعية الأرض من حيث إعدادها وتسميدها وزراعة المحاصيل وحصادها وغير ذلك من العمليات الزراعية المختلفة ، وأدى هذا بالتالي إلى تدهور حالة المستأجر واقتربه من المامل الأخير^(٤) .

ولقد كان استمرار وجود فئة ثابتة من المستأجرين أحد العيوب الاجتماعية التي شهدتها العمل الزراعي في مصر ، فالإيجار — كما يذهب علماء الاقتصاد —

(١) عيد المنعم الطنطا، المصدر السابق . ص ١١٢ — ١١٣

(٢) جمال الدين محمد سعيد ، التطور الاقتصادي في مصر منذ الكساد العالمي .

ص ١٢٨ .

(3) Dorren warriner. Land Reform and Development in the Middle East. p 29

(٤) محمد السعيد محمد ، المصدر السابق . ص ١٠٧

لا يجب أن يكون أكثر من مراحل التطور في حياة المزارع يبدؤها كمامل يكتسب فيها الخبرة والمران العملي ، ومن مدخراته يستطيع شراء مواشى والآت زراعية تمكّنه من استئجار قطع من الأرض تزداد بزيادة مدخراته إلى أن يصبح في مركز يمكنه من تملك الأرض^(١)

يضاف إلى هذا أن الطريقة التي اتبعها كبار الملاك في توظيف أموالهم أضرت بالمجتمع المصرى وسببت تخلفه إلى حد كبير فقد كانوا يودعون جزءاً من مدخراتهم في البنوك التجارية ولا يستخدمونها في النهوض بمستوى الإنتاج الزراعى أو إعادة استثمارها في مجالات إنتاجية أخرى . ومن المعروف أن هذه البنوك كانت أجنبية وكانت توظف جزءاً من أموالها في الخارج فكأنهم بهذا كانوا يساهمون في تنمية المجتمعات بالخارج أكثر من مساهمتهم في تنمية المجتمع المصرى^(٢) .

لقد ساهم كبار الملاك إذن بأسلوب إنتاجهم وطرق استثماراتهم في خلق المشكلة الاجتماعية في مصر وهى المشكلة التي تتلخص في تركيز الثروة القومية في أيدي عدد قليل من الأفراد باغت نسبته في مجال الزراعة ٥٠٪ كما سبقت الإشارة ، وترتب على هذا التركيز وجود فوارق اجتماعية واضحة بين من يملك وسائل الإنتاج وبين من لا يملك كون غير قوة عملهم يبيعونها لأصحاب الثروات مقابل أجور زهيدة لا تتناسب مع مطالب الحياة .

ولقد أدى هذا كله — وهذا أمر طبعى — إلى ظهور أفكار اجتماعية وحركات سياسية تنادى بإيجاد حلول للمشكلة الاجتماعية في مصر ، بعضها كان ينادى بتغيير الإطار الاجتماعى الذى تتحرك فيه العلاقات الإنتاجية ، وبعضها كان ينادى بتعديل هذه العلاقات في نطاق الإطار الاجتماعى الموجود دون مساس كبير بجوهر الثروة والسلطان .

والذى يعنينا في هذا المجال هو الكيفية التي نظر بها كبار الملاك إلى المشكلة

(١) نفسه ، ص ١٠٨ — ١٠٩

(٢) عبد المنعم الطناملى ، المصدر السابق . ص ١٠٨ ، محمد فهمى لهيطة ،

المصدر السابق . ص ٤٧١ .

الاجتماعية في مصر ، والحلول التي رأوا أنها كفيلة بتهدئة الحواطر والنفوس الثائرة على الأوضاع الاجتماعية . ويجدر بنا قبل أن نتناول هذه النقطة أن نتعرف في إيجاز على الخلفية الثقافية والاجتماعية التي واجه بها كبار الملاك المشكلة الاجتماعية في مصر .

لقد رأينا — في الفصل السابق — كيف تمتع كبار الملاك بمركز القوة في السلطتين التشريعية والتنفيذية بالشكالهما وصورهما المختلفة بحيث يصبح من المتوقع ، أن لم يكن من البديهي ، أن نعرف مقدما طبيعة التشريعات التي تصدر ، ونوعية الأدوات التي تقوم بتنفيذها ، وبقدر ما كان لكبار الملاك مركز القوة في هاتين السلطتين ، كانت لهم السلطة في الاقاليم وقد استمدوها من عضويتهم في مجالس المديريات كانت نسبتهم فيها كبيرة ، ومن توليهم منصب العمدة في كثير من الأحيان .

وكانت تقوى من هذا السلطان شبكة قوية من الانساب والاصهار بين العائلات المختلفة نذكر منها على سبيل المثال صلة النسب بين كل من : أسرة خشبه ومحمود سليمان ومحمد محفوظ والهلالي ، الهلالي وعهرو ، شعراوي وسلطان ، يسكن وإسماعيل عاصم وأبو حسين وداود راتب ، أبو حسين وعبد الغفار ، أحمد عفيفي والمنسترلي وبركات ، البدراوي عاشور وسراج الدين شاهين ، والمسكباتي وعلى ماهر وأحمد ماهر ، عبد الفتاح يحيى وإسماعيل صدقي ، إسماعيل صدقي وأباطة ، الملايلي والاوزي ، الشوابي وعدا ، عبيد وحنا ، ويصا ودوس وحبيب شنوده وخياط وابسخرون واحنوخ فانوس ، المنازي والطويل وغيرهم كثير^(١) . هذا فضلا عن زواج بعض أفراد هذه العائلات من الأسر التركية والأوربية^(٢) .

(١) الأخبار ، ١٩٢١/٧/١١ ، ١٩/٣ ، ٥/٧ ، ٨/١١ ، ١٩٢٢/١٢/٣١ ، ١٩٢٣/٧/١٥ ، ٩/٧ ، ١٩٢٤/١٢/٢١ ، ١٩٢٧/٦/٢٢ ، ١٩٢٨/٦/١١ .
الأهالي ، ١٩٢٠/٨/١٥ .

(1) Murray Harris; op. cit. p 117 — 118

على سبيل المثال تزوج من تركات كل من محمد محمود ، أحمد لطفي السيد ، محمود أبو النصر ، عبد الخالق مذكور ، على ماهر عبد القادر الجمال . أنظر ملحق كتاب :

L, J. Cantori, op. Cit.

أدى في النهاية إلى وجود حاجز قوى بين هذه العائلات وبين بقية فئات الشعب المصري لم يكن من السهل تخطيه بأى حال من الأحوال .

ومن خلال هذه الوسائل تمكن كبار الملاك من السيطرة على مقدرات الحياة في الإقليم إلى حد كبير بحيث لا نغالى إذا قلنا أن الأمور في بعض الأقاليم لم تكن تجري إلا بموافقتهم ورضائهم تماماً^(١) ، كما أن بعضهم كان يعتبر « سيد إقليمه » في الواقع وهم أولئك الذين كانت ملكياتهم تكاد تشمل نواحي بأكملها^(٢) .

وقد لا تتجاوز الحقيقة إذا قلنا أن كبار الملاك استنادا إلى سلطاتهم تلك استطاعوا تخطى القانون في كثير من الأحيان والإفادة من الخدمات المتاحة في المحل الأول أن لم تقتصر عليهم في أغلب الأحيان ، وكانت وسيلتهم في ذلك ضمان مأمورى المراكز في أيديهم للتستر على هذه التحالفات التي قد تصل أحيانا إلى حد الجرائم^(٣) ، إذ كان بعض كبار الملاك يجفلون من مقار عزيمهم مأوى للاشرار واللصوص ليـكونوا بمثابة أدوات إرهاب في الوقت المناسب^(٤) .

(2) F. o. 848 — 21 — 3h67

(3) L. J. Cadtori, op Cit., p 46

على سبيل المثال سينوت حنا وجورجى خياط وحمد الباسل ، محمود سليمان ، إبراهيم سفيد ، علوى الجزار الشريفى ، حسين القهصبي ، خفري عبدالنور ، مصطفى بكرى وكانوا يمثلون سبعة أقاليم يبلغ تعدادها في العشرينات أكثر من نصف سكان مصر في ذلك الوقت .

(٣) ملف خدمة مأمور مركز بنى مزار بندر دمياط (دار المحفوظات المصرية) .

(٤) مجلس النواب ، ١٩٣٢/١٢/٢٠ (في مناقشة مشروع قانون العزب)
وأيضاً جلسة ١٩٢٤/٦/١ في مناقشة أسباب رافت صالح للموم من منصب العمدة .

وبعض هذه الخلفات كانت تتعلق بشق مصارف ومساق داخل الأراضى دون مراعاة للنظم المتبعة في مثل هذه الأحوال (١) ، أو تحميل الأهالى من صغار المزارعين والمستأجرين بدفع نفقات إقامة مثل هذه المشروعات مع أنها تخدم أصحاب العزب في المحل الأول (٢) . بل كان بعضهم يحرم على صغار المزارعين الإقادة من المصارف التى تمر فى أراضيهم أى أراضى كبار الملاك حتى ولو كانت قريبة من أراضي صغار المزارعين (٣) .

وإذا كانت تلك حدود كبار الملاك فى الأقاليم فلقد هجر بعضهم الريف إلى المدن الرئيسية وخاصة القاهرة والإسكندرية وبخاصة أولئك الذين كانت لهم استثمارات فى مجالات النشاط التجارى والصناعى أو الذين ارتبطوا بالحياة السياسية بشكل أو بآخر والأمثلة على ذلك كثيرة تتفق فى النوع وتختلف فى الدرجة ، فبعض الأسر كان عائلها يعيش فى إقليمه بينما أفراد من أسرته يعيشون فى المدن مثل البدراوى عاشور ، وبعض الأسر كانت تعيش فى البنادر أو المراكز (عواصم المديرىات) بينما بعض أفرادها يقيم فى المدن مثل أسرة ويصا ، وهناك عائلات كانت تعيش فى القاهرة أو الإسكندرية فقط بسكل أفرادها مثل محمد عمر سلطان ، ميشيل حبيب لطف الله ، محمد على الشعراوى ، أحمد عبود وأفراد من أسر خياط وبشارة حنا . وكذلك الحال بالنسبة لبعض قبائل البدو التى تركت مقارها إلى المدينة مثل أفراد من قبيلتى عياد وللموم . حتى بعض الأفراد ممن كانوا ينحدرون من أسر تولت منصب العمدية خلال القرن التاسع عشر تركت الريف إلى المدن مثل محمد أحمد الشريف (بابيار غربية) ، وأحمد حلى محمود (بالرحمانية بحيرة) (٤) .

(١) مجلس النواب ، ١٣/٧/١٩٣٦

(2) F. O, 848 — 21 — 3967

(٣) مجلس النواب ، ٤/٧/١٩٣٢

(4) G. Baer, op. Cit., p 139

وهناك شخصيات أخرى تركت الريف إلى المدينة للاشتراك في العمل السياسي أو الالتحاق بالوظائف العامة أو العمل بالمهن الحرة وخاصة المحاماة مثل سعد زغلول عبد العزيز فهمي ، محمد محمود ، أحمد لطفي السيد ، عبد اللطيف المكباتي ، محمد علوبه ، واصف بطرس غالي ، إسماعيل صدقي محمود أبو النصر ، مرقص حنا ، علي الشوبس ، عبد القادر الجمال ، ويصا واصف ، المصري السعدي ، علي شعراوي ، حسين هلال ، وعطا عفيفي وغيرهم^(١) .

ولقد عرفت ظاهرة هجرة كبار الملاك من الريف إلى المدن ، بظاهرة النقيب أو الملاك المنفيون ، ولقد كانت لهذه الظاهرة آثار سيئة على تطور الحياة في المجتمع الريفي إذ أدت إلى أفقار الريف بحرمانه من تداول ثروات كبار الملاك فيه ، وأصبح الريف يمثل بالنسبة لكبار الملاك مورداً للثروة والاستثمار ولا شيء غير ذلك ، كما أدى هذا أيضاً إلى حرمان الريف من الإصلاحات العامة ، إلا فيما يتعلق بوسائل الزراعة ، لأن كبار الملاك القادرين على تمويل المشروعات الإصلاحية غير مقيمين به ومن ثم فلا حاجة بهم إلى الاهتمام بمثل هذه المشروعات فيزداد بعدهم عن الحياة في الريف حيث يتضح بالتالي الفارق الحاد بين كبار الملاك وصغار المزارعين^(٢) ، الذين لم تعد تربطهم بهم أية صلات غير تحصيل الآيجارات ، ولا يعرفون شيئاً بالتالي عن مشكلات حياتهم^(٣) .

(1) L. J. Cantori. op. Cit., (appendix)

(٢) خليل سري ، المصدر السابق . ص ١٣٠ — ١٣١ . انظر أيضاً : مريت غالي ، المصدر السابق . ص ٤ ، هنري عيروط ، المصدر السابق . ص ٣٣ حيث يقول أن المالك الكبير يصرف في سهرة واحدة ما يقوت فلاحيه مدة سنة وهو لا يرى تناقضاً بين رفاهيته وبؤسهم وبعد ذلك أمراً طبيعياً . انظر أيضاً : السياسة ، ١٤/٦/١٩٢٨ (إقامة أعيان الريف في القاهرة) .

(3) Thomas Russell pasha, Egyptian service, p 33

حيث يرجع ظاهرة التنبؤ إلى إنعدام الأمن في الريف وعدم استطاعة كبار الملاك نقل وسائل الراحة في لندن إلى قراهم .

ورغم هذا فقد كانت هناك قلة قليلة من كبار الملاك اهتمت بعمل شيء للنهوض بحياة عمال الزراعة عندهم مثل تسهيل علاجهم من بعض الأمراض الطارئة وصرف الأدوية اللازمة^(١) ، وإن كان هذا الاهتمام في تقديرنا — تركز على الجانب الصحي لضمان استمرار تشغيل قوة الإنتاج في الحل الأول ، لأن هذه الاهتمامات الصحية لم تصاحبها اهتمامات بجوانب أخرى في حياة الفلاح .

أما فيما يتعلق بالخلفية الثقافية لكبار الملاك ، فمن الملاحظ بصفة عامة أن الجيل الأول منهم ، جيل القرن التاسع عشر كان محدود الثقافة فبعضهم لم ينل حظاً من التعليم ، والبعض الآخر تلقى علوماً أولية في مكاتب حفظ القرآن أو في الأزهر على أكثر تقدير ومدارس الرسائل التبشيرية الأجنبية، أما أولادهم أي الجيل الثاني وغيره ، فقد كانت ظروفهم أفضل بكثير حيث اتبحت لهم فرص التعليم في الخارج وخاصة في فرنسا وإنجلترا ، إما على حساب الدولة في شكل البعثات العلمية أو على حسابهم الخاص ، أو التعليم في المدارس الأجنبية بالقاهرة والاسكندرية وعواصم المديرية^(٢) .

وهكذا اتصلوا بمصادر الثقافة الليبرالية التي كانت سائدة في أوروبا بصفة عامة فنهلوا منها وتأثروا بها تأثراً كبيراً وأصبحت الحرية الفردية بصورها المختلفة

(1) Dorren Warriner, op. Cit., p 31

(٢) فرح سليمان داود ، السكز الثمين لعظماء المصريين من ص ٨٥ حيث يترجم لبعض الشخصيات البارزة في المجتمع المصري من حيث الأصول الاجتماعية والنشاط الاقتصادي والثقافة والتعليم . أيضاً ملفات خدمة بعض كبار موظفي الدولة مثل : أحمد طلعت باشا ، أحمد حلمي باشا ، عبد الحالق ثروت ، أحمد حشمت وغيرهم (دار المحفوظات المصرية) .

وأيضاً : الأهالي في ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ / ٤ / ١٩٢٠ حيث نشرت صور وصفية لبعض أعضاء الوفد .

من حرية العقيدة أو حرية الكلمة وحرية التملك . . . الخ تشكل مبدأ هاماً
وأساسياً في تكوينهم الثقافي .

ومن الملاحظ أن مثقفينا هؤلاء في تأثرهم بالثقافة الليبرالية لم يدركوا حقيقتين
أساسيتين تتعلقان بها وهما : الأولى : أنها كانت تعبيراً عن تحولات اقتصادية عريضة
تمت على مراحل زمنية مختلفة منذ أواخر العصور الوسطى تم فيها تحطيم هيكل
النظام الإقطاعي وسيادة مبدأ حرية العمل حتى أصبح الفرد ومؤسساته فوق الحكومة
وأصبحت سلطة الحكومة تعبيراً عن مصالح أصحاب وسائل الإنتاج . والثانية :
أن الليبرالية التي أطلقوا عليها وانبهروا بها كانت قد تحولت إلى أداة قهر في أيدي
الرأسماليين أصحاب المصانع لمواجهة الحركة العمالية المطالبة بتصحيح الأوضاع .

ولا بد أن ندرك هاتين الحقيقتين حتى نفهم رؤية كبار الملاك للمشكلة
الاجتماعية في مصر خاصة وأن مثقفهم تأثروا بنمط الحياة الأوروبية حتى في حياتهم
اليومية وفي مأكلهم ومشربهم^(١) ، وكثيراً ما كانوا ينظرون بازدراء إلى حياة
المجتمع الريفي^(٢) .

لقد كان كبار الملاك أبطاً العناصر الاجتماعية نحو التغير فهم يمارضون كل تحديد
لأن لهم مصلحة من نوع ما في الاحتفاظ بالقديم ، بل يكرهونه كراهية غريزية
لأنه يحولهم عن الأسلوب الذي اعتادوه في أداء الأشياء والنظر إليها حتى لقد
اكتسبت المحافظة على الأوضاع التقليدية قدراً من الاحترام بين الناس وأصبح
التغير مستهجنًا لأنه من طبائع الطبقات الدنيا وخصائصها^(٣) .

وتسكن خطورة هذه النظرة في أنها فرضت على بقية الفئات الاجتماعية تمثلها

(1) Murry Harris, op. Cit., p 153 — 155

(٢) هنري عيروط ، المصدر السابق ، ص ٣٤ . أنظر أيضاً :

Thomas Russell pasha, op. Cit , p 33

(٣) ثور شتاين فبان ، نظرية الطبقة المترفة . ص ١٢٩ — ١٣٠

وإتباع خصائصها باعتبار أن تقاليد الأثرياء وأعمالهم وآراؤهم تتخذ شكل القانون السلوكي في المجتمع ، ومن هنا تقع مسئوليتهم في تأخير التطور الاجتماعي وتعويقه إلى حد جعل عناصر المجتمع الأخرى عاجزة عن بذل الجهد للتوصل إلى قيم فكرية وأنماط سلوكية جديدة . يضاف إلى هذا أن أثرياء المجتمع دائماً لهم مصلحة مادية في ترك كل شيء على ما هو عليه ، فهم يحفظون دائماً بميزاتهم مهما كانت الظروف . وعلى هذا فكل خروج على النظام القائم يؤدي إلى نتائج مدمرة لهذه الميزات ، ومن هنا كان دفاعهم عن أطر الحياة الاجتماعية التي صنعوها وانفوها حتى أنهم يفضلون العودة إلى وضع من الأوضاع القديمة على التكيف مع وضع لا يزال بعيداً عن أنماط سلوكهم وتقاليدهم (١) .

ولما كان كبار الملاك يحافظون على كل ما هو قديم ويقفون ضد تغييره ، فقد عملوا من البداية على وقاية النظام الاجتماعي السائد من رياح التغيير التي قد تصف به ، ومن هنا كان لابد وأن يقفوا ضد الاتجاهات الاشتراكية وغيرها من الاتجاهات التي تهدف إلى تغيير العلاقات القائمة . فرغم النص على حرية الصحافة في الدستور وحظر الرقابة عليها أو إنذارها وتمطيلها إلا أنها قد تخضع لذلك لوقاية النظام الاجتماعي ، وكان الهدف من ذلك كما جاء في المذكرة التفسيرية لحماية البلاد من الشيوعية (٢) .

وقد حرص الساسة المصريون باستمرار وفي كل المناسبات على إظهار النفور من الاشتراكية وما تحمله من خطورة على السكبان الاجتماعي ، ففي الخطاب الذي ألقاه عدلى يسكن بمناسبة إعلان حزب الأحرار الدستوريين أشار إلى أن المبادئ الاقتصادية

(١) نفسه . ص ١٣٢ — ١٣٣ . أنظر أيضاً : حسين خلاف ، التجديد في الاقتصاد المعري الحديث . ص ١٠٩ . أنظر أيضاً :

Charless Issawi, op. Cit., p 34

(٢) محمد حسين هيكل ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ ،

والاجتماعية التي تقوم عليها سياسة الحزب تعتمد على مبدأ الحرية الفردية المتشعبة
بظاهر من الاشتراكية التي لا تنجي على الحرية الفردية بقدر ما تخفف من غلواء
المذهب الفردى ولا تؤدي في الوقت نفسه إلى تحكم الدولة في مصير الفرد كما تقره
مبادئ اشتراكية الدولة^(١) .

وفي خلال المناقشات التي كانت تجري بشأن تسويق القطن ومحاولة فتح أسواقه
في روسيا حذر البعض من منبة الإتصال بروسيا وما قد يترتب على ذلك من نشر
الشيوعية في البلاد « ذلك أن مصر لا ترى لها مصلحة البتة في أن ينتشر فيها النظام
الشيوعى »^(٢) ، وإن أبدى البعض عدم التخوف من ذلك لأن الشعب المعمرى
« شعب متدين عامل وديع عاقل ويحافظ على مدينة آلاف السنين وهو آخر
الشعوب التي يخشى عليها من عدوى الشيوعية »^(٣) .

وفي مناقشة نظام التسليف العقارى لصغار الملاك اقترح إسماعيل صدقى بوصفه
وزيراً للمالية ورئيساً للمجلس الاقتصادى عدم التوسع في الارتفاع بهذا النظام بحيث
يستفيد منه العدد الأكبر من الملاك الزراعيين لأن مثل هذا التوسع « سيؤدى
إلى أن يوجد في البلاد نوع من الاشتراكية الزراعية الحكومية وهو أمر غير
مرغوب فيه على الإطلاق »^(٤) .

(١) نفسه ، ص ١٤٦ .

(٢) السياسة ، ١٩٢٧/٨/٢١ (الافتتاحية) .

(٣) مجلس النواب ، ١٩٣٠/٤/٣ (من مناقشة النائب عبد الرحمن عزام ،
في مشكلة تسويق القطن في روسيا) .

(٤) تقرير مقدم من إسماعيل صدقى وزير المالية ورئيس المجلس الاقتصادى
إلى المجلس الاقتصادى في ١٦/٣/١٩٣٢ بشأن « إيجاد نظام للتسليف العقارى لفائدة
صغار الملاك الزراعيين » ، مجلس النواب ، ١٩٣٢/٦/٢٢ .

ولقد وصل التخوف من الاشتراكية إلى درجة أن وزيراً مسؤولاً يصرح أمام أعضاء مجلس النواب بأن الحكومة « ليست اشتراكية بحمد الله ولستم كذلك » (١) ، وإلى اتهام كل من ينادى بتحسين مستوى معيشة العمال والفلاحين بالشيوعية والعمل على تخريب المجتمع مثلما حدث في وزارة الوفد الأخيرة إذ قدم أحمد حسين وزير الشؤون الاجتماعية مشروعاً يجعل الحد الأدنى لعمال الصناعة ٢٥ قرشاً وعمال الزراعة ٢٠ قرشاً فثار عليه زملاؤه في الوزارة واتهموه بالشيوعية وأنه يحاول قلب نظام البلد حتى لقد طالب عبد اللطيف محمود وزير الزراعة بحبسه (٢) .

هذا فضلاً عن إجراءات القمع والمطاردة والاعتقالات التي كانت الحكومة تقوم بها ضد التنظيمات الشيوعية والتي بدأت منذ حكومة الوفد في عام ١٩٢٤ واستمرت طوال الفترة ، هذا فضلاً عن استصدار التشريعات التي تحول دون تسرب المبادئ الشيوعية وتضييق على حرية العمل لهذه التنظيمات ، فقد ادخلت حكومة زيور مثلاً تعديلات جديدة على المرسوم بقانون الخاص بالجنسية المصرية في ٢٥ مايو ١٩٢٦ تقضى برفع صفة للمواطنة عن كل من يحصل وشيكاً على الجنسية إذا ما أتهم بارتكاب عمل من طبيعته الإضرار بالأمن الداخلي أو الخارجي للدولة أو بالنظام الاجتماعي وطبق نفس العقاب على الطلبة المصريين الذين التحقوا بمدرسة الدعاية البلشفية في موسكو (٣) .

ونحن نفهم من هذا أن هذا أن معارضة هؤلاء السياسيين للاشتراكية مبمته

(١) مجلس النواب ، ١٩٣٦/٨/٢٥ (من بيان عبد السلام فهمي جمعه وزير التجارة والصناعة في مناقشة مشروع قانون إصابة العمال في الصناعة والتجارة) .

(٢) على أمين ، هكذا تحكم مصر . ص ١٢٥ - ١٣٠

(٣) مارسيل كولومب ، تطور مصر ١٩٢٤ - ١٩٥٠ . ص ٢٢٨ .

أنها ضد شكل العلاقات الاجتماعية القائمة ونمط الحياة الذي اعتادوه وليس كما ذهب البعض في أن معارضة الاشتراكية جاء نتيجة الاعتقاد بأنها ضد الدين (١) .

ويدعونا هذا الموقف إلى التعرف على المنهج الإصلاحى لدى كبار الملاك ممن كانوا يتبعونه بالمسبة إلى المشكاة الاجتماعية في مصر ، فقد ناقش مفكروهم المسألة من زاويتين رئيسيتين : الأولى : زاوية الفكر الدينى الإسلامى الذى يدعو للعادلة الاجتماعية والبر بالفقراء وأن الله مقسم الأرزاق وأنه إذا كان هناك من ينادى بتطبيق الاشتراكية في مصر فإن الإسلام سبق المذاهب المعاصرة في إقرار مبادئ العدالة والمساواة (أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه ٠٠) ، والثانية : زاوية الاعتزاز بالفردية والحرية المطلقة للفرد طبقاً لما تدعو إليه الديموقراطية الليبرالية التى تهتم بالفرد وتفوقه على السلطة الحكومية كما سبقت الإشارة .

وكان محور هذا الفكر يدور حول الاعتقاد بأن الخلاص يمكن في احترام قواعد الدين وتعاليمه والاهتمام بالبر والإحسان في إطار من التضامن الاجتماعى ورفع قيمة الضرائب على الدخل العالية كأقصى الحلول الممكنة ولكن دونهما تعرض للملكية الفردية بأى حال من الأحوال ، فالملكىة امتياز منحه المجتمع للأفراد ويؤدى إلى أفضل النتائج الاقتصادية ولا نشعر بالفرد بالإمامشان لاستمرار ما يملكه يدفعه إلى استثمار أمواله في مختلف المشروعات ، أما الملكىة الجماعية أو الاشتراكية فهى لا تحقق العدالة في التوزيع ، ، ، (٢) .

وكثيراً ما نهوا إلى خطر البلشفية التى يحاول أصحابها نشرها في البلاد الإسلامية مثل تركيا وإيران والعراق وسوريا ومصر (٣) ، ونهوا إلى أن الإسلام هو دين الدولة الرسمى وهو يمزج بين الاشتراكية والفردية دون أفرط بين

(1) Charless Issawi, cit., p 149

(٢) يوسف الفريانى ، العلاج الحاسم لمشاكلنا الاجتماعية . ص ٣٧/٣٨

(٣) السياسة الأسبوعية ، ١٩٤١/٥/٢٤ (الافتتاحية)

الانجماين^(١)، والإسلام وحده هو الذى يملك القدرة على علاج المشكلة الاجتماعية « والزج » بين الطبقات ويضع لكل منها سياجا يمنع أى منها من الانقضاض على الأخرى وأنه يجب الرجوع إلى الإسلام دائما لاستنباط نظم المجتمع من التشريع الالهى الذى يوفر لكل طبقة حقها فى الحياة^(٢) .

وأعتقد أصحاب هذا المنهج أن إنشاء وزارة الشؤون الاجتماعية (١٩٤٠) وتوسيع نطاق خدمات وزارة الأوقاف وإستحداث مشروعات مثل مشروع القرض الحسن لتحسين حال الفقراء وإعانتهم ، خطورة كبيرة فى سبيل حل المشكلة الاجتماعية وتطبيقاً للاشتراكية « الخيرية » التى تتميز عن الاشتراكية الماركسية المهادمة^(٣) .

ولقد كانوا يرون خطورة إلى الإشارة إلى المسألة الاجتماعية وتفجير التناقضات الطبقة لأن هذا معناه انعدام ظاهره النقى والفقر وهى ظاهره « ضرورية » بل أن وجود طبقة من الأغنياء فى مصر شاهد على أن فى مصر رجالا من أهل الأخلاق... فالنقى لا ينتهب انتهابا وإنما يكتسب اكتسابا وأن الفقير يشهد على أصحابه بالكسل وقلة الأمانة والرضا بالقليل من مطالب الوجود^(٤) .

وكان طبيعيا ، والحال كذلك ، أن تأتى برامج الأحزاب السياسية فيما يتعلق بالمسألة الاجتماعية مستندة إلى ذلك المنهج فى الإصلاح من حيث المحافظة على

(١) السياسة الأسبوعية ، ٢٦/١٠/١٩٤٠ (الاشتراكية الإسلامية فى المصور الحديثة) .

(٢) المصور ، ١٦/٢/١٩٤٠ (تصريحات للأمر محمد على عن ضرورة الرجوع لقواعد الدين وروحه) ، النساء ١١/١/١٩٤٠ (دعوة لإقامة الإصلاح الاجتماعى على قواعد الأديان المنزلة) .

(٣) المقطم ، ١١/٩/١٩٤٤ .

(٤) المصور ، ٧/٣/١٩٤١ .

العلاقات الاجتماعية القائمة أو تعديلها في نفس الإطار القائم ، ويجب أن ننسى هنا أن كبار الملاك كانوا منتشرين في كل هذه الأحزاب بنسب متفاوتة كما سبقت الإشارة .

والملاحظ بصفة عامة أن الإشارات التي جاءت في هذه البرامج والمتعلقة بشكل علاقات العمل كانت لا تتصل إلا بالعلاقات بين عمال الصناعة وأصحاب المصانع دون الإشارة ولو بطريق غير مباشر إلى حالة عمال الزراعة ، فحزب الأحرار الدستوريين جعل من مبادئه « السعى في تنظيم العلاقات في المصانع والمتاجر بين العمال وأرباب الأعمال على قاعدة العدل انقاء للأمراض الاجتماعية الناشئة عن تحكم أحد الفريقين (مادة ١٨) »^(١) .

أما حزب الاتحاد ، فقد أشار في برنامجه إلى ضرورة تنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب المصانع (مادة ٨) ولكن لم يذكر قاعدته في ذلك ، وعندما أشار إلى ترقية حال الفلاح ماديا وأديبا (مادة ٧) رأى أن ذلك يأتي عن طريق تعميم النقابات الزراعية وإنشاء النزع والمصارف وزيادة المساحات الصالحة للزراعة فأثبت بهذا ، التعميم الذي تسبج فيه كلمة « فلاح » وإنها تشمل المالك والمستأجر وعامل الزراعة^(٢) .

وأما حزب الشعب فقد اكتفى هو الآخر بالإشارة إلى ترقية شؤون العمال وتنمية روح التعاون ، ولم يوضح ما إذا كان يقصد عمال الزراعة أم الصناعة ، والمعتمد أنه كان يقصد عمال الصناعة طبقا للعرف السائد آنذاك^(٣) .

أما حزب الوفد فقد أشار إلى اهتمامه بحالة الفلاح والقرية المصرية وما يبذله

(١) مبادئ حزب الأحرار الدستوريين (السياسة ، ٣٩ / ١٠ / ١٩٢٢) .

(٢) برنامج حزب الاتحاد (السياسة ، ١١ / ١ / ١٩٢٥) .

(٣) مبادئ حزب الشعب (المقطم ، ٢٠ / ١١ / ١٩٣٠) .

من جهد نحو هذا الهدف ، وكان من بين البحوث التي قدمت في المؤتمر الوفدى الثانى فى نوفمبر ١٩٤٣ ثلاث بحوث تناولت وجهة نظر الوفد فى القرية المصرية ، وهذه البحوث كانت : « قانون تحسين الصحة القروية وأثره على الصحة العامة » للدكتور مصطفى أبو علم ، تناول فيه جهود الوفد فى إنشاء المجموعات الصحية بالريف اعتماداً على تبرعات كبار الملاك وإعانات الحكومة ، وبحث عن « الوفد والفلاح » للنائب عبد الفتاح الشلقانى استعرض فيه جهود الوفد فى إلغاء السخرة وتخفيف الضرائب وإنشاء المراكز الاجتماعية ولكن دون إشارة إلى علاقات العمل بين الملاك والمستأجرين أو عمال الزراعة سوى أن الوفد يعمل على دراسة مختلف التشريعات والنظم الخاصة بعمل الزراعة فى الدول المختلفة ليقبض منها ما يلائم الظروف القائمة والمصالح المشتركة . أما البحث الذى قدمه فؤاد سراج الدين بعنوان « وزارة الشؤون والوفد » فقد ركز على ما قدمته حكومة الوفد لعمال الصناعة دون إشارة من قريب أو بعيد لعمال الزراعة^(١) .

كما كانت هذه النظرة الإصلاحية مهيمنة حتى على تجمعات حزبية أخرى أعلنت أنها تهتم بالمشكلة الاجتماعية ، فعندما تأسس الحزب الديمقراطي بقيادة مصطفى عبد الرازق ومنصور فهمى ومحمود عزمى وعزيز ميرم ومحمد حسين هيكل ، اختلفوا حول البرنامج الاقتصادى للحزب حيث كان عزيز ميرم أميل للاشتراكية ، وكان يود الوصول إلى تحقيق طرف منها ، وانتهى الأمر إلى طرح المشكلة الاجتماعية جانباً والاكتفاء بالجانب السياسى الذى يهدف إلى المطالبة بالإستقلال السياسى^(٢) .

أما حزب الشعب الذى كونه إبراهيم محمد المحامى فى أغسطس ١٩٢٨ فقد جاء برنامجه خلوا من أى إشارة إلى جوهر القضية الاجتماعية ، فقد جعل من أهدافه

(١) أبحاث المؤتمر الوفدى الثانى فى ١٤ ، ١٥ ، ١٦ / ١١ / ١٩٤٣ .

(٢) محمد حسين هيكل . المصدر السابق . ص ٨٠ — ٨١ .

الاستقلال الاقتصادى والإصلاح المالى والصحى والأدبى والعمرانى مع التثبث بالاستقلال السياسى (١) .

أما حزب الفلاح الاشتراكى (١٩٣٨ - ١٩٥٢) الذى كان أولى الهيئات لرعاية الفلاحين وحل مشكلاتهم ، فقد خلا برنامجه من الإشارة إلى معالجة سوء توزيع الملكية الزراعية ، ورغم نصه على أنه يستهدف الوصول إلى تحديد العلاقات الإنتاجية بين الفلاحين والملاك إلا أنه أعلن أن هذا التحديد يجب أن يتناسب مع مصلحة الفلاح ورفع مستواه وبحيث لا يتعارض مع مصلحة المالك (٢) ، وهو أمر يصعب تحقيقه ، وحتى عندما ألف محمد زكى عبد القادر وزملاء له «جمعية الفلاحين» وأشار فى خطابه التأسيسى إلى الفوارق الهائلة بين زيادة السكان وثبات المساحة الزراعية وسوء توزيع الملكية ، تحرك ضده القلم السياسى حتى توقف نشاطه الذى لم يتعد فى الواقع سوى بضعة مقالات فى مجلة الفصول وزيارات لبعض قرى الريف المصرى حيث لمس فيها فقر الإمكانات (٣) .

هكذا اسقطت المسألة الاجتماعية من برامج الأحزاب السياسية خلال الفترة . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل حال كبار الملاك دون إصدار أية تشريعات لصالح هذه المسألة من قريب أو بعيد . فعندما اقترح على ماهر أن يتضمن الدستور نصا عن حالة العمال يراعى فيه أن يكون العمل تحت حماية الدولة وإشرافها ، وأن تحدد ساعات العمل فى الصناعات المختلفة وكذلك طريقة تشغيل النساء والصبية .. نهض عبد العزيز فهمى وظالب بالآلة يذكر هذا النص فى الدستور على الإطلاق وكانت حجته فى ذلك أن مسألة العمال « لا تخصنا » إذ لا يوجد عمال صناعة سوى لفافى السجائر وأضرابهم وهم قلة لا تشكل نواة الثروة فى البلد ، إنما العمال الحقيقيون

(١) المقطم ، ١١/٨/١٩٢٨ .

(٢) رؤوف عباس ، حزب الفلاح الاشتراكى ١٩٣٨ - ١٩٥٢ .

(٣) محمد زكى عبد القادر ، المصدر السابق . ص ٣٢١ .

هم الفلاحون ، فإذا ما قرر الدستور هذا النص ، يحشى أن تقوم غداً ستانة نقابة ثبت الفتن في الفلاحين وتخلق مشاكل لا قبل لنا بها ، وواجه هذا الاقتراح اعتراضاً عاماً من جانب أعضاء اللجنة العامة للدستور وتقرر رفضه بالأغلبية (١) .

ولعل هذا يفسر العقبات التي كانت تعترض الاعتراف بالنقابات العمالية وبشريعات التأمينات الاجتماعية للعامل رغم التنويه باستمرار بأن الهيئات النيابية متهمة بأنها تمثل أصحاب رؤوس الأموال الصناعية والزراعية (٢) .

ولما اعترفت الحكومة بالنقابات العمالية بالقانون رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢ جاء ملياً بالفتنات ، فهو يخرج عمال الزراعة من التكوين النقابي ، ويحول دون قيام الاتحادات العمالية ، كما فرض على النقابات تبليغ وزارة الداخلية بالاجتماعات التي تجمع عقدها قبل الموعد بوقت كاف حتى يكون في الإمكان رصد حركة العمال ، كما أعطى الحكومة حق حل النقابة حلاً إدارياً إذا ما رأت ، أى الحكومة ، أن النقابة تنوى ممارسة نشاط سياسى أو نشاط نقابى ظاهر (٣) .

وعندما صدر قانون عقد العمل الفردى رقم ٤١ لسنة ١٩٤٤ فى ١٠ مايو أخرج أيضاً عمال الزراعة من دائرته وأجاز أن يكون العقد شفويّاً إذا كان أجر العامل اليوى أو الأسبوعى أو الشهرى يقل فى مجمله عن عشرة جنيهات ، وبذلك انفسح المجال أمام أصحاب الأعمال للتلاعب والتحايل على القانون وتعريض مصالح العمال للخطر (٤) .

(١) اللجنة العامة للدستور ، جلسة (٢٤) فى ٢١/٨/١٩٢٢ .

(٢) مجلس النواب ، ٢٥/٨/١٩٣٦ (فى مناقشة مشروع قانون إصابات العمل فى التجارة والصناعة) .

(٣) مجلس النواب ، جلسات ٣ ، ٤ ، ٥/٨/١٩٤٢ الخاصة بمناقشات قانون الاعتراف بالنقابات .

(٤) رؤف عباس ، تاريخ الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩-١٩٥٢ ص ١٧٨-١٧٩

ويذكر محمد زكي عبد القادر أنه أعد بحثاً عن « البطالة ووسائل علاجها » وأرسل نسخاً منه للمشتغلين بالشؤون الاقتصادية والمالية والشؤون العامة ، فاستدعاه طلعت حرب ، وكان ممن وصاتهم نسخة من هذا البحث ، وقال له أن الدعوة إلى إدخال نظام التأمين الاجتماعي للعمال معرقل لعمى الصناعات ويؤدي إلى متاعب جمة فضلا عن أن فيه تفتيحاً للأذهان (١) .

كما وقف كبار الملاك ضد أية تشريعات تحاول تخفيف العبء عن كاهل صغار المزارعين ، فعندما طالب أحد النواب في عام ١٩٤٢ بإصلاح نظام ضرائب الإطيان الذي لا يفرق بين من يملك فداناً ومن يملك ألف فدان بحيث توضع الضريبة على أساس التدرج في الملكية ، قاطعه أصحاب المصالح الزراعية في المجلس وكانوا يرددون « هذه مسألة تخصنا نحن المزارعين » (٢) .

كما رفض مجلس النواب في عام ١٩٣٦ اقتراحاً مماثلاً طالب مقدمه بمراعاة صغار الملاك عند إعداد مشروعات تعديل ضريبة الإطيان (٣) .

على أن أقصى ما وصلت إليه اهتمامات كبار الملاك بعمال الزراعة والفلاحين بصفة عامة هو الدعوة إلى توفير أسباب الصحة والعلاج لهم (٤) ، وذلك بردم البرك

(١) محمد زكي عبد القادر ، المصدر السابق . ص ٣٦٢ .

(٢) مجلس النواب ، ١٩٢٤/٦/٨ .

انظر أيضاً القسم المختص بالخارجية البريطانية إلى وزير الخارجية حيث وصف
وصف على شعراوى بأنه نموذج طيب لطبقة الباشوات المحافظة والرجعية والذي
كثيراً ما عارض كل اقتراح للإصلاح كضريبة الدخل أو رسوم التمرات وبأنه غير
محبوب من الفلاحين . (٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩) :

(371 — 3294 — 190350, Nov. 18, 1918)

(٣) نفسه ، ١٩٣٦/٦/٣ .

(٤) المؤتمر الزراعى الثالث ١٩٤٩ (توصيات المؤتمر) .

والمستقعات المحيطة بمساكنهم وإنشاء دورات مياه صحية في كل قرية . أما إنشاء القرية النموذجية المجهزة مساكنها بالغرف الصحية والحمامات وإنارتها بالكهرباء وتزيتها بالمقاهى وأماكن التسلية « فهذه مظاهر لا تفيد الفلاح بل تفسده لأنها تؤخره عن عمله وتدعوه إلى النفور من طبيعته الحشنة التى ألفها وتعود عليها أباؤه وأجداده^(١) » .

وهكذا كان كبار الملاك يضمنون على الفلاح أن يتمتع بوسائل الراحة وكانوا يعدونها من قبيل الترف ونعمة العيش ، وإذا كانوا قد اهتموا دائماً وباستمرار بالنواحي الصحية وإنشاء الوحدات المجهزة فقد كان ذلك حفاظاً على قوة العمل التى يملكها هؤلاء الفلاحون في مزارع وأراضى كبار الملاك من أن يصيبها الوهن والضعف .

ويتصل بهذا الموقف موقف آخر لكبار الملاك وهو موقفهم من مسألة التعليم الأولى . فرغم أن الدستور نص على أن التعليم الأولى إلزامى للمصريين من بنين وبنات وهو مجاني في المعاهد الأميرية^(٢) . إلا أنهم أبدوا تخوفهم من تعليم أولاد الفلاحين . والحجج التى ساقوها لتبرير هذا التخوف تدعو الدهشة ، فعند مناقشة مشروع قانون التعليم الأولى في مايو ١٩٣٣ قال وهيب دوس أن تعليم أولاد الفقراء يعد طفرة كبرى « لأنه خطر اجتماعى هائل لا يمكن تصور مدهاء لأن ذلك لن يؤدي إلى زيادة عدد المتعلمين العاطلين ، بل يؤدي إلى ثورات نفسية حين يتعلم ابن الصراف وابن الساعى » ومن ثم طالب بأن « يقصر التعليم على أبناء القادرين الموسرين من أهائها (أى أهل القرية) حتى إذا بقيت أمكنة خالية ملائها بأبناء غيرهم من الفقراء »^(٣) ، وقال النائب عبد الله للموم أنه يكفي تعليم الأطفال القراءة

(١) قلبي فهمى ، آراء وذكريات . ص ٢٣ .

(٢) اللجنة العامة للدستور ، جلسة (١٩) ، ١٥/٨/١٩٢٢ .

(٣) مجلس النواب ، ٢٣/٥/١٩٣٣ .

والكتابة والقرآن والتهذيب وشيئاً من الحساب لاستخدامه في البيع والشراء ،
والبعد عن العلوم الأخرى لأن الهدف ليس إعداد محامين^(١) .

وحق لا يكون التعليم الأولي سبباً في انصراف أبناء الفلاحين عن الحقول وشئون
الزراعة اقترح النائب محمد عزيز أباطة أن يكون لوزارة المعارف « حق السيطرة
والرقابة على الأطفال في النصف الثاني من اليوم » ، على اعتبار أن الدراسة لشغل
النصف الأول ، وذلك حتى لا يعتاد هؤلاء الأطفال على حياة المدينة في نصف اليوم
الثاني ، ويقول أنه شاهد بعض الفلاحين يخرجون إلى حقولهم « بالبلاطى والجوارب
والأحذية » ويحملون أدوات العمل على أكتافهم وهم ركوب فوق الدراجات فإذا
استمر الحال على ذلك سيأتى بعدهم قوم يركبون السيارات لا يزرعهم وازع ولا يدفهم
إلى حقولهم دافع^(٢) .

وكانت وجهه نظر الحكومة في المشروع مطابقة لتلك الآراء فقد قال وزير
المعارف (محمد حلمى عيسى) أننا يجب ألا نعلم الأطفال تملأاً يتنافر مع طرق
معيشة آبائهم وعاداتهم بحيث يأبى الاشتغال مع أبيه إذا دعاه لمساعدته وحق
يتحقق ذلك تقرر أن يحضر الأطفال إلى المسكاتب (المدارس) بملابسهم العادية
دون إلزامهم بزي خاص^(٣) .

وتجددت هذه الآراء مرة أخرى عند مناقشة ميزانية التعليم الأولي أو الإلزامي
لعام ١٩٣٧ - ١٩٣٨ ، حيث اقترح أحد النواب أن تستأجر وزارة المعارف
بجوار كل مدرسة حقلاً مساحتها من فدانين إلى أربعة أفدنة ليذهب إليه التلاميذ

= أنظر أيضاً : حسين خلاف ، التجديد في الاقتصاد المصرى الحديث ص ١١٠ .

(١) نفسه ،

(٢) مجلس النواب ، ٢٣/٥/١٩٣٣ .

(٣) نفسه

بعد الدراسة مباشرة حتى لا ينسوا أعمال الفلاحة لأن اعتماد التلميذ على ارتداء الطربوش « ولبس حمالة شراب » يجعل من الصعب عليه أن يمسك بالفأس بعد ذلك (١) .

وقال النائب محمد عزيز أباطة مرة أخرى أنه لا فائدة من أن يشمل التعليم الأولى علوم الجغرافيا والتاريخ ، والأفضل أن يدرسوا الشادوف والنورج وكل ما يتعلق بالزراعة على أن تشمل كتب المطالعة موضوعات نافعة مثل دودة القطن وكيفية مقاومتها ، وعلاقة المزارعين بنك التسليف ونماذج من استثمارات السلف ونماذج من عقود الإيجار . . . الخ ، ثم أبدى تخوفه من أن خريجي المدارس الإلزامية أصبحوا يرتدون « جلابيب مكوية أو طواق بالأجور وأحذية ملونة » وأن استمر هذا الحال يؤدي إلى أن يتحول أصحاب الجلابيب الزرقاء إلى « أصحاب جلابيب مكوية » (٢) .

وقال آخر أنه يجب الاهتمام أولاً بمشروعات استصلاح الأراضي وتوسيع رقعة الأرض المنزرعة ، والاكتفاء بميزانية التعليم الإلزامي كما هي ، لأن الفلاح لن يفيد كثيراً من رفع مستواه الاجتماعي ما بقي رقيق الحال سيء التغذية (٣) .

أحمد تخوف إذن كبار الملاك من تعليم أولاد الفلاحين تعليماً أولياً ، وكانوا يرون في ذلك خطراً اجتماعياً هائلاً حتى إذا ادركوا أنه ليس هناك مفر من ذلك طالبوا باقتصار التعليم على العلوم الدينية والقرآن وقدر بسيط من الحساب ومطالعة الموضوعات المتصلة بالزراعة . وهذا شيء طبيعي ، فاتصال أولاد الفلاحين بفروع المعرفة الأخرى كفيل بأن ينمى في إذهانهم حب المعرفة والتزود منها ومن ثم يتعرفون على

(١) مجلس النواب ، ١٩٣٧/٦/٩ (مناقشات النائب عوض أحمد الجندي والسيد محمد البدر اوى عاشور) .

(٢) مجلس النواب ، ١٩٣٧/٦/٩ .

(٣) على إسلام ، المصدر السابق . ص ١٣ — ١٤ .

الواقع الاجتماعى الذى يعيشون فيه مما يؤدى فى النتائج النهائية إلى خلق بذور الثورة الاجتماعية فى نفوسهم .

لكل هذه الاعتبارات ظل التعليم الأولى غير منتشر الانتشار الواجب وغير مطبق تطبيقاً شاملاً حتى نهاية الأربعينات حيث ظل - كما لاحظ محمد حسين هيكل - أكثر من ثلثى البنين والبنات ممن هم فى سن الإلزام خارج المدارس (١)

أما موقف كبار الملاك من الإصلاح الزراعى ، وهى المسألة التى فرضت نفسها كنتيجة لسوء توزيع الملكيات الزراعية وتركيز الكبيرة منها فى ٥٠٪ من مجموع الملاك كما سبقت الإشارة ، فقد اتصف بالحفاظ على مصالحهم ومعارضة أى رأى ينادى بإعادة توزيع الملكيات الزراعية ، والوقوف ضد أى مشروع يتعرض من قريب أو بعيد لحجم هذه الملكيات وتحديدتها ، ولقد استطاعوا بالفعل من خلال تركزهم فى السلطات التشريعية والتنفيذية أبطال المشروعات الخاصة بالإصلاح الزراعى .

ومن الملاحظ أن مشروعات الإصلاح الزراعى التى أثرت خلال الفترة كانت تنقسم إلى قسمين رئيسيين .

الاول : تحديد الملكية الزراعية الكبيرة إلى خمسين فداناً أو مائة فدان .

والثانى : توزيع أراضي الدولة والأراضي المستصلحة على صغار المزارعين حتى تتحقق التوازن الاجتماعى .

ولم يناد أى مشروع بالناء الملكية الكبيرة وإعادة توزيع الملكيات الزراعية حتى الحزب الشيوعى المصرى الذى نادى بالناء ديون الفلاح الذى يملك أقل من ثلاثين فداناً والغاء الضرائب بالنسبة لمن يملك أقل من عشرة فدادين ،

(١) محمد حسين هيكل ، المصدر السابق . ص ١٣٧ .

اكتفى فقط بالمطالبة بتحديد مساحة الأراضي التي يملكها الفرد بمائة فدان كحد أقصى (١) .

ومن المفيد أن نعرض لبعض الآراء التي تناوأت ففكرة الإصلاح الزراعي ونهت إلى ضرورة إيجاد التوازن الاجتماعي ، فقد ذكر الدكتور عبد الواحد الوكيل أن عدد السكان في مصر زاد بنسبة فاقت زيادة الأراضي المزروعة وبالتالي هبط مستوى ما ينحس الفرد الواحد من الأرض من ٢١ قيراطا في عام ١٨٩٧ إلى ١٧ قيراطا في ١٩٠٧ إلى ١٦ قيراطا في ١٩١٧ إلى ١٤ قيراطا في ١٩٢٧ ثم إلى عشرة قيراط في عام ١٩٣٧ ، كما أن أغلب الفلاحين المصريين لم يرتفعوا عن كونهم أجراء أو عمال زراعة نظراً لتركز الملكية الزراعية ، ثم قال أن علاج هذا الحال لن يكون إلا بوضع حد أقصى للملكية الفردية كما حدث في رومانيا (٢) .

أما مريت غالى فقد نادى بأن يكون الحد الأقصى للملكية الكبيرة مائة فدان فقط ، وقال أنه يمكن الوصول إلى ذلك بمنع تسجيل الأراضي فوق هذا الحد ، وبهذا لاتمس الملكيات القائمة ولا تتكلف الخزنة العامة شيئاً بالإضافة إلى أن هذا يحول دون تكون الملكيات الكبيرة في المستقبل وتلاشى القائم منها تدريجياً بفعل التوارث وبهذا يفسح المجال أمام الملكيات المتوسطة والكبيرة ويتمكن كبار الملاك من توجيه استثماراتهم نحو النشاط الصناعي والتجاري (٣) .

وقال أنه يمكن الوصول إلى تحديد الملكية الكبيرة بطريق آخر غير مباشر

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق . ص ١٤٧ .

(٢) عبد الواحد الوكيل ، استعراض لمقترحات الإصلاح القروى والسبيل القويم أمام الدولة لتحقيقها . ص ٣ - ٦ .

(٣) مريت غالى ، المصدر السابق . ص ٥٧ - ٦١ . أنظر أيضاً : محاضره القاها مريت غالى بنادى الشرقية بعنوان « توزيع الملكية العقارية في مصر (المقطم ١٩٤٥/١٠/٢٥) » .

وذلك عن طريق التصاعد في الضريبة على الأطنان بحيث تزيد فئاتها مع زيادة الملكية عن الحد الأعلى المقرر (١٠٠ فدان) لأن التصاعد يقلل من متوسط ربيع الفدان كما اتسعت مساحة الملكية مما يحمل الملاك على توخي الاعتدال في التملك (١) .

وقال مريت غالى أيضاً أنه كان ينبغي على الحكومة بدلا من أن تتدخل في مشكلة الديون العقارية بقسوتها لصالح الملاك ، أن تعرض على المدين ثمناً مناسباً لأخذ جزء من أرضه بما يعادل مبالغ الدين بعد تسويته وتحمل محله ، أما الأرض التي تحصل عليها بهذه الطريقة فتضمها إلى المساحات الأخرى المخصصة للتوزيع على المزارعين وبهذا تعالج مشكلة الديون العقارية علاجاً نهائياً وتشجيع نشر الملكية الصغيرة في الوقت نفسه (٢) .

ولقد ناقش المؤتمر الزراعى الثالث (١٩٤٩) مسألة تنظيم الملكيات الزراعية وانهى إلى أن سوء توزيع الملكية الزراعية يتطلب حداً أعلى للملكية الزراعية حتى تكثر الملكيات الصغيرة والمتوسطة ، وبهذا ينجح النظام التعاونى الزراعى ولهذا أوصى المؤتمر بإصدار تشريع يضع حداً أعلى للملكيات الزراعية وتشريع آخر يمنع تفتت الملكية الصغيرة التي لا تتجاوز مساحتها ثلاثة أفدنة ولكنه لم يوضح الحد الأقصى للملكية الكبيرة (٣) .

وثمة وسيلة أخرى للإصلاح الزراعى بدلا من تحديد الملكية الزراعية الكبيرة وهى توسيع الملكيات المتوسطة والصغيرة عن طريق قصر توزيع وبيع أراضي الدولة على صغار المزارعين لا أن تقوم الحكومة بزراعتها على الذمة أو بيعها بالمزاد لكبار الملاك (٤) ، كما يمكن إعادة النظر في نظام الشركات الزراعية العقارية

(١) مريت غالى ، المصدر السابق . ص ٦٥ — ٦٦ .

(٢) مريت غالى ، المصدر السابق . ص ٦٩ .

(٣) المؤتمر الزراعى الثالث ١٩٤٩ . قرارات وتوصيات المؤتمر .

(٤) مريت غالى ، المصدر السابق . ص ٢٢ .

بحيث يقتصر دور هذه الشركات ، التي تمثل ملكية كبيرة ، على إصلاح الأراضي فقط بدلا من استثمارها وذلك بأن تمنح الأرض البورلمدة معينة وبدون إيجار وتمنح من جميع الضرائب سواء ضريبتا الأطنان والأرباح وكذلك رسوم الجمارك على ما تستورده من مهمات وآلات خاصة بعمليات الإصلاح ويسمح لها باستغلال الأرض المستصلحة حتى تستعيد رأس مالها بزيادة معقولة ويحصل حملة الأسهم على ربح مناسب أيضاً (١) .

وقد رأى البعض أنه يمكن للحكومة تقديم إعانات لصغار الفلاحين والملاك ليتمكنوا من استصلاح الأراضي البور على أن تسترد الحكومة هذه الإعانة ، التي يجب أن تكون بفوائد قليلة ، عن طريق الضرائب التي تفرضها على الأراضي بعد إتمام استصلاحها وبعد أن تلتج محاصيل بالفعل (٢) .

على أن أقصى ما كان يدعو إليه هؤلاء المفكرون لإيجاد التوازن الاجتماعي هو خلق طبقة جديدة من صغار الملاك الزراعيين يتراوح ما يملكه الفرد فيها بين فدان وثلاثة أفدنة توزع عليهم من أراضي الحكومة البور ، وهذا الإجراء يؤدي — فيما أملاوا — إلى القضاء على كل احتمال لنشوء الآراء الاجتماعية المطالبة بالتمييز لأن هذه الملكيات الجديدة ستفري الفلاح الصغير بتوسيعها أو زيادتها والاعتزاز بها والحرص عليها وتثبت في نفسه ، وهذا له أهميته ، روح الحقن على كل رأى قد يحرمه من تلك الملكية التي ستكون مع الزمن جزءاً من كيانه (٣) .

(١) مريت غالى ، المصدر السابق . ص ٢٨ . أنظر أيضاً : محاضره للمؤلف بعنوان « توزيع الملكية العقارية في مصر » (المقطم ، ٢٥ / ١٠ / ١٩٤٥)

(٢) على إسلام ، المصدر السابق . ص ١٥ - ١٦ .

(٣) محمود كامل ، مصر الغد ، ص ٣٠ - ٣٢ . أنظر أيضاً مقالا للمؤلف تحت عنوان « لا علاج لهذا الحال إلا بخلق طبقة بورجوازية زراعية جديدة » (المصور ، ٢٦ / ٤ / ١٩٤٠) .

وهناك من كان يرى أن حل المشكلة يأتي ببعض الإجراءات مثل تحديد إيجار الأرض بثلاثة أمثال الضريبة الحكومية وتجديد أجر العامل الزراعى بعشرة قروش فى اليوم ومنع استخدام الآلات الميكانيكية فى الزراعة لمدة عشر سنوات تقبل التجديد كوسيلة لاستيعاب العمال الزراعيين وأن تقوم شركات التعاون بالتأمين على ثروة الفلاح من الماشية ، كما ينبغي أن تقوم الحكومة بمنح كل رجل وامرأة فى الريف مبلغ خمسين قرشاً كل شهر حتى بلغوا سن الستين (١) .

ورأى آخرون أن تفرض ضريبة إضافية على الأراضى التى آلت إلى أصحابها بطريق المنح والهبات علاوة على ضريبة الأطنان العادية وذلك تمييزاً لها من الأراضى التى امتلكها أصحابها بالشراء وفى ذلك أحداث للتوازن الاجتماعى (٢) .

وأقضى درجات هذا الفكر الاجتماعى كان يتناقص فى الدعوة إلى ضرورة إعادة توزيع الثروة وزيادة موارد الدولة وذلك بالأخذ بمبدأ التدرج التصاعدى فى نظم الضرائب وتعميم النظام التعاونى بقوة القانون وتحت إشراف الدولة وتدخلها المباشر وتدخل الدولة فى عملية الإنتاج بإنشاء الشركات والمساهمة فيها على أساس مبدأ التدخل (٣) .

وبجانب هذه الآراء الخاصة بمسألة الإصلاح الزراعى قدم أحد أعضاء مجلس الشيوخ (محمد خطاب) مشروعاً يقضى بأن يكون الحد الأقصى للملكية الزراعية خمسين فداناً بحيث لا يجوز أن يمتلك الفرد أراضى جديدة فوق هذا الحد فيما

(١) المجلة الجديدة ، ١٥/٢/١٩٤٢ (النظام الاقطاعى فى الريف) .

(٢) يوسف الفريانى ، المصدر السابق . ص ٣٩ .

(٣) محمد مندور ، دستور الإصلاح . بؤسنا المادى (الثقافة ، ٢١/١٠/١٩٤١) .
أنظر أيضاً : محمد زكى عبد القادر ، تضخم الثروات (آخر ساعة المصور ،

٢٩/٣/١٩٤٤) .

عدا الأراضى التى تؤول بالميراث كما لا يجوز الوقف فيما يزيد عن خمسين فدانا
للفرد الواحد أيضاً (١) .

ولقد واجه هذا المشروع معارضة قوية وشديدة داخل المجلس رغم أن لجنة
الشئون الاجتماعية والعمل بالمجلس عدلته ورفعت حد الملكية إلى مائة فدان وكذا
الوقف ، فقد طالب البعض بتأجيل مناقشه هذا المشروع ، وطالب البعض برفضه
كلية ، وطالب آخرون باحائه على لجنة موسعة ومناقشته خارج المجلس فى شكل
ندوات علمية قبل مناقشته بالمجلس . ودفعت هذه الاعتراضات بصاحب المشروع
إلى أن يقول أن هذا المشروع رغم ما وصفه البعض بأنه شيوعى النزعة فهو بعيد
كل البعد حق عن الاشتراكية المعتدلة وقال أنه يستهدف من مشروعه تحقيق العدالة
فى توزيع الأراضى الزراعية بالتدريج ووقف الزيادات فى الملكيات الكبيرة
ونشر الملكيات الصغيرة التى تؤدى بدورها إلى انتشار التعاون الزراعى الذى
يساعد على تطوير الإنتاج الزراعى ويساعد على استقلال الاقتصاد الوطنى ، ومن
ناحية أخرى فإن الحد من الملكيات الكبيرة يجعل كبار الملاك يستثمرون أموالهم
فى مجالات أخرى غير الزراعة مثل شراء السندات التى تصدرها الحكومة أو الاسهم
التي تطرحها الشركات ، وهو يساعد من ناحية ثالثة على عدم تكرار مشكلة تصوية
الديون المقاربة (٢) .

وكان رأى الحكومة (وزارة النقراشى) فى هذا المشروع أن الأهداف
المقصودة من ورائه يمكن التدرج فى الوصول إليها بوسائل أخرى يجب استنفادها
قبل التفكير فى مثل هذا المشروع الخطير مثل فرض الضرائب التصاعدية على الإيرادات
بأنواعها وتنظيم العلاقات بين الملاك والمستأجرين الخ وإضافت أنه إذا
كان المشروع يهدف إلى تشجيع الصناعات بطريق غير مباشر فلى الحكومة
من وسائل هذا التشجيع ما يفنى عنه فضلا عن أنه لا يتحتم أن يؤدى هذا

(١) مجلس الشيوخ ، ١٩٤٥/٦/٢٥ .

(٢) مجلس الشيوخ ، ١٩٤٥/٦/٢٥ .

المشروع إلى تشجيع الصناعة بالضرورة (١) .

ولقد انتهى الأمر بإحالة المشروع إلى لجنة مكونة من أعضاء لجنة الشؤون الاجتماعية يضاف إليها ثلاثة من كل لجان المالية والعدل والاشغال والزراعة على ألا يكون انعقاد اللجنة صحيحاً إلا إذا حضر أغلبية ثلثي كل هذه اللجان فإذا حضرها جميع الأعضاء إلا اثنين من إحدى اللجان يظل انعقادها . وبهذا لم يكن من الميسور انعقاد اللجنة أبداً وبقي المشروع معاقاً حتى خرج محمد خطاب من مجلس الشيوخ فكتبت اللجنة تقريراً للمجلس دافعت فيه عن الممتلكات الكبيرة وفائدتها للاقتصاد القومي وعن قدرة المالك الكبير دون الصغير على تحسين الإنتاج وزيادته وأوصت برفض المشروع (٢) .

ولم يتوقف الأمر عندهذا الحد فقد كان محمد خطاب عضواً بالهيئة السعدية فلما قدم مشروعه عارضه النقراشي رئيس الحزب ورئيس الوزارة فاستقال خطاب من الحزب في مايو ١٩٤٥ ولما انتهت مدة عضويته من مجلس الشيوخ ، وكان عضواً مميناً ، رفض النقراشي إعادة تعيينه مرة أخرى فرشح نفسه للعضوية بدائرة عابدين عام ١٩٤٧ ، إلا أن الحكومة حاربه مما أدى إلى سقوطه في الانتخابات ، هذا إلى أن رئيس مجلس الشيوخ أدلى بتصريح إلى مجلة المصور قال فيه أن « مجلس الشيوخ وجد ليحد من المشروعات الثورية ومن الطفرات التي يندفع إليها تطرف الآراء بأسم التقدم الذي لا يتفق وشرع البلاد » (٣) .

على أن هذه العاصفة التي واجهت هذا المشروع لم تؤثّر صاحبه ، فقد قدمه مره أخرى إلى المؤتمر الزراعي الثالث (١٩٤٩) تحت عنوان تنظيم الملكية

(١) نفسه .

(٢) طارق البشري ، الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ .

ص ١٩٥ - ١٩٦

(٣) نفسه .

الزراعية » ولم يسفر المؤتمر عن شيء جوهرى بشأنه (١) ثم أشار إليه مرة أخرى عام ١٩٥٠ حيث ذكر أن السبب فى انخفاض مستوى معيشة أغلب السكان وفقدهم هو الملكيات الزراعية الكبيرة (٢) .

ويلاحظ أن هذه المشروعات الخاصة بالإصلاح الزراعى تدخل فى نطاق الفكر الليبرالى الذى يعمل على إصلاح ما يمكن إصلاحه دون التعرض لعلاقات العمل أو لإطار النظام الاجتماعى القائم ، فهى لم تطالب مثلاً بإلغاء الملكيات الزراعية الكبيرة وتوزيعها على صغار الفلاحين أو المعدمين ، بل كانت تهدف إن توجيه جزء من استثمارات كبار الملاك فى مجالات غير الأرض صناعية وتجارية مما يفيد الاقتصاد القومى ويحقق استقلاله بالتدريج عن الاقتصاد الأوروبى ، ومن ناحية أخرى كانت تهدف إلى توسيع الملكيات المتوسطة حتى تحول فى المستقبل دون تفاؤل الآراء المطالبة بإلغاء الملكية الفردية للأرض الزراعية .

ومع هذا فلم تلق هذه المشروعات إذناً صاغية لا من الحكومة ولا من الملاك فكلاهما تركيب اجتماعى واحد كما عرفنا ، بل على العكس سخطوا من الآراء التى حاولت الربط بين انخفاض مستوى المعيشة وسوء توزيع الملكية وقالوا أن إعادة توزيع هذه الملكية لا يفيد الفائدة المرجوة نظراً لضيق الأرض وتزايد السكان ، وأن رأى الصحيح هو قيام الحكومة — كما حدث فى بلاد اليابان — بالإشراف على الصناعة والتجارة دون تقييد الملكية الزراعية إلا إذا فشلت الحكومة فى تشجيع الأفراد على النشاط التجارى والصناعى (٣) .

ورأى آخرون أن تحديد الملكية فيه «ظلم وخسارة على البلاد، لأن الملكيات

(١) المؤتمر الزراعى الثالث ١٩٤٩ .

(٢) المقطم ، ٨/١١/١٩٥٠ (الأسس الزراعية وتحديد الملكية لمحمد خطاب) .

(٣) محمد على علوبة ، مبادئ فى السياسة المصرية . ص ٥٢ .

الكبيرة تؤدي إلى زيادة الإنتاج باستعمال وسائل الزراعة الحديثة مما لا يتيسر في المساحات الصغيرة وأنه يكفي في هذا المجال تحديد الإيرادات بحيث لا تزيد عن حد معين^(١) .

وإذا كانت هذه هي آراء ومواقف كبار الملاك من مسألة الإصلاح الزراعي فلقد كانت الحكومة لا تختلف عن ذلك كثيراً إذ كانت سياستها - وهي تعبير عن أصحاب المصالح الزراعية - بعيدة كل البعد عن أية محاولات للحد من الملكية الزراعية الكبيرة ، وكل ما كانت تفعله هو مساعدة بعض صغار الزراع والمعدمين على الحصول على الأرض من خلال سياسة طرح أراضي الدولة للبيع والتي تمت على ثلاث مراحل : في مطلع القرن الحالي وفي خلال وعقب الحرب العالمية الأولى والثانية حيث تشير الإحصائيات إلى زيادة الملكيات الزراعية لأقل من خمسة أفدنة خلال هذه الفترات^(٢) .

غير أن طريقة البيع التي وضعتها الحكومة لم تكن تساعد صغار الزراع والمعدمين على تملك الأرض في أغلب الأحوال لأن طريقة البيع بالمزاد التي كانت تلجأ إليها كانت تقضي المعدمين وصغار المزارعين عن منافسة كبار الملاك أو متوسطيهم ، كما أن اشتراط الحكومة دفع ثمن الأرض المبيعة فوراً حال بين صغار المزارعين وبين التقدم لشراء الأرض في الوقت المناسب بسبب صعوبة السيولة المالية بين أيديهم^(٣) .

ولهذا جاءت سياسة الحكومة في هذا المجال سقيمة رغم إشارة خطب العرش دائماً إلى محاولة الحكومة صيانة الملكيات الصغيرة والاكتثار منها لاحتداث التوازن الاجتماعي المطلوب ، ولم يكن من المتوقع - في تقديرنا - أن تقدم الحكومة تحت

(١) المقطم ، ١١/٨/١٩٥٠ (رأى لمحمد علي السكيلاي ، في ندوة بالنادي الزراعي عن الأسس الزراعية وتحديد الملكية) .

(2) G. Baer, op. Cit , p 84, 86.

(3) Ibid.

أى ظرف من الظروف على تحديد الملكية الزراعية بمحد أقصى ولو حتى لآلاف فدان، والدستور الذى وضعه أصحاب المصالح الزراعية كما سبقت الإشارة يقدر الملكية وينص على عدم مشروعية مصادرتها أو حرمان أصحابها منها فيقول « للملكية من أى نوع كانت حرمة واجبه فلا يجوز حرمان أحد من ملكه إلا بسبب المنفعة العامة في الأحوال المقررة في القانون وبشرط تعويضه عنه تعويضاً كاملاً » ثم ينص على أن « عقوبة مصادرة الأموال عامة ممنوعة » (١) .

وبهذا ظل نظام الحكم في مصر مخلصاً لمبدأ حرية العمل ورفض مجرد المساس به حتى الإجراءات الاجتماعية التي قررها خلال الفترة فقد كانت ذات طبيعة إنسانية أى من باب العطف على بقية جماهير الشعب المصرى ولم تكن محاولة للتغيير الاجتماعى، وإذا كان قد اعترف بالنقابات العمالية مثلاً فقد كان ذلك - كما لاحظ مارسيل كولومب - محاولة لوضع حد للمساوئ الصارخة وتهدة النفوس النائرة (٢) .

* * *

تلك كانت آراء ومواقف كبار الملاك من المسألة الاجتماعية في مصر خلال الفترة، وهى مواقف اتسمت بالحفاظ على مصالحهم، والحيولة دون التعرض لإطار النظام الاجتماعى القائم والعلاقات الاجتماعية السائدة، حتى لقد وقفوا بشدة ضد التيارات الفكرية التي كانت تنادى بالتغيير وتصدوا لكل محاولات الثورة على نظام الحكم القائم ووصفوا أصحاب هذه المحاولات بالتطرف والعصيان .

ومن هنا نفهم لماذا كانت تجمعات الإخوان المسلمين والشيوعيين ومصر الفتاة في صدام دائم مع سلطات الحكم القائم ومع أى حزب من الأحزاب الحاكمة وذلك رغم ما بين هذه التجمعات من خلافات جذرية في الأساس، إلا أنها كانت مجمعة - ولا شك - على ضرورة الثورة على النظام القائم . وحين ازداد نمو الاتجاهات

(١) اللجنة العامة للدستور، جلسة ١٥/٨/١٩٢٢ .

(٢) مارسيل كولومب، المصدر السابق . ص ٢٤٠ .

الثورية المطالبة بالتغيير تزعم كبار الملاك وأصحاب المصالح الخاصة الاتجاه الاصلاحي في المجتمع أى تعديل جانب من العلاقات الاجتماعية القائمة ولكن دون المساس بجوهرها أو بجوهر النظام ككل ، وأعتقدوا أن ذلك كفيلا بهدئة النفوس الثائرة .

فهل كان كبار الملاك إذن يكونون طبقة اجتماعية واحدة اتخذت مواقف واحدة وعاشت نمطا اجتماعيا واحدا ؟ ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال الهام يجدر بنا أن نحدد معنى الطبقة الاجتماعية حتى يصبح بإمكاننا تصنيف كبار الملاك اجتماعيا في المجتمع المعمرى خلال الفترة .

هناك تعريفات كثيرة ومتغايرة لمعنى الطبقة الاجتماعية لأن الحقائق التى تعرف بها الطبقة تختلف من حيث طبيعتها أشد الاختلاف ، كما أنها تتفاوت من حيث أهميتها تفاوتا كبيرا . وهذه الحقائق يمكن تلخيصها فى الثروة والمهنة أو العمل ونوع الحياة والتربية والثقافة . . والثروة والدخل قيمة مادية تتعلق بحجم ما يملكه الفرد من أصول وأموال تدبر عليه عائدا دوريا منتظما ، ويتفاوت تقييم الجماعة لمختلف الأحوال وفقا للظروف ولدرجة التطور التاريخى فى المجتمع البدائى تكون الماشية مثلا عنوانا للثروة ، وفى المجتمع الزراعى تكون الملكية العقارية ، بينما فى المجتمع الصناعى التجارى تكون الأوراق المالية عنوانا للثروة (١) .

أما المهنة فلها دور فى تحديد الطبقة فيقال طبقة العمال وطبقة الفلاحين وطبقة التجار والصناع وأصحاب المهن الحرة ، وقد تبدو الطبقة أحيانا مستقلة عن الثروة ومتصلة بالوظيفة أو العمل فالصايغ الذى لا يخضع لصاحب عمل يتميز عن العامل حق ولو كان كسبه لا يزيد عن مستوى أقل أجر يتقاضاه العامل ، ومع ذلك فالمهنة وحدها لا تكون الطبقة ، إذ الطبقة سابقة على المهنة فالإنسان يولد فى طبقة معينة

(١) ذكرى أحمد نصر المصدر السابق . ص ٣١ .

ثم يختار مهنته فيما بعد ، وقد يتأثر هذا الاختيار بالوضع الطبقي كالوراثة مثلاً كمهنة الزراعة والتعدين والصيد . . . الخ، كذلك فإن الطبقة الواحدة تضم عادة أشخاصاً من مهن مختلفة ، فالأطباء والمحامون والمحاسبون ينتمون إلى طبقة أصحاب المهن الحرة ، وكذلك الحال في طبقة العمال فأنها تشمل حرفاً من أنواع مختلفة كحرفة البناء والطلاء والزجاج ، وعلى هذا فالطبقة أوسع من الحرفة والمهنة (١) .

ومن هنا فإنة لا الثروة ولا المهنة تسكنى وحدها لتحديد الطبقة لأنه إذا تفاوتت الثروة - وهى لا بد كذلك - وجب أن ندخل فى اعتبارنا طريقة الاستمتاع بها ، وإذا كانت المهنة واحدة وجب أن تراعى الظروف التى تمارس فيها وهذا ينقلنا إلى عامل آخر فى تحديد الطبقة وهو نوع الحياه ، وهذا العامل يتصل بالمظهر والثقافة بقدر ما يتصل بالطريقة التى تمارس بها المهنة وبالوسائل التى يستخدمها الفرد للاستمتاع بثروته (٢) .

ومع أن تدخل هذه العوامل يجعل من الصعب تحديد معنى الطبقة بوضوح ودقة كما تحدد الأشكال الهندسية مثلاً ، إذ الطبقة الواحدة بهذا المعنى تضم بين ثنائياتها فئات تنوع أشد التنوع (٣) ، إلا أن هذا لا يمكن أن يحول دون أن تكون الطبقات الاجتماعية حقائق لها كيانتها ، ومن ثم يمكن تعريف الطبقة فى أنها مجموعة من الأفراد يتشابهون فيما بينهم فى نواح معينة كنوع الحياه أو الحرفة أو الثروة والتعليم والثقافة، ويختلفون عن غيرهم فى هذه النواحى نفسها داخل نطاق المجتمع الواحد (٤) .

ويمكن تحديد الطبقة من زاوية وسائل الإنتاج والعمل الاجتماعى فتكون

(١) أندريه جوسان ، طبقات المجتمع . ص ١٩ .

(٢) نفسه ، ص ٢٠ - ٢٢ .

(٣) نفسه ، ص ٢٧ . أنظر أيضاً : زكريا أحمد نصر ، المصدر السابق .

ص ٣١ - ٣٤ .

(٤) زكريا أحمد نصر ، المصدر السابق . ص ٣٠ .

الطبقة مجموعة من الافراد يجمعهم بصفة خاصة مركزهم من ملكية وسائل الإنتاج ودورهم في العمل الاجتماعي^(١) .

وتختلف الفئة عن الطبقة في أن الفئات الاجتماعية تتمايز بعضها عن بعض تمايزاً واضحاً لأن تصنيفها يقوم على خاصية أساسية واحدة أو مجموعة من الخصائص متماسك بعضها ببعض تماسكاً وثيقاً ، فهي تقوم مثلاً على الحرفة حين تتكلم عن فئة البنائين أو الاساتذة أو الضباط ، أو على وسيلة الحصول على المال أو الدخل كما هو الحال حين نفصل بين فئة الملاك وفئة الإجراء وفئة المضاربين^(٢) .

وفي ضوء هذه الشروط الخاصة بتحديد الطبقة الاجتماعية نستطيع أن نقول أن كبار ملاك الأراضي الزراعية في مصر كانوا يكونون فئة اجتماعية تجمع بين أروادها خصيصه ملكية الأرض الزراعية باعتبارها مصدراً من مصادر الثروة وكانوا من ناحية أخرى جزءاً من طبقة أوسع هي طبقة أصحاب وسائل الإنتاج والتي تضم أصحاب الشركات التجارية والصناعية بالإضافة إلى أصحاب الأراضي الزراعية بطبيعة الحال .

وأقد توفرت فيهم الشروط العامة للطبقة الاجتماعية كما اتفق عليها علماء الاجتماع والاقتصاد السياسي ، إذ كانت الأرض الزراعية مصدر ثروتهم الأساسي بالإضافة إلى استثمارهم فائض أرباحهم من الإنتاج الزراعي في مجال الشركات المساهمة ، كما كان عملهم يختلف بين الزراعة والتجارة والصناعة ، كذلك كانوا يعيشون حياة اجتماعية واحدة كقلاصها شبكة قوية عريضة من الاعهار والنسب بين العائلات بعضها بعضاً هذا إلى أن نوع الثقافة كان واحداً في أغلب الأحوال فقد كان مصدر ثقافة الجيل الأول منهم التعليم الديني في الأزهر أو مكاتب حفظ القرآن في الأقاليم أو مدارس الارسلالات التبشيرية الأجنبية ، أما الجيل التالي لهم ، أي

(١) نفسه ، ص ٤٣٥ .

(٢) اندريه جوسان ، المصدر السابق . ص ٣١ .

جيل الأبناء ، فقد كانت ثقافتهم ليبرالية تحصلوا عليها من الاتصال بالمجتمع الأوربي سواء من خلال البعثات التي أرسلتها الدولة إلى بلاد أوروبا وخاصة فرنسا وإنجلترا أو من خلال انتشار مناهج التعليم في المدارس والجامعات التي كانت تنقل إعطاء الحياة الثقافية والفكرية في أوروبا والتي كانت قائمة على الليبرالية كمنهج في الحياة .

وإذا كان هناك تنوع في هذه الشروط بين أفراد هذه الطبقة بحيث يصعب وضعهم في قالب نمطي واحد ، فهذا لا يعني افتقاد شرط من شروط الطبقة لأن هذا التنوع هو تنوع في إطار الوحدة ، أو هو اختلاف في الدرجة وليس في النوع على أكثر تقدير .

خاتمة

لقد كان كبار ملاك الأراضي الزراعية يكونون طبقة اجتماعية تفهم أصحاب وسائل الإنتاج من شركات تجارية وصناعية وأراضي زراعية وبنوك ومؤسسات مالية . ولقد بدأت هذه الطبقة تتكون منذ مطلع القرن الحالى حيث بدأت الملكية الفردية للأرض الزراعية تستقر منذ نهاية القرن التاسع عشر (١٨٩٤) كما أخذت فى الاتساع منذ البدء فى بيع أراضي الدارة السنية (١٩٠٠) وأراضي الدومين أو الأراضي الليرى (١٩١٢) .

واقد اعتمدت هذه الطبقة على الأرض الزراعية كمصدر أساسى للثروة ، ولم يقتصر استثمارهم لها على زراعتها بالمحاصيل المختلفة والاتجار فيها بل كانت الأرض نفسها سلعة تباع وتشترى بأسلوب رأسمالى بحسب هدفه الحصول على الفوائد الناتجة من انخفاض وارتفاع أسعار الأرض بين آونة وأخرى وطبقا للظروف الاقتصادية الموضوعية ، واقد ظلوا بعيدين عن مجال النشاط التجارى والصناعى فترة غير قصيرة ربما لأن الأجانب كانوا متفوقين فى هذه المجالات وكان من الصعب منافستهم ، وربما لأن الدخول فى هذه المجالات يتطلب قدرا من المغامرة وهو ما كانوا يفتقدونه . غير أنهم بدأوا يستثمرون جزءا من أموالهم فى تأسيس الشركات التجارية والصناعية، وكان إنشاء بنك مصر فى عام ١٩٢٠ يمثل منعطفا رئيسياً فى هذا الإتجاه الذى أخذ يتدعم وينمو بعد ذلك .

ولسكن من الملاحظ أن استثمارات هذه الطبقة فى تلك المجالات كان يقتصر على شراء الأسهم المالية التى كانت تطرحها الشركات التجارية والصناعية ، أى أنهم كانوا مساهمين أكثر منهم منتجين ، ومن ناحية أخرى فقد كان محور أعمال الشركات المساهمة التى تأسست بمعرفة هذه الطبقة أو بمشاركتها بعض أفرادها يدور حول تصنيع

القطن والإنتاج الزراعى بصفة عامة كجزء من محاولة حل مشكلات الإنتاج التى كانت تواجه هذه الطبقة .

ولقد كانت تحكم هذا النشاط الاقتصادى المتعدد ، علاقات إنتاجيه مع أطراف آخرين ، ذلك أن اعتماد المالك الكبير على الإيجار كوسيلة أساسية فى استغلال أرضه أدخله فى علاقات مع فئة من مستأجرى الأرض الزراعية - واء كان التأجير بالنقد أو بالمزايدة والممارسة أو بالمزارعة ، وكانت هذه العلاقة علاقة تماقدية يحكمها العرف والتقاليد والقانون أيضاً وذلك فى شكل عقود الإيجار التى كانت تتضمن فى كل بنودها مصالح المالك ولا تقيم أدنى اعتبار للظروف المناخية أو الاقتصادية التى تتعرض لها الزراعة وتؤثر بالتالى على المستأجر فى الوفاء بقيمة الإيجار وشروطه . وفى حالة قيام المالك بزراعة أرضه على الذمة ، أى بنفسه ، فإنه كان يدخل فى علاقة أخرى مع عمال الزراعة تقوم على الأجر الذى كان يتراوح بين الأجر النقدي أو العيني ، وكان يختلف فى تقديره من مكان إلى مكان على امتداد الأرض المصرية أى أنها علاقة عمل كذلك التى تقوم بين أصحاب المصانع والعمال فى النظام الرأسمالى .

ولقد سمت هذه الطبقة إلى حماية مصالحها الاقتصادية بالعمل على تخفيض نفقات الإنتاج وزيادة الأرباح فى نفس الوقت واتسمت اقتراحاتهم فى هذا المجال بالنظرة الجزئية من زاوية المصلحة الخاصة، كما أنها كانت تتم بمعزل عن الظروف والاعتبارات الاقتصادية القائمة ، وكانت وسائلهم فى ذلك السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية حيث احتفظوا فى كل منها بنسبة عالية تمسكهم من إصدار التشريعات المناسبة ، وإبطال التشريعات التى تسكون فى غير صالحهم ، وكذلك كانت النقابة الزراعية العامة إحدى هذه الوسائل .

على أن هذه الوسائل ، رغم أهميتها ، كانت قاصرة عن وضع الحدود اللازمة لحماية مصالحهم بالصورة الواجبة ، فالنقابة الزراعية العامة — وكانت تضم صفوة كبار الملاك الزراعيين — ظلت تنظيماً فوقياً لا يستند إلى نقابات فرعية فى الأقاليم تمدها بأسباب القوة والاستمرار ، لأن النقابة وضعت فى اعتبارها أن تقوم الحكومة

بتأسيس هذه النقابات بالأموال المتحصلة ، من ضريبة القطن فلم تهتم الحكومة بذلك ولم تحاول النقابة من فاحتها الاعتماد على وسائل أخرى لتحقيق هذه الغاية بل ظلت تضع في اعتبارها الاعتماد على الحكومة في مسائل تعد من أهم خصائص الحركة النقابية .

أما السلطان التشريعية والتنفيذية بصورها وأشكالها المختلفة فقد كانتا عاجزتين عن حماية مصالح هذه الطبقة الحماية الواجبة بسبب الامتيازات الأجنبية التي كانت تحد من الإجراءات التي كانت تتخذها أى من هاتين الساطتين ، لأن حماية المصالح الزراعية كانت تؤدي بالضرورة إلى الانتقاص من امتيازات أصحاب المصالح التجارية والصناعية التي يسيطر الأجانب على معظمها ولم يكن هذا متاحا بأى شكل من الأشكال خلال الفترة حيث ظلت هذه الامتيازات باقية من الناحية الفعلية حتى عام ١٩٤٩ تاريخ إنهاء العمل بنظام المحاكم المختلطة وهي التي كانت تمثل الأداة القانونية لحماية الامتيازات الأجنبية .

ورغم ضيق فرص حماية مصالح هذه الطبقة فلقد أمكن الوصول إلى قدر من الحماية كلما أمكن عدم التصادم مع المصالح الأجنبية مثلما حدث في التخفيضات الجزئية لضريبة القطن وتخفيض رسوم الواردات على الآلات والأسمدة الزراعية وزيادتها على المنتجات المماثلة للإنتاج المحلي ، وتخفيض رسوم التصدير على القطن وبذرتة وعلى بعض المواد الأخرى . وكذلك الحال بتدخل الحكومة شارية في سوق القطن في المواسم المختلفة ومنح سلف زراعية تعين المزارع على عدم الإسراع ببيع محصوله بالأسعار البخسة التي كان يحددها تجار الصادرات الأجانب . وأمل أبرز صور هذه الحماية كانت التسويات العقارية التي نظمتها الحكومة مع البنوك العقارية الأجنبية ابتداء من مارس ١٩٣٣ ، والتي تحملت الخزينة العامة بسببها جزءا غير قليل من الأموال العامة ، أموال دافعي كل الضرائب .

ولم تقتصر حمايتهم لمصالحهم على تخفيض نفقات الإنتاج وزيادة الأرباح . . الخ بل اهتموا في الحل الأول بحماية الملكية الزراعية والحيولة دون التعرض لحجمها

بأى حال من الأحوال ، أو الحد من التملك بأى قدر من المقادير ، ولهذا وقفوا ضد مشروعات الإصلاح الزراعى التى كانت تنادى بتحديد الملكية الزراعية رغم أن هذه المشروعات لم تسكن تطالب بإلغاء الملكية الفردية مثلاً بل كانت فى خدمة هدفهم الرئيسى وهو زيادة الأرباح لأنها كانت تقدم فرصاً لنقل استثمار الأموال من مجال الزراعة إلى مجالات النشاط الأخرى التجارية والصناعية ، إلا أنهم رفضوا ذلك لارتباط الملكية الزراعية بالمكانة الاجتماعية والسياسية داخل المجتمع .

واقداً ثبتت الإجراءات التى اتخذت لحماية مصالح طبقة كبار الملاك أن الحكومة كانت فى النهاية تعبيراً عن مصالح الطبقة التى كانت تملك وسائل الإنتاج وكان هذا يتمشى إلى حد كبير مع المنهج الليبرالى السائد آنذاك واذى كان يحدد دور الحكومة فى القيام بعمل رجل الحراسة الليلية الذى يسهر على حماية المصالح الاقتصادية دونما تدخل فى شئون الفرد ومؤسساته التى يجب أن تكون فوق الحكومة وسلطاتها . وكان هذا يتضح أيضاً فى صياغة دستور ١٩٢٣ الذى ضمن تمثيل هذه الطبقة تمثيلاً كافياً فى السلطة التشريعية ومحاولته تحديد دور الملك عن طريق تقييد ما كان يعرف بمحقوق العرش .

وكانت الأحزاب السياسية وسيلة أخرى من وسائل حماية مصالح هذه الطبقة فبواسطتها يمكن الوثوب إلى السلطة التشريعية والتنفيذية وممارسة الحكم ، ولهذا انتشر أفراد هذه الطبقة فى كل الأحزاب السياسية التى شهدتها الفترة دون تمييز بين حزب وآخر وبحيث يصعب فى النهاية الإشارة إلى حزب معين بأنه يمثل هذه الطبقة دون غيره من الأحزاب وأن كان حزب الأحرار الدستوريين أكثر الأحزاب تمثيلاً لأفراد هذه الطبقة وكان الحزب الوطنى وحزب الوفد أقلها فى الواقع .

ويلاحظ أن عضويه أى فرد من أفراد هذه الطبقة لأى حزب من تلك الأحزاب لم يتسم بصفة الدوام أو الثبات بل كثيراً ما كان ينتقل من حزب لآخر بين كل دورة انتخابية وأخرى ميلاً مع ميزان القوة ولأى حزب يتجه ، كما يلاحظ أن أفراد

الأسرة الواحدة كانوا ينتمون لأكثر من حزب حتى تحتفظ الأسرة دائماً بسند لها في السلطة في أية انتخابات تحدث .

ولقد كان هذا التعدد الحزبي في النهاية ومع وحدة برامج هذه الأحزاب وعدم وجود اختلاف دقيق بين أى منها يدل على أن الانتماء الحزبي لأفراد هذه الطبقة هو من قبيل الترف السياسى والتمتع بقدر من السلطة تضى رونقا على المركز الاجتماعى الذى يتمتعون به .

ولقد وقفت هذه الطبقة — فى سبيل حماية مصالحها — ضد أية محاولات للتغيير الاجتماعى ، وكانت تصف أصحاب هذه المحاولات بالتطرف والتخريب ويؤكد هذا ، المواقف التى وقفها إزاء المسائل الاجتماعية المختلفة . مثل مسألة التعليم الإلزامى ومسألة الإصلاح الزراعى . ومسألة العلاقات مع الفلاحين سواء مستأجرو الأرض الزراعية أو عمال الزراعة ، وغيرها من المسائل التى كانت تعرض بصورة أو بأخرى لتغيير شكل العلاقات الاجتماعية السائدة أو نمط الحياة نفسها .

وإذا كنا قد انتهينا إلى أن كبار الملاك الزراعيين كانوا يـكونون طبقة اجتماعية داخل المجتمع المصرى ، إلا أن ذلك لا يعنى أنهم كانوا يـكونون نظاما إقطاعيا بالمعنى الذى عرفته أوروبا فى مراحل تطورها الاجتماعى ، ذلك أن النظام الإقطاعى له مواصفات معينة ينبغى توفرها فى أى نظام يوصف بهذه الصفة .

فمن الناحية السياسية يتصف النظام الإقطاعى باللامركزية بمعنى تفقت السلطة العامة وتوزيعها على سادة الإقطاع كل فى منطقته أو مقاطعته ، ومن الناحية الاقتصادية يقوم النظام الإقطاعى على وحدات مغالقة أو شبه مغالقة أساسها نشاط زراعى قائم على استقلال طبقة من الإشراف لرقيق الأرض يلزم فيها المنتج (رقيق الأرض) بإداء بعض الحاجات الاقتصادية للسيد الإقطاعى ، وجوهره أن يخضع العبد قبل سيد الأرض لعدد من الالتزامات مصدرها تبعيته لهذه الأرض أما بالمولد ، وأما بطول الإقامة . ففى هذا النوع من الرق تنقسم العلاقة الشخصية

المباشرة القائمة على ملكية الرقيق وتحمل محلها علاقة أساسها السيادة على الأرض من جهة السيد والتبعية لهذه الأرض من جهة العبد . .

ولم يكن يسمح للفلاح بترك الأرض أو المنطقة التي يعيش فيها إلا بأذن من سيد الأرض ، وكان الغرض من ذلك إبقاء الفلاحين لزراعة الأرض وتأدية ما عليهم من الفرائض المتنوعة التي يستحقها السيد وفي مقابل ذلك لم يكن لهذا الأخير الحق في طرد الفلاح أو حرمانه من زراعته كما كان عليه الالتزام بحمايته من اعتداء الغير وبتدبير ما تحتاج إليه حياته من مرافق عامة كالفصل في المنازعات مثلاً أو إنشاء منشآت يعجز الفلاحون عن إقامتها بأنفسهم (طاحونة أو معصرة) ، ولم يكن رق الأرض مبنياً دائماً على عرف تسنده قوة السيد القهريه بل كان مرجعه أحياناً إلى رضى الفلاح بالتنازل عن حريته في مقابل تمهد السيد بحمايته (١) .

أما النظام الذى أتبعه كبار الملاك في مصر في استغلال أراضيهم ، فقد كان بعيداً عن مواصفات النظام الإقطاعى لعوامل كثيرة أهمها في تقديرنا ما يلي :

— أن كبار الملاك في مصر لم يكونوا مقيمين بمناطق ملكياتهم كما كان امراء الإقطاع في أوروبا ، بل كان أغلبهم يعيش في المدن الرئيسية كالقاهرة والاسكندرية وعواصم المديريات ، وكان جزء آخر يعيش خارج البلاد في تركيا أو أوروبا ، ولهذا فهم لا يتحملون أية مسؤوليات اجتماعية تجاه الفلاحين وكل ما يربطهم بالأرض إنما مصدر للثروة وكل ما يربطهم بالفلاح أنه قوه عمل .

— أن العلاقة بين مالك الأرض وبين الفلاح ليست علاقة إقطاعية بمعنى

(١) زكريا أحمد نصر ، المصدر السابق . ص ٧٤ ، ٨٢ — ٨٣ .

التبعية مقابل الحماية كما عرفها النظام الاقطاعى وإنما كانت علاقة تعاقدية تقوم على الإيجار إذا اعتمد المالك فى استغلال أرضه على الغير بطريق الإيجار ، أو علاقة عمل إذا كان يزرع أرضه بنفسه ويعتمد على عمال زراعة ، وهذا النوع من العلاقات يعتبر علاقة رأسمالية كالتى تقوم بين أصحاب الأعمال والعمال وليس علاقة إقطاعية .

— أن المالك فى مصر كان يتصرف فى أرضه بالبيع والرهن بحيث كانت تعتبر سلعة تباع وتشترى بهدف الحصول على الربح المناسب ، بينما المالك الاقطاعى لا يتصرف فى أرضه إلا بالهبة والتوريث .

— أن الأرض كانت فى الأصل ملكا للدولة التى كانت لها سلطة مركزية قوية على جميع مرافق الحياة بطريقة تجعلنا نقول أن مصر لم تشهد فى أى عصر من عصور تاريخها النظام الاقطاعى بمعناه العلمى فيما عدا العصر المملوكى الذى كان ملتزموا الأرض يتحولون فيه إلى أمراء اقطاع . وحينما استقرت الملكية الفردية فى مصر فى نهاية القرن التاسع عشر استخدمت الدولة فى سجلاتها الرسمية كلمة « مكلفة زراعية » للدلالة على الملكية الفردية ، أى أن الملكية الفردية بهذا المعنى كانت من وجهة نظر الدولة تكليفا للمالك بزراعة أرض كانت أصلا فى حوزة الدولة .

ولكل هذه الاعتبارات لا يمكننا وصف نظام استغلال الأرض الزراعية فى مصر خلال الفترة بأنه نظام اقطاعى بل يمكن وصف هذا النظام بالرأسمالية الزراعية التى تقف إلى جانب الرأسمالية التجارية والرأسمالية الصناعية والرأسمالية المالية (البنوك) مكونين ملامح النظام الرأسمالى فى صورته العامة المتكاملة .

وإذا كانت الامتيازات الأجنبية قد حالت فى كثير من الأحيان دون استخدام كبار الملاك سلطاتهم فى حماية مصالحهم إلى حد كبير وهى الامتيازات التى ظلت قائمة من الناحية العملية حتى عام ١٩٤٩ إلا أن ذلك لم يجعل كبار الملاك يقفون مكتوفى الأيدي أمام هذه العقبة الكبيرة بل حاولوا إزالتها من طريقهم منذ البداية حتى تحقق ذلك بمعاهدة مونتريه ١٩٣٧ .

وحين بدأ الوعي الطبقي يكتمل لدى كبار الملاك ، وأصل العلاقات بينهم إلى مراحل عالية من النضج والتكامل وزالت الامتيازات الأجنبية وعماكمها المختلطة وأصبح الطريق ممهدا أمامهم جاء قانون الإصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ليجردهم من المصدر الرئيسى للثروة والقوة وهو الملكية الزراعية التى تمهدت بماتى فدان ووضع بداية أخرى فى نظام استقلال الأرض الزراعية فى مصر .

•

مصادر البحث

أولا : الوثائق

أ - وثائق باللغة العربية

١ - وثائق غير منشورة :

— ملفات ملاك الأراضي الزراعية الخاضعين لقانوني الإصلاح الزراعى الأول
١٩٥٢/١٧٨ والثانى ١٩٦١/١٢٧ (الهيئة العامة للإصلاح الزراعى) .

— مكلفات الأمليان الزراعية (دار المحفوظات المصرية)

— ملفات موظفى الدولة (دار المحفوظات المصرية)

— دفاتر وسجلات عمدة ومشايخ (دار المحفوظات المصرية)

— المضبطة الأصلية لمحاكمات الثورة (الهيئة العامة للاستعلامات)

— أوراق وبحوث المؤتمر الوفدى الثانى فى المدة من ١٤ - ١٦ نوفمبر ١٩٤٣
(طرف الباحث محمد فريد حشيش) .

٢ - وثائق منشورة :

— التطور الاقتصادى فى مصر . لمحات واحصاءات ، تقرير الفرقة التجارية
المصرية لمحافظة الاسكندرية مقدم إلى مؤتمر الفرقة التجارية والصناعية والزراعية
العربية المنعقد فى بيروت فى ديسمبر ١٩٥١ (إصدار الفرقة التجارية المصرية لمحافظة
الاسكندرية) .

— القوانين المقارية فى الديار المصرية ويشتمل على القوانين واللوائح

والتعليقات الإدارية المتعلقة بالمقارنات (إصدار مراقبة الأموال المقررة ، الطبعة الثانية ١٩٠١) .

— محاضر اللجنة العامة لدستور ١٩٢٣ (إصدار الحكومة المصرية . ١٩٢٤) .

— محاضر لجنة وضع المبادئ العامة لدستور ١٩٢٣ (إصدار الحكومة المصرية . ١٩٢٧) .

— مضابط البرلمان المصري .

— المؤتمر الزراعى الأول لسنة ١٩٣٦ (البحوث والتوصيات) (إصدار جمعية خريجي الزراعة بالجيزة) .

— المؤتمر الزراعى الثالث من ٢٠ مارس — ٨ أبريل ١٩٤٩ . البحوث والقرارات (إصدار جمعية خريجي المعاهد الزراعية) .

— اليويل الذهبى لبنك مصر ١٩٢٠ — ١٩٧٠ .

ب — وثائق باللغة الإنجليزية

١ — وثائق غير منشورة :

— محفوظات وزارة الخارجية البريطانية F.O بدار الوثائق العامة
Public Record Office تحت الأرقام الآتية :

3967 — 12 — 848

3903 — 4 — 848

404 — 5 — 848

3953 — 8 — 848

12. — 848

4. — 848

15252 — 1964 — 371

8076 — 4979 — 371

1616 — 469 — 141

141 — 747 — 3730

141 — 780 — 8915

141 — 743 — 8974

— Milner papers. Oxford University

— Clayton papers. " "

— Wingate papers. Durham College

٢ — وثائق منشورة :

— ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، إصدار مركز الوثائق والبحوث التاريخية
لمصر المعاصرة .
(مؤسسة الأهرام ١٩٦٩)

ثانيا : الكتب العامة

(١) كتب عربية :

— إبراهيم عامر ، الأرض والفلاح ، المسألة الزراعية في مصر .
(القاهرة ١٩٥٨)
— أحمد بهاء الدين ، أيام لها تاريخ (الطبعة الثالثة ١٩٥٤) .
— أحمد عبد الرحيم مصطفى ، تاريخ مصر السياسي من الاحتلال إلى
المعاهدة (١٩٦٧)
— أحمد على ، المشكلة العقارية الزراعية وآثارها الاقتصادية والاجتماعية
(وزارة الزراعة ١٩٤١)

— أمين سامي ، تقويم النيل ج ١

— أندريه جوسان ، طبقات المجتمع . ترجمة السيد محمد بدوى (١٩٥٦)
— أوسكار لانج ، الاقتصاد السياسي . ترجمة راشد البراوى (١٩٦٦)
— باتريك أوبريان ، ثورة النظام الاقتصادى فى مصر من المشروعات
الخاصة إلى الاشتراكية . ترجمة خيرى حماد . (١٩٦٨)

— ثورشتاين فبلان ، نظريه الطبقة المترفة . ترجمة محمود محمد موسى
(بدون تاريخ)

— جمال الدين محمد سعيد ، التطور الاقتصادى فى مصر منذ الكساد
العالمى الكبير
(١٩٥٥)

— جمال الدين محمد سعيد ، اقتصاديات مصر .

(الطبعة الثانية ١٩٦٤)

— حسن خضر ، الشخصيات البارزة بالقطر المصرى . دليل الطبقة
الراقية .
(١٩٤١)

— حسين خلاف ، التجديد فى الاقتصاد المصرى الحديث
(١٩٦٢)

— خليل حسن خليل ، دور رؤوس الأموال الأجنبية فى تنمية الاقتصاديات
المتخلفة .
(١٩٦١)

— خليل سري ، الملكية الريفية الصغرى كأساس لإعادة بناء الكيان الريفى
فى مصر
(١٩٣٨)

— رؤوف عباس حامد ، تاريخ الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ — ١٩٥٢
(١٩٦٨)

— رؤوف عباس حامد ، الملكيات الزراعية الكبيرة وأثرها فى المجتمع
المصرى ١٨٣٧ — ١٩١٤ .

(رسالة دكتوراه لجامعة عين شمس ١٩٧١ غير منشورة) .

— زكريا أحمد نصر ، تطور النظام الاقتصادى . مقدمة لدراسة الاقتصاد
السياسى
(الطبعة الثانية ١٩٦٥)

— سيد مرعى ، الإصلاح الزراعى فى مصر
(١٩٥٧)

— طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢
(١٩٧٢)

- عباس محمود العقاد ، سعد زغلول ، سيرة وتحية . (١٩٣٦)
- عبد الحكيم الرفاعي ، الاقتصاد السياسى (١٩٣٨)
- عبد الرحمن الرفاعى ، محمد فريد (١٩٤١)
- « » ، ثورة ١٩١٩ (الطبعة الثانية ١٩٥٥)
- عبد العزيز فهمى ، هذه حياتى (١٩٦٣)
- عبد الغنى غنام ، الاقتصاد الزراعى وإدارة المزارع (١٩٣٩)
- عبد الواحد الوكيل ، استعراض لمقترحات الإصلاح القروى والسبيل
القويم أمام الدولة لتحقيقها (١٩٣٩)
- عزيز خانكي ، معجزة من معجزات الإصلاح الزراعى (١٩٣٥)
- « » ، خاطرات تاريخية (بدون تاريخ)
- على إسلام باشا ، وسائل تحسين حالة الفلاح اقتصاديا (١٩٣٧)
- على أمين ، هكذا تحكم مصر (الطبعة الثانية ٢ مارس ١٩٥٢)
- فرج سامان فؤاد ، الكنز الثمين لعظماء المصريين (١٩١٧)
- فؤاد كرم ، النظارات والوزارات المصرية (١٩٦٩)
- قلابى فهمى ، آراء وذكريات فى السياسة والاقتصاد والاجتماع (١٩٣٧)
- مارسيل كولومب ، تطور مصر ١٩٢٤ - ١٩٥٠ . ترجمة زهير الشايب .
(١٩٧٢)
- محمد السعيد محمد ، الاقتصاد الزراعى (١٩٤٩)
- محمد أنيس والسيد رجب حراز ، ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصولها
التاريخية (١٩٦٩)
- محمد حسين هيكل ، مذكريات فى السياسة المصرية ج١ (١٩٥١)
- محمد خايل صبحى ، تاريخ الحياة النيابية فى مصر من عهد ساكن الجنان
محمد على (١٩٤٧)

— محمد زكى عبد القادر ، أقدام على الطريق (١٩٦٧)

— محمد عبد العزيز عجمية ، دراسات في التطور الاقتصادى

(الطبعة الثالثة ١٩٦٥)

— محمد عبد الله العربى ، سياسة الانفاق الحكومى فى مصر فى الفترة من

(١٩٤٨)

١٩٤٨/١٨٨٢

— محمد على علوبه ، مبادئ فى السياسة المصرية (١٩٤٢)

— محمد فهمى لطيفة ، الاقتصاد الزراعى (١٩٤٤)

— محمد كامل مرسى ، الملكية والحقوق العينية (١٩٣٣)

— محمود كامل ، مصر القدي (١٩٣٩)

— مريت غالى ، الإصلاح الزراعى (١٩٤٥)

— هنرى عيروط اليسوعى ، الفلاحون . ترجمه محمد غلاب

(الطبعة الثانية بدون تاريخ)

— يوسف الغريانى ، العلاج الحاسم لمشاكلنا الإجتماعية (١٩٤٢)

— يوسف نحاس ، جهود النقابة الزراعية المصرية العمامة فى ثلاثين عاما

(١٩٥٢)

(ب) كتب اجنبية :

- Baer, G., A history of Landownership in Modern Egypt 1800 — 1950 (Oxford 1962)
- Brinton, J. Y., The Mixed Courts of Egypt (U. S. A. 1930)
- Cantori, L. J., The Organizational Basis of an elite political party : The Egyptian Wafd (PH. D. thesis to Illinois university 1966 unpublished)
- Crouchley, A. E., The Investment of Foreign Capital in Egyptian Companies and Public Debt. (Cairo 1936)
- Crouchley, A. E., Economic Deve lopment of Modern Egypt (London 1938)
- Harris, Murray., Egypt under the Egyptians. (بدون تاريخ)
Issawi, Charles., Egypt: an economic and social analysis (London 1947)
- Lloyd, George., Egypt since Cromer. 2 Vols. (London 1933 — 1934)
- Marlowe, John., Anglo — Egyptian relations 1800 — 1953 (London 1954)
- Papasian, E. D., L'Egypte economique et financiere etudes Financieres 1922 — 1923 (Cairo 1923) and, 1924 — 1925 (Cairo 1926)
- Russellpasha, Sir Thomas., Egyptian service 1902 — 19 6 (London 1949)
- Selim, Hussein Kamel., Twenty Years of agricultural Deve lopment in Egypt (1919 — 1939) (Egypt 1940)
- Warriner, Doreen., Land reform and development in the Middle East (1962)
- Wavell, V., Allenby in Egypt (New York 1944)
- Chirol, Sir Valentine, The Egyptian Problem (London 1920)
- Yousseff, Amine., Independent Egypt (London 1940)

ثالثا : بحوث ودراسات

(باللغة العربية)

— أحمد حسين ، أساس التشريع الذى ينظم العلاقة بين ملاك الأرض ومستأجريها .

(بحث مقدم للمؤتمر الزراعى الثالث ١٩٤٩)

— أحمد عبد الوهاب ، السياسة الزراعية .

(بحث مقدم للمؤتمر الزراعى الأول ١٩٣٦)

— أحمد عبد الوهاب ، مذكرة بشأن إقرار الحكومة لسياسة قطنية مستديمة (١٩٣٠)

— حسن محمد شديد ، طرق استقلال الاراضى الزراعية .

(المجلة الزراعية المصرية ، يناير وفبراير ومارس ١٩٤٣)

— حسين خلاف ، تطور نظام الضرائب فى مصر خلال الخمسين سنة الأخيرة (من أبحاث العيد الخمسين للجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع ١٩٦٠)

— رءوف عباس حامد ، حزب الفلاح الاشتراكى ١٩٣٨ - ١٩٥٢ .

(من أبحاث مركز تاريخ مصر المعاصر . غير منشور)

— عبد الحليم الياس نصير ، نظام ضرائب الاطيان .

(بحث مقدم للمؤتمر الزراعى الأول ١٩٣٦)

— عبد المنعم الطنامل ، تطور الاقتصاد الزراعى المصرى فى الخمسين سنة الأخيرة (من أبحاث العيد الخمسين للجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع ١٩٦٠)

— عزيز خانكي ، الملكية العقارية في مصر .
(مجلة القانون والاقتصاد نوفمبر ١٩٣٦)

— علام محمد ، الديون العقارية
(بحث مقدم للمؤتمر الزراعى الأول ١٩٣٦)

— محمد أحمد جمعة ، تفتيش سخا
(المجلة الزراعية المصرية ، يناير وفبراير ومارس ١٩٥٢)

— محمد مصطفى عقر ، نظام التلية بالمزارع الكبيرة
(جريدة الزراعة ١٩١٩/١٢/٨)

رابعاً : مقالات

(باللغة العربية)

— إبراهيم رشاد ، علاقة صاحب الأرض بمستأجرها (المقطم ، ١٩٥٢/٦/٢)

— أحمد أباطة ، علاج أزمة القطن (المقطم ، ١٩٣٩/٨/٢٢)

— أحمد الألفى ، الديون العقارية ، اقتراحات

لحل مشاكلها (المقطم ، ١٩٣٣/١٠/٣)

— أحمد رشاد البدرى ، وجوب إنشاء اتحاد للزراع (المقطم ، ١٩٣٨/١٢/٣٠)

— أحمد مدوح منصور ، علاج مسألة القطن (المقطم ، ١٩٣٧/١٠/٥)

— إسماعيل أباطة ، بيان لابد منه للامة المصرية

حول نادى الأعيان (المقطم ، ١٩١٩/٨/٥)

— الفريد شماس ، مسألة القطن (المقطم ، ١٩٢٦/١٠/١٢)

— » » ، زراعة القطن وربحها بعد

الضرائب والتسكليف (المقطم ، ١٩٣٠/١٠/٩)

- الكسان ابسخرون ، الطريقة المثلى للدفاع عن القطن (المقطع ، ١٩٢٣/٧/١)
- » » ، الدفاع عن القطن بانقراض زمامه إلى الثالث (المقطع ، ١٩٢٥/١١/٢٦)
- » » ، الدفاع عن القطن ووجوب تعاون الامة (المقطع ، ١٩٢٥/١١/٦)
- ١٩٢٦/٢/١١
- » » ، لحماية القطن (المقطع ، ١٩٢٩/٥/٣)
- » » ، كلمة من أحد الممولين ودافعي الضرائب (المقطع ، ١٩٣٢/٨/٣)
- » » ، كلمة الفلاح المنتج (المقطع ، ١٩٣٧/٩/١٨)
- أمين أنطون ، مشكلة الديون العقارية (المقطع ، ١٩٣٤/٧/٢)
- أنيس دوس ، مشروع اقتصادى عظيم
- حل مشكلة القطن (المقطع ، ١٩٢٣/١/٢٧)
- » » ، كيف نحافظ على ثروتنا
- الاهلية (المقطع ، ١٩٣٣/١١/٧)
- توفيق بحرى ، الثروة المصرية وكيف تصان (المقطع ، ١٩٢٩/١٠/١١)
- ثابت ثابت ، القطن والبنك الوطنى (المقطع ، ١٩٢٠/١١/٦)
- جابر موسى ، الكارثة القطنية (المقطع ، ١٩٣٩/٧/٣٠)
- » » ، الفلاح وأسعار القمح (المقطع ، ١٩٤١/٥/٢٩)
- حسن الزينى ، حزب المزارعين الاقتصادى (المقطع ، ١٩٢٣/٣/٣)
- » » ، إنشاء بنك عقارى (المقطع ، ١٩٢٥/٩/١)
- ١٩٣٠/١٠/١٨
- حسين تيمور ، أزمة القطن المصنعة والنقابة الزراعية العامة (المقطع ، ١٩٢٣/٦/٢٨)

- قلبنى فهمى ، فى مقال مشكلة القطن (المقطم ، ١٩٣٩/٧/٢٩)
 — محمد إبراهيم هلال ، نادى الأعيان (المقطم ، ١٩١٩/٧/٢٨)
 (١٩١٩/٨/١٨)

- محمد أبو الفتوح ، بحث فى إصلاح الطرق المتبعة
 فى بيع القطن (المقطم ، ١٩١٦/٥/٢٥)

- » » ، الأزمة المالية الزراعية
 داؤها ودواؤها (المقطم ، ١٩١٦/٥/٢٦)

- » » ، بحث فى الاستقلال الاقتصادى (الأهالى، ١٩٢٠/١١/٧)
 — محمد أسعد ولاية ، القطن المصرى بين حاضره
 ومستقبله (المقطم ، ١٩٢٦/١/١٣)

- محمد الشريمى ، بيان حقيقة حول نادى الأعيان (الأهالى، ١٩١٩/٩/٢٩)
 — محمد توفيق السيد أباطة ، نبره على وتر الزراعة (المقطم ، ١٩٢٣/٦/٢٤)

- محمد توفيق الطوبجى ، اقتراح لتحسين أسعار القطن (المقطم، ١٩٢٥/١٠/١٦)
 — محمد توفيق شهاب ، نادى الأعيان (المقطم ، ١٩١٩/٨/٢٣)
 — محمد خطاب ، الأسس الزراعية وتحديد الملكية

- (المقطم ، ١٩٥٠/١١/٨)
 — محمد زكى عبدالقادر ، تضخم الثروات (آخر ساعة المصورة ،
 ١٩٤٤/٣/٢٦)

- محمد عبد الحميد الدماطى ، علاج تدهور أسعار القطن
 (المقطم ، ١٩٣٩/١/١٣)
 — محمد كامل جلال باشا ، مسألة القطن (المقطم ١٩٢٦/١٠/١٢)

- محمد مندور ، دستور الإصلاح . بؤسنا المادى
 (الثقافة ، ١٩٤١/١٠/٢١)

- محمد نجيب ولاية ، مسألة القطن (المقطم ، ١٢/١٠/١٩٢٦)
- محمود أبو حسين ، ثمرة الزراعة في حماية الأسعار (المقطم ، ١١/٤/١٩٣٣)
- ، ، مشكلة الديون العقارية والحل (المقطم ، ٢١/٩/١٩٢٣)
- محمود فتح الله الجيار ، اقبلوا الفلاح من عثاره (المقطم ، ٥/١/١٩٢٩)
- محمود محمد الألفى ، لملاج الضائقة الاقتصادية والديون العقارية (المقطم ، ٢٣/٩/١٩٣٣)
- مريت غالى ، توزيع الملكية العقارية في مصر (المقطم ، ٢٥/١٠/١٩٤٥)
- مصطفى أمين النكحاني ، المزارع الواسعة في مصر والطرق المتبعة في إدارتها (السياسة ، ١٧/١٠/١٩٢٩)
- ، ، الزراعيون في مصر وحقوقهم المضمومة في الأعمال الحكومية والحره (السياسة ، ٢٨/١١/١٩٢٩)
- ميناس خورى ، ضريبة الاطيان (المقطم ، ١٦/٥/١٩٣٣)
- ناجى عبد اللطيف فايد ، تشجيع صناعات الغزل والنسيج ، في مصر (المقطم ، ٩/٦/١٩٢٦)
- نجيب ميخائيل جرجس ، الشك في فائدة قانون الثالث (المقطم ، ٢٩/٧/١٩٢٨)
- يعقوب يباوى ، القطن (المقطم ، ٢١/٨/١٩٣١)

خامسا الدوريات

(باللغة العربية)

(١) جرائد :

الزراعة

السياسة

المقطم

الأخبار

الأهالي

الأهرام

(ب) مجلات :

السياسة الأسبوعية

المجلة الزراعية المصرية

نشرة اتحاد الزراع في مصر

النشرة الشهرية للإحصائيات الزراعية والاقتصادية

العمدة

المصور



جدول *

يبين نسبة كبار الملاك في السنوات من ١٩١٤ - ١٩٥٢

النسبة %	كبار الملاك	عدد الوزراء	الوزارة وتاريخها	النسبة %	كبار الملاك	عدد الوزراء	الوزارة وتاريخها
٦١ر٧	٨	١٣	١٩٣٨/ ٦/٢٤ - ١٩٣٨/ ٤/٢٧ محمد محمود	٧٥	٦	٨	١٩١٤/ ١٢/١٨ - ١٩١٤/ ٤/ ٥ حسين رشدي
٥٠	٦	١٢	١٩٣٩/ ٨/١٨ - ١٩٣٨/ ٦/٢٤ » »	٨٥ر٥	٦	٧	١٩١٧/ ١٠/ ٨ - ١٩١٤/ ١٢/ ١٩ » »
٥٠	٧	١٤	١٩٤٠/ ٦/٢٧ - ١٩٣٩/ ٨/١٨ علي ماهر	٨٥ر٥	٦	٧	١٩١٩/ ٤/ ٨ - ١٩١٧/ ١٠/ ٩ » »
٥٦ر١	٩	١٦	١٩٤٠/ ١١/١٤ - ١٩٤٠/ ٦/٢٧ حسن صبرى	٧١ر٣	٥	٧	١٩١٩/ ٤/ ٢٢ - ١٩١٩/ ٤/ ٩ » »
٥٣ر١	٨	١٥	١٩٤١/ ٧/٣١ - ١٩٤٠/ ١١/ ١٥ حسين سرى	١٠٠	٧	٧	١٩١٩/ ١١/ ١٥ - ١٩١٩/ ٥/ ٢٠ محمد سعيد
٦٦ر٢	١٠	١٥	١٩٤٢/ ٢/ ٤ - ١٩٤١/ ٧/ ٣١ » »	٨٥	٧	٨	١٩٢٠/ ٥/ ٢١ - ١٩١٩/ ١١/ ٢٠ يوسف وهبه
٦٣ر٧	٧	١١	١٩٤٢/ ٥/ ٢٦ - ١٩٤٢/ ٢/ ٤ مصطفى النحاس	٧٥	٦	٨	١٩٢١/ ٣/ ١٥ - ١٩٢٠/ ٥/ ٢١ محمد توفيق نسيم
٦٤ر٢	٩	١٤	١٩٤٤/ ١٠/ ٨ - ١٩٤٢/ ٥/ ٢٦ » »	٨٨ر٨	٨	٩	١٩٢١/ ١٢/ ٢٤ - ١٩٢١/ ٣/ ١٦ عدلى يكن
٥٣ر١١	٧	١٣	١٩٤٥/ ١/ ١٥ - ١٩٤٤/ ١٠/ ٨ أحمد ماهر	٥٥ر٥	٥	٩	١٩٢٢/ ١١/ ٢٩ - ١٩٢٢/ ٣/ ١ عبد الخالق ثروت
٥٣ر١	٨	١٥	١٩٤٥/ ٢/ ٢٤ - ١٩٤٥/ ١/ ١٥ » »	٨٠	٨	١٠	١٩٢٣/ ٢/ ٩ - ١٩٢٢/ ١١/ ٣٠ محمد توفيق نسيم
٥٠	٧	١٤	١٩٤٦/ ٢/ ١٥ - ١٩٤٥/ ٢/ ٢٤ محمود فهمى النقراشى	٦٣ر٧	٧	١١	١٩٢٤/ ١/ ٢٧ - ١٩٢٣/ ٣/ ١٥ يحيى إبراهيم
٣٣ر١	٤	١٢	١٩٤٦/ ١٢/ ٨ - ١٩٤٦/ ٢/ ١٦ اسماعيل صدقى	٦٣ر٧	٧	١١	١٩٢٤/ ١١/ ٢٤ - ١٩٢٤/ ١/ ٢٨ سعد زعول
٥٤ر٦	٦	١١	١٩٤٨/ ١٢/ ٢٨ - ١٩٤٦/ ١٢/ ٩ محمود فهمى النقراشى	٧٥	٩	١٢	١٩٢٥/ ٣/ ١٣ - ١٩٢٤/ ١١/ ٢٤ أحمد زيور
٥٠	٨	١٦	١٩٤٩/ ٧/ ٢٥ - ١٩٤٨/ ١٢/ ٢٨ ابراهيم عبد الهادى	٨٠	٨	١٠	١٩٢٦/ ٦/ ٧ - ١٩٢٥/ ٣/ ١٣ أحمد زيور
٦٨ر٨	١٣	١٩	١٩٤٩/ ١١/ ٣ - ١٩٤٣/ ٧/ ٢٥ حسين سرى	٧٧ر٧	٧	٩	١٩٢٧/ ٤/ ٢١ - ١٩٢٦/ ٦/ ٧ عدلى يكن
٢٨ر٤	٤	١٤	١٩٥٠/ ١/ ١٢ - ١٩٤٩/ ١١/ ١٣ » »	٧٠	٧	١٠	١٩٢٨/ ٣/ ١٦ - ١٩٢٧/ ٤/ ٢٥ عبد الخالق ثروت
٢٩ر٧	٥	١٧	١٩٥٢/ ١/ ٢٧ - ١٩٥٠/ ١/ ١٢ مصطفى النحاس	٦٠	٦	١٠	١٩٢٨/ ٦/ ٢٥ - ١٩٢٨/ ٣/ ١٦ مصطفى النحاس
١٨ر٢	٢	١١	١٩٥٢/ ٣/ ١ - ١٩٥٢/ ١/ ٢٧ علي ماهر	٦٦ر٢	٦	٩	١٩٢٩/ ١٠/ ٢ - ١٩٢٨/ ٦/ ٢٥ محمد محمود
٣٨ر٦	٥	١٣	١٩٥٢/ ٧/ ٢ - ١٩٥٢/ ٣/ ١ أحمد نجيب الهلالي	٥٠	٥	١٠	١٩٣٠/ ١/ ١ - ١٩٢٩/ ١٠/ ٣ عدلى يكن
٢٨ر٤	٤	١٤	١٩٥٢/ ٧/ ٢٢ - ١٩٥٢/ ٧/ ٢ حسين سرى	٦٠	٦	١٠	١٩٣٠/ ٦/ ١٩ - ١٩٣٠/ ١/ ١ مصطفى النحاس
٤٠	٦	١٥	١٩٥٢/ ٧/ ٢٤ - ١٩٥٢/ ٧/ ٢٢ أحمد نجيب الهلالي	٦٠	٦	١٠	١٩٣٣/ ١/ ٤ - ١٩٣٠/ ٦/ ١٩ اسماعيل صدقى
٣٦ر٤	٤	١١	١٩٥٢/ ٩/ ٧ - ١٩٥٢/ ٧/ ٢٤ علي ماهر	٧٥	٩	١٢	١٩٣٣/ ٩/ ٢٧ - ١٩٣٣/ ١/ ٤ » »
				٥٠	٥	١٠	١٩٣٤/ ١١/ ١٤ - ١٩٣٣/ ٩/ ٢٧ عبد الفتاح يحيى
				٤٤ر٤	٤	٩	١٩٣٦/ ١/ ٣٠ - ١٩٣٤/ ١١/ ١٤ محمد توفيق نسيم
				٢٢ر٢	٢	٩	١٩٣٦/ ٥/ ٩ - ١٩٣٦/ ١/ ٣٠ علي ماهر
				٥٤ر٦	٦	١١	١٩٣٧/ ٧/ ٢١ - ١٩٣٦/ ٥/ ٩ مصطفى النحاس
				٦٦ر٢	٨	١٢	١٩٣٧/ ١٢/ ٣٠ - ١٩٣٧/ ٨/ ١ » »
				٦٢ر١	١٠	١٦	١٩٣٨/ ٤/ ٢٧ - ١٩٣٧/ ١٢/ ٣٠ محمد محمود

* محمد خليل صبحى ، المصدر السابق . الجزء الخامس والسادس فيما يتعلق بعدد الوزراء وكذلك كتاب : النظارات والوزارات المصرية ١ ، إصدار مركز تاريخ مصر المعاصرة والهيئة العامة للإصلاح الزراعى فيما يتعلق بتحديد كبار الملاك .

جدول

يوضح نسبة وجود كبار الملاك في اللجان الداخلية بالهيئات النيابية

الهيئة النيابية	الأولى ١٩٢٤/٣/١٥ ١٩٢٤/١٢/٢٤			الثالثة ١٩٢٦/٦/١٠ ١٩٢٨/٧/١٩			الرابعة ١٩٣٠/١/١١ ١٩٣٠/٧/١٢			السادسة ١٩٣٦/٥/٢٣ ١٩٣٨/٢/٢			السابعة ١٩٣٨/٤/١٢ ١٩٤٢/٢/٧			الثامنة ١٩٤٢/٣/٣٠ ١٩٤٤/٨/٩			التاسعة ١٩٤٥/١/١٨ ١٩٤٩/١١/٧			العاشر ١٩٥٠/١/١٦ ١٩٥٢/٧/٢٣			متوسط النسبة المئوية ٪	
	النسبة ٪	عدد الاعضاء	عدد كبار الملاك	النسبة ٪	عدد الاعضاء	عدد كبار الملاك	النسبة ٪	عدد الاعضاء	عدد كبار الملاك	النسبة ٪	عدد الاعضاء	عدد كبار الملاك	النسبة ٪	عدد الاعضاء	عدد كبار الملاك	النسبة ٪	عدد الاعضاء	عدد كبار الملاك	النسبة ٪	عدد الاعضاء	عدد كبار الملاك	النسبة ٪	عدد الاعضاء	عدد كبار الملاك	٪	
الجنة	٥٧ر١	٢١	١٢	٦١ر١٩	٢١	١٣	٥٧ر١	١٢	(١)٢١	٢١	١٤	٦٦ر١٤	٢١	٨	٣٨ر٢	٢١	١٣	٦١ر١٩	٢١	١٢	٥٧ر١	٢٤	١١	٤٥ر٥	٥٥ر٤٤	
الزراعة	٥٧ر١	٢١	١٢	٦١ر١٩	٢١	١٣	٥٧ر١	١٢	(١)٢١	٢١	١٤	٦٦ر١٤	٢١	٨	٣٨ر٢	٢١	١٣	٦١ر١٩	٢١	١١	٥٢ر٨	٢٤	١٣	٥٤ر١	٥٧ر٧٣	
المالية	٥٧ر١	٢١	١٢	٤٧ر١٣	٢١	١٠	٣٨ر٢	٨	(٢)٢١	٢١	١٧	٨٠	٢١	١٣	٦١ر١٩	٢١	١٥	٧١ر٣	٢١	٢١	٥٢ر٨	(٤)٢٤	٤	١٦ر٢	٣٤ر٥٤	
الأوقاف	٤٢ر٦	٢١	٩	٢٣ر١٧	٢١	٥	٤٦ر٢	٧	(٣)١٥	١٥	٤	٢٦ر٢	١٩	٩	٤٧ر٧	١٠	٥	٢٣ر١٧	٢١	٢١	٥٢ر٨	٢٤	٩	٣٧ر١	٥١ر٤٢	
الداخلية	٤٧ر١٣	٢١	١٠	٦١ر١٩	٢١	١٣	٤٧ر١٢	١٠	٢١	٢١	٩	٤٢ر٦	١٢	٩	٧٥	٢١	٦	٢٨ر٤	٢١	٢١	٥٢ر٨	٢٤	٩	٣٧ر١	٤٨ر٥	
الحربية والبحرية والطيران	٥٢ر٨	٢١	١١	٥٢ر٨	٢١	١١	(٥)٦٦ر٢	١٠	١٥	١٥	٦	٤٠	١٩	(٦)١٣	٦٨ر٨	(١)٢١	٧	٣٣ر١	٢١	٢١	٣٨ر٢	(٨)٢٤	٩	٣٧ر١	٣٠ر٨	
المعارف	٣٣ر١	٢١	٧	٤٢ر٦	٢١	٩	٥٣ر١	٨	١٥	١٥	٧	٤٦ر٢	١٩	٤	٢١ر١	٢١	٤	(٩)١٩ر١	٢١	٢١	٥	٢٣ر١٣	٢٤	٣	١٢ر١	٤١ر٥
الاشغال	٥٢ر٨	٢١	٧	٣٣ر١	٢١	١٠	٤٦ر٢	٧	١٥	١٥	٦	٤٠	١٩	٨	٤٢ر٢	٢١	٩	٤٢ر٦	٢١	٢١	٣٨ر٢	٢٤	٩	٣٧ر١	٥٧ر٥٩	
الخارجية	٦٦ر١٤	٢١	١٤	٤٢ر٦	٢١	٩	١٥	٩	١٥	١٥	١١	٧٣ر١	١٩	١١	٥٧ر١٧	٢١	١٠	٤٧ر١٣	٢١	٢١	١٣	٦١ر١٩	٢٤	١٣	٥٤ر١	٣٦ر٦٢
الصحة	٢١ر٣	١٤	٣	—	—	—	٤٦ر٢	٧	١٥	١٥	٥	٣٣ر١	١٩	١٣	٦٨ر٨	٢١	٧	٣٣ر١	٢١	٢١	٥	٢٣ر١٣	٢٤	١٠	٦٢ر١	٤٢ر٣٥
الواصلات	—	—	—	٢٣ر١٣	٢١	٥	٤٠	٦	١٥	١٥	٧	٤٦ر٢	١٩	١٣	٦٨ر٨	٢١	٧	٣٣ر١	٢١	٢١	٥	٢٣ر١٣	٢٤	١٠	٦٢ر١	٤٢ر٣٥
المحاسبة	—	—	—	—	—	—	٨٥ر٥	٦	٧	٧	٥	٧١ر٣	٧	٤	٥٧ر١	٨	٣	١٨ر٣	٢١	٧	٧٧ر٧	٧	٨	٨٨ر٨	٨٠ر٣٩	
القطن والمحاصيل	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٩	٧	٧٧ر٧	٢١	٧	٧٧ر٧	٧	٨	٨٨ر٨	٨٠ر٣٩	
العمال والشئون الاجتماعية	—	—	—	—	—	—	٤٠	٦	١٥	١٥	—	—	١٩	٦	٣١ر١١	٢١	٢	٩ر١١	٢١	٦	٢٨ر٤	٢٤	١٠	٤٠ر٥	٢٤ر٨٢	

الهيئة النيابية	الأولى ١٩٢٤/٣/١٥ ١٩٢٤/١٢/٢٤			الثالثة ١٩٢٦/٦/١٠ ١٩٢٨/٧/١٩			الرابعة ١٩٣٠/١/١١ ١٩٣٠/٧/١٢			السادسة ١٩٣٦/٥/٢٣ ١٩٣٨/٢/٢			السابعة ١٩٣٨/٤/١٢ ١٩٤٢/٢/٧			الثامنة ١٩٤٢/٣/٣٠ ١٩٤٤/٨/٩			التاسعة ١٩٤٥/١/١٨ ١٩٤٩/١١/٧			العاشر ١٩٥٠/١/١٦ ١٩٥٢/٧/٢٣			متوسط النسبة المئوية ٪	
اللجنة	النسبة ٪	ك.م.ن	عدد الاعضاء	النسبة ٪	ك.م.ن	عدد الاعضاء	النسبة ٪	ك.م.ن	عدد الاعضاء	النسبة ٪	ك.م.ن	عدد الاعضاء	النسبة ٪	ك.م.ن	عدد الاعضاء	النسبة ٪	ك.م.ن	عدد الاعضاء	النسبة ٪	ك.م.ن	عدد الاعضاء	النسبة ٪	ك.م.ن	عدد الاعضاء	٪	
الحقانية	٤٢٫٦	٩	٢١	٤٢٫٦	٩	٢١	٤٠	٦	١٥	٤٠	٦	١٥	٤٢٫٢	٨	١٩	٤٢٫٢	—	—	—	—	—	—	—	—	٤٠٫١٤	
الشئون الدستورية	—	—	—	—	—	—	٦٦٫٢	٦	٩	—	—	—	٤٤٫٤	٤	٩	١١٫١	٩	٣	٣٣٫٣	٩	٢	٢٢٫٢	٢	٩	٣٥٫٤	
التشريعية	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٩٫١	٢	٢١	٤٢٫٦	٩	٢٤	٨٫١	٢	٢٤	١٩٫٧٣	
التقنين	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٢١	١١	٥٢٫٨	٩	٢٤	٣٧٫١	٩	٢٤	٤٤٫٩
السودان	١٥	٦	٤٠	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٩	٥	٥٥٫٥	٥	٩	٤٧٫٨	
التعاون والشئون الاجتماعية	١٥	١٠	٦٦٫٢	١٥	٤	٢٦٫٢	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٤٦٫٢	
الحسابات العامة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٣	٣٣٫١	٣	٩	٣٣٫١	
الشئون الاقتصادية	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٢	٥٠٫١	١٢	٢٤	٥٠٫١	
الشئون البلدية والفروية	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٨	٣٣٫١	٨	٢٤	٣٣٫١	
العرائض والاقتراحات	١٥	٦	٤٠	١٥	٨	٥٣٫٣	١٣٫١	٢	١٥	٤٦٫٢	٧	١٥	٥٢٫١٢	١٠	١٩	٢٣٫١٧	٥	٢١	٨	٣٨٫٢	٨	٣٣٫١	٨	٢٤	٣٧٫٢٩	
التجارة والصناعة	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٧٣٫١	١١	١٥	٦٨٫٨	١٣	١٩	٤٢٫٦	٩	٢١	٨	٣٨٫٢	٧	٢٩٫١	٧	٢٤	٥٠٫٣٣	

توضيح للجدول :

(١) ضمت إليها لجنة التعاون

(٢) ضمت إليها لجنة التجارة والصناعة

(٣) ضمت إليها المعاهد الدينية

(٤) أصبحت لجنة الأوقاف والمعاهد الدينية

(٥) ضمت إليها لجنة السودان

(٦) ضمت إليها لجنة السودان

(٧) أصبحت لجنة الدفاع الوطني والسودان

(٨) أصبحت لجنة الحرية والبحرية

(٩) أصبحت لجنة التربية والتعليم

الثقة						البدایه		الاسم
الانتخابات	الحزب	الانتخابات	الحزب	الانتخابات	الحزب	الانتخابات	الحزب	
شیوخ ۱۹۳۱	الشعب	نواب أبريل ۱۹۳۸	قومی	نواب إبریل ۱۹۳۸	الوفد	نواب يونيو ۱۹۲۶	الوطني	محمد فؤاد المنشاوی
		» » »	السعدی	نواب يونيو ۱۹۲۶	الاتحاد	نواب مارس ۱۹۲۵	مستقل	عبد اللطیف واكد
		» » »	»	» » »	»	» » »	»	أحمد محمد عطية الفاخر
		» » »	»	» » »	الوفد	» » »	»	عبد المقصود إبراهيم حبيب
		» » »	»	» » »	»	» » »	»	عبد الرحمن عوض
		نواب يونيو ۱۹۲۶	مستقل	نواب يناير ۱۹۵۰	السعدی	» » »	»	خليل إبراهيم اسماعيل أبو رحاب
		مجلس إدارة الحزب ۱۹۳۰	دستوری	مجلس إدارة الحزب	الاتحاد	» » »	دستوری	عبد الرحمن الموم
		» » »	»	نواب يونيو ۱۹۲۶	مستقل	» » »	»	صالح الموم
		» » »	»	نواب يونيو ۱۹۳۱	الشعب	» » »	»	سلطان محمد السعدی
		» » »	»	شیوخ ۱۹۳۱	»	» » »	»	علي فهمی
نواب إبریل ۱۹۳۸	قومی	نواب يونيو ۱۹۳۱	الشعب	نواب يناير ۱۹۳۰	مستقل	» » »	»	محمد سليم جابر
		نواب يونيو ۱۹۲۶	مستقل	نواب مارس ۱۹۲۵	الاتحاد	» » »	»	نعمان الأعصر
نواب إبریل ۱۹۳۸	مستقل	نواب يونيو ۱۹۳۱	الشعب	نواب يونيو ۱۹۳۱	الشعب	» » »	»	وهيب دوس
		» » »	»	نواب يونيو ۱۹۲۶	مستقل	» » »	»	توفيق دوس
		» » »	»	شیوخ ۱۹۳۱	الشعب	» » »	»	حبيب دوس
		» » »	»	نواب يونيو ۱۹۳۱	»	» » »	»	إبراهيم عبد العال المليجي
		نواب إبریل ۱۹۳۸	قومی	» » »	»	» » »	»	أبو زيد طنطاوی
		» » »	»	شیوخ ۱۹۳۱	»	» » »	»	حسن علي أبو جازیه
		» » »	»	نواب يونيو ۱۹۲۶	الاتحاد	» » »	»	زكريا نامق
		» » »	»	عضو الجمعية التأسيسية	الشعب	» » »	»	سلطان بهنس
		نواب يونيو ۱۹۳۱	الشعب	نواب يونيو ۱۹۲۶	الاتحاد	» » »	»	سيف النصر موسى
		نواب إبریل ۱۹۳۸	قومی	نواب يناير ۱۹۳۰	الوفد	» » »	»	أحمد مصطفى اسماعيل أبو رحاب
		» » »	»	عضو مجلس إدارة الحزب	الاتحاد	» » »	»	حامد العاليلي

الاسم	البدايه		التفـيرات			
	الحزب	الانتخابات	الحزب	الانتخابات	الحزب	الانتخابات
سليم خليل بطرس	دستورى	نواب مارس ١٩٢٥	الاتحاد	نواب يونيو ١٩٢٦	الوفد	نواب يناير ١٩٣١
عبد العليم مسمان	»	» » »	الوفد	» » »		
عبد المنعم رسلان	»	» » »	الشعب	نواب يونيو ١٩٣١	قوى	نواب إبريل ١٩٣٨
على المنزلواوى	»	» » »	»	» » »		
عيسوى زايد	»	» » »	»	» » »	مستقل	نواب إبريل ١٩٣٨
قلينى فهمى	»	» » »	»	الجمعية التأسيسية		
محمد أبو الفتوح	»	» » »	»	نواب يونيو ١٩٣١		
محمد فؤاد سراج الدين	»	اللجنة التنفيذية للشبان	الوفد	نواب يونيو ١٩٣٦		
عبد العزيز سيف النصر	الاتحاد	نواب مارس ١٩٢٥	دستورى	نواب يونيو ٢٩٢٦	الوفد	نواب يناير ١٩٣٠
					الشعب	نواب يونيو ١٩٣١ ^(١)

(١) السياسة ، ٦٤ ، ١ / ١١ ، ١٣ ، ٣ / ١٩٢٥ ، ٢٥ ، ١٩٢٦ / ٢ ، ٢٠ ، ١٩٢٩ / ١١ / ١٩ ، ٢٣ ، ١٩٣٠ / ٦ / ١٩٣١ ، ٧ / ١٣ ، ٢٠ / ٢٣ ، ١٩٣٠ / ٤ / ١٩٣٨ ، ١١ / ١٩٥٩ .

الاسم		البداية		التنظيم		الاسم	
الحزب	الانتخابات	الحزب	الانتخابات	الحزب	الانتخابات	الحزب	الانتخابات
الوفد	نواب مارس ١٩٢٥	الاتحاد	نواب مارس ١٩٢٥	مستقل	نواب يونيو ١٩٢٦	مستقل	نواب يونيو ١٩٣١
»	» » »	»	» » »	مستقل	» » »	مستقل	» » »
»	نواب يونيو ١٩٢٦	قوى	نواب إبريل ١٩٣٨	دستورى	نواب يناير ١٩٥٠	دستورى	نواب يناير ١٩٥٠
»	نواب يناير ١٩٣٠	السعدى	» » »	»	» » »	»	» » »
»	نواب مارس ١٩٢٥	»	» » »	الوفد	نواب يناير ١٩٣٠	الوفد	نواب يناير ١٩٣٠
»	» » »	الاتحاد	نواب يونيو ١٩٢٦	»	» » »	»	» » »
»	نواب يناير ١٩٣٠	قوى	نواب إبريل ١٩٣٨	»	» » »	»	» » »
»	نواب مارس ١٩٢٥	السعدى	» » »	»	» » »	»	» » »
»	» » »	»	» » »	»	» » »	»	» » »
»	» » »	الشعب	نواب يونيو ١٩٣١	»	» » »	»	» » »
»	» » »	السعدى	نواب إبريل ١٩٣٨	مستقل	نواب يناير ١٩٥٠	مستقل	نواب يناير ١٩٥٠
»	» » »	الاتحاد	نواب يونيو ١٩٢٦	»	» » »	»	» » »
»	» » »	»	» » »	قوى	نواب إبريل ١٩٣٨	قوى	نواب إبريل ١٩٣٨
»	» » »	الشعب	الجمعية التأسيسية	»	» » »	»	» » »
»	» » »	السعدى	نواب إبريل ١٩٣٨	»	» » »	»	» » »
»	» » »	»	» » »	»	» » »	»	» » »
»	نواب يونيو ١٩٢٦	»	» » »	الوفد	نواب يناير ١٩٣٠	الوفد	نواب يناير ١٩٣٠
»	» » »	»	» » »	»	» » »	»	» » »
»	نواب يناير ١٩٢٥	الاتحاد	نواب يونيو ١٩٢٦	مستقل	نواب يونيو ١٩٣١	مستقل	نواب يونيو ١٩٣١
»	» » »	الشعب	نواب يونيو ١٩٣١	السعدى	نواب إبريل ١٩٣٨	السعدى	نواب إبريل ١٩٣٨
»	شيوخ ١٩٢٤	»	» » »	»	» » »	»	» » »
الوطنى	نواب مارس ١٩٢٥	الوفد	نواب يونيو ١٩٢٦	»	» » »	»	» » »

رقم الإيداع ٧٦/٢٣١٥

الترقيم الدولي ٠٢ - ٢١٠ - ٧ - ٩٧٧ ISBN

تتناول هذه الدراسة :

* الأسس النظرية في تحديد الملكية الكبيرة والشرائح الاجتماعية لكبار الملاك في مصر وبيان مصادر الملكية ووسائل التملك ودراسة ظاهرة تركيز الملكية الزراعية في مصر .

* النشاط الاقتصادي لكبار الملاك والانتقال من الاستثمار في الأرض إلى انشروعات الصناعية والتجارية ونشأة ما يعرف بأصحاب المصالح الخاصة الزراعية ومحاولات حماية هذه المصالح بمختلف الوسائل والطرق .

* علاقة كبار الملاك بمسأجرى وعمال الأرض الزراعية ودراسة الإيجار كوسيلة أساسية في استغلال الأرض وأنواعه المختلفة وطبيعة الأجور المتعددة . وعلاقة كبار الملاك بالبنوك المسالية التي انتهت بمشكلة الديون العقارية وأسبابها ومسئوليتهم في ذلك .

* نسبة كبار الملاك في السلطة التشريعية بأجهزتها المختلفة (الجمعية التشريعية ١٩١٣ ومجلس النواب والشيوخ منذ ١٩٢٤ ، ومجالس المديرية) ونسبتهم في السلطة التنفيذية وكيف كانتا تعبراً عن مصالحهم وأيضاً تتبع نسبهم في الأحزاب السياسية المختلفة .

* دور كبار الملاك في الحركة الوطنية وتصديرهم لقيادة ثورة ١٩١٩ ومسئوليتهم في تصفيتهم وانطفاء شعلتها بسرعة ، والمكاسب التي حصلوا عليها من العمل السياسي بمقتضى تصريح فبراير ١٩٢٢ ومعاهدة ١٩٣٦ ثم موقفهم من انتفاضة ١٩٤٦ .

* التكييف الاجتماعي وهل يكونون طبقة اجتماعية أم لا ، ثم موقفهم من المسألة الاجتماعية في مصر في أبعادها المختلفة وتحليل الخلفية الثقافية والاجتماعية التي واجهوها هذه المسألة .

* نظام الاستغلال الزراعي في مصر بين الإقطاع والرأسمالية الزراعية .

المؤلف :

* حاصل على درجة دكتوراه الآداب في التاريخ الحديث من جامعة عين شمس بترتبة الشرف الأولى .

* يعمل مدرسا بكلية الآداب جامعة أسيوط .

اتفلاف للفنان
بهجت عثمان

دارالمؤلف للطباعة

الثن ١٢٥ قرشاً